



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد عبد القادر الوادي
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية



مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية مجلة دورية دولية محكمة



رئيس التحرير: ا.عمار مغربية

Issn 2437-0584

الرئيس الشرفي : عمر فرحاتي - مدير الجامعة
المدير الشرفي للمجلة : عبد الرحمان تركي - عميد الكلية

رقم الايداع القانوني 471-2015

العدد

07



مجلة المعارف

للبحوث والدراسات التاريخية

مجلة دورية دولية محكمة تعنى بالدراسات التاريخية

العدد السابع - نوفمبر 2016

ترسل جميع المراسلات إلى رئيس هيئة تحرير مجلة المعارف
للبحوث و الدراسات التاريخية
ص - ب رقم : 789 . ولاية الوادي 39000 . الجزائر -
الهاتف / الفاكس 032223005
العنوان الالكتروني:
el-maaref@univ-eloued.dz

إدارة المجلة

الرئيس الشرفي:

الأستاذ الدكتور عمر فرحاتي

مدير جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي. الجزائر.

recteur@univ-eloued

المدير الشرفي :

الأستاذ الدكتور محمد الرحمان تركي ، عميد كلية

العلوم الاجتماعية و الإنسانية.

adab -- -- @39@hotmail.com

مدير المجلة :

الدكتور محمد السعيد محقوب ، نائب عميد الكلية

المطلوب بال علاقات الخارجية و التعاون و التنشيط و

الاتصال و التظاهرات العلمية.

maguieb@yahoo.fr

رئيس هيئة التحرير :

الأستاذ عمار غرايسه ، عضو هيئة التدريس بالكلية ،

gheraissa-ammam @univ-eloued

هيئة تحرير المجلة

أ. رابع رمضان . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

أ. الطاهر سبفاق . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

د. حنانة البشير . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

أ. محلال بن عمر . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

د. رشيد قسيه . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

أ. الجباري عثمان . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

أ. محمد الحميد العابد . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

التعريف بالمجلة

من وحي الثورة الجزائرية المجيدة
و في إطار الاحتفالات بالذكرى

الستون المخدلة لها ، جاءت

فكرة إنشاء هاته المجلة الموسومة

بمجلة المعارف للبحوث و

الدراسات التاريخية التي حازت

على موافقة المجلس العلمي

لكلية العلوم الاجتماعية و

الإنسانية لتكون فضاء متميزا

للمعرفة . إذ المعرفة هي بلا

شك الطريق الأنسب لمحاولة

الاقتراب أكثر من الحقيقة التي

هي أمل السالكين دروب العلم

على أمل ملامستها في ظل

أحواء الفكر الإنساني الحر و

الذي لا يلتزم بغير ضوابط

الموضوعية و الحقيقة المستندة

للقائع و الحقائق الثابتة.

إن مجلة المعارف تسعى لأن

توجد لنفسها مكانا بين

الدوريات التاريخية المتخصصة

لتسهم بفضل جهود الأعلام

المتألقة في فضاءها في الغوص

في مجال البحوث و الدراسات

التاريخية لتخرج بما نحو أرحب

الأفاق الدالة على مدى قدرة

التاريخ في الإسهام إلى جانب

العلوم و المعار الأخرى في

صناعة واقع الأمة انطلاقا من

فهم واقعها و محاولة لرسم

مستقبلها. و تبقى المعرفة التي

جاء بما أول غيب الوحي

السمائي خير ما تستهدي به

البشرية في دروب الحياة .

المهبة العلمية الاستشارية

أ. د. إبراهيم بحاز . جامعة غرداية . غرداية.	أ. د. إبراهيم بن محمد بن محمد المزيني . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية المملكة العربية السعودية.
أ. د. أحمد شريفي . جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله . الجزائر.	أ. د. أحمد صاري . جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . قسنطينة
أ. د. بن يوسف تلمساني . المركز الجامعي خميس مليانة .	أ. د. جمال حجر . جامعة قطر. قطر
أ. د. صالح بوسليم . جامعة غرداية . غرداية.	أ. د. عبد الوهاب شلالي . جامعة العربي التبسي . تبسة.
أ. د. علي آجفو . جامعة محمد خيضر . بسكرة.	أ. د. محمد حسن . جامعة تونس الأولى . تونس.
أ. د. علاوة عمارة . جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية . قسنطينة.	أ. د. عمر حاج الزاكي . جامعة أم درمان السودان.
	أ. د. وجدان فريق عناد . جامعة بغداد العراق.
أ. د. بوبه مجاني . جامعة قسنطينة2 . قسنطينة.	أ. د. جمال يحيوي . جامعة أبو القاسم سعد الله . الجزائر.
د. أحمد الباهي . جامعة القيروان . تونس.	د. العمري مومن . جامعة قسنطينة2 قسنطينة.
د. الوفي نوحى . جامعة محمد الخامس . المغرب.	د. أنور عوده عواد الخالدي . جامعة آل البيت . الأردن.
د. بشير فايد . جامعة الدكتور محمد الأمين دباغين . سطيف.	د. بلقاسم ميسوم . جامعة محمد خيضر . بسكرة.
د. جمال بلفردى . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي.	د. خير الدين شترة . جامعة محمد بوضياف . المسيلة.
د. دلال لواتي . جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله . الجزائر.	د. رضوان شافو . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي.
د. طارق لعجال جامعة ملايا . ماليزيا.	أ. د. عاشوري قمعون . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي.
د. عبد الحكيم أروغي . جامعة فريبورغ . ألمانيا.	د. عبد الكريم الماجري . جامعة منوبة تونس.
د. علي بن سعد آل زحيفه الشهراني . جامعة ملايا . ماليزيا.	د. علي غنازبية . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي.
د. عليان عبد الفتاح الجالودي . جامعة آل البيت .	د. لزهو بديدة . جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد

الأردن.	الله . الجزائر.
د . لمياء بوقريوة . جامعة الحاج لخضر . باتنه.	د . محمد الأمين ولد آن جامعة نواقشط . موريتانيا.
د . محمد السعيد عقيب . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي.	د . محمد السعيد قاصري . جامعة محمد بوضياف . المسيلة.
د . محمد رشدي جراية . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي.	د . محمد عبد الرؤوف ثامر . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي.
د . محمد فرقاني . جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية . قسنطينة.	د . محمد وادفل . جامعة قسنطينة2 قسنطينة.
د . نواف عبد العزيز الجحمة . الهيئة العامة للتعليم التطبيقي و التدريب . الكويت.	د . هيو عزيز سعيد . جامعة السليمانية . العراق.
د . ودان بوغفالة . جامعة معسكر . معسكر.	د . يوسف نبي ياسين . جامعة قطر . قطر.
د أحمد عبد الدايم محمد حسين . جامعة القاهرة . مصر.	د علي الريامي . جامعة السلطان قابوس . سلطنة عمان.
د مبارك جعفري جامعة أحمد دراية . أدرار.	د نجيب بن خيرة . جامعة الشارقة . الإمارات العربية المتحدة.
د ناصر بالحاج . جامعة الحاج لخضر . باتنة د . اسماعيل وارشيد EH SS ismail warscheid فرنسا. أ . Juan Castilla Brazales خوان كاستيه برانالس . المدرسة للدراسات العربية . اسبانيا.	أ . Juan Castilla Brazales خوان كاستيه برانالس . المدرسة للدراسات العربية . اسبانيا.
د . Augustin Jomier أوغسطين جوميهيه) fondation thiers – cnrs/ce (thio)جامعة لومان . فرنسا.	د . بشير غانية . قسم العلوم الانسانية . جامعة الشهيد حمه لخضر . الوادي

قواعد النشر بالمجلة

مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية هي مجلة علمية أكاديمية محكمة تعنى بنشر الدراسات والبحوث التاريخية باللغات العربية والانجليزية والفرنسية على أن يلتزم أصحابها بالقواعد التالية:

- 1- أن تكون المادة المرسله للنشر أصيلة ولم ترسل للنشر في أي جهة أخرى.
- 2- أن لا يتجاوز حجم البحث 20 صفحة بما في ذلك قائمة المراجع والجداول والأشكال والصور وأن لا تقل عن 10 صفحات.
- 3- أن يتبع كاتب المقال الأصول العلمية المتعارف عليها في إعداد وكتابة البحوث وخاصة فيما يتعلق بإثبات مصادر المعلومات وتوثيق الاقتباس.
- 4- تتضمن الورقة الأولى العنوان الكامل للمقال واسم الباحث ورتبته العلمية، والمؤسسة التابع لها، الهاتف، والفاكس والبريد الالكتروني وملخصين، في حدود مائتي كلمة أحدهما بلغة المقال والثاني بالغة الإنجليزية على أن يكون أحد الملخصين باللغة العربية.
- 5- تكتب المادة العلمية العربية بخط نوع **simplified Arabic** مقاسه 14 بمسافة 21 نقطة بين الأسطر، العنوان الرئيسي **simplified 16 Gras** العناوين الفرعية **simplified Arabic** مقاسه 14.
- 6- هوامش الصفحة أعلى 02 وأسفل 02 وأيمن 02 وأيسر 02 ، رأس الورقة 01، أسفل الورقة 1.25 بحجم الورقة عادي (A4).
- 7- يرقم التهميش والإحالات بطريقة آلية **Not de fin** على أن تعرض في نهاية المقال.
- 8- المقالات المرسله لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر.
- 9- المقالات المنشورة في المجلة لا تعبر إلا على رأي أصحابها.
- 10- كل مقال لا تتوفر فيه الشروط لا ينشر مهما كانت قيمته العلمية.
- 11- يحق لهيئة التحرير إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة متى لزم الأمر دون المساس بالموضوع.

ملاحظة: ترسل المقالات على العنوان البريدي التالي : el-maaref@univ-eloued.dz

مجلة المعارف

ان حياة الأمم انما هي في جزء مهم منها ارتباط وثيق بماضيها بما حمله من مآثر تستحق الوقوف أمامها بإجلال قصد الحفاظ عليها والاستمرار على نفس منوالها والزيادة عليها، أو ما كان من مآسي تستوجب الوقوف عندها لاتخاذ القرار والموقف الذي يقتضيه الحال بما يتوافق و الرؤية المستقبلية التي من شأنها أن تحدد المسارات الرئيسة التي تحتاج الأمة السير عليها في سبيل الوصول الى الأمل المنشود في الغد المنظور.

أمام هاته الحقيقة تأتي احتفالية الجزائر بالذكرى الثانية بعد الستين من عمر ثورتها المجيدة التي استطاعت علاوة على تحريرها البلاد أن تؤسس لعمر تاريخي أكد الترابط الوثيق بين الأقطار المغاربية لما بين شعوبها من توافقات تاريخية متحدرة توحى بالأمل المنشود لبلوغ ما هو أفضل في ظل الرهانات المنظورة و المخاطر المحدقة. كما كرس في ذات المنحى البعد التحرري الانساني الذي من شأنه أن يتيح لجميع الشعوب تنفيذ ارادتها المستقلة و ممارسة سيادتها بعيدا عن أي املاء.

ان عملية التحرير التي طالت البلاد تفرض أن تتبع أيضا بالاستمرار في ان يحقق الأفراد تحررهم من أي سلطان قد يكبل طاقاتهم أو أن يثني عزائمهم على المضي قدما في سبيل المساهمة الفاعلة في عملية البناء بمختلف جوانبها كلا من مكانه و حسب امكانياته . فما كان بالأمس قد تحرر بسواعد الجميع هو ذاته ما يقتضي من أن يشترك في بنائه الجميع بعيدا عن أي تهميش أو ابعاد .

و ان حالة الالهام التي امتلكتها ثورة الجزائر، لا تزال بحاجة الى ضرورة تكريسها في ظل استمرار بعض الأوضاع التي لاتزال تعيشها أمتنا العربية في مختلف الأقطار ،

لأجل أن تنحو نحوها و تحقق الأمل و المنى التي كان مفدي زكريا قد تناجا بها في
الياذته ليرى ذاك الأمل يروق حرية و انعتاقا ترفرف ظلالة على أرض فلسطين التي
هي حلم كل من يحمل في نفسه نبضا تجاهها بما تمثله من رمزية.
ان الأمة انما تحيا برجالها و تعقد الأمل في أجيالها لتبلغ أمالها.

رئيس هيئة التحرير

أ . عمار غرايسة

المفهرس

الصفحة	الموضوع
07	كلمة العدد
12	الفلسفة والترجمة: المنهج الفلسفي السكندري في ترجمة المعارف اليونانية إلى العربية (232-41هـ / 662-847م) ✻ د/رضوى زكي / جامعة الاسكندرية / مصر
39	بيت المقدس في السياسة المملوكية ✻ د/ حنان أحمد الخريسات / جامعة الطفيلة التقنية / الأردن
69	سياسة القمع الفرنسية في مواجهة نشاط الحركة الوطنية بين 1945-1954 في الجزائر، منطقة تابلط أنموذجا ✻ د/ محمد بليل / جامعة ابن خلدون / تيارت
92	أحباس الكتب المخطوطة في المغرب الأوسط مواصفاتها وأشكال الانتفاع بها (7-10هـ / 13-16م) ✻ د/ كروم عيسى / جامعة عبد الحميد مهري/ قسنطينة ✻ أ.د/ عبد العزيز فيلاللي / جامعة عبد الحميد مهري/ قسنطينة
112	مشروع بلوم- فيوليت: اصلاحات ضائعة بين تماطل حكومة الجهة الشعبية و سلطة اللوبي الجزائري (1936م-1938م) ✻ أ/ خميسة مدور/ جامعة 8 ماي 1945 / قالمة
153	فقهاء مدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي (625-981هـ/1227-1573م) ✻ د.محمد قويسم / جامعة 20أوت1955/سكيكدة
182	جهود الحكومة المؤقتة الجزائرية لتدويل القضية الجزائرية في الهيئة الأممية خلال الدورتين 13 و 14 للجمعية العامة ✻ أ/ سعاد بولجويجة / قسم التاريخ / جامعة 8 ماي 1945 / قالمة.
205	المحاصيل الزراعية بخراسان ودورها في النشاط الاقتصادي من خلال كتابات الجغرافيين العرب ✻ أ/ بودانة وليد / جامعة أبو القاسم سعد الله / جامعة الجزائر 02
222	الحركة الانفصالية في نيجيريا (1967-1970م) ✻ أ/ عبد الكريم قرين - جامعة 08 ماي 1945م - قالمة
252	عبد الحميد مهري، رابط الاتصالات بين حركتي التحرر الجزائرية والتونسية. ✻ د/ أحمد مسعود سيد علي / قسم التاريخ / جامعة المسيلة
277	ملاحح حول التجارة الخارجية للجزائر خلال الفترة الاستعمارية من القرن التاسع عشر ✻ د/ رضوان شافو / قسم العلوم الانسانية - جامعة الشهيد حمه لخضر / الوادي ✻ أ/ عمر لمقدم / قسم العلوم الانسانية - جامعة الشهيد حمه لخضر / الوادي

310	مكتبات ولكنها خاصة جداً .. !! ✿ د/ يسري عبد الغني عبد الله / باحث وخبير في التراث الثقافي/ مصر
331	غزوة قبائل تافيلالت على القوات الفرنسية في توموكتو خلال: 1905/1904 ✿ د/ محمد تلوزت بن علا / فاس / المغرب
350	استراتيجية جبهة التحرير الوطني في مناطق أقصى الجنوب الجزائري و علاقتها بالدعم الافريقي للثورة الجزائرية 1962-1956 ✿ أ/كديده محمد مبارك/ قسم العلوم الانسانية / المركز الجامعي تامنغست
374	المؤرخ أبو العباس أحمد الغبريني(644- 704هـ/ 1246- 1304م) وكتابه عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ✿ أ/السعيد عقبة / قسم العلوم الانسانية / جامعة الشهيد حمه لخضر/الوادي

الفلسفة والترجمة: المنهج الفلسفي الإسكندري في ترجمة المعارف اليونانية إلى العربية (232-41هـ / 662-847م)

د. رضوى زكي - جامعة الإسكندرية - مصر.

ملخص

بحفوت نجم الحضارة الهيلينية بالإسكندرية وسطوع شمس الحضارة العربية؛ كان من الطبيعي أن تحتم الحضارة العربية الناشئة بتلك الحضارة السابقة، وكان أوج هذا الاهتمام في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة النبوية. فقد وجدت الحضارة الإسلامية العربية نفسها وجهًا لوجه أمام حضارة ذات تراث علمي وإنساني هائل، فاتضح لتلك الحضارة الوليدة أن أول وسيلة لها لتجد مكانها بين الحضارات الأخرى هي الترجمة والنقل عن علوم السابقين. وقد قُدِّر للعرب أن يكونوا ورثة الثقافة اليونانية المتمثلة بشكل خاص في مدرسة الإسكندرية القديمة. وإذا كانت مدرسة الإسكندرية قد أدت دورًا مباشرًا في إيقاظ الحركة العلمية في العصر الأموي، إلا أن حركة الترجمة تمت بمنأى عنها، حيث ظهرت معابر كانت حلقة وصل المعارف الإسكندرية إلى الخلافة العباسية. وقد اتسمت حركة النقل والترجمة حتى العصر العباسي الأول بعدة خصائص كان من أبرزها التفات العرب للفلسفة اليونانية، وهو الأمر الذي كان له آثارًا إيجابية وسلبية على المنهج العلمي العربي في تلك الفترة المبكرة من تاريخ الحضارة الإسلامية.

With the subsidence of Hellenic civilization in Alexandria, and the glow of the Arabian civilization; it was expected that the developing Arabian civilization to care about this previous civilization, and the peak of this interest was in the first three centuries of the Prophet's migration. The Arabian civilization was faced with a civilization had an enormous scientific and human heritage, so that this rising

new civilization realized that the primary step to find a place among other civilizations was through the translation of the earlier knowledge. It has been estimated for the Arabs to be the heirs of Greek culture, represented particularly in Alexandria's old school. Although, Alexandria's school had a direct role in awakening the scientific movement in the Umayyad period; but the translation movement with made away from it, where passages emerged to link the Alexandrian knowledge to the Abbasid Caliphate. The translation movement in the first Abbasid period has been characterized by several properties; the most notable feature was the attention of the Arabs towards Greek philosophy, which has had a positive and negative impacts on the Arabian scientific methodology in this early period of the history of Islamic civilization.

مقدمة

في البدء كانت مصر، جاءت اليونان إليها ممثلة في علمائها وفلاسفتها. فأخذ هؤلاء، مشافهةً ومشاهدةً، علوم مصر القديمة إلى بلادهم. ثم أبدع علماء اليونان، وسرعان ما تسرب إبداعهم -الملقَّح أيضاً بمعارف شرقية - فاستقر بالإسكندرية⁽¹⁾. ومنذ ذلك الحين أصبحت الإسكندرية موطنًا جديدًا للعلوم بفضل تأسيس مدرسة الإسكندرية، وقد بلغ العلم في تلك الفترة من الازدهار والتقدم حتى إن المؤرخين في تاريخ العلم أطلقوا على هذه الحقبة الزمنية العصر السكندري تمييزًا له عن باقي العصور المختلفة لما كان له من تأثير في تاريخ العلم القديم⁽²⁾.

تلاشى هذا المجد العلمي بعدما تعرضت مدرسة الإسكندرية للتخريب في القرن الثالث الميلادي، فانتهت الحركة العلمية في الإسكندرية بعدما استمرت قرابة سبعة قرون كاملة⁽³⁾. ولا يكاد العلماء يعرفون شيئاً عن مدرسة الإسكندرية القديمة في القرنين الخامس والسادس الميلاديين سوى النذر اليسير، وقد ضاقت العلوم قبل الفتح الإسلامي لمصر لتقتصر فقط على مجالي الطب والفلسفة⁽⁴⁾ المسيحية. وقام السريان⁽⁵⁾ بدور أساسي في الحياة العلمية في تلك الفترة، وأصبحت اللغة السريانية هل لغة العلم وبخاصة العلوم الطبية في القرنين السادس والسابع الميلاديين. وظل السريان حملة العلم اليوناني حتى بعد دخول الإسلام في الشرق الأدنى، كما كانوا هم ساعد العرب القوي في نقل العلوم والترجمة، ولعبوا دورًا هامًا في حفظ ونقل علوم الإسكندرية إلى العالم الإسلامي⁽⁶⁾. ومن الإسكندرية، عبر عدة معابر، إلى بغداد انتقلت العلوم والمعارف إلى ديار العرب المسلمين. فالعرب لم يأخذوا حضارتهم مباشرة عن الحضارة العراقية أو المصرية أو الفارسية القديمة؛ لأن هذه الحضارات وفدت إلى العرب عن طريق وسيط وهو الحضارة الهلينستية التي انصهرت في بوتقتها العلوم القديمة بالقلم اليوناني، واتخذت من الإسكندرية مستقرًا لها.

وحين أصبح العرب المسلمون القوة العظمى الجديدة كان لزامًا عليهم التعاطي مع ثقافة مغايرة وهي الثقافة اليونانية التي تكونت مقوماتها المعرفية بمدرسة الإسكندرية، لذلك صار الاهتمام بتأثير الحضارة اليونانية في الفكر العربي خلال القرون الأولى من الهجرة مقتربًا بحركة ترجمة تلك المعارف اليونانية ونقلها للسان العربي.

بدأت عملية التثاقف الفكري الحضاري بعد الفتح الإسلامي بين العرب والإغريق من حضارة الإسكندرية التي أسهمت في حفظ وازدهار التراث اليوناني، فاصطبح بلون هلنستي وصل إلى بغداد بعد ترحال عبر مراكز أخرى، وكانت الترجمة هي المحرك الأساسي لحركة نقل العلوم التي ابتدأت من اليونانية إلى

السريانية أول الأمر، ثم من السريانية إلى العربية أو من اليونانية إلى العربية. وقد سجل الفارابي⁽⁷⁾ انتقال كرسي العلم من الإسكندرية إلى أنطاكية⁽⁸⁾ ما نصه: انتقل التعليم [بعد ظهور الإسلام] من الإسكندرية إلى أنطاكية، وبقي بها زمنًا طويلاً، إلى أن بقي معلم واحد، فتعلم منه رجلان، وخرجا ومعهما الكتب، فكان أحدهما من أهل حرّان، ... وتعلم من الحراني إسرائيل الأسقف، وقويري، وسارا إلى بغداد فاشتغل اسرائيل بالدين، وأخذ قويري في التعليم...⁽⁹⁾.

كما أورد المؤرخ المسعودي⁽¹⁰⁾ رواية أخرى حول قضية انتقال العلم من الإسكندرية إلى الشرق مشيراً: "انتقل مجلس التعليم من أثينة إلى الإسكندرية من بلاد مصر، وجعل أغسطس الملك، التعليم بمكانين؛ الإسكندرية ورومية. ونقلت يودسيوس الملك التعليم من روميه وودّه إياه إلى الإسكندرية، ولأبي سبب نُقل التعليم في أيام عمر بن عبد العزيز (99-101هـ) من الإسكندرية إلى أنطاكية، ثم انتقل إلى حرّان⁽¹¹⁾ في أيام المتوكل (232-247هـ)"⁽¹²⁾.

والجدير بالإشارة أن روايات الفارابي والمسعودي المذكورة سلفاً تشير إلى أن مدرسة الإسكندرية وجدت حتى بعد الفتح العربي لمصر⁽¹³⁾ وإنها انتقلت من أنطاكية وحرّان بالشام⁽¹⁴⁾. ولم تكن تلك المراكز فقط هي المعبر الذي انتقلت من خلاله علوم الإسكندرية إلى العرب؛ بل كانت هناك مراكز علمية أخرى بين حدود الشام والعراق ومنهم الرها⁽¹⁵⁾ ونصيبين⁽¹⁶⁾، وكلاهما من المدارس الهامة في نقل الثقافة اليونانية إلى السريانية. وتعد مدرسة جنديسابور⁽¹⁷⁾ بجنوب فارس أهم حلقات انتقال العلوم السكندرية إلى بغداد؛ حيث كانت الحلقة الأولى لانطلاق الترجمة في بداية العصر العباسي، وبخاصة في علوم الطب منذ عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (136-158هـ) على يد أطباء مدرسة جنديسابور.

وقد شكّلت هذه المراكز العلمية أولى المعابر التي انتقلت منها العلوم إلى العالم الإسلامي، وترجم علماءها الكتب اليونانية منذ القرن السابع الميلادي⁽¹⁸⁾.

أولاً: حركة الترجمة والنقل من اليونانية إلى العربية وأطوارها

كانت حركة الترجمة والنقل واحدةً من اللحظات الفارقة في بواكير الحضارة العربية الإسلامية؛ فمن خلالها تم تعرّف العرب المسلمين على متون علوم السابقين، وعلى رأسها العلوم اليونانية المصطبغة بالهوية السكندرية، فكان ذلك أول الغيث ومبدأه في مسيرة التحضّر التي امتدت عدة قرونٍ تالية. وبتتبع حركة الترجمة والنقل منذ صدر الإسلام نجد أنها مرّت عبر مراحل أربع؛ الأولى أيام الدولة الأموية، والثانية الفترة من خلافة المنصور إلى وفاة هارون الرشيد (136-198هـ)، والثالثة الممتدة طوال القرن الثالث الهجري؛ مرحلة الازدهار والذروة، والرابعة الأخيرة الممتدة من مطلع القرن الرابع إلى نهايته⁽¹⁹⁾. وقد اكتست تلك الحركة في كل مرحلة منها بطابعٍ مميز، ولم تتطور خلال هذه المراحل السابقة بمعزل عن ظروف الدولة الإسلامية الناشئة... وعلى هذا نكتفي بالوقوف على المراحل الأولى لحركة الترجمة، منذ النشأة حتى نهاية العصر العباسي الأول⁽²⁰⁾، بُغية الفهم والدراسة لتلك الفترة الحركة المعرفية المصاحبة لنمو حضارة الإسلام.

الترجمة في العصر الأموي

بدأت حركة ترجمة بفضل الأمير خالد بن يزيد بن معاوية⁽²¹⁾ (ت 85هـ/704م) الذي كان مهتمًا بنقل علم الكيمياء⁽²²⁾ للعربية وتعلمها، واعتمد بالدرجة الأولى في هذا الأمر على بعض العلماء اليونانيين الذين كانوا يقطنون مصر، كما سجل ابن النديم ما نصه: "كان خالد ابن يزيد ابن معاوية يسمى حكيم آل مروان، وكان فاضلاً في نفسه وله همة ومجبة للعلوم. خطر بباله الصنعة⁽²³⁾، فأمر جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل بمصر وقد

تفصح بالعربية. وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني والقبطي إلى العربي، وهذا أول نقل في الإسلام من لغة إلى لغة⁽²⁴⁾.

كما عنى الخليفة عبد الملك بن مروان (65-86هـ) بحركة تعريب الدواوين بقوة، كما تُرجم في عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (99-101هـ) كتب الطب بعد أن انتفع بالطبيب السكندري ابن الأجر الكناني في علوم الطب⁽²⁵⁾. لذا، يتبين لنا أن حركة الترجمة في العصر الأموي تمثلت في محاولات فردية محددة في ظل دولة كانت تُعبر العمارة والفن والتوسع في الفتوحات الإسلامية جل اهتمامها، كما كانت العلوم المترجمة تقتصر على العلوم الطبيعية، كالطب والكيمياء، لحاجتهم لهذه العلوم في تلك المرحلة المبكرة من تاريخ دولة الإسلام. أما ترجمة العلوم العقلية من فلسفة ومنطق فكانت من عمل الدولة العباسية⁽²⁶⁾.

1- الترجمة في العصر العباسي الأول (من خلافة المنصور إلى الرشيد)

لم تتخذ حركة الترجمة شكلاً منظماً إلا في العصر العباسي؛ بعد أن قضى العباسيون على الخلافة الأموية سنة 132هـ/750م وانتقلت السلطة من دمشق إلى بغداد، التي أصبحت مركزاً لمعظم ما تُرجم من الكتابات العلمية والطبية من اليونانية إلى العربية. وكانت بداية حركة الترجمة الجادة في صدر الدولة العباسية على يد الخليفة الثاني للدولة أبو جعفر المنصور (136-158هـ)، وهو أول من سعى إلى إحياء تراث الأمم الغابرة؛ فنقل مجموعة صغيرة من تراث الشعوب والحضارات القديمة في عاصمته بغداد، وشجع طلب العلم، وكلف النقلة والمترجمين بنقل العلوم للعربية وأغدق عليهم الأموال فكان ما جمعه من متون العلوم النواة الأولى الحقيقية لحركة الترجمة والنقل⁽²⁷⁾. وقد عنى المنصور بنشر العلم بين المسلمين فقيل: "فبعث أبي جعفر المنصور (136-158هـ) إلى

ملك الروم أن يعث إليه بكتب التعاليم مترجمة، فبعث إليه بكتاب أوقليدس، وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون، وأطلعوا على ما فيها، وازدادوا حرصاً على الظفر بما بقي منها⁽²⁸⁾.

ولم تترجم في هذه المرحلة جميع علوم اليونان؛ وأكثر ما تُرجم منها في عهد المنصور هي كتب الطب⁽²⁹⁾ ثم المنطق، وكان الخليفة العباسي المنصور هو أول من عنى بترجمة المنطق من الفارسية إلى العربية على يد عبد الله بن المقفع⁽³⁰⁾.

وبعد انقضاء خلافة المنصور أصاب الترجمة شيء من الركود حين من الدهر، فلما آلت الخلافة للرشيد (170-193هـ) استكمل مسيرة جده المنصور العلمية وسار على خطاه. وقد وصلت حركة الترجمة في عهده حدًا من التطور الكمي والنوعي لم تصل إليه من قبل. فقد أكثر من الترجمة، ونضجت تحت رعايته حركة الأخذ من الثقافة الهلينستية - الثقافة اليونانية الشرقية - فجلب الكتب اليونانية إلى بغداد شراءً واستنساخًا وكغنائم للحروب؛ فعندما خرج الرشيد لحرب بعض من بلاد الروم عثر هناك على كتب كثيرة شملت كتبًا في الطب والهندسة والرياضيات والفلك والتنجيم حملها إلى بغداد⁽³¹⁾.

وقد عنى الرشيد كذلك بنقل تراث الأمم السالفة إلى عاصمته بغداد، فاتخذ قراره بإنشاء مؤسسة الغرض منها تشجيع نشاطٍ متنامٍ للترجمة⁽³²⁾. وكانت الكتب المترجمة والمخطوطات تُحفظ بقصر الخلافة في بغداد، فاتجه الخليفة هارون الرشيد إلى إخراج تلك الذخائر العلمية من جدران قصر الخلافة إلى مكتبة ضخمة أسماها "بيت الحكمة"⁽³³⁾ وعيّن فيه خيرة العلماء والمترجمين، وفي هذا يذكر ابن القفطي: "إن بيت الحكمة كان رمزاً للمناخ العلمي المختلفة، فهارون الرشيد هو الذي أبتدع فكرة هذا المعهد وتبناه ابنه المأمون"⁽³⁴⁾. وأشار القلقشندي إلى بيت الحكمة بأنه أول أعظم ثلاث خزائن الكتب في الإسلام "... الأولى: خزانة الخلفاء العباسيين ببغداد، كان فيها عدد ضخم

من الكتب، وظلت كذلك حتى داهمها التار 656هـ / 125م، فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب، وذهبت معالمها وأُعفيت آثارها⁽³⁵⁾.

3- الترجمة في العصر العباسي الأول (عهد الخليفة المأمون)

ما أن اعتلى الخليفة المأمون (198-218هـ) عرش الدولة العباسية حتى انفتح الباب للترجمة على مصراعيه، ووصل لذروة ازدهاره، فاتسم عصره بأخذ الثقافة من مواردها الأصلية اليونانية والهندية والفارسية، والبحث عنها في منابها القاصية، لذا سُمي عصره بالعصر الذهبي للترجمة⁽³⁶⁾. وقد ازدهرت في عهد الخليفة المأمون بيت الحكمة حتى أصبحت أكاديمية علمية حقيقية، فقد كان بيت الحكمة حجر أساس لمدرسة بغداد العلمية ومنبراً للحركة العلمية انتشر بعدها خزائن الكتب بأنحاء بغداد⁽³⁷⁾. وقد بذل الخليفة العباسي عبد الله المأمون جهوداً كبيرة للتنقيب عن متون العلوم والفلسفة اليونانية، وأوفد البعثات إلى أنحاء الإمبراطورية البيزنطية للبحث عن مبتغاه؛ فقد بعث سفرائه من المترجمين إلى إمبراطور الدولة البيزنطية للاطلاع على خزائن الروم كما يسجل صاحب الفهرست ابن الندم فيقول: "وقد استظهر عليه المأمون فكتب إلى ملك الروم يسأله الإذن في إنفاذ ما من مختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلد الروم فأجاب إلى ذلك بعد امتناع فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر⁽³⁸⁾ وابن البطريق⁽³⁹⁾ وسلمما صاحب بيت الحكمة وغيرهم فاخذوا مما وجدوا ما اختاروا فلما حملوه إليه أمرهم بنقله فنقل... فجاؤهم بطرائف الكتب وغرائب المصنفات في الفلسفة والهندسة والموسيقى والأرثماطيقى⁽⁴⁰⁾ والطب"⁽⁴¹⁾.

وكان للمأمون اهتمام خاص بنقل علوم ومعارف الاغريق إلى العربية، وذلك لميله المعروف إلى الفلسفة والمنطق اليوناني، وتأثره بمذهب المعتزلة⁽⁴²⁾، فاهتم بجلب كتب الحكمة والفلسفة من أصقاع الأرض، حتى إنه ما عقد معاهدة

مع بعض ملوك الروم إلا واشترط عليهم ارسال كتب الفلسفة وغيرها إليه والتي يندر وجودها⁽⁴³⁾. ويشير ابن خلدون في مقدمته إلى اهتمام الخليفة المأمون بالوقوف على معارف حضارات الأمم السابقة ونقلها إلى اللسان العربي فقال: "وجاء المأمون بعد ذلك، وكانت له في العلم رغبة بما كان ينتحلها، فانبعث لهذه العلوم حرصاً، وأوفد الرسل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين، واستنساخها بالخط العربي، وبعث المترجمين لذلك، فأوعى منه واستوعب. وعكف عليها النظّار من أهل الإسلام، وحذقوا في فنونها، وانتهت إلى الغاية أنظارهم فيها... وأربوا من تقدمهم في هذه العلوم"⁽⁴⁴⁾.

ولم يقف نشاط حركة الترجمة في العصر العباسي الأول إلى عهد المأمون؛ بل امتد إلى عهد الخليفة المتوكل (232-247هـ)، فأغدق مع وزرائه الأموال الضخمة على المترجمين الذين انصبت اهتماماتهم على ترجمة المخطوطات اليونانية في مختلف صنوف العلم والمعرفة⁽⁴⁵⁾.

ثالثاً: الخصائص العامة لحركة الترجمة اليونانية في القرون الأولى

من الهجرة

اتسمت حركة الترجمة في العصر العباسي بالشمول بعكس عهد الدولة الأموية، حيث شملت الترجمة كافة أوجه المعرفة، بعد أن كانت الترجمة قاصرة على بعض العلوم الطبيعية كالطب والكيمياء. كما شملت ترجمة المعارف من أغلب اللغات المعروفة آنذاك: الفارسية واليونانية والهندية. كما قامت الدولة العباسية بدعم ورعاية حركة الترجمة مادياً ومعنوياً، وهو ما أحدث طفرة فيها، وأضفى عليها صفة التنظيم والمؤسسية بوجود دار الحكمة وغيرها من المؤسسات التعليمية التي أنشأها الخلفاء فيما بعد. لذا تمثل حركة الترجمة -بالأخص من اليونانية إلى العربية- نتاجاً لبرنامج ترعاه الدولة فأصبحت حركة الترجمة منذ ذلك الحين ثقافة عامة للمجتمع، يشارك في دعمه نخبة المجتمع العباسي ممثلة في بعض الأسر

العلمية العريقة مثل آل موسى بنو شاعر⁽⁴⁶⁾ وغيرهم، وقد كان من نتاج هذا المشروع الفكري ترجمة غالب المعارف اليونانية، ورحبت الدولة الإسلامية الجديدة بتلك المؤلفات المنقولة وقدرت قيمتها⁽⁴⁷⁾.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لم يُترجم إلى العربية ما كتبه اليونانيون في ميدان الأدب والشعر، وربما يعود ذلك لأسباب عدة منها أن الأدب اليوناني اشتمل على أساطير وخرافات وميثولوجيا لم يتقبلها العقل العربي المسلم. وربما شعر العرب بالافتقار الذاتي في ميدان الشعر والأدب العربي مما صرفهم عن ترجمة متون الشعر والأدب والملاحم اليونانية. فكما كان العرب ورثة الثقافة اليونانية؛ وكان الفكر اليوناني في الأساس منصرفاً إلى العلم بالكلية، وكانت الإسكندرية - التي حلت محل أثينا - قد اصطبغت بتلك النزعة العلمية، فلهذا تأثر العرب بفلسفة وعلوم اليونان جل التأثر، وانصرفوا عن الأدب والشعر الخاص بهم⁽⁴⁸⁾، فحركة الترجمة والنقل، قديماً، تمت في إطارٍ من الوعي بما هو إنساني عام، وهي علوم اليونان المستلهمة من العلوم القديمة المصرية والعراقية وخلافه، وما هو ثقافي خاص، كفنون الأدب التي تخص أهل اليونان. وترجم في الجملة أهم ما وصل إليه العقل اليوناني في العلم والفلسفة في تلك الفترة⁽⁴⁹⁾.

ويعد الاهتمام بترجمة الفلسفة والمنطق اليوناني من أبرز خصائص حركة الترجمة في العصر العباسي الأول⁽⁵⁰⁾ والذي بدأ يظهر منذ عهد الخليفة المهدي (158-169هـ) ووصل لذروته في عهد المأمون؛ فقد أسهمت سعة أفق الخلفاء العباسيين الأوائل من المهدي للمأمون وزيادة الانفتاح على مواطني الدولة المختلفين في العقيدة من خلال مجالس المناظرات والجدل في تشجيع الخلفاء لنقل وترجمة بعض كتب الفلسفة اليونانية لصفق قدرات المسلمين في فن المناظرة والمجادلة والحوار متخذة من ثقافة التسامح الديني الذي ساد العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين في المجتمع العباسي الأول، مما كان دافعاً قوياً لمساهمة غير المسلمين في الحركة العلمية النشطة التي غمرت المجتمع العباسي ولا سيما حركة

الترجمة من اليونانية والسريانية إلى العربية. ولهذا لعب الترجمة الأعاجم وغير المسلمين من نساطرة ويعاقبة وصابئة وغيرهم، دوراً بارزاً في حركة نقل وإحياء العلوم بشكل عام، والتراث المعرفي اليوناني بالخصوص. فقد أتاح هذا التنوع الديني والفكري من ناحية، والوقوف على المنطق وعناصر الفلسفة اليونانية من ناحية أخرى الفرصة لظهور أصحاب الميول الفلسفية من المسلمين، ليكون ذلك إيذاناً لهم لممارسة التفكير الفلسفي الخالص في جو مشبع بالقبول والحرية⁽⁵¹⁾.

ثالثاً: الفلسفة اليونانية حين نطقت بالعربية

مثّلت مدرسة الإسكندرية الفلسفية إحدى الروافد غير المباشرة لانتقال حركة الترجمة للمتون الفلسفية اليونانية في بداية عهد الإسلام⁽⁵²⁾. وقد وصلت فلسفة اليونان إلى ديار الإسلام منذ عصر بني أمية؛ فيقول ابن كثير: "علوم الأوائل دخلت إلى بلاد المسلمين في القرن الأول لما فتحوا بلاد الأعاجم، لكنها لم تكثر فيهم، ولم تنتشر لما كان السلف يمنعون الخوض فيها"⁽⁵³⁾، ويقصد هنا بعلوم الأوائل علم الفلسفة والمنطق⁵⁴. ولم يعرف المسلمون علم الفلسفة بالشكل الحقيقي إلا في العصر العباسي الأول، وبالأخص على يد الخليفة العباسي المأمون في جملة حركة الترجمة والنقل للعلوم القديمة. وقد أخذ المسلمون الفلسفة عن اليونان، واعتمدوا بالخصوص على فلسفة أرسطو⁽⁵⁵⁾ وأفلاطون⁽⁵⁶⁾، ثم أضافوا إليها لاحقاً ما يتناول عقائدهم الدينية وأصبحت لهم فلسفة تحمل طابعهم لم تعرفها اليونان، بفضل التحام المسلمون بغيرهم من الأمم وتكوين مزيجاً فكرياً جديداً⁽⁵⁷⁾. وهكذا كان للمعارف اليونانية طريقان الأول هو الطريق المار من الإسكندرية إلى بغداد وهو طريق الفلسفة السكندرية، والطريق الآخر مبر عدة معابر بصورة غير مباشرة إلى بغداد أيضاً. وقد كانت الساحة العلمية الإسلامية متهيئة لاستقبال الفكر الفلسفي بعد أن سبقتها حركة إحياء العلوم القديمة بالأخص اليونانية إلى اللغتين السريانية والعربية حتى تشكلت لأول مرة لغة فلسفية عربية جديدة. وتقف الروايات التي أوردها المؤرخون عن استمرار

تأثير التقليد الفلسفي السكندري عند القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي لتنمو الفلسفة الإسلامية الوليدة وتحرر رويداً من التأثير الفكري اليوناني ويظهر فلاسفة مسلمون في المشرق⁽⁵⁸⁾.

وكان الدافع الديني هو المحرك الأساسي للرغبة في استخدام الفلسفة والمنطق اليوناني للدفاع عن الإسلام؛ فقد طرأت حاجة ماسة للبحث في خلاصة التجربة العقلية اليونانية نظرًا لاتساع رقعة الدولة العباسية الإسلامية، وبعد اختلاط المسلمين واتصالهم بالحضارات المجاورة من فارسية ورومية وسريانية وقبطية، مما دعا إلى نشوء مسائل متعددة حول بعض المفاهيم العقائدية مثل القضاء والقدر وأعمال أصحاب الكبائر وصفات الذات الألهية مهّدت بشكل تدريجي لنشأة الفكر الإسلامي الفلسفي⁽⁵⁹⁾. وبمرور الوقت كثرت مجالس المناظرات والجدل، بين المسلمين مع بعضهم البعض من جانب، وبينهم وبين أصحاب الديانات الأخرى من جانب آخر، فكان المجادلون من غير المسلمين لهم دراية وعلم بالمنطق اليوناني. لذا رأى بعض خلفاء بني العباس والخليفة المأمون بالتحديد الحاجة إلى ترجمة جانب من الفلسفة اليونانية لصقل قدرات المسلمين بفن المناظرة والمجادلة وساعد على ذلك كون المترجمون الأوائل أكثرهم من النصارى أو الوثنيين⁽⁶⁰⁾.

وكانت من ثمار التعرف على المنهج الفلسفي اليوناني أن لجأ المسلمون إلى استعمال نفس السلاح لمقابلة حجج الخصوم في المناظرات؛ وهو المجادلة بالمنطق والفلسفة اليونانية⁽⁶¹⁾، فنشأ عن ذلك حركات المجادلات والمناقشات الدينية التي سرعان ما تبلورت في هيئة الفرق الكلامية وعلم الكلام⁽⁶²⁾، وظهور عددًا من المذاهب الدينية على رأسهم المعتزلة وإخوان الصفا⁽⁶³⁾.

كما انتهج المسلمون نهج السكندريين في شأن ملازمة الطب للفلسفة -والذي كان واضحًا في كتابات جالينوس- جزءًا من أدبيات الطب الإسلامي⁽⁶⁴⁾؛ فأكثر الذين اشتغلوا بالفلسفة الإسلامية كانوا من الأطباء لأن

الطب كان يومئذ يلازم الحكمة، ولهذا لُقّب الطبيب بالحكيم. ويعود فضل النهضة الفلسفية إلى الأطباء المسيحيين كحنين بن إسحق مترجم جمهورية أفلاطون وكتابه "السياسة" و"النواميس"، ومنطق أرسطو، ويوحنا بن البطريق مترجم سياسية أرسطو، ويوحنا بن ماسويه الذي نقل كتبًا عديدة في الفلسفة⁽⁶⁵⁾.

ويعد أبو يوسف يعقوب بن إسحق الكندي (185-252هـ) وهو أول فيلسوف إسلامي من أصل عربي خالص؛ إذ أنه أول من اشتغل بالفلسفة اليونانية من العرب والمسلمين قاطبة كما جاء في الفهرست، فيقول عنه ابن النديم "فاضل دهره وواحد عصره في معرفة العلوم القديمة بأسرها، ويسمى فيلسوف العرب"⁽⁶⁶⁾. وقد اهتم بالفلسفة بالمعنى الدقيق للكلمة أي بالموضوعات التي سبق أن تناولتها الفلسفة اليونانية القديمة التي ظهرت في الإسكندرية ممتزجة بعناصر شرقية، فقد عاصر العصر العباسي الزاهر بدراسة العلوم بطبقاتها. وكان الكندي يعلن دائما أنه تلميذ أرسطو، ونسب له ابن النديم مصنفات في المنطق والفلسفة بجانب علوم أخرى؛ فقام بتلخيص وتفسير الكثير من المؤلفات اليونانية مثل كتابه "أغراض كتاب إقليدس" وكتاب "تقريب قول أرمخيدس" و"قصد أرسطو في المقولات" وغيرها⁽⁶⁷⁾.

وقد حاول فلاسفة الإسلام التوفيق بين الفلسفة والدين، فلما كانت الفلسفة علم الحق بالعقل، والدين علم الحق بالوحي، وكان ما جاء به الوحي موافقًا للعقل، فإن بعض الحقائق التي تأتي بها الفلسفة تتفق وحقائق الدين. وقد تجلت إسهامات علماء المسلمين الواضحة في علم الفلسفة وتطويرها في تنفيذ ما في كتب ومؤلفات اليونان من معلومات، والربط بين ما جاء في أطرافها من معارف متناثرة وشذرات متباعدة، وإضافة شروح وافية لها، ثم إضافة الجديد من المعلومات التي تَوَصَّل إليها علماء المسلمين ولم يعرفها غيرهم من السابقين، فكان

أن تَعَدَّدَتْ جوانب التفكير الفلسفي في الإسلام، وكان من أهمها: ظهور علم الكلام، ونشؤ الفلسفة الإسلامية الخالصة⁽⁶⁸⁾.

1- أثر اتباع المنهج الفلسفي في نقل العلوم اليونانية إلى العربية

من الحقائق الثابتة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية أن التراث اليوناني شكّل عنصراً رئيسياً من عناصر تكوينها؛ ولم يتمثل ذلك في وفرة العلوم والمعارف التي أفاد منها العرب من هذا التراث فحسب، وإنما تمثّل أيضاً في اتخاذ المثقفين العرب والمسلمين قواعد منطق أرسطو منهجاً للفكر والبحث العلمي بغية الوصول إلى الحقيقة. وفي مجال الفلسفة فلقد برز التأثير المسلم بصورة واضحة من خلال مقولات فلاسفة المسلمين الذين تبنا المقولات اليونانية القديمة التي وردت إليهم من مصادر الفلسفة اليونانية خاصة من مدرستي الاسكندرية وجنديسابور⁽⁶⁹⁾.

وعلى الرغم من اتخاذ المسلمون فلسفة اليونان أساساً لفلسفتهم وتناوهم للعلوم والمعارف، إلا أننا نجدهم قد خالفوا آراء بعض فلاسفة اليونان. ولم يكتفوا بذلك بل أضافوا شروحاً وتعليقات كانت أكثر قيمة أحياناً من النص الأصلي المخطوط وهو حدوداً لمنهج الشروح المتبع عند العلماء السكندريين، فلم يكن المسلمون نقلة؛ بل كانت شروحهم تحمل عصارة معارفهم ونتائج خبراتهم. كما أفاد المسلمون في علم المنطق اليوناني الذي كان ذو تأثيراً على العلوم العربية في مناهجه البحثية وأسلوبه وأدواته، تناول المسلمون المنطق بالنقد والتحليل، ثم بالزيادة والإبداع في ضوء التوفيق بين العقل والدين⁽⁷⁰⁾.

لذا، كان للفلسفة اليونانية أكبر التأثير في مضمون منهج صياغة العلوم اليونانية المنقولة من الإسكندرية؛ فلم يقتصر تأثير علماء الإسكندرية على المترجمين والنقلة في صدر الدولة العباسية على ترجمة أعمالهم والتعليق عليها؛ بل تعدى ذلك إلى تأثير آخر أكثر عمقاً تمثّل في اتباع العرب لأحد مناهج البحث في الإسكندرية. فقد كان أحد المناهج التي طبقها السكندريون في دراسة ماضي

التراث اليوناني هو البحث عن "مسائل" أو "معضلات" في النص موضوع الدراسة، ثم التعرف على حلول لها، ويمكن ارجاع نشأة هذا المنهج إلى أرسطو نفسه⁽⁷¹⁾. وفي الفترة التي عكف فيها العلماء العرب وأقبلوا على دراسة الأعمال العقلية اليونانية، عثروا على هذا المنهج الدراسي، وتحت قوة تأثير التقليد السكندري القائم على سحر السابقة الأرسطية، لم يترددوا في اعتناقها منهجًا علميًا صحيحًا للبحث العلمي. ويمثل هذا الموقف قول ابن أبي أصيبعة بأن حنين بن اسحق: "عمد إلى كتب جالينوس فاحتذوا حذو الاسكندرانيين، وصنفها على سبيل المسألة والجواب"⁽⁷²⁾. ويؤكد هذا الاتجاه ويوضحه عدد كبير من أعمال كبار العلماء العرب مثل كتاب "الشكوك على جالينوس" لأبي بكر الرازي⁽⁷³⁾، و"الشكوك على بطليموس" و"حل مسائل في أوليات إقليدس" لابن الهيثم⁽⁷⁴⁾. وجميع هذه المؤلفات كما يتضح تعكس اتباع منهج المسائل والمعضلات كما تطور بحذافيره في المنهج العلمي لمدرسة الإسكندرية القديمة. كما أسهم التراث اليوناني في التكوين العلمي للمترجمين أنفسهم، فلما وضعوا أوائل المؤلفات بالعربية بالإضافة إلى ما تمت ترجمته سلفًا في الكثير من ميادين العلم والمعرفة، فأنهم وقعوا تحت تأثير الثقافة اليونانية، وهذه المؤلفات حملت اسم "مقدمات" أو "مختصرات" أو "رسائل تعد خلاصة تجاربهم العلمية ومعارفهم"⁽⁷⁵⁾.

بعبارة أخرى بدلاً من الاتجاه كلية لمعالجة قضايا العلم الأساسية؛ وجه المترجمون جل اهتمامهم بالشكوك والمسائل، وهذا الاتجاه يكشف عن حقيقة هامة، وهي أنه لم يتوفر، بدرجة كافية، بين العلماء العرب في العصور الوسطى موقف نقدي صميم نبع من عدم إدراك أهمية إخضاع التراث اليوناني للمراجعة والتطوير والنقد طبقًا لمتطلبات أصول البحث العلمي. ولعل هذا هو السبب أنهم وقفوا مبهورين أمام الفكر اليوناني، ولم يتمكنوا من أن يحرروا أنفسهم بشكل كامل من آفاق التجربة العقلية اليونانية المتمثلة في الفلسفة ومدارسها وبالأخص المدرسة الأرسطية ثم الأفلاطونية التي ظلت رافدًا على فكر فلاسفة الإسلام حتى اكتماله على يد علماء فلاسفة أمثال ابن سينا وابن رشد⁽⁷⁶⁾.

2- المآخذ الرئيسية على الفلسفة والمنهج الفلسفي للمعارف اليونانية المنقولة

وقد كانت هناك بعض من المآخذ التي ظهرت لاحقاً لحركة إحياء التراث المعربي اليوناني القديم، ويعد علم الفلسفة من أبرز المجالات التي ظهرت فيها تلك الآثار السلبية في العصر العباسي الأول. وقد كانت أول تلك المآخذ هي ضعف الترجمة للنصوص الأصلية؛ حيث كانت بعض الترجمات تتم عن طريق المعنى، فلم تمثل بعض التراجم الفلسفة اليونانية في أصلها اليوناني المباشر ولا في صفاتها نظراً لاختلاف طرق الترجمة⁽⁷⁷⁾.

ومن جانب آخر كانت التراجم السريانية الأولى للمتون الفلسفية اليونانية سبباً لوقوع بعض الأخطاء والتلفيق التي وقع فيها المسلمون عند تأريخ الفلسفة اليونانية وتناولها⁽⁷⁸⁾. ومن أبرز السلبيات التي ظهرت لحركة الترجمة الانصراف عن التمييز بين ما هو أصيل وبين ما هو دخيل على جوانب الفكر الإسلامي بخاصة تلك المؤثرات الأرسطية التي هيمنت على العقل المسلم خلال فترة طويلة من مسيرة الفكر الإسلامي؛ وكان مدرسة الاسكندرية التي ردت إلى الساحة الفكرية الإسلامية تأثيرها الذي ملأ الساحة الفلسفية الإسلامية والذي ترك تأثيره المباشر وغير المباشر على مدارس الفلسفية المبكرة وحركات التصوف التي ملأت الساحة الفكرية الإسلامية لاحقاً. وعلى الرغم من محاولات الجمع التي سلكها الكندي وإخوان الصفا والفارابي للموائمة بين الشريعة والفلسفة إلا أن تلك المحاولات لم تلق النجاح المطلوب، ولم تفلح في التوفيق بين الفكر الإسلامي وبين الفكر الدخيل⁽⁷⁹⁾.

لقد بدا واضحاً أن الفلاسفة الإسلاميين قد أخذوا من الفلسفة اليونانية القديمة ومن مقولاتها الكثير من النظريات، وأدججوها في مقولاتهم الفلسفية. لذا فالفكر العقلي الوافد زاحم الفكر الإسلامي الناشئ، ولم يفسح له المجال لكي يتفاعل بصورة مستقلة، ولم يسمح له أن يقيم الجدل والحوار المطلوبين

بين النص والعقل ضمن دائرة المنظومة الثقافية الإسلامية. ولم تتح حركة الترجمة المبكرة الفرصة أمام العلماء المسلمين من أهل العقول الفذة أن يقوموا بصياغة القواعد المنهجية العلمية الضابطة لحركة العقل المسلم، ولحركة العلوم الإسلامية بعيداً عن المؤثرات الخارجية المتمثلة في التقليد العقلي السكندري سواء الأرسطي أو الأفلاطوني التي ضغطت عليه كما سبق القول، وأحكمت سيطرتها القوية على حركة الفكر، وحرمت العقل المسلم المستقل من أن يتحرك بحرية في دائرة النصوص الشرعية الإسلامية حتى يتمكن من الإبداع العقلي بدون تدخل من منهجية وافدة مفروضة عليه من خارج دائرة الثقافة الإسلامية⁽⁸⁰⁾.

ومن الضرر الذي أصاب التجربة العلمية العربية في بواكير نشأتها نظرٌ لاتباع المنهج الفلسفي اليوناني في شرح العلوم القديمة، نجد اقتناع بعض المشتغلين بالترجمة لمتن معين والانصراف عن غيره، بحيث لا يتم في كثير من الأحيان التقصي عن المعارف السابقة في ذات العلم. بعبارة أخرى اهتم العرب على سبيل المثال بأراء جالينوس الطبية والفلسفية على حد سواء⁽⁸¹⁾ - حيث آمن جالينوس بالعلاقة بين الفلسفة والطب وظهر ذلك في كتاباته-، ولم ينشغلوا بنقده ولا بالبحث عن المعارف السابقة لعصره بشكل كاف. فلم يعيروا أعمال بعض علماء وكذا فلاسفة اليونان نفس الاهتمام، وكان لا بد من الانتظار حتى العصر الحديث لظهور منهج يؤمن بالتجربة والملاحظة الدقيقة والحكم النقدي، أكثر مما يؤمن بشهادة وعلم كتاب واحد⁽⁸²⁾. وعلى الرغم من الانتقادات التي وجهت للنقول العربية فإن كثيراً من الباحثين المنصفين أشادوا بقيمتها بالنسبة للفكر العربي والفكر الانساني عامة، ملاحظين أن الأصول اليونانية قد ضاع معظمها.

خاتمة وخلاصة

تلخص تلك الورقة إلى استيضاح مقدار أهمية أعمال مدرسة الإسكندرية العلمية للتجربة العلمية العربية في بواكيرها، وأبانت أن ترجمة المعارف اليونانية إلى العربية اتسمت في عهد الدولة الأموية بالطابع الفردي، وإن كان لهذه النزعة

الخاصة دورًا هامًا في تمهيد الطريق لجهود الدولة العباسية اللاحقة. بينما غدت حركة نقل وترجمة المعارف اليونانية شأنًا تكفلت به الدولة العباسية في أول عهدها، وأرسته كأحدي خيارها الأيدولوجية الأساسية للنهوض بالدولة الإسلامية، حمل عبئه الخليفة العباسي والنخبة المجتمعية حتى أصبح جزءًا من الثقافة المجتمع الإسلامي اللاحق.

كما أوضحت الدراسة أن الفلسفة اليونانية دخلت إلى الثقافة العربية الإسلامية منذ عهد الخليفة المهدي، وسطع نجمها في عهد الخليفة العباسي المأمون تحت ذريعة المنفعة لدرء الشبهات العقلية عن الدين، ولأجل "المجادلة بالتي هي أحسن" في بادئ الأمر، وإلا ما وجدت الفلسفة موضعًا في المجتمع الإسلامي الناشئ بالنظر لتباعدها عن مبادئ الدين الإسلامي. لقد كان الخيار الأيدولوجي الذي انتهجه الخليفة العباسي السابع المأمون للتحصن من اختلاف الفرق والمذاهب والقلائل المختلفة والاضطرابات التي سادت عهده هو التشبث بتحسين دولة الإسلام بالعقل بمثلاً في العقل اليوناني.

وكان من مظاهر الانتفاع بالفلسفة اليونانية أنه هبى المتن الفلسفي الأول الذي كان إيذانًا بظهور فلاسفة كبار من الكندي إلى ابن رشد من خلال التشبث بمنهج عقلي نقدي في الفلسفة، وحتى في فروع العلوم المختلفة اتباعًا لمنهج فلاسفة اليونان في شروحهم. ومن هنا يمكن القول بأنه تم إدخال التراث القديم إلى المنظومة المعرفية العربية، فسهل على العرب والمسلمين تطويره وتحريه. وأخيرًا وجدت الورقة البحثية أن هناك بعض المآخذ على حركة الترجمة والنقل ظهرت بالأخص في علم الفلسفة نظرًا لتأثيره الواسع في الثقافة والفكر الإسلامي المبكر علميًا وعقائديًا، وألقى المنهج الفلسفي السكندري بظلاله على البحث العلمي والدراسة الأكاديمية للعديد من فروع العلوم كالطب والفلك وخلافه.

الهوامش

- (1) محمود محمد علي، الأصول الشرقية للعلم اليوناني، القاهرة، 1998، ص 28.
- (2) جورج سارتون، تاريخ العلم، ج4، ترجمة لفييف من العلماء، القاهرة، 1963، ص 80.
- (3) ماكس مايرهوف، "من الإسكندرية إلى بغداد: بحث في تاريخ التعليم الفلسفي والطبي عند العرب"، في عبد الرحمن بدوي، التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية: دراسات لكبار المستشرقين، القاهرة، 1965، ص 41.
- (4) كلمة الفلسفة كلمة يونانية الأصل، وهي تتكون من مقطعين يونانيين هما philien ومعناه يحب و sophia ومعناها الحكمة، ويقول ابن خلدون أن الفيلسوف هو باللسان اليوناني محب الحكمة، فلما عربت قيل فيلسوف فاشتق منه الفلسفة. ومعنى الفلسفة علم حقائق الأشياء والعمل بما هوى أصلح، وتنقسم قسمين أحدهما نظري والآخر عملي. عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق على عبد الواحد وافي، ج3، سلسلة التراث: دار نخبضة مصر للطباعة والنشر، ط2، 2006، ص 1080؛ علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام واكتشاف المنهج العلمي في العالم الإسلامي، ط. 2 دار المعارف، 1967، ص 18.
- (5) يقصد بالسريان الآراميين في سوريا بعدما انتشرت المسيحية بينهم، ثم تحول جزء كبير منهم للإسلام بعد الفتح الإسلامي. سمير عبده، السريان: المسيحيون- المسلمون، الأردن، 2000، ص 5؛ إفرام يوسف، الفلاسفة والمترجمون السريان، ترجمة شمعون كوسا، القاهرة، 2010، ص 9.
- (6) إبراهيم جمعة، جامعة الإسكندرية في العصر الإغريقي الروماني والنقل عنها وتأثر العقل العربي بعلمها، القاهرة، الطبعة الثانية، 1981، ص 107-108؛ جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، مج 2، ج3، بيروت، 1914، ص 163-164.
- (7) أبو نصر محمد بن محمد ابن طرخان، من فرياب بأرض خراسان، من المتقدمين في المنطق والعلوم القديمة، وله كتب عديدة في المنطق. والفارابي أول من صاغ الفلسفة الإسلامية في ثوبها الكامل ووضع أصولها ومبادئها بعد الكندي، وإليه يُعزى إدخال منطق أرسطو في علم الكلام وبخاصة علم الكلام المعتزلي، لذا أُطلق عليه المعلم الثاني بعد أرسطو المعلم الأول. ابن النديم، الفهرست للنديم، بيروت: دار المعرفة، 1978، ص 321؛ جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تاريخ الحكماء، وهو مختصر الزوزني المسمي بالمنتخبات الملقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق يوليوس ليبرت، ترجمة محمد عوني عبد

- الرءوف، القاهرة، مكتبة الآداب، 2008، ص 277-278؛ عدنان ملحم، "مدرسة الإسكندرية وتاريخ التعليم الفلسفي"، *مجلة دراسات تاريخية*، العددان 117-118 كانون الثاني-حزيران 2012، ص 46.
- (8) تعد الحلقة الأولى في انتقال التعليم من الإسكندرية إلى الشرق الأدنى، ومركزًا لترجمة العلوم اليونانية إلى السريانية.
- ماجدة محمد أنور، *المدارس الفكرية السريانية في الشرق الأدنى القديم*، القاهرة، 2009، ص 53-55.
- (9) نص منقول من كتاب مفقود للفارابي نقله ابن أبي أصيبعة. انظر ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم، *كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، تحقيق عامر النجار، القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 2001، ج2، ص 135؛ يوسف، *الفلاسفة والمترجمون*، ص 201؛ علي سامي النشار، *نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام*، دار المعارف - الطبعة الرابعة 1965، ج1، ص 73.
- (10) أبو الحسن علي ابن الحسين ابن علي المسعودي، نشأ في بغداد وجاء إلى مصر وطاف ببلاد كثيرة طلبًا للعلم. وأشهر مؤلفاته الباقية كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" وكتاب "التنبيه والإشراف". ابن الندم، *الفهرست*، ص 171؛ حربي عباس عطيتو، *حسان حلاق، العلوم عند العرب: أصولها ولامحها الحضارية*، بيروت، دار النهضة العربية، 1995، ص 374.
- (11) حرّان بشمال سوريا من أهم مراكز الترجمة التي انتقل إليها العلم السكندري والحلقة الثانية بعد مدرسة أنطاكية. إسمايل مظهر، "تاريخ تطور الفكر العربي بالترجمة والنقل عن الثقافة اليونانية"، *مجلة المقتطف*، مج 66، ع 2، فبراير 1925، ص 149؛ علي بن إبراهيم النملة، *مراكز الترجمة القديمة عند المسلمين*، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، 1992، ص 47.
- (12) أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي، *التنبيه والأشراف*، إعداد وتعليق قاسم وهب، دمشق، 2000، ص 218؛ مايرهوف، *من الإسكندرية إلى بغداد*، ص 63-64؛ النشار، *نشأة الفكر الفلسفي*، ج 1، ص 73-74.
- (13) اتصل العرب المسلمون بمدرسة الإسكندرية منذ العهد الأموي ولم يشتهر من علمائها في العصر الإسلامي سوى أصطفان السكندري الذي ترجم كتب الكيمياء خالد ابن يزيد ابن معاوية. رشيد الجميلي، *حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة*، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، 1986، ص 201.

- (14) ملحم، مدرسة الإسكندرية وتاريخ التعليم الفلسفي، ص 42.
- (15) أحد مراكز الثقافة السريانية واشتهرت بعلوم اللاهوت والفلسفة والطب على يد النساطرة. وقد بدأت بما حركة الترجمة من اليونانية إلى السريانية منذ القرن الرابع الميلادي. عبد الله منسي السعد العمري، تاريخ العلم عند العرب، عمان، دار المجلد لاوي للنشر والتوزيع، 1990، ص 44-45؛ لاسي أوليري، علوم اليونان وسبل انتقالها إلى العرب، ترجمة وهيب كامل، راجعه زكي على، القاهرة، 1962، ص 68.
- (16) تعد واحدة من المدارس الهامة في نقل الثقافة اليونانية إلى السريانية، وتقع على الحدود بين دمشق والعراق، وهي من أقدم المدارس التي أنشئت بقصد نشر اللاهوت المسيحي، بجانب دراسة الفلسفة اليونانية، فغدت نصيبين مركزاً آخر من مراكز الترجمة والنقل. رمضان الصباغ، العلم عند العرب وأثره على الحضارة الأوروبية، الإسكندرية، دار الوفاء لدينا للطباعة والنشر، 1999، ص 85؛ المدارس الفكرية السريانية في الشرق الأدنى القديم، ص 85.
- (17) مدرسة جنديسابور أسسها الملك كسرى انو شروان (531-578م) في مدينة جنديسابور في خوزستان جنوب إيران في القرن السادس الميلادي، وهي إحدى المدارس المهمة التي عملت على ازدهار الترجمة في العصر العباسي وبخاصة في علوم الطب والفلسفة. وتعد أهم مسالك انتقال الثقافة الإغريقية للعرب، وقد جرى فيها التدريس بالسريانية. وتعد أهم حلقات انتقال العلوم السكندرية إلى بغداد. رشيد الجميلي، حركة الترجمة في المشرق الإسلامي، ص 219، 221، 223؛ النملة، مراكز الترجمة القديمة، ص 47.
- (18) النشار، نشأة الفكر الفلسفي، ص 77؛ مصطفى سليمان، تاريخ العلوم والتكنولوجيا في العصور القديمة والوسطى ومكانة الحضارة الإسلامية فيه، القاهرة، 2008، ص 219-221.
- (19) محمد على أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام: المقدمات العامة-الفرق الإسلامية وعلم الكلام-الفلسفة الإسلامية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1986، ص 89، 104.
- (20) يرى بعض الباحثين أن العصر العباسي الأول ينتهي بنهاية حكم الخليفة المأمون عام 218هـ حيث ينتهي العصر الذهبي للخلافة العباسية؛ بينما يعزو نهاية البعض الآخر من الباحثين نهاية العصر العباسي الأول إلى نهاية حكم الخليفة المتوكل 247هـ باعتباره آخر من حكم لفترة طويلة في العصر العباسي المبكر. انظر عبد العزيز الدوري، العصر العباسي الأول: دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي، دار الطليعة - بيروت، 1997، ص 173-

- 174؛ بطرس البستاني، أدباء العرب في العصر العباسي: حياتهم - آثارهم - نقد آثارهم، دار الجليل - بيروت، 1979، ج 2، ص 204.
- (21) أو توفي سنة ٧٠٨/هـ.
- (22) الكيمياء السحرية منها خصوصاً (عملية تحويل المعادن الخسيسة إلى نفيصة)، ابن خلدون، مقدمة، ج3، ص 1321؛ عمر فروخ، تاريخ العلوم عند العرب، بيروت، دار العلم للملايين، 1977، ص 113.
- (23) يقصد بالصنعة عند العرب علم الطبيعة أو الكيمياء.
- (24) ابن النديم، الفهرست، ص 338.
- (25) عبد الملك ابن الأجر الكناني كان طبيباً عالماً ماهراً وكان المتولي لتدريس الطب بالإسكندرية وقت دخول المسلمين لمصر. ابن أصبعية، عيون الأنباء، ج1، ص 400.
- (26) توفيق الطويل، في تراثنا العربي الإسلامي، عالم المعرفة: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت، مارس 1985، ص 64.
- (27) مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تعليق محمد شرف الدين ورفعت بيلكة الكليسي، وكالة المعارف الجديدة، 1941، ج1، ص 34.
- (28) ابن خلدون، مقدمة، ج3، ص 1010؛ خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 679.
- (29) يُرجع ابن أبي أصبعية اهتمام المنصور بكتب الطب وتشجيع المترجمين على ترجمتها لما لحكي من أنه أصيب بمرض في معدته فاستعصى على أطبائه علاج هذا المرض، فدل على جورجيس بن يختشوع السرياني رئيس أطباء جنديسابور، فعالجه، فاتخذه طبيباً له، ومنذ ذلك الحين أولى العرب اهتماماً بعلوم الطب وشجعوا السريان على نقل الطب للعربية وأهمهم اسحاق ابن حنين. انظر قصة المنصور مع جورجيس في كتاب ابن أصبعية، عيون الأنباء، ج2، ص 7-10.
- (30) ابن النديم، الفهرست، ص 337، وانظر: خليفة، كشف الظنون، ج1، ص 681. ويعتبر عبد الله ابن المقفع فارسي النسب وهو أول من اعتنى في الملة الإسلامية بترجمة كتب المنطق لأبي جعفر المنصور، وقد ترجم بعض كتب أرسطوطاليس، كما ترجم كتاب كلية ودمنة من الفارسية إلى العربية. القفطي، أخبار الحكماء، ص 220؛ أوليري، علوم اليونان، ص 213.
- (31) أبي بكر أحمد بن علي البغدادي، تاريخ بغداد، دار المعرفة، بيروت، 1995، ج3، ص 15؛ ج4، ص 95؛ أبي سليمان بن حسان الأندلسي ابن جلجل، طبقات الأطباء

- والحكماء، تحقيق فؤاد السيد، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة، 1955، ص ٦٥.
- (32) على حسن الخربوطلي، الحضارة العربية الإسلامية، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، 1975، ص 160.
- (33) "بيت الحكمة" أو "خزانة الحكمة"، جاءت التسمية بالإشارة إلى الحكمة والتي كانت مرادفة للفلسفة اليونانية في ذلك الوقت، ويقصد بالفلسفة المعنى العام للكلمة، وتشمل مباحث الهيئة والطبيعة والرياضيات والمنطق، وهذا يدل على الاتجاه العقلي لمؤسس بيت الحكمة، وعلى التيار الثقافي الذي كان غالباً آنذاك. زفيده اسماعيل، بيت الحكمة البغدادي وأثره في الحركة العلمية في الدولة العباسية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الخرطوم، 1996، ص 56.
- (34) القفطي، تاريخ الحكماء، ص 383.
- (35) أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ١، المطبعة الأميرية القاهرة، 1913، ص 466.
- (36) ابن أصبعية، عيون الأنباء، ج 1، ص 35-36؛ مصطفى العبادي، مكتبة الإسكندرية القديمة: سيرتها ومصيرها، المجلس الأعلى للآثار، 2002، ص 168.
- (37) اسماعيل، بيت الحكمة، ص 54؛ ابن أصبعية، عيون الأنباء، ج 1، ص 36.
- (38) الحجاج ابن يوسف ابن مطر الكوفي، كان في جملة من ترجم للمأمون، وقد نقل كتاب المحسني والعناصر لإقليدس إلى العربية. انظر زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ص 160؛ فروخ، العلوم عند العرب، ص 255.
- (39) يحيى أو يوحنا ابن البطريق وهو يوحنا ابن يوسف بن الحارث ابن البطريق القس، كما اسماه ابن النديم، كما قال عنه أنه له نقل من اليوناني. وذكر عنه القفطي أنه الترجمان مولى المأمون، أميناً على الترجمة ترجم كتب الفلسفة والطب لأرسطوطاليس وأبقراط. كما وضع ترجمة عربية لكتاب المقالات الأربع في التنجيم لبطليموس. ابن النديم، الفهرست، ص 340-341، القفطي، أخبار الحكماء، ص 379.
- (40) الارتماطقي أو الارتباطقي هو علم معرفة خواص الأعداد من حيث التأليف على التوالي أو بالتضعيف. وهو ما نسميه الآن بالمتواليات العددية، وهو من العلوم العددية وصناعة الحساب عند العرب. ابن خلدون، مقدمة، ج 3، ص 1012.
- (41) ابن النديم، الفهرست، ص 339-340؛ اسماعيل، بيت الحكمة، ص 75؛ ابن أصبعية، عيون الأنباء، ج 1، ص 35.

- (42) الاعتزال مذهب من مذاهب التوحيد يقوم على تنزيه الله عن الأشباه وعن الشر وأن الانسان يختار أفعاله بقدرة الله التي أودعها به. ويسمى القائمون به المعتزلة، وهم أهم الفرق الكلامية أجمع المؤرخون أنها نشأت على يد واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد أثر خلاف قام بينهما وبين الحسن البصري حول مصير مرتكب الكبائر، وعزا بعض الدارسين هذا الخلاف إلى أساس سياسي؛ فقد قامت ففة في وقت النزاع الذي دار بين علي بن أبي طالب ومعاوية أبت أن تحارب إلى جانب علي وأبت أن تحارب ضده فسميت باسم المعتزلة. لاقت المعتزلة حظوة كبيرة في العصر العباسي الأول، حتى جعلها المأمون دين الدولة الرسمي واستمرت في الأوج حتى حاربها المتوكل وأقصى رجالها من مناصبهم ثم يظهور الأشعرية انتهت المعتزلة عقائدياً.
- يوسف فرحات، الفلسفة الإسلامية وأعلامها، جنيف، 1986، الطبعة الأولى ص 23-24؛ أحمد فريد رفاعي، عصر المأمون، القاهرة: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1997، ج1، ص 287، 290-291.
- (43) وذلك لأن القسطنطينية وهي عاصمة دولة الروم كانت تُعرف بمدينة الحكمة نظرًا لما بها من نفائس العلوم والفلسفة.
- رفاعي، عصر المأمون، ج1، ص 297؛ اسماعيل، بيت الحكمة، ص 76.
- (44) ابن خلدون، مقدمة، ج3، ص 1010-1011؛ صابر عبده أبا زيد، مآثر علماء العرب والمسلمين في تاريخ العلوم والمناهج، الإسكندرية، 2007، ص 222-223.
- (45) اسماعيل، بيت الحكمة، 80.
- (46) محمد وأحمد والحسن بن موسى ابن شاكرك، يقول عنهم ابن النديم: هؤلاء القوم ممن تناهى في طلب العلوم القديمة وانفذوا إلى بلاد الروم من أخرجها إليهم... وكان الغالب عليهم من العلوم الهندسة والحيل والموسيقى والنجوم. ولهم كتب عدة في الحيل والفلك وغيرها. ابن النديم، الفهرست، ص 379-387.
- (47) ديفيد واردروب، الكنوز العربية في المكتبة البريطانية: من الإسكندرية إلى بغداد وما وراءها، ترجمة خليل، محمد، لندن، 2003 ص 19.
- (48) البستاني، أدباء العرب، ج 2، ص 175-176؛ رفاعي، عصر المأمون، ج1، ص 137-138.
- (49) الطويل، في تراثنا العربي، ص 77.
- (50) يرى الدكتور علي سامي النشار حين أرخ لانتقال كتب المنطق والفلسفة من اليونانية للعربية أن هناك رأيان في شأن تحديد تاريخ دخول الفلسفة اليونانية إلى أرض الإسلام؛ وألها يقول بأن معرفة المسلمين بفلسفة وعلم اليونان كانت في العصر العباسي الأول، ورأي آخر

يميل إلى التأكيد على أن هذه المعرفة كانت في عصر بني أمية وفي صدره على الخصوص.
النشار، **مناهج البحث عند مفكري الإسلام**، ص 1.

(51) حامد طاهر، "الفلسفة الإسلامية" في **موسوعة الفلسفة الإسلامية**، إعداد حمدي زقزوق المجلس الأعلى للشئون الإسلامية: القاهرة، 2010، ص 801؛ أحمد أمين، **ضحى الإسلام**، ج 1، مكتبة النهضة المصرية، 1964، ص 162.

(52) النشار، **نشأة الفكر الفلسفي**، ص 71.

(53) عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر السيوطي، **صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام**، تحقيق علي سامي النشار، سعاد علي عبد الرازق، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، 1970، ج 1، ص 44-45.

(54) النشار، **مناهج البحث عند مفكري الإسلام**، ص 2.

(55) أرسطو أو أرسططاليس عند العرب (284-322 ق.م). فيلسوف يوناني تتلمذ على يد أفلاطون وكان معلمًا للإسكندر الأكبر. وقد أُطلق لقب المشائين لأن أرسطو كان يحاضر ماشيًا وهو وأتباعه فأصبحت مدرسته تلقب بالمشائية. وقد كان له أهمية كبيرة عند العرب في اتخاذهم لفلسفته ومناهجها، فلقيه ابن خلدون بالمعلم الأول، وشرح العرب فلسفته وترجموها مرارًا. وقد كان الخليفة العباسي السابع المأمون محبًا ومتأثرًا بفكر أرسطو؛ فينقل بعض المؤرخين، رواية مفادها أن الخليفة المأمون رأى في منامه الفيلسوف اليوناني أرسطو، وسأله: "ما الحُسن؟ فقال أرسطو: ما حُسن في العقل، قلت ثم ماذا؟ قال: ما حُسن في الشرع، قلت: ثم ماذا؟ قال: ما حسن عند الجمهور، قلت: ثم ماذا؟ قال: لا ثم". ويؤكد ابن الندم أن هذا الحلم كان وراء حركة ترجمة الفلسفة اليونانية وغيرها من العلوم القديمة إلى العربية. ولكن التحليل العلمي لهذا الحلم يدل على مدى احترام المأمون لأرسطو، ورغبته في نشر المنهج العقلاني في الأوساط الثقافية، هذا فضلاً عن رغبة الخليفة في دعم موقفه المؤيد للمعتزلة الذي يشكل العقل جوهر فكرهم ومقياس أحكامهم.

ابن الندم، **الفهرست**، ص 339-340، 345؛ ابن خلدون، **مقدمة**، ج 3، ص 1010؛ ابن أصبعية، **عيون الأنباء**، ج 2، ص 132، 272-27، السيوطي، **صون المنطق**، ج 1، ص 36؛ أوليري، **علوم اليونان**، ص 2، 92، 95، 241.

(56) أفلاطون (427-347 ق.م) الفيلسوف اليوناني المعروف وتلميذ سقراط، أسس أفلاطون "الأكاديمية" التي كان يعلم فيها فلسفته ومبادئه، ومن أهم مؤلفاته كتاب الجمهورية وكتاب في السياسية وكتاب في النواميس ترجمت إلى العربية. ابن أصبعية، **عيون الأنباء**، ج 2، ص 261؛ ابن الندم، **الفهرست**، ص 343-344.

- (57) حمدي زقزوق، "مدخل عام: مفهوم الفلسفة وتطور الفكر الإسلامي" في موسوعة الفلسفة الإسلامية، ص 17.
- (58) ملحم، مدرسة الإسكندرية وتاريخ التعليم الفلسفي، ص 34.
- (59) فرحات، الفلسفة الإسلامية، ص 21-23.
- (60) الطويل، في تراثنا العربي، ص 76.
- (61) أمين، ضحى الإسلام، ج 1، ص 265-266؛ خليفة، كشف الظنون، ج 1، ص 34-35.
- (62) علم الكلام أو علم التوحيد هو علم الدفاع عن العقيدة بالأدلة العقلية، ويعرفه ابن خلدون بأنه: "علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والردّ على المبتدعة المنحرفين. ويسمى أيضًا علم التوحيد وعلم أصول الدين ويُعدُّ هذا العلم نتاج خالص للمسلمين. كان الطور الأول من الحركة الكلامية قائمًا على المنطق البديهي، ومع ازدهار حركة النقل واطلاع المفكرين على المؤلفات في الفلسفة أصبح يقوم على أسس فلسفية مؤيدة بأدلة عقلية. ويسمى المشتغلون به المتكلمين.
- ابن خلدون، مقدمة، ج 3، ص 1030؛ النشار، نشأة الفكر الفلسفي، ص 31؛ فرحات، الفلسفة الإسلامية، ص 23.
- (63) جماعة "إخوان الصفا" واسمها الكامل الذي عُرِّفَ به في تاريخ الفكر الإسلامي هو "إخوان الصفا وخلق الوفا"، وهي جماعة باطنية سرية سياسية دينية فلسفية، ظهرت في القرن الرابع الهجري، وتؤمن بأن غاية الكمال اختلاط الشريعة بالفلسفة؛ فهم يروا بأن الشريعة لا تتطهر إلا بالفلسفة لأنها غاية الحكمة، ومتى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال. القفطي، أخبار الحكماء، ص 52؛ محفوظ عزام، "إخوان الصفا"، في موسوعة الفلسفة الإسلامية، ص 187، فرحات، الفلسفة الإسلامية، ص 67.
- (64) مايرهوف، من الإسكندرية إلى بغداد، ص 21.
- (65) وتجدر الإشارة إلى أن ما وصلنا من تراث أفلاطون أقل مما وصلنا من تراث أرسطو؛ فقد ترجم لأفلاطون حوالي 8 كتب بينما ترجم لأرسطو ما يربو عن 19 مصنف. وربما يعود ذلك إلى اكتساح أرسطو وفلسفته الميدان الثقافي العربي الإسلامي آنذاك. كما تُرجمت إلى العربية مؤلفات أرسطو. البستاني، أدباء العرب، ص 175؛ أمين، ضحى الإسلام، ج 1، ص 299.
- (66) ابن النديم، الفهرست، ص 357؛ ابن أصبعية، عيون الأنباء، ج 2، ص 172-178.
- (67) محمد علي الجندي، "الكندي"، في موسوعة الفلسفة الإسلامية، ص 848-850.

- (68) حامد طاهر، "الفلسفة الإسلامية" في موسوعة الفلسفة الإسلامية، ص 802.
- (69) إسماعيل الفاروقي، لوس الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، مكتبة العبيكان، الرياض، 1418 هـ/1998م، ص 493، محمد مصطفى صالح، إشكالات ترجمة المسلمين عن اليونان وغيرهم وأثرها على الفكر الإسلامي، جامعة الخرطوم-المؤتمر السنوي للدراسات العليا والبحث العلمي-الدراسات الانسانية والتربوية -فبراير 2013، ص 9.
- (70) الطويل، في تراثنا الإسلامي، ص 78.
- (71) العبادي، مكتبة الإسكندرية القديمة، ص 172، 174.
- (72) ابن أصبعية، عيون الأنباء، ج 1، ص 189.
- (73) أبو بكر محمد ابن زكريا الرازي (250-315هـ/864-925)، طبيب وفيلسوف وكيميائي من أهل الري ولقّب بجالينوس العرب، قال عنه ابن النديم: "أوحد دهره وفريد عصره، قد جمع المعرفة بعلوم القدماء وسيما الطب، وأهم كتبه الطبية كتاب "الحواي". وقد قدم الرازي نقدًا لجالينوس في كتابه "شكوك الرازي على جالينوس". ابن النديم، الفهرست، ص 356-357؛ فروخ، العلم عند العرب، ص 191.
- (74) علي الحسن بن الحسن بن الهيثم (ت 430 هـ/1040م) عالم في الرياضيات والهندسة والبصريات، أثبت ابن الهيثم حقيقة أن الضوء يأتي من الأجسام إلى العين، وليس العكس، بجانب العديد التجارب الهامة في علوم البصريات وله مصنفات في الفلك والفلسفة وعلم النفس. ابن أصبعية، عيون الأنباء، ج 1، ص 261؛ ابن خلدون، مقدمة، ج 3، ص 1019.
- (75) العبادي، مكتبة الإسكندرية القديمة، ص 174.
- (76) العبادي، مكتبة الإسكندرية القديمة، ص 174-175.
- (77) كان هناك نوعان من طرق الترجمة؛ الطريقة الأولى ترجمة الكلمات اليونانية بصورة حرفية أو الطريقة اللفظية، ولهذه الطريقة عيوب كثيرة، ذلك ان المجازات والتشابه والاستعارات تختلف بين لغة واخرى، كما ان المترجمين لم يكونوا يستطيعون النقل من اليونانية الى العربية راسًا فكان بعضهم ينقل الكتب من اليونانية الى السريانية ثم يأتي آخرون يعملون على نقلها من السريانية الى العربية وبهذا تتغير مقاصد ومعاني النصوص التي يقصدها كتابها. والطريقة الثانية طريقة المعنى، وهي الطريقة التي اتبعها أكثر المترجمين في العصر العباسي، وهي ان يقرأ المترجم العبارة التي يريد ترجمتها فيضعها باللغة العربية أو غيرها بمعنى يطابق ما يقصده وكتب النص أي

- تحصيل المعنى والتعبير عنه باللغة الاخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ أو خالفتها. انظر السيوطي، **صون المنطق**، ج1، ص 43، 42؛ البستاني، **أدباء العرب**، ص 170-171.
- (78) النشار، **نشأة الفكر الفلسفي**، ص 82.
- (79) صالح، **إشكالات ترجمة المسلمين**، ص 11.
- (80) صالح، **إشكالات ترجمة المسلمين**، ص 1، 10، 14.
- (81) نُقل أكثر من 48 كتاب لجالينوس في الإسلام على يد العديد من النقلة، نقل ابن النديم اسمائها وناقليها ومصححيها.
- زيدان، **تاريخ التمدن الإسلامي**، مج 2، ج3، ص 169-171؛ ابن النديم، **الفهرست**، ص 348-350.
- (82) العبادي، **مكتبة الإسكندرية القديمة**، ص 175.

بيت المقدس في السياسة المملوكية

د . حنان أحمد الخريسات - جامعة الطفيلة التقنية - الأردن

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على السياسة المملوكية تجاه بيت المقدس التي شهدت حالة من عدم الاستقرار عبر المراحل التاريخية وتعرضت للغزو الصليبي والمغولي ، غير أن قيام دولة المماليك وتصديها لأية تحالفات من شأنها إحداث التغيير في وضع المدينة ، كان له كبير الأثر في حمايتها من التحالفات المغولية مع الغرب الأوروبي ومن أية حملات صليبية بهدف استعادتها من جديد ، كما هدفت الدراسة إلى تسليط الضوء على السياسة الدينية تجاه بيت المقدس ، وما قدمه السلاطين المماليك من رعاية واهتمام اجتماعي وخيري إذ كانت محط رعايتهم واهتمامهم ولم يغفلوا عنها حتى في حالات عدم الاستقرار السياسي التي شهدتها الدولة في بعض الفترات .

ABSTRACT

This study aims at throwing light on the Mamlkus' political system towards (Bait Al – Maqdes) which had witnessed inconstant and unstable conditions over the historical stages particularly the Mongols and Crusaders' invasion. But the establishment of the Mamlkus' state and its efforts against any interference in its affairs could have made a great change in defending it and keeping it away from the Mongols agreements with the European West to get it back.

This study also aims at throwing light on the religious policy towards (Bait Al – Maqdes) and on what the Mamluks' Sultans provided from their social and charitable efforts as a kind of paying attention to it and because they

had never forgotten it especially in its unstable political conditions that the state had experienced many years ago.

تقديم :

أبرزت الحملات الصليبية والغزو المغولي الذي اجتاحت بلاد الشام قيام عدد من الكيانات السياسية؛ صليبية ومغولية (الدولة الأيلخانية المغولية) التي حكمت كلاً من إيران والعراق ثمانية عقود (654-736هـ/1253-1335م) ، وقد شكلت هذه الكيانات خطراً على الدولة المملوكية التي دخلت معها في علاقات أثرت على استقرار بيت المقدس .

ومما لا شك فيه أن للقدس أهمية خاصة في عقيدتنا وتاريخنا ، وبيت المقدس تشغل حيزاً كبيراً في فكرنا العربي والإسلامي ، لذا فان السياسة المملوكية تجاه بيت المقدس انطلقت من منطلق عقدي وديني وتاريخي وحضاري للمحافظة عليها ، وبخاصة أنها تشكل مركز الصراع السياسي والديني بين القوى الطامعة ، وبعد أن فقدت الدولة الأيوبية هيبتها بغياب صلاح الدين الأيوبي ، إذ كانت نقطة المساومة والتنازل من قبل أبنائه للحفاظ على ملكهم في ظل الغزو المغولي والحملات الصليبية والتحالفات التي تمت للوصول إليها .

وقد وضعت الدراسة هدفاً أمامها أن تجيب بهذا الخصوص على

التساؤلات التالية

وهي :-

أولاً :- ما السياسة التي انتهجها المماليك تجاه بيت المقدس في ظل

القوى المعاصرة لها ؟

ثانياً :- هل كان قيام دولة المماليك ضرورة للحفاظ على بيت المقدس

وكيف تم ذلك ؟

ثالثاً :- ما مدى نجاح هذه السياسة في تحقيق أهدافها ؟

السياسة الأيوبية تجاه القوى الصليبية الطامعة في بيت المقدس .

نحج الأيوبيون تجاه بيت المقدس سياسة ذات أبعاد مختلفة في تعاملهم مع الصليبيين بعد أن تنامي هاجس دفع الخطر الصليبي عن مصر وبلاد الشام لدى صلاح الدين الأيوبي قبل قيام الدولة الأيوبية اثر مشاركته في الحملات الزنكية الثلاث التي أرسلت إلى مصر بين سنتي 559-564هـ / 1167-1168م ، ثم بعد أن أصبح هو المهيم على إدارتها نيابة عن نور الدين محمود وعن الخليفة الفاطمي العاضد بالله 555-567هـ / 1167-1171م ثم بعد إلغاء الخلافة الفاطمية سنة 567هـ / 1171م (1) .

إن أهم دوافع الزنكيين وراء إرسال الحملات الثلاث المشار إليها إلى مصر هو الوقوف في وجه طموحات الملك عموري الأول ملك مملكة بيت المقدس في مد نفوذه نحوها (2) .

كان لتزايد إرسال الحملات الصليبية إلى مصر بما عرفته من تحديات أثرها في بلورة ذهن صلاح الدين الأيوبي تجاه ما يجب عليه عمله لمواجهة هذا الخطر ومن تزايد التحركات الصليبية في المنطقة العربية ، وبخاصة بعد الفراغ السياسي الكبير الذي حصل في صفوف الزنكيين بعد وفاة نور الدين محمود ، لذا اتبع صلاح الدين سياسة الاستنهاض للأمرء بإرسال الرسائل التي تضمنت تصورا واضحا للمخاطر التي برزت نتيجة لتخاذل البيت الزنكي في الدفاع عن بعض المدن ، وتوقيع معاهدة صلح مع الصليبيين ، مما يعني تفرق الكلمة المجتمعة وانعزال مصر عن بلاد الشام ، وزيادة أطماع الصليبيين في البلاد الإسلامية (3) .

إن جمع أمر المسلمين ووحدهم أمر تقتضيه الضرورة " بعد تكاثر أطماع العداة" (4) من الصليبيين ، على الرغم أن التحالف الزنكي كان جليا في دمشق وحصص مع الصليبيين ضد صلاح الدين الأيوبي مما أدى إلى قيام حرب استمرت ذيوها حتى سنة 582هـ / 1186م (5) .

لم يكن بإمكان صلاح الدين خلال السنوات الأثني عشر (570-582هـ / 1174-1186م) مواجهة عناصر هذا التحالف مجتمعة ، خاصة أنها تشكل طوقا يحيط به ويقواته من منطقة الجزيرة الفراتية (الموصل)، وحتى شمال بلاد

الشام (حلب) ، ثم عبر جبال لبنان (الإسماعيلية) ، وسواحل البحر المتوسط وفلسطين (الصلبيون) ، ولمواجهة هذا الوضع تبنى صلاح الدين سياسة أو خطة ذات مسارات ثلاثة وهي :

1- اعتمد سياسة الحرب تارة والمهادنة تارة أخرى مع أطراف التحالف لغرض مواجهتهم منفردين ولكي يفرغ تحالفهم من مضمونه كلما أمكنه ذلك (6) ، وهذا ما حصل فعلا حين عقد صلحا مع الملك عموري الأول سنة 570هـ/1177م مما وفر له مهاجمة الصليبيين في مناطق فلسطين (7) ، وعقد اتفاقية مع بلدوين الرابع بعد وفاة والده عموري الأول سنة 570هـ/1174م عرض صداقته عليه ، كما عقد معاهدة أخرى مع إمارة طرابلس في السنة التالية أمدتها أربع سنوات (8) .

في ضوء هذه الترتيبات أعد صلاح الدين الأيوبي نفسه عسكريا وعالج جوانب الضعف فبنى القلاع والأسوار وأكثر من التحصينات ووفر السلاح ، وقد رأى العلماء في هذه النظرة توفيراً للظروف الملائمة لتحرير بيت المقدس ، ثم أعلن الوحدة سنة 583هـ/1187م وأعلن التعبئة العامة في صفوف قواته والدخول في حرب مع الصليبيين ابتدأت بمعركة حطين يوم الجمعة 24 ربيع الآخر سنة 583هـ/1187م وانتهت بصلح الرملة سنة 588هـ/1192م (9)

بدراسة مسيرة حرب صلاح الدين الأيوبي في حربه مع الصليبيين ظهرت مجموعة من العوامل اضطرتته إلى الدخول في مفاوضات معهم بعد مرور خمس سنوات من الحرب وهي :

1- إدراكه لمدى ضخامة القوات الصليبية المصاحبة للحملة الثالثة التي كان على رأسها ثلاثة من ملوك أوروبا (10) .

2- فشله في الحصول على إسناد عسكري إسلامي يمكنه من تحقيق تفوق على الصليبيين في الحملة المشار إليها . (11)

3- تراجع قدرات الجيش الأيوبي بعد أن ظهرت في صفوفهم معالم الضجر، مما يبدو مفهوماً في أعقاب حروب طويلة دامت عقود دون توفر قوات إضافية بديلة لها (12)، إن هذه العوامل مجتمعة هي التي دفعت إلى عقد صلح الرملة .

لم يستطع صلاح الدين حسم الموقف لصالحه بشكل نهائي في إيقاف تقدم الصليبيين نحو بيت المقدس ، وتحت وطأة الظروف المحيطة به أويباً وإسلامياً فقد كان متخوفاً مما يجنئه المستقبل من متغيرات قد تتجاوز حدود هذا الصلح لغير صالح المسلمين ، إن هذا ما يفهم من حديث له مع كاتب سيرته بهاء الدين بن شداد حين أسر له بما يختلج في نفسه من مخاوف قبيل توقيع صلح الرملة حيث قال له : " أخاف أن أصالح وما ادري أي شيء يكون مني ، فيقوى هذا العدو ، وقد بقي لهم هذه البلاد فيخرجوا لاستعادة بقية بلادهم ، وترى كل واحد من هؤلاء الجماعة وبقية الأمراء الأيوبيين _ أي أولاده _ قد قعد في رأس تلة _ ويعني الاقطاعات التي كانت بأيديهم _ وقال لا انزل ويهلك المسلمون " (13) .

يتضح من تخوف صلاح الدين هذا أن الجبهة الأيوبية هي موضع تخوفه ، إذ لم يتوقع لو قدر غيابه عن الساحة السياسية لسبب أو لآخر أن يستطيع الأمراء الأيوبيون من أبنائه وأقربائه تجاوز مصالحهم الخاصة مما يزيد من قوة الصليبيين ، يمكنهم من الخروج عن شروط الصلح ، وشن حرب لاستعادة بيت المقدس وما كان بأيديهم قبل معركة حطين ، وهذا ما اعتبره صلاح الدين في حالة حصوله هلاكاً للمسلمين .

ويبدو أن تخوف صلاح الدين وما كان يخشى حدوثه قد حصل بعد وفاته ، إذ انعمرت الدولة الأيوبية من بعده بصراع على السلطة دام سبع سنوات 589-596هـ/1193-1199م فيما يعرف بحرب الوراثة التي انتهت بهيمنة الملك العادل أخي صلاح الدين على أطراف الصراع، ومن ثم وصوله إلى السلطنة سنة 596هـ/1299م (14) .

ليس من شك أن حرب الوراثة بما اكتنفها من أحداث أفقدت الدولة الأيوبية هيبتها وتماسكها السياسي والعسكري ، مما يعني مزيدا من التراجع والضعف في مسيرتها تجاه الصليبيين الذين كانوا يحتفظون ببعض المدن مثل صور، وحيفا، وعكا، ويافا⁽¹⁵⁾ ، قياسا على ما كانت عليه في عهد صلاح الدين الأيوبي، وهؤلاء كان طموحهم موضع رعاية البابوية حيث وجه لهم البابا أنوسنت الثالث سنة 589هـ/1193م أي عقب وفاة صلاح الدين يطلب منهم إعلامه بدقائق موقفهم في بلاد الشام لكي يتخذ الإجراءات التي تساعدهم على إعادة بيت المقدس إلى ما كانت عليه من قبل .⁽¹⁶⁾

في ضوء ذلك تحورت السياسة الأيوبية تجاه القوى الصليبية بعد وفاة صلاح الدين أن يظل واقع الصليبيين بالصيغة التي حددها صلح الرملة سنة 588هـ/1192م ثم معاهدة سنة 601هـ/1204م ، ثم التصدي لأية محاولة من قبل صليبي المشرق أو مسانديهم في الغرب الأوروبي إذا ما شنوا حملات لتغيير هذا الواقع ، غير أن هذه السياسة أخذت أبعادا أخرى في عهد الملك الكامل بن العادل ومن أعقبه من سلاطين الدولة الأيوبية فقد تجاوزت مضمون صلح الرملة ، واتفاقية سنة 494هـ/1198م ، إلى أسس تناقض السياسة التي قامت على أسسها الدولة الأيوبية ونعني بذلك طرح فكرة إعادة مملكة بيت المقدس إلى ما كانت عليه قبل معركة حطين .

نتيجة للخلاف الذي وقع بين الملك الكامل ، والمعظم ، والأشرف بعد وفاة والدهم الملك العادل ، انتهزت أوروبا هذا الخلاف محاولة الاستفادة منه فساهمت في تعميقه حتى صار كل منهم يستنجد بما ليضمن حماية أملاكه ، فقد تحالف الملك المعظم مع الخوارزمية ، والملك الكامل تحالف مع فريدريك ؛ الإمبراطور الألماني ضد أخيه الملك المعظم مقابل منحه بيت المقدس .

إن هذا الطرح الذي تم عرضه على الصليبيين في عهد الملك الكامل الأيوبي حين سلم بيت المقدس إلى الإمبراطور فريدريك إمبراطور ألمانيا سنة 626هـ/1229م ، وفي عهد ابنه الصالح نجم الدين أيوب يعكس سياسة تبنت

الحفاظ على توازن سياسي وعسكري مع الصليبيين حتى ولو كان ذلك على حساب التنازل عن جميع الأراضي التي سبق أن استنقدها صلاح الدين في أعقاب معركة حطين .

ب وفاة الملك الكامل محمد سنة 635هـ/1238م اخذ الصليبيون يعززون وجودهم في القدس ، فقرر الملك الناصر داود ملك الكرك استعادة القدس فتم تحريرها بعد حصار دام سبعة وعشرين يوما سنة 637هـ/1239م ، غير أن القدس لم تنعم بالاستقرار بعد هذا الفتح فما لبثت أن عادت إلى الصليبيين سنة 641هـ/1243م ثم استعادها الخوارزمية سنة 642هـ/1244م (17).

من خلال ما ذكر آنفا كان تفكك الدولة الأيوبية بعد غياب صلاح الدين الأيوبي عاملا من عوامل عدم الاستقرار في مدينة بيت المقدس ، كما أن الصراع الإسلامي الصليبي ، والصراع الأيوبي كان له أثره السلبي على استقرار الحياة فيها.

السياسة المملوكية تجاه القوى الطامعة في بيت المقدس

أولا : السياسة المملوكية تجاه الصليبيين :

كان قيام دولة المماليك سنة 648هـ/1250م إيذانا بدخول مدينة القدس مرحلة جديدة من تاريخها ، ويجب أن لا ننسى أن المماليك كان لهم الدور الفاعل في محاربة الصليبيين في عهد السلطان نجم الدين أيوب عند وصول ملك فرنسا لويس التاسع إلى مشارف مدينة دمياط سنة 647هـ/1249م في خطة للوصول إلى بيت المقدس .

عمل المماليك ضمن خطة دفاعية وهجومية في أن واحد مع الصالح نجم الدين أيوب بقيادة الأمير بيبرس البندقداري الصالح (18) ، وكان لهذه الخطوة أثرها في تشجيع المماليك على شن الغارات المتعاقبة على الصليبيين واسر الكثير منهم (19) ، كما أن السلطنة شجر الدر تولت قيادة المقاومة والدفاع عن مصر وأدارت المعركة إلى حين وصول السلطان الجديد المعظم تورانشاه بن الصالح نجم الدين أيوب ، وتمخض ذلك عن الضغط على الحملة الصليبية فتح باب

التفاوض مع الملك لويس التاسع اشترط الملك المعظم تورانشاه إعادة بيت المقدس ، وفتح ساحل قيسارية وعسقلان ، على أن يكون بهما ولاية من المسلمين (20) ، وأمام الرفض الصليبي لهذه الشروط وبدعوى سيطرة فكرة عامة على الغرب الأوروبي وهي انه ما دامت مصر باقية على ما هي عليه من القوة والبأس ، فان المشاريع الصليبية في الشام فاشلة لا محالة لذا لا بد من حرمان الجبهة الإسلامية من تلك القاعدة الحربية الهامة ، والتي جعلها لويس التاسع وسيلة لتحقيق هدفه في حملته السابعة حين حدثته نفسه بأن يستعيد بيت المقدس وعلم أن ذلك لن يتم إلا بملك الديار المصرية.

غير انه لم يحقق من ذلك شيئاً حيث استمرت قوات المماليك بملاحقة الجيش الصليبي ونجحت مع الأيوبيين بإنزال هزيمة ساحقة بهم في موقعة فارسكور ووقع الملك لويس التاسع نفسه في الأسر. (21)

ظل باب المفاوضات مفتوحاً بوفاة الملك المعظم تورانشاه إلى أن تسلمت زمام السلطة شجر الدر، والتي رأت أن من المصلحة عقد هدنة مع الصليبيين بإطلاق سراح الملك لويس مقابل فدية يدفعها، وانتهى الأمر إلى عقد صلح أمده عشر سنوات لم يذكر فيه أية بنود تتعلق بمدينة القدس مركز الصراع . ومن الغرابة بمكان أن تتجاهل شجر الدر موضوع القدس دون أن تستفيد من موقف الصليبيين الضعيف مكتفية بالتركيز على مدينة دمياط ، كما أن أمور الدولة لم تكن مستقرة بسبب النزاع مع الملك الناصر الأيوبي واحتلاله دمشق مما دفعها إلى تقوية مواجهتها للملك الناصر بزواجها من الأمير عز الدين أيبك ثم تنازلها عن الحكم له سنة 648هـ/1250م إيذاناً بانتقال الحكم من الأيوبيين إلى المماليك . (22)

بقيت القدس ميداناً للصراع بين المسلمين والصليبيين ، وبين الأيوبيين في الشام والمماليك في مصر، حيث دخلت في دائرة الصراع ممثلة بالملك الناصر يوسف صاحب دمشق ، وبين المماليك بزعامة السلطان المعز أيبك ، ونتج عن هذا الصراع أن كلا منهما لجأ إلى التحالف مع الصليبيين والاستنجاد بهم ضد

الآخر مقابل التنازل عن بيت المقدس ، ومال الصليبيون إلى التحالف مع عز الدين أيبك ضد الملك الناصر⁽²³⁾ .

في ظل هذا الصراع أرسل الملك لويس التاسع رسالة إلى المماليك يطلب فيها إطلاق أسرى الصليبيين المحجوزين لديهم ، وانه لن يتحالف مع الناصر صاحب دمشق إلا إذا أرسل له أمراء المماليك برؤوس القتلى الصليبيين الذين علقوا على أسوار القاهرة ، فوصلت موافقة المماليك له سنة 650هـ/1252م وبأنهم سوف يسلمون له بيت المقدس ، كما أن المعز أيبك أرسل إلى الملك لويس انه سوف يسلمه بيت المقدس بمجرد الاستيلاء عليه من الملك الناصر يوسف ، غير أن تدخل الخليفة المستعصم العباسي أنقذ الموقف بالصلح بينهما تحسبا للزحف المغولي القادم على أن يكون للمماليك مصر وجنوب فلسطين بما في ذلك غزة وبيت المقدس أما الشام تبقى للملك الناصر يوسف⁽²⁴⁾ .

لم تخضع بيت المقدس للمماليك طويلا ، فقد تنازل المعز أيبك عنها بعد ثلاث سنوات للملك الناصر يوسف ، وقد ظلت تحت حكمه بين سنتي 654-658هـ/1256-1260م بيد الملك الناصر أي حتى الاجتياح المغولي لبلاد الشام ،⁽²⁵⁾ ولم يسفر التحالف المملوكي الصليبي عن نتائج تذكر .

لم يدخل الصليبيون في أية مواجهات مع المماليك إبان الاجتياح المغولي لبلاد الشام ، لان أوضاعهم لم تكن تسمح لهم بالتحالف أو الحرب مع المماليك أو المغول ، لذا فقد وقفوا على الحياد وكان انتصار المماليك في عين جالوت سنة 658هـ/1260م نهاية لطموحات الصليبيين في الوصول إلى بيت المقدس .

بدأت هجمات الظاهر بيبرس ضد الصليبيين في بلاد الشام سنة 659هـ/1261م عندما قدموا الدعم للغزو المغولي وخصه بمجموعه هيثوم ملك أرمينيا الصغرى ، وبوهيموند السادس أمير أنطاكيا⁽²⁶⁾ ، وظلت المدن الصليبية عرضة لغارات المماليك .

تمكن المماليك من تطهير بلاد الشام من الصليبيين بين سنتي 659-660هـ/1261-1262م ، واهتموا باتخاذ الاستعدادات اللازمة لأي تحرك صليبي محتمل ضدهم حيث بنى الظاهر بيبرس أبراجا للمراقبة في المناطق الحدودية مع الصليبيين ، وجدد القلاع الملاصقة للمغول في البيرة سنة 663هـ/1264م ، وزودها بالعتاد ، كما أمر بردم مصب النيل عند ثغر دمياط لمنع الصليبيين من إرسال حملات أخرى للوصول إلى بيت المقدس (27) ، واستأنف حملاته على المعقل الصليبية في السنوات 663هـ/1264م ، 664هـ/1265م ، 665هـ/1266م ، 666هـ/1267م ، وتمكن من إسقاط إمارة أنطاكيا التي كانت السند الأقوى للصليبيين، ومثل سقوطها انخيارا للمملكة الصليبية التي أقاموها في بلاد الشام والقدس بشكل خاص (28).

وفي علاقاته الخارجية لحماية بيت المقدس، أرسل الظاهر رسالة إلى ملك الحفصيين سنة 669هـ/1270م يخبره فيها بإرسال نجدة للتصدي للحملة القادمة إلى تونس بقيادة لويس التاسع ، غير أن فشل الحملة في الوصول أوقفت استعدادات كل منهما (29).

أما السلطان قلاوون فقد تصدى للصليبيين وعقد معهم الاتفاقيات ، إلا انه لجأ إلى تصفية الوجود الصليبي بفتح الإمارات الصليبية المتبقية بسبب نقضهم للاتفاقيات المعقدة، فاسقط إمارة طرابلس سنة 688هـ/1289م (30) ، وسار السلطان الأشرف خليل على نهج أبيه فنفذ وصية والده وصية والده بفتح إمارة عكا سنة 690هـ/1291م .

بعد سقوط أهم الإمارات الصليبية في طرابلس وعكا (31) ، استمرت السياسة المملوكية بتصفية الوجود الصليبي حيث أرسل الناصر محمد حملة عسكرية سنة 702هـ/1302م قضى فيها على البقية الباقية من معقل الصليبيين في جزيرة أرواد ورودس سنة 706هـ/1306م (32)

نظرا لفشل المحاولات العسكرية لاستعادة بيت المقدس من المماليك حاول الملك فيليب السادس ملك فرنسا إرسال سفارة إلى السلطان المملوكي

الناصر محمد سنة 730هـ/1329م طالبا منه تسليم بيت المقدس والساحل إليه ، فرد الملك الناصر عليه بإهانة رجال السفارة وطردهم (33) .

وطد الناصر محمد علاقاته مع الغرب الأوروبي ممثلة بـجيمس الثاني ملك أراغون حيث تبادل الطرفان الرسائل في الفترة ما بين 699-728هـ/1300-1328م تمحورت حول امتيازات تجارية لمملكة أراغون في بلاد الشام ، وتسهيل سبل الحجاج الأراغونيين إلى بيت المقدس وإعادة فتح بعض الكنائس لهم ، كما حرصت فرنسا على التودد إلى الناصر محمد لاستعادة نفوذها في بيت المقدس (34) .

على الرغم من التسهيلات التي قدمها السلطان الناصر محمد للغرب الأوروبي ، إلا أن البابا يوحنا الثاني والعشرين جدد سنة 736هـ/1335م إحياء مشروع الحملات الصليبية إلى الشرق بقيادة فيليب السادس ملك فرنسا على أن يكون هدفها مصر أولا، غير أن المشروع لاقى الفشل بسبب وفاة البابا يوحنا (35) ، مما يشير إلى أن الغرب الأوروبي والصليبيين في الشرق ممن طردوا عسكريا من بيت المقدس ظلوا يحاولون العودة إلى بيت المقدس للحصول على امتيازات دينية وتجارية لامتلاك حقوق رعاية المسيحيين ثم الوصول إليه .

شكلت الفترة الواقعة بين وفاة الناصر محمد سنة 741هـ/1340م وبين سقوط الدولة المملوكية سنة 784هـ/1382م حالة من عدم الاستقرار الداخلي استغلها الأوروبيون فأرسلوا حملة صليبية سنة 760هـ/1359م للوصول إلى بيت المقدس بقيادة ملك قبرص بطرس الأول لوزنيان (1362-1365م) (36) ، وقد اختار بطرس الأول مدينة الإسكندرية قاعدة للحملة لتكون بعد وصولها نقطة الانطلاق للوصول إلى بيت المقدس بالاستيلاء على ثغر دمياط ، وحمل بالسلطان المملوكي على التنازل عن بيت المقدس مقابل استرداد الثغر ، غير أن الحملة لم تبق في الإسكندرية أكثر من أسبوع للوصول الناصر محمد على رأس الجيش المملوكي وطردهم منها.

كانت هذه الحملة آخر الحملات الصليبية العسكرية لمحاولة العودة إلى بيت المقدس .

ثانيا : السياسة المملوكية تجاه المغول الأيلخانيين :

شكل الخطر المغولي مصدر قلق لدولة المماليك حين اجتاحتها بلاد الشام من الشمال إلى الجنوب 657-658هـ / 1259-1260م مما دفع بهم لان يكونوا على أهبة الاستعداد لمواجهة هذا الخطر والتصدي له في ظل أطماع دولة المغول الأيلخانيين التي أقامت تحالفات للوصول إلى مصر ثم تطورت إلى استرجاع بيت المقدس وإعادةه إلى الصليبيين طوال فترة حكم أيلخاناتها .

كانت الدولة المملوكية المسيطرة على سواحل البحر المتوسط تقف عائقا أمام تقدم الجيوش المغولية في عهد هولاكو الذي انصب اهتمامه بشكل جوهري، على توفير أمن الدولة التي أنشأها ، بما يحقق لها القدرة على البقاء والحفاظ على الأراضي التي فرضت هيمنتها عليها في العراق و بلاد الشام ، ويمكنها من تنفيذ أوامر الخاقان منكوقان بخصوص إخضاع مصر .

إن تحقيق الأمن في دولة حديثة النشأة ، والتخطيط لإخضاع مصر ، اقتضى سياسة خارجية فاعلة تتناسب مع طموح هولاكو وخلفائه من بعده ، ونعني بذلك زحفهم إلى مصر غير أن اصطدامهم بالجيوش المملوكية في معركة عين جالوت سنة 658هـ/1260م⁽³⁷⁾ ، وتسجيل أول انتصار مملوكي على المغول الأيلخانيين دفعهم إلى الانسحاب من بلاد الشام والعودة إلى العراق⁽³⁸⁾ .

تجاه المتغيرات التي نجمت عن بروز القوة المملوكية وامتداد حكم المماليك ليشمل بلاد الشام التي أصبحت جزءا من دولتهم ، والهزيمة التي لحقت بالمغول كان عليهم أي المغول أن يرسموا سياسة جديدة لمواجهة المماليك الذين يشكلون القوة الأكبر في بلاد الشام .

بدأ التهديد الحقيقي للدولة المملوكية يتضح بتحمل السلطان قطز للعبء الذي وقع على كاهله وعلى دولته الفتية اثر اجتياح المغول لبلاد الشام

حيث " لم يبق من يدفعهم عن العباد والبلاد إلا عسكر الديار المصرية " (39) لذا فقد عمل على ترسيخ استعداداته لمواجهة خطرهم .

لم تفلح محاولة هولوكو الأولى مع المماليك في إرهابهم سواء كان ذلك من خلال تحركاته أو دبلوماسيته في الخطابات التي أرسلها إلى المماليك، وجاءت ردود الفعل لدى السلطان قطز على غير ما توقعه الزعيم المغولي حين رد عليه بقتل رسله (40) ، إذ يذكر بيبرس المنصوري أن قطز " أمر... بقتلهم ، فقتلوا وطوفت رؤوسهم الأسواق " (41) .

لجأ السلطان قطز إلى هذا الإجراء ردا على أسلوب التهيب والوعيد الذي اتبعه هولوكو في سياسته تجاه المماليك كما هو واضح في رسالتيه المكتوبة ، والشفوية إلى السلطان المظفر قطز سنة 658هـ/1260م ، يذكره بما فتح من بلاد أصبحت تحت سيطرته ويدعوه إلى " بذل الطاعة وتعبئة الضيافة " (42) ، وإلى أن يعلن التبعية ويسارع إلى " حمل الفدية وقبول شحنة في بلاده " (43) ، مما يعني انه كان ينوي إخضاع البلاد الواقعة تحت سيطرة المماليك ، وقد تضمنت رسالة هولوكو معاني الازدراء به بقوله له : " يعلم الملك المظفر قطز الذي هو من جنس المماليك الذين هربوا من سيوفنا إلى هذا الإقليم يتمتعون بإنعامه ، ويقتلون من كان سلطانه " (44) ، كما خاطبه مهددا " ... أن سلموا إلينا الأمر تسلموا قبل أن ينكشف الغطاء فتندموا " ، " فان انتم لشرطنا أطعتم ، وما قلنا سمعتم فلکم مالنا وعليکم ما علينا ، وان انتم خالفتمونا هلکتيم فلا تهلكوا أنفسکم بأيديهم .. فما بقي لنا مقصد سواکم " (45) .

ومع أن هولوكو غادر الشام بعيد إرسال رسالته هذه ، فقد تولى المهمة بعده وبتكليف منه القائد المغولي كتيغا نونين ، الذي فوجئ بأخبار تحرك الجيش المصري نحو بلاد الشام لمواجهة ، فتوجه هو الآخر بقواته نحوه وهو ما تمخض عن المعركة الشهيرة والحاسمة ؛ معركة عين جالوت في يوم الجمعة الخامس

والعشرين من شهر رمضان سنة 658هـ/1260م حيث حقق المماليك انتصاراً ساحقاً على المغول وتمكنوا من قتل قائدهم المشار إليه⁽⁴⁶⁾.

شكل هذا النصر فشلاً ذريعاً للسياسة التي اتبعها هولاكو في مرحلة ما بعد احتلال العراق، إذ لم يتمكن من تنفيذ أحلامه باحتلال مصر، كما أنه أجبر على الخروج من بلاد الشام بعد احتلال دام بضعة أشهر من رمضان سنة 657هـ/1259م /الخامس والعشرين من رمضان سنة 658هـ/1260م، إضافة إلى أن تراجع المغول إلى قواعدهم في العراق وإيران، أدى إلى إضعاف قدرتهم على الاتصال بملفائهم من الصليبيين⁽⁴⁷⁾.

أصبح المماليك يشكلون خطراً على سياسة المغول التوسعية ودفعت هذه المتغيرات بهم إلى التراجع والتفكير برسم سياسة جديدة لمواجهة الوضع الجديد وهو ما يلاحظ في أكثر من اتجاه:

1 - تحول المغول الأيلخانيون عن سياسة الهجوم إلى سياسة الدفاع، وأصبح همهم الأول بعد خروجهم من بلاد الشام الاحتفاظ بنهر الفرات حداً طبيعياً يفصلهم عن المماليك القوة المسيطرة.

2- حولوا العراق إلى ترسانة عسكرية، و بدأوا يتحينون الفرصة لرد الاعتبار لجيشهم ومقتل قائده كتبغا، وقد وجدوا في مقتل السلطان المملوكي المظفر قطز، وحصول انقسامات بين صفوف المماليك، فرصة لإرسال حملة عسكرية إلى بلاد الشام سنة 659هـ/1261م⁽⁴⁸⁾، استولت على حلب وحماة ودمشق⁽⁴⁹⁾، ولكنهم ردوا على أعقابهم، ثم تحالفوا مع أرمينية الصغرى وسلاجقة الروم، وشنوا هجوماً مشتركاً سنة 662هـ/1213م، هاجموا فيه مدينتي عينتاب والبيرة⁽⁵⁰⁾ ولكن المماليك الحقوا بهم في السنة التالية في منطقة المحروسة⁽⁵¹⁾ خسائر كبيرة⁽⁵²⁾.

كما نجح المماليك في القبض على بعض أمراءهم ممن حاول هولاكو استمالتهم ضد الدولة المملوكية سنة 662هـ/1264م⁽⁵³⁾ كالأمير فارس الدين أقطاي⁽⁵⁴⁾.

في ضوء فشل هولاكو في تحقيق أهدافه بالتغلغل إلى بلاد الشام والوصول إلى مصر ، والقضاء على المماليك ، نهجت الدولة المغولية في عهده إلى الانفتاح على قوى الغرب الأوروبي واستقبال ممثلين عنها ، كما أن هذه القوى كانت متحمسة هي الأخرى للتحالف مع المغول بهدف القيام بعمل عسكري مشترك لاجتياح بلاد الشام واسترجاع بيت المقدس من المسلمين ، غير أن فشلها في الوصول إلى صيغة عملية مع المغول لتنفيذ أهدافها جعلها تتردد في جدوى مواصلة سعيها هذا، وجاء نجاح هولاكو؛ مؤسس الدولة الأيلخانية في السيطرة على العراق وإسقاط الخلافة العباسية سنة 656هـ/ 1258م لينعش هذه الآمال .

شعر الغربيون أن أمالهم يمكن أن تتحقق وبخاصة بعد أن امتدت حدود الدولة الأيلخانية حتى حدود نهر الفرات .

تبع سقوط بغداد سنة 656هـ/ 1258م قيام هولاكو باتصالات مع قوى الغرب الأوروبي⁽⁵⁵⁾ ، و بدأ ذلك بمبادرة من البابا أوربان الرابع (URBAN IV) (660 – 663هـ/ 1261 – 1264م) برسالة تضمنت دعوة هولاكو إلى اعتناق المسيحية وتمكينه من الوصول إلى بيت المقدس مؤكداً على سرعة التعميد⁽⁵⁶⁾ ، كما تردد إلى بلاطه ابتداء بسنة 658هـ / 1259م وما بعدها ، رسل عدد من الباباوات وهم :

- 1 - البابا الكسندر الرابع (652 – 660هـ/ 1254 – 1261م) .⁽⁵⁷⁾
- 2 - البابا أوربان الرابع (Urban IV) (660 – 663هـ/ 1261 – 1264م)⁽⁵⁸⁾
- 3 - البابا بونيفاس وقد أرسل رسالته إلى هولاكو سنة 659هـ/ 1260م⁽⁵⁹⁾

وقد ركز معظمهم على دعوة هولاكو لاعتناق المسيحية وجاء في رسالة لأحدهم انه فرح بما سمعه من انه اعتنقها فعلا .

أما رسائل هولوكو إلى الغرب الأوروبي فقد أظهرت دراسة حديثة أنها مفقودة (60) ، إلا أن ثمة معلومات مقتضبة وصلت عنها ، ومنها انه أرسل بعثة إلى البابا أوربان الرابع (Urban IV) (660 - 663 هـ / 1261 - 1264 م) ورسالة حملها رسله إليه .

ومع أن تفصيلات هذه الرسالة غير معروفة (61) ، إلا أن تقريراً مغولياً ، يفيد بان هدفها الأساس كان يركز على دعوة هولوكو إلى عقد تحالف دائم ليس مع البابوية وحدها ، بل مع ملوك وأمراء الغرب جميعاً للوصول إلى بيت المقدس، يدل على ذلك تقرير مغولي تقدم به الأيلخان الذي حل محل هولوكو في الحكم وهو ابنه أباقا ، أرسله إلى المؤتمر الديني في فرنسا والذي عقد سنة 673 هـ / 1273 م ، حيث جاء فيه أن " ...الملك هيلي [أي هولوكو] هو الذي بعث بأفضل ما عنده من مبعوثين إلى السيد البابا قدس الله سره ، كما بعث بهم إلى جميع الملوك والأمراء بهدف الوصول إلى تحالف دائم معهم ، واصل واحد من بين هؤلاء السفراء هو أنا ريخالدوس كاتب العدل عند الملك العظيم والمترجم الخاص للغة اللاتينية له وقد اعترض طريقنا نحن المبعوثين السيد مانفريد ملك صقلية ، وهو ابن الإمبراطور السابق فريدريك الثاني ، ومنع مواصلتنا للسفر ، وأجبرنا بالقوة على الرجوع " (62) . غير أن رد البابا تضمن الطلب السابق في سرعة اعتناق المسيحية (63) .

ويذكر عادل هلال أن كتب هولوكو إلى الغرب مفقودة سوى رسالة غير محددة التاريخ ، بيدي فيها البابا سعاده لما سمعه من الرسول من رغبة هولوكو في اعتناق المسيحية ، ومما أرسله البابا إلى هولوكو انه : سيرى كيف ستزيد قوتك في حريك مع المسلمين لو أن الجنود المسيحيين يساعدونك علانية وبكل قوتهم بفضل معونة الرب ومن ثم فانك ستزيد قوتك في الدنيا وبالتأكيد سوف تضمن المعجزة الخالد في الآخرة.. " (64)

(. لم يتمكن هولوكو من الرد على رسالة البابا بسبب وفاته سنة 663هـ / 1264م .

يتضح مما سبق أن سياسة هولوكو تجاه الغرب الأوروبي كانت تعتمد إقامة تحالف معه للحصول على دعم بإرسال حملة إلى الأراضي المقدسة، وأنه كان مندفعاً في هذا الاتجاه، بيد أن الصورة عن تفصيلات ما جرى بين الطرفين حول ذلك تبقى غامضة بانتظار اكتشاف ما قد يجعل الصورة أكثر وضوحاً. وجاءت وفاته سنة 663هـ / 1264م لتنتقل هذه المهمة لمن أعقبه من الأيلخانات .

ظل الخطر الملوكي يشكل قوة ضاغطة أمام الأطماع المغولية ومع اعتلاء أباقا خان عرش الأيلخانية المغولية سنة 664هـ / 1265م ، أولى اهتمامه باستمرار سياسة المغول في السيطرة على البلاد ، وفي نطاق هذه السياسة وجه إخوته لحفظ حدود المناطق الواقعة ضمن الأيلخانية الفارسية حتى ضفاف نهر جيحون وبلاد الروم وديار بكر وحدود الشام لتأمين حدوده من خطر المماليك⁽⁶⁵⁾ .

تميزت السياسة المملوكية تجاه أباقا خان برفض سياسة التهديد والوعيد التي يتبعها وهذا ما ظهر فيما تضمنته الرسائل المبعوثة من قبل أباقا إلى الظاهر بيبرس ، كما رفض الظاهر أسلوب المساومة الذي عبرت عنه الرسائل ، وحمل رسله جواباً شفوياً للأيلخان يقول : " اعلموه إنني وراءه بالمطالبة ولا أزال حتى انتزع من يده جميع البلاد التي استحوذ عليها من بلاد الخليفة وسائر أقطار الأرض."⁽⁶⁶⁾ ، كما حملهم جواباً مكتوباً يهدد فيه بإعادة ما جرى عليهم في معركة عين جالوت⁽⁶⁷⁾ ، وكانت رسائل الأيلخان أباقا إلى المماليك سنة 667هـ / 1268م، قد تضمنت شروطاً ظاهرها طلب إقامة صلح معهم ، و باطنها مليء بالتهديد والوعيد ونعني بذلك الرسالة المكتوبة التي بعث بها إلى السلطان الظاهر بيبرس ، اظهر فيها رغبته في إقامة الصلح، وعدم اخذ ذنب الأب بذناب الابن⁽⁶⁸⁾، أما رسالته الشفوية ، جاء فيها قوله : " .. أنت مملوك

بعت بسيواس فكيف يصلح لك أن تخالف ملوك الأرض ؟ واعلم انك لو صعدت إلى السماء أو هبطت إلى الأرض ما تخلصت مني فاعمل لنفسك على مصالحة السلطان أبغا .." (69) ، ويبدو أن أباقا خان الذي تعرضت قواته إلى ضربات مملوكية بين سنتي 671 . 672 هـ / 1272-1273م أدرك مدى حاجته إلى إقامة صلح مع المماليك ولكن محاولته فشلت بسبب ما فرضه من شروط أغضبت السلطان الظاهر بيبرس فأعاد الرسل دون أن يتحقق شيء (70) .

في ظل رفض المماليك إقامة صلح مع المغول يقول ابن شاکر الكتبي (664هـ / 1265م) : أن السلطان المملوكي الظاهر بيبرس توجه إليهم " فقتل منهم مقتلة عظيمة " (71) كما لجأ إلى إرسال حملة أخرى سنة 668هـ / 1269م ، إلى بلاد الشام نجحت في الوصول إلى حلب (72) وكان ذلك بعد أن بادر أباقا بإرسال أولى حملاته في أوائل سنة 664هـ / 1265م إلى البيرة (73) ، وفي ضوء تحقيق أهدافه سعى أباقا خان للحصول على مساعدة فرنج الساحل في هجوم على حلب سنة 668هـ / 1269م .

ويقول حسين عطية أن السلطان الظاهر بيبرس نجح في إقامة تحالفات مع بركة خان القبيلة الذهبية ، وعز الدين كيكاس حاكم سلاجقة الروم ، لعزل فرنج الساحل عن تقاسم أي عون للمغول في معظم الأحوال ، لذا لم يكن للحلفاء دور فاعل في دعم الحملات على المستوى العسكري (74) ، وحرص على إقامة تحالفات مع الصليبيين في الغرب سنة 672هـ / 1273م ، بإرسال كتاب إلى ادوارد الأول ملك إنجلترا لإرسال حملة صليبية إلى الشرق لاستعادة بيت المقدس ، إلا انه لم يلمس تعاوننا لتعلق أمر إرسال الحملة بالبابا (75) .

من الواضح أن الأوضاع اتصفت بالهدوء في دولة المماليك بدليل أن النشاط العسكري للدولة الأيلخانية في الفترة التي أعقبت وفاة أباقا خان سنة 680هـ / 1281م حتى سنة 695هـ / 1295م ، قد توقف بسبب الخلافات الداخلية والنزاع على عرش الأيلخانية ، مما ساهم في قتل ثلاثة من أيلخاناتها ، إذ

بعد إقصاء كيخاتو عن العرش في آذار سنة 695هـ/1295م وقتله وصل بايدو إلى السلطة ولم يصمد طويلاً فانسحب عن الحكم في تشرين الثاني من السنة نفسها لكي يتولى عرش الأيلخانية بعده الأيلخان محمود غازان.⁽⁷⁶⁾ ، خلال هذه الفترة لم تخرج القدس عن سلطة المماليك إلا فترة قصيرة تقارب ثلاثة أشهر ونصف ، في أواخر ربيع الثاني وحتى أواسط رجب سنة 699هـ/أواخر كانون الثاني وحتى أواسط نيسان سنة 1300م عندما غزا المغول بلاد الشام بقيادة الأيلخان غازان محمود واستولوا على دمشق ، وزحفوا على فلسطين وسيطروا على القدس باستثناء ما كان للصليبيين حيث عاثوا في هذه المناطق فسادا وخاصة في مدينة القدس ، وقد أورد القلقشندي نص رسالة بعث بها السلطان المملوكي الناصر إلى الأيلخان غازان يستنكر فيها أفعاله في بيت المقدس قائلاً : " .. وأما قول الملك انه ومن معه اعتقدوا الإسلام قولاً وفعلاً دنية .. وليس هذا هو فعل المسلمين ولا من هو متمسك بهذا الدين ، وحرم البت المقدس تشرب فيه الخمر ، وتهتك الستور ، وتفتض البكور ، ويقتل فيه المجاورون ويستأسر خطباؤه والمؤذنون " ⁽⁷⁷⁾ مع تولى الأيلخان أرغون عرش الأيلخانية ، عادت الدولة إلى سياستها التقليدية تجاه المماليك أي أنها سلكت ذات السلوك الذي أرسى قواعده هولوكو ، حيث حول الأيلخان الجديد وجهته نحو الغرب الأوروبي مشجعاً على التحالف معهم وإرسال حملة مشتركة للقضاء على المماليك والوصول إلى بيت المقدس.

ومهما يكن من أمر، فإن هذه التحالفات لم تسفر عن أية خطوة عملية في عهد الأيلخان أرغون .

لمست دولة المماليك تحولا مهما في سياسة المغول تجاههم بتولي الأيلخان اولجايتو خدابنده ، حين بادر فور اعتلائه العرش بعد وفاة الأيلخان غازان سنة 703هـ/1303م بإتباع سياسة جديدة عن سبقه ، فقد أرسل سفارة تحمل رسالة إلى السلطان الناصر محمد يؤكد فيها حرصه على توثيق روابط الصداقة ⁽⁷⁸⁾ ، بعقد صلح لإخماد الفتنة بين الجانبين ⁽⁷⁹⁾ ، رغم انه أرسل

سفرائه سنة 704 هـ/1304م في الوقت ذاته إلى أوروبا يشجعهم على غزو المماليك ويعددهم بالإمدادات للوصول إلى القدس (80) .

استمر المماليك في الحرب مع المغول الأيلخانيين إلى أن تم طردهم عن القدس وبلاد الشام سنة 699هـ/1300م . وأعادوا وحدة مصر وبلاد الشام من جديد .

سياسة المماليك الدينية تجاه بيت المقدس.

لم يقتصر اهتمام المماليك في بيت المقدس على الجانب السياسي بحمايتها من الغزو الخارجي ، وإنما نهجوا سياسة أخرى أبرزت اهتمامهم بالجانب الديني للمدينة باعتبارها احد ابرز الأماكن المقدسة لدى المسلمين ، وترجم السلاطين هذا الاهتمام من خلال العمارة في بيت المقدس والعناية بالمؤسسات الدينية والاجتماعية والخيرية وقيام السلاطين بزيارات تفقدية لبيت المقدس والجدول التالي يبين جوانب هذا الاهتمام .

اسم السلطان	مظاهر الاهتمام	المصدر
1-الظاهر بيبرس	* عمر قبة الصخرة سنة 616هـ وعمر قبة موسى ، وزار المدينة سنة 668هـ وعمر خانة ، وجدد قبة السلسلة ، ورمم شعث الصخرة وبنى على باب عبيدة بن الجراح مشهدا . * وأمر بارتجاع عدة ضياع من أوقاف الخليل عليه السلام كانت قد دخلت في الإقطاع وعض الأمراء عنها ، وانشأ دار الحديث بجوار التربة الجالقية على طريق باب السلسلة	المقريزي، السلوك، 1، ق3، ص491 ابن عبد الظاهر ، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر ، تحقيق: فاطمة صديق، أكسفورد 1956، ص89 عارف العارف ، تاريخ القدس ، دار المعارف، 1961، ص87
2-المنصور قلاوون	* انشأ الرباط المنصوري بباب الناظر احد أبواب المسجد الأقصى ، وعمر سقف المسجد الأقصى من جهة القبلة	علي السيد علي ، القدس في العصر المملوكي ، ص27
3-السلطان برقوق	* انشأ المدرسة الغزية قرب باب الأسباط ، عمارة بركة السلطان بظاهر القدس من جهة الغرب	عارف العارف ، تاريخ القدس، ص96
4-الناصر فرج	*زار بيت المقدس والخليل	علي السيد علي، القدس في

بن برقوق	وعلق بالمسجد الستائر الحريرية على الأضرحة	العصر المملوكي ، ص28
15-الأشراف برسباي	* عمرت الأوقاف بالقدس الشريف واشترت عدة جهات للووقف من القرى برسم المسجد الأقصى والصخرة الشريفة وأصلحت قبة الصخرة ، وتم في عهده إنشاء المدرسة الباسطية شمال الحرم والمدرسة القادرية بين باب حطة من الغرب والمدرسة الحسينية بباب الناظر غربي الحرم .	مجبر الدين الحنبلي ، الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، المطبعة الوهبية بالقاهرة 1283 هـ ، ج2 ص438 عارف العارف، تاريخ القدس ، ص96
6-الظاهر	*رسم أن تكون جوالى الذمة بالقدس والخليل وبيت لحم ورصده لعمارة بركة في الخليل	المقرزي، السلوك، 1، ق3، ص713
7-العادل كتبغا	*جدد فصوص الصخرة الشريفة، وجدد عمارة السور الشرقي المطل على مقبرة باب الرحمة	علي السيد علي ، القدس في العصر المملوكي، ص29
8-المنصور لاجين	جدد عمارة محراب داود بالسور القبلي عند مهد عيسى بالأقصى	عارف العارف، تاريخ القدس ، ص229
9-الناصر محمد بن قلاوون	*إنشاء رباط بالقدس وحمامين ، وعمارة السور القبلي عند محراب داوود ، ورخم صدر المسجد الأقصى ، ومسجد الخليل عليه السلام، وجدد تذهيب القبتين في المسجد الأقصى وقبة الصخرة وعمر القناطر على الدرجتين الشماليين بصحن الصخرة .	ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج9 ، ص29
10-الأشرف شعبان بن حسين	* عمر المغارة التي عند باب الأسباط ، وجدد الأبواب الخشبية المركبة على بوابات المسجد الأقصى ، جددت القناطر على الدرجة الغربية في صحن الصخرة مقابل لباب الناظر ، وجدد مغارة عند باب الأسباط ، وانشأ بعض الأروقة في الحرم من جهة الشمال.	عارف العارف ، تاريخ القدس ، ص300

عاف العارف ، تاريخ القدس ، ص300	* عمارة دكة المؤذنين	11-الظاهر جقمق
المرجع نفسه ، ص98	* عمارة المسجد الأقصى الشريف، إنشاء سبيل قايتباي	12-الأشرف أبنال
المرجع نفسه، ص97	* عمارة قناة السبيل	13-الأشرف خشقدم
مجبر الدين الحنبلي، الأئس الجليل ، ج 2 ، ص619	صناعة الأبواب النحاسية للمسجد الأقصى وعمارة المسجد الأقصى قناة السبيل والمدرسة الأشرفية	14-الأشرف قايتباي
علي السيد علي ،القدس في العصر المملوكي، ص31	*جددت في عهده عمارة المسجد الأقصى والفصوص أصلحت ، وتم بياض الجدران ودهان الأبواب.	15-قانسوه الغوري

في ضوء المعطيات التاريخية حول السياسة المملوكية تجاه بيت المقدس، كشفت الدراسة عمق انتماء المماليك بتولي مسؤولية الدفاع عن بيت المقدس لأهميتها الدينية والتاريخية ، والانتصار على المغول الأيلخانيين في معركة عين جالوت سنة 658هـ/1260م ، وكان هذا نهاية لطموحات الصليبيين ممن تحالفوا مع المغول للوصول إلى بيت المقدس .

كما أفشلت السياسة المملوكية أية تحالفات مغولية أوروبية ، وانتهجت سياسة المواجهة والتصدي لأية محاولة للوصول إلى بيت المقدس .

وشكل قيام دولة المماليك ضرورة ليس لحماية البلاد من الأخطار الخارجية فحسب بل لرعاية بيت المقدس من الجوانب الأخرى الدينية ، والاجتماعية ، والخيرية بهدف توفير الحياة الطيبة وتنشيط الحياة في المدينة ، ورغم الاضطراب السياسي في الدولة المملوكية في بعض الفترات كمقتل السلطان الأشرف خليل بن قلاوون ، وقانسوه الغوري فقد عكس المماليك صورة واضحة عن هذا الاهتمام ولم يغفلوا أمرها .

لم تنعم بيت المقدس بالاستقرار والهدوء عبر مراحل التاريخ المختلفة ، وهي ليست مجرد مدينة من عشرات الألوف من مدن الأرض ، ولكنها رمز دار من حوله الصراع على مدى أجيال عدة في تاريخ المنطقة العربية ، وهي اليوم رمز صراع جديد قسّم بين القوى العربية ، والقوى القادمة من خارج المنطقة ، وهي في

ماضينا القريب كانت رمزاً لصراع بين العرب ، والقوى الصليبية التي وفدت إلى المنطقة تزرع فيها كياناً دخليلاً ، فما أشبه اليوم بالبارحة .

الهوامش

(¹) محمد بن سالم بن واصل ، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال، د.ط، المطبعة الأميرية ، القاهرة، ج1، ص150 ؛ وفاء محمد علي ، قيام الدولة الأيوبية في مصر والشام، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، ص39

(²) وليم الصوري ، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة سهيل زكار، ط1، دار الفكر، ج2 ، ص878 ؛ سعيد عاشور ، الحركة الصليبية، ط1، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ج2 ، ص679

(³) ابن واصل ، مفرج الكروب، ج2، ص18 ؛ علي السيد علي ، ملامح الجانب العربي الإسلامي في المواجهة ضد الغزو الصليبي ، المستقبل العربي ، عدد 102 ، ص39، 60

(⁴) ابن واصل ، مفرج الكروب، ج2، ص18

(⁵) محمد بن محمد العماد الأصفهاني ، البرق الشامي ، تحقيق: فالح حسين ، ط1، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان ، ج5 ، ص41 ؛ علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت1966 م، ج10 ، ص58 ؛ محمد بن عمر الأيوبي بن شاهنشاه الأيوبي ، مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق: سامي الدهان، د.ط، المعهد الفرنسي للدراسات

العربية، دمشق، ص112 ؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج2 ، ص124

(⁶) ابن واصل ، مفرج الكروب، ج2، ص49

(⁷) Setton, K.M, A history of the crusades, Philadelphia, Pennsylvania University press, vol.1, p07

- (⁸) الصورى ، الحروب ، ج 2 ، ص 1016 ، عمر كمال توفيق ، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، د.ط. ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ص 157 ؛ setton , vol,1, p580
- (⁹) حنان خريسات ، السياسة الأيوبية تجاه الصليبيين ، رسالة ماجستير غير منشورة 2007م ، ص 9
- (¹⁰) يوسف بن رافع بن شداد ، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، تحقيق :جمال الدين الشيال، ط1، الدار المصرية للتأليف والنشر، مصر، ص 123-131؛ ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 2، ص 118
- (¹¹) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 2، ص 496-404 ؛ احمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، المطبعة الأميرية ، ج 7 ، ص 23
- (¹²) ابن الأثير ، الكامل ، ج 10 ، ص 198 ؛ ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص 168
- (¹³) ابن شداد ، النوادر السلطانية ، ص 235
- (¹⁴) عمر بن احمد ابن العديم ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق : سامي الدهان، د.ط.، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق ، ج 3 ، ص 136 ؛ سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج 2 ، ص 13
- (¹⁵) حنان خريسات ، السياسة الأيوبية ، ص 15
- (¹⁶) مؤلف مجهول ، تنمة كتاب وليم الصوري المنسوب خطأ إلى روثلان ، ترجمة أسامة زكي، ط2، دار المصطفى للطباعة ، طنطا ، ص 49 ؛ ستيفن رنسيما ، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، د.ط.، دار الثقافة ، بيروت ، مج 3، ق 1، ص 195؛ ارنست باركر ، الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، د.ط.، دار النهضة العربية، بيروت ، ص 96
- (¹⁷) ابن واصل ، مفرج الكروب ، ج 5، ص 341؛ تقي الدين احمد بن علي المقرئزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، صححه محمد مصطفى زيادة ، د.ط.، مصر ،

ج1، ق2، ص316، Burry, The Cambridge Medieval History, p.315 ; Ayyubids, vol.1, p.804

(¹⁸) هو ركن الدين بيبرس البندقداري الصالحي احد كبار مماليك السلطان الصالح نجم الدين انظر ترجمته لدى : عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي المعروف بأبي شامة ، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، صححه محمد بن زاهد الكوثري، راجعه عزت العطار الحسيني، ط2، دار الجليل، بيروت ، ص174

(¹⁹) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق2 ، ص337

(²⁰) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج8 ، ص36

(²¹) القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج8 ، ص37

(²²) ركن الدين بيبرس المنصوري ، التحفة المملوكية في الدولة التركية ، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة 1987م ، ص26 ؛ مختار الأخبار، تحقيق: عبد الحميد صالح، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة 1993م ، ص9 ؛ محمد محمود العناقرة ، القدس في العصر المملوكي ، مجلة أفكار ، عدد 249، ص141

(²³) علي السيد علي ، القدس في العصر المملوكي ، د.ط ، دار الفكر للدراسات والنشر ، القاهرة 2001م ، ص24

(²⁴) المرجع نفسه ، ص24

(²⁵) المرجع نفسه ، ص24

(²⁶) بيبرس المنصوري ، التحفة ، ص50

(²⁷) محمد سهيل طقوش ، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ط2، دار النفائس، القاهرة 1999م ، ص98

(²⁸) المرجع نفسه ، ص126

(²⁹) المقريزي ، السلوك ، ج1 ، ق3 ، ص553

(³⁰) بدر الدين محمود العيني ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، د.ط، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة ، ج2 ، ص279

- (31) محمد سهيل طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 235
- (32) سعيد عاشور ، الحركة الصليبية ، ج 1 ، ص 282-283
- (33) محمد محمود عنقرة ، القدس في العصر المملوكي ، مجلة أفكار ، عدد 249 ، ص 142
- (34) المقرئزي ، السلوك ، ج 2 ، ص 286
- (35) محمد سهيل طقوش ، تاريخ المماليك ، ص 285
- (36) رنسيما ، تاريخ ، ج 3 ، ص 743
- (37) أبو شامة ، الذيل ، ص 207 ؛ إسماعيل بن عمر بن كثير ، البداية والنهاية ، تحقيق: احمد ملحم ، ط 2، مكتبة المعارف، بيروت ، ج 13 ، ص 220 ؛ العيني ، عقد الجمان ، ج 1 ، ص 244
- (38) اجبر هولكو على العودة إلى العراق بعد وصول أخبار وفاة مانجو خان ، والخلافات بين إخوته أريق بوقا وقويلاي على تولي العرش المغولي ، إضافة إلى الخلافات بين هولكو باعتباره حاكما فعليا للدولة الأيلخانية وبين بركة خان حاكم القبيلة الذهبية على اتخاذ قرار العودة إلى بلاده. ويقول بيبرس المنصوري : " أن موته أوجب عود هولكو عن ديار بلاد الشام " ، عن ذلك انظر : بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة ، ص 56 ، 55
- (39) بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة ، ص 50 ؛ وائل عبد الحق الضمور ، الأمير الظاهر بيبرس المنصوري ، ط 1، مطبعة السفير ، عمان 2009م ، ص 104
- (40) بيبرس المنصوري ، التحفة الملوكية ، ص 43 ؛ إبراهيم بن محمد بن ايدمر بن دقماق ، الجواهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين ، ط 1، عالم الكتب، بيروت ، ص 61 ؛ ابن إياس، محمد بن احمد، بدائع الزهور في وقائع الدهور ، تحقيق : محمد مصطفى ، ط 2 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة : 1982 ، ج 1 ، ق 1 ، ص 305
- (41) بيبرس المنصوري ، التحفة الملوكية ، ص 43 ؛ زبدة الفكرة ، ص 50

- (⁴²) بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة ، ص50 ؛ احمد بن عبد الوهاب النويري ، نهایة الأرب في فنون الأدب ، تحقيق: محمد محمد أمين، د.ط، مركز تحقيق التراث، ج29 ، ص302 ؛ العيني ، عقد الجمان ، ج1 ، ص237
- (⁴³) بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة ، ص50
- (⁴⁴) ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج1، ص61
- (⁴⁵) القلقشندي، صبح الأعشى، ج8، ص64
- (⁴⁶) أبو شامة ، الذيل ، ص207 ؛ عبد الله بن اسعد اليافعي ، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت1997م ، ج4 ، ص113 ابن كثير ، البدایة ، ج13 ، ص220 ؛ العيني ، عقد الجمان ، ج1 ، ص244؛ عبد الحي احمد بن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ج5 ، ص291
- (⁴⁷) محمد صالح القنزاز ، الحياة السياسية في عهد السيطرة المغولية ، د.ط، مطبعة القضاء ، النجف1970م، ص374 ؛ عباس إقبال ، تاريخ المغول منذ حملة حنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة عبد الوهاب علوب، د.ط، الجمع الثقافي، أبو ظبي2000م ، ص212 ؛ فؤاد الصياد ، المغول في التاريخ، د.ط، دار النهضة العربية ، بيروت ، ج1 ، ص317
- (⁴⁸) أبو شامة ، الذيل ، ص399 ؛ مجهول ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة المنسوب خطأ إلى ابن الفوطي ، علق عليه مصطفى جواد، د.ط، مطبعة الفرات، بغداد ، ص339
- (⁴⁹) أبو شامة ، الذيل ، ص211
- (⁵⁰) بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة ، ص88 ؛ مختار الأخبار ، ص27
- (⁵¹) المصدر نفسه، ص29
- (⁵²) أبو شامة ، الذيل ، ص233 ؛ القنزاز ، الحياة السياسية في عهد السيطرة المغولية ، ص399

(⁵³) بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة ، ص88 ؛ العيني ، عقد الجمان ، ج1 ، ص388

(⁵⁴) هو فارس الدين أقطاي بن عبد الله النجمي الصالحي ، توفي سنة 672هـ/1273م . انظر :يوسف ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، علق عليه محمد حسين شمس الدين ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، ج7 ، ص85

(⁵⁵) Boyle,John Andrew , The Mongol World Empire 1206-1370,preface byowen Lattimore,London1977 , p . 554

Ibid , p . 556 (⁵⁶)

(⁵⁷) عبد علي ياسين ، العراق في عهد المغول الأيلخانيين ، جامعة الأزهر ، 1978، ص497 ؛ مصطفى طه ، مغول إيران بين المسيحية والإسلام، د.ط، دار الفكر العربي ، ص7 ؛ Percy Sykes , A Ahistory of Persia ,third edition,London1963. p 99

Percy Sykes , A history of Persia (, vol . 11 . p . 556 (⁵⁸)

Ibid , vol . 11 . p 99 (⁵⁹)

(⁶⁰) عادل إسماعيل هلال ، العلاقات بين المغول وأوروبا وأثرها على العالم الإسلامي، ط1، عين للدراسات والبحوث ، مصر 1997 ، ص108

Percy Sykes , A history of Persia , vol . 11 . (⁶¹) p 99

(⁶²) هلال ، ص281

John Andrew , the Mongol World Empire , p (⁶³) . 556

(⁶⁴) هلال ، العلاقات ، ص108

- (⁶⁵) رشيد الدين الهمذاني ، جامع التواريخ(خلفاء جنكيز خان) ، ترجمة فؤاد الصياد، مراجعة يحيى الخشاب، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1983 ، ج 2 ، ص 12
- (⁶⁶) ابن كثير ، البداية ، ج 13 ، ص 254 ؛ العيني ، عقد الجمان ، ج 2 ، ص 40
- (⁶⁷) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة ، ص 117
- (⁶⁸) العيني ، عقد الجمان ، ج 2، ص 40
- (⁶⁹) ابن كثير ، البداية ، ج 13 ، ص 254 ؛ العيني ، عقد الجمان ، ج 2 ، ص 43
- (⁷⁰) بيبرس المنصوري ، مختار الأخبار، ص 75 ؛ العيني ، عقد الجمان ، ج 2 ، ص 101
- (⁷¹) الكتبي، عيون التواريخ ، تحقيق : فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق 1984 م ج 21 ، ص 9
- (⁷²) بيبرس المنصوري ، التحفة الملوكية ، ص 338 ؛ زبدة الفكرة ، ص 132 ؛ ص 337 ؛ العيني ، عقد الجمان ، ج 2 ، ص 58
- (⁷³) ابن كثير ، البداية ، ج 13 ، ص 263 ؛ الكتبي ، عيون التواريخ ، ج 21 ، ص 9 ؛ عبد علي ياسين ، العراق ، ص 308
- (⁷⁴) حسين محمد عطية ، سفارات الأرمن إلى المغول وأثرها على العلاقات الأوروبية المغولية ، المجلة التاريخية المصرية ، عدد 1989، 36، ص 224
- (⁷⁵) رنسيما ، تاريخ ، ج 3 ، ق 2 ، ص 593
- (⁷⁶) بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة ، ص 260 ، 262 ، 306 ؛ القزاز ، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، ص 436
- (⁷⁷) محمد محمود العناقرة ، القدس في العصر المملوكي ، مجلة أفكار ، عدد 249، ص 142

(⁷⁸) بيبرس المنصوري ، التحفة ، ص176 ؛ العيني ، عقد الجمان ، ج4 ،
ص320

(⁷⁹) المقرئزي ، السلوك ، ج1 ، ق3 ، ص954 ؛ ابن تغري بردي ، النجوم
الزاهرة ، ج8 ، ص134

(⁸⁰) القزاز ، العراق في عهد السيطرة المغولية ، ص438 نقلا عن
Howroth, The History of Mongols.

سياسة القمع الفرنسية في مواجهة نشاط الحركة الوطنية بين 1945-1954 في الجزائر ، منطقة تابلاط أنموذجا د. محمد بليل - جامعة ابن خلدون - تيارت

ملخص

عرفت عمالة الجزائر و بلدياتها، نشاطا سياسيا ملحوظا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وذلك بعد السماح للأحزاب الوطنية بإعادة هيكلتها وفق القانون الفرنسي ، نجم عن ذلك بروز تنافس سياسي قوي فيما بينها لكسب أصوات الجزائريين في مختلف العمليات الانتخابية بالمجالس الاستعمارية في الجزائر وبالميتربول .

واختارنا نموذجا من البلديات المختلطة ، ممثلة في بلدية تابلاط التابعة إداريا في هذه الفترة لدائرة المدية ، حيث شهدت قمعا استعماريا في حق نشاط الأحزاب الوطنية الجزائرية ، خاصة حزب الشعب /حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، فتعرض مناضلوها وأنصارها بالمنطقة إلى المضايقة و حرمانهم من المشاركة في الانتخابات و اعتقال بعضهم؛ بهدف الضغط على التيار الاستقلالي ، لكي لا يستطيع التعبير عن أفكاره الاستقلالية ، مما أدى بهذا التيار إلى تبني العمل المسلح في الفاتح نوفمبر 1954 لمواجهة السياسة الاستعمارية المنتهجة في الجزائر .

Résumé

Le département d'Alger et ses communes a connu une activité politique marquante ,après la deuxième guerre mondiale ,celui-ci est passé après la permission au partis politiques nationaux de réorganiser envers la lois française , cette situation a abouti une forte concurrence politique entre ces partis, pour acquérir les voies des algériens dans les différentes sortes d'élections aux conseils coloniaux dans l'Algérie et la Métropole.

En a choisi comme modèle, parmi les communes Mixtes ,la commune Mixte de Tablat soumettait administrativement sous l'arrondissement" d'el média" dans cette période ,qu'elle a subi une répression coloniale contre les activistes des partis nationaux algériens en particulier le parti du peuple Algérien /mouvement du triomphe pour les libertés démocratiques

Les militants et partisans de ce parti ont été opprimé et privé de la participation aux élections et ensuite l'arrestation de certains d'entre eux , pour objectif ,de faire la pression sur le courant nationaliste pour qu'il ne peut pas exprimer leurs idées indépendantistes, conduisant cette tendance à l'adoption de l'action armée au premier Novembre 1954, pour faire face à la politique coloniale consacré en Algérie.

مقدمة

اشتدت المضايقات الاستعمارية على نشاط الحركة الوطنية ، خاصة جناحها الاستقلالي الذي عمل في السرية خلال الحرب العالمية الثانية وعلنيا بعد السماح لإعادة تشكيل الأحزاب الوطنية ، التي قامت بتجمعات حزبية لتوعية السكان المسلمين وشاركت في مختلف عمليات الانتخاب ، بهدف نقل انشغالات الجزائريين داخل المجالس المنتخبة لإبراز الواقع المرير لهم ، حيث ستركز في هذه الدراسة على عمالة الجزائر بشكل عام ومنطقة تابلط بشكل خاص .
ومن هذا المنطلق تطرح أمامنا إشكالية كبرى حول الأوضاع العامة لعمالة الجزائر ومنطقة تابلط والقمع الاستعماري المسلط عليها و تدور في خلدنا مجموعة من التساؤلات الآتية :

ما هي أبرز مظاهر الوضع العام لعمالة الجزائر و بلدياتها المختلطة ؟

ما هو موقف مسؤولي هذه البلديات من الحياة السياسية الوطنية ؟
 فيما ذا تمثلت أشكال و أساليب القمع المسلطة على الحركة الوطنية في المنطقة؟
 وما هي ردود الفعل المختلفة من ذلك؟ وما مدى مساهمة منطقة تابلاط في
 عمليات الفاتح نوفمبر 1954

ذلك ما سنحاول أن نجيب عليه في هذه الدراسة، الخاصة بسياسة القمع
 الفرنسية المسلطة على الحركة الوطنية الجزائرية من خلال دراسة نموذج منطقة
 تابلاط. و الهدف من ذلك التعريف بماضي المنطقة التاريخي و الثوري ،
 الرافض للسيطرة الاستعمارية من خلال اعتمادنا على مجموعة من التقارير السرية
 لجهاز الاستعلامات الفرنسي وجهاز شرطة الاستعلامات العامة⁽¹⁾ التي نقلت لنا
 في تقاريرها معاناة الجزائريين.

1 - الوضع العام لعمالة الجزائر و منطقة تابلاط

خرجت الجزائر من الحرب العالمية الثانية مليئة بالجراح والآمال، ذلك أنها
 كانت مسرحا لعمليات عسكرية بين الحلفاء والمحور ، حيث جند الشباب
 الجزائري في ميادين الحرب وورشات العمل للدفاع عن فرنسا الاستعمارية ، التي
 وعدتهم بأنها ستكافئهم بالحرية و تقرير المصير .

لكن فرنسا عادت بعد سنة 1945 لسيرتها السابقة في قمع السكان
 الجزائريين وعدم السماح لهم بالتعبير عن آمالهم ، وكانت أحداث الثامن مايو ،
 مأسوية على الشعب الجزائري؛ الذي دفع خلالها ثمنا غاليا ، وقد شاركت عمالة
 الجزائر كغيرها من المناطق الأخرى في هذه الانتفاضة الشعبية وقدمت عدد كبير
 من الشهداء .

ومن هذا المنطلق سنحاول أن نتعرف على واقع العمالة و دوائرها و بلدياتها
 ، مركزين على البلدية المختلطة لتابلاط للتعرف على مشاركتها في النشاط
 السياسي وتعرضها للقمع الاستعماري، باعتراف التقارير الأمنية الفرنسية .

كانت الجزائر مجزئة إلى ثلاثة عمالات كبرى في الشمال و هي الجزائر وهران
 وقسنطينة وكل عمالة توجد بها نوعين من البلديات ، بلديات كاملة

الصلاحيات وبلديات مختلطة ، وأقاليم جنوبية تابعة مباشرة للمتربول⁽²⁾ ، في حين كان يحكم الجزائر حاكما عاما، معينا من قبل الحكومة الفرنسية،مثلا للجهاز التنفيذي للحكومة العامة في الجزائر ، وينوب عنه والي على كل عمالة و نائب الوالي على الدائرة التابعة لكل عمالة (Préfet et Sous Préfet).

وكان يرأس البلدية الكاملة الصلاحيات شيخ بلدية أوربي منتخب ومجلس بلدي منتخب حسب الهيئتين الانتخابيتين ، ويحكم البلدية المختلطة حاكم مدني ولجنة بلدية بما أعضاء أوربيون منتخبون وأعضاء مسلمون معينون ، يكونون عادة من الأشراف و موالون للإدارة الاستعمارية. وبهذا التقسيم الإداري، كانت عمالة الجزائر ، تتكون من سبعة دوائر و 123 بلدية كاملة الصلاحيات و 24 بلدية مختلطة ، منها البلدية المختلطة "تابلاط التي أصبحت مركزا استيطانيا في سنة 1876 ، وبلدية مختلطة منذ 1879 تابعة لدائرة "المدينة" ، وبعد التعديل الإداري الاستعماري خلال ثورة التحرير ، أصبحت دائرة تابعة لعمالة الجزائر سنة 1956 ثم ألحقت بعمالة التيطري الجديدة (المدينة) سنة 1958 ، وحسب إحصائيات الإدارة الاستعمارية، فقد بلغ عدد سكان العمالة : 2730000 نسمة منهم 2300000 نسمة مسلم و 17250 نسمة من الأجانب و الباقي من الفرنسيين جنسية⁽³⁾.

أما دائرة المدينة التي تنتمي لها تابلاط ، فكانت تتكون من هضاب عالية وتحاذيها أيضا المرتفعات البلديّة ، تتكون من عدّة بلديات كان بها 6000 أوربي و 210000 نسمة من السكان المسلمين ، وقد حكم السيد مارسال بلانشار دائرة المدينة ، ما بين 1944 - 1947 وبالتالي فبلدية تابلاط المختلطة ، أقرب لمقر العمالة منها لمقر دائرة المدينة⁽⁴⁾. حيث شكلت "تابلاط" عبر التاريخ محطة إستراتيجية للرومان والمسلمين والعثمانيين والفرنسيين، باعتبارها حلقة وصل بين المدن الساحلية و الداخلية.

ونتيجة للضغط الديموغرافي المتزايد في الجزائر، حاولت الإدارة الاستعمارية طرح عدة مشاريع إصلاحية، لتنظيم إداري جديد وإضافة عمالات ودوائر جديدة، وإدماج المناطق الجنوبية بالشمال؛ وأرسلت عدّة تقارير من الولاة والحاكم العام إلى وزير الداخلية الفرنسي حول الوضع العام في الجزائر، وقام نواب الجمعية الفرنسية بمناقشة الموضوع دون الوصول إلى رأي موحد إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية⁽⁵⁾. ويتطلب منا ذلك معرفة مختلف أوضاع عمالة الجزائر و بلدياتها المختلطة، الموزعة بين دوائرها السبعة و سنركز في هذه الدراسة على منطقة تابلاط والبلديات المجاورة لها.

ولهذا الغرض، فقد اهتمت الإدارة الاستعمارية بمشاكل البلديات المختلطة، فأنشأت لجنة خاصة بشؤون الشمال الإفريقي للاهتمام بأوضاعها المختلفة؛ حيث حاول المشرع تحويل بعض هذه البلديات المختلطة إلى بلديات كاملة الصلاحيات، وفصل أجزاء منها و تحويلها إلى مراكز بلدية مستقلة، لكن هذا المشروع لم يتحقق إلا بعد مدّة، بسبب تماطل الإدارة الاستعمارية في تطبيق بنود القانون الخاص للجزائر⁽⁶⁾.

ومن جهة أخرى قامت أجهزة الاستعلامات الفرنسية بمختلف أجهزتها، بكتابة تقارير سرية حول البلديات المختلطة في نشرات شهرية بشكل دائم عن أوضاعها المختلفة⁽⁷⁾، ففي تقارير شهرية للعديد من هذه البلديات، أمثال "باليسترو" (الأخضرية) التابعة إداريا لدائرة الجزائر وتابلاط التابعة إداريا لدائرة المدية و"أومال" التابعة إداريا لدائرة تزي وزو، حيث يتضح من التقارير حول هذه البلديات، تسجيل الحالة النفسية للسكان المسلمين بأنها هادئة أحيانا مع ملاحظة بعض النشاط السياسي للأحزاب الوطنية، وقيام الإدارة المحلية بمراقبة صارمة لهذه الأنشطة، وركزت هذه التقارير على انشغالات السكان المسلمين والأوربيين معا، من خلال التطرق للأوضاع الداخلية السياسية والإدارية ومتابعة سكان العمالة للأوضاع الخارجية؛ كالقضية الفلسطينية والأزمة الكورية ووفاة ستالين السوفيتي، وصدت لنا أيضا الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية

التي عرفتها المنطقة، حيث نقلت انشغالات السكان، من جفاف ضرب المنطقة ، تسبب في نقص المحاصيل الزراعية بتابلات والعديد من المناطق المجاورة لها، وعرجت هذه التقارير إلى أوضاع الشركات الفلاحية ، مركزة على الفرق الفلاحية الموجهة S.A.R "لسيدي لكروت" ووضحت لنا، بأنه قد دخل الشركة الاحتياطية للأهالي SIP حوالي 1300 قنطار من الجيوب ، بمعدل 6 قنطار في الهكتار الواحد و هو إنتاج منخفض بسبب الجفاف .

ونظرا لاهتمام مسؤولي عمالة الجزائر بمنطقة تابلات ، فقد أرسلت المدرسة الفلاحية "لميزون كاري" "Maison Carrée" الحراش حاليا" للتدريب الميداني لطلبتها في التعاونية الفلاحية لتابلات ، مما يجعلنا نستنتج الدور الزراعي والاقتصادي الذي لعبته هذه البلدية في تدعيم الإنتاج النباتي والكروم وكذلك إنتاج العسل ، حيث أنتج أحد المعمرين حوالي 47 كلغ و 500 غرام منه وهو المدعوب "لوروي" Jeroy، حسب تقرير الحاكم الإداري للبلدية و قام هذا الأخير بتدعيم ثلاثة فلاحين مسلمين بخلايا النحل لتوسيع هذا الإنتاج بالمنطقة ، وأشارت هذه التقارير أيضا إلى الأوضاع الاجتماعية لسكان المنطقة بنقص المرافق الصحية وانتشار البطالة باستثناء أيام موسم الحصاد أو الأعمال الموسمية الأخرى⁽⁸⁾.

نستخلص مما سبق ذكره بأن عمالة الجزائر ، كانت ذات كثافة سكانية عالية ، وتنتشر بها عدد كبير من البلديات المختلطة والمراكز البلدية و القرى الفلاحية ، التي شكلت النواة الأساسية للأحزاب الوطنية المطالبة بالحرية ورفض الاستبداد والقمع ، وكانت تابلات إحدى هذه البلديات الهامة التي تطرقت لها التقارير الأمنية الاستعمارية بشكل مفصل في شتى الميادين ، وبذلك شكلت في نظرنا قاعدة خلفية لنشاط الحركة الوطنية والثورة المسلحة ، رغم طابعها الفلاحي والريفي وهذوء سكانها ، لكن التسلط الاستعماري على أبنائها جعلها تتبنى العمل السياسي المناهض للإدارة الاستعمارية ، حيث انخرطت في العمل الوطني وساهم أبنائها في هذا النشاط، فتعرضوا للمضايقة والتعذيب باعتراف

التقارير الأمنية الاستعمارية نفسها؛ التي كانت تحمل صيغة سري جدا، ذلك ما سنحاول أن نتعرف عليه في العنصر الموالي لهذه الدراسة

2 - القمع الاستعماري المسلط على نشاط الحركة الوطنية بالمنطقة

نظرا للكم الهائل من الوثائق السرية للأجهزة الأمنية الاستعمارية، التي اطلعنا عليها حول نشاط الحركة الوطنية، فإنني سأركز على بعضها من أجل معرفة المضايقات الكبيرة لنشاط الحركة الوطنية بالمنطقة.

1/2 - مراقبة الإدارة الاستعمارية للنشاط السياسي للسكان الجزائريين

أشارت العديد من التقارير الخاصة بهذا الموضوع ، إلى قيام الأجهزة الأمنية في الجزائر المستعمرة بمراقبة نشاط الحركة الوطنية في عمالة الجزائر و دائرة المدينة و البلدية المختلطة لتابلاط ، موضحة قيام الإدارة المحلية بالضغط على سكان المنطقة وإجبارهم على الابتعاد عن العمل السياسي باستخدام عدّة أساليب قمعية بإرسال جواسيس ومخبرين ومتعاملين من السكان المحليين مع الإدارة الاستعمارية، لتخويف الجزائريين في مقاهي الأهالي المعروفة بالموريسكية *maure* ، ومتابعة بعض النشطاء مثل ما حدث في بلدية "باليسترو" المجاورة لتابلاط للمناضل "ناظور عمر" بوضعه في السجن و هو من دوار "بني خلفون" بسبب نشاطه السياسي (9).

وفي تقرير آخر لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية من إضاء "الحسين لحول" الأمين العام للحركة ، مرسل للأمم المتحدة : " يتحدث فيه عن مجموع الأحداث التي وقعت في الجزائر ... " وورد في هذا التقرير أهم الأحداث التي وقعت بعمالة الجزائر ، بقيام الشرطة الاستعمارية بعدّة بلديات بإلقاء القبض على مناضلين سياسيين من منطقة "الأربعاء" و التضيق على مناضلي منطقة "تابلاط" بدائرة "المدينة" من خلال توقيفهم و منع الاحتجاجات والمظاهرات المؤيدة للزعيم "مصالي الحاج" (10) .

وكان للأحزاب الوطنية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، نشاط سياسي واجتماعي وثقافي بالمنطقة، من خلال التجمعات وإقبال واسع للجزائريين للانخراط فيها والمساهمة في توعية سكان الأرياف و القرى، والقيام بالأعمال الإنسانية والخيرية للفقراء والتحدث مع السلطات الاستعمارية المحلية، برفع انشغالات الجزائريين وشكواهم ضد بعض تجاوزات أعوان الإدارة. إضافة لقيام بعض الأحزاب الأوربية كالحزب الشيوعي الجزائري PCA و الحزب الاشتراكي SFIO بمحاولتهما استمالة الجزائريين بالدفاع عنهم ورفع انشغالاتهم في المجالس المنتخبة "بالمتربول" (11).

يمكننا أن نستخلص أن الحركة الوطنية، قامت بدور بارز في التوعية والنشاط الدؤوب لفضح الممارسات القمعية، التي سنحاول أن نتناولها في العنصر الموالي لهذه الدراسة.

2/2 - القمع القضائي والأساليب البوليسية المطبقة على الجزائريين (1945 - 1954)

قامت الباحثة الفرنسية "تينو سيلفي" (S) Thenaut بنشر دراسة حول القضاء الاستعماري (12)، موضحة أنه قضاء غريب و قد تتبع جميع مراحل القضاء القمعي المسلط على الجزائريين، منذ إصدار المراسيم والقوانين الجزرية الخاصة بالأهالي، و هي عبارة عن إجراءات جزرية استمرت قرنا كاملا ما بين 1844 و 1944؛ وُضع من خلالها الجزائريون في سجن كبير .

وخلال تصفحنا للعلب الأرشيفية بإكس بروفانس (أرشيف الإدارة الاستعمارية للجزائر)، عثرنا على عدّة وثائق تتضمن تقارير دورية لجهاز الاستخبارات الفرنسي المعروف ب (س.ل.نا) SLNA و مصلحة الشرطة العامة للاستعلامات PRG (13)، كتبت و نقلت في تقاريرها بشكل مفصل القمع الاستعماري المسلط على الجزائريين بعمالة

الجزائر بشكل عام و من بينها تقارير عن دائرة المدينة و البلدية المختلطة "لتابلان"، فأشارت بعضها إلى القمع القضائي الذي سلط على بعض المناضلين السياسيين ، من خلال محاكمة مجموعة منهم بمحكمة الجنايات بمدينة "نونت Nantes" الفرنسية باتهامات عشوائية بسبب انتمائهم السياسي وذكرت بشكل واضح : " أنه كلما قبض على جزائري ، يحاكم بقسوة ويعذب و هناك شرطة مختصة لهذا الغرض ...".

والغرض من هذه التقارير هو إطلاع المسؤولين الفرنسيين بشكل دقيق مما يجري في الجزائر وأن السلطات المحلية والأمنية تتابع بشكل كثيف مما يجري في هذه البلديات ، وكانت هذه التقارير تحمل عبارة "سري جدا" .

ومن جهة أخرى تطرقت هذه التقارير¹⁴ ، إلى استخدام الأجهزة الأمنية لترسانة من أساليب القمع والتعذيب منها:- خراطيم المياه والغطس في الماء واستخدام الأدوات الكهربائية .

وقد ذكر المفرج عنهم من سجن البليدة، هذه الأساليب ، من خلال شكاوهم للنائب العام لقضاء الجزائر حول ممارسة المكلفون بالتحقيق معهم في مراكز الاعتقال قبل تحويلهم إلى سجن البليدة . و قد ورد في دراسة خاصة " بحرب الجزائر" (15): " بأن القمع كان واضحا فيما بين 1947 و 1954، ففي الجزائر قد يتعرض أي مواطن مسلم للاعتقال ولأقصى العقوبات بمجرد الكتابة أو النطق بعبارات تسيء للسيادة الفرنسية في الجزائر كالاستقلال أو القيام بتوزيع نشرات أو جرائد معادية لفرنسا".

وأشارت تقارير أخرى لجهاز الاستعلامات الفرنسي (اسلنا SLNA،) لعدّة شكاوي ، أرسلت في سنوات 1950 و 1951 و 1952 إلى النائب العام حول ظروف اعتقالهم وكيفية الاستنطاق والاستجواب وممارسة التعذيب في حقهم، منها¹⁶:

- رسالة شكوى من السيد "شريان أحمد" من منطقة "المدية" ، حيث تم القبض عليه من قبل جهاز أمنها وقال في شكواه: "أنني بقيت في المعتقل لمدة 48 ساعة دون أكل و لا شرب ، وقد تلقيت ضربات مستمرة بالأرجل و بعدها تم نقلي إلى "فيلا" خاصة بالتعذيب في مدينة الجزائر يوم 20 أبريل 1950، و تم نزع ثيابي و بقائي لمدة طويلة في العراء و تلقيت نفس التعذيب الذي عرفته بالمدية ، حيث تم غطسي في الماء لمرات عديدة ، وهو ماء بارد و ملوث ، و بعده ذلك تم اقتيادي إلى قاضي التحقيق ب"تزي وزو" للاستجواب ، حيث تم تهديدي في حالة التراجع عن محضر التحقيق الذي أرغمت على توقيعه بالقوة ... و اشتكى أيضا في رسالته من بعض رجال الأمن أمثال "راميدي" ramidi و"هافارد" havard وآخرون .

و في تقرير آخر خاص منطقة تابلاط¹⁷ ، حيث يعرض مجموعة من المناضلين السياسيين حركة الانتصار للحريات الديمقراطية MTLD ، إلى التعرض للسنن و العقوبات المالية، وهم كالاتي:

- بوبكر دراجي من أوامال(سور الغزلان)
- وضاح العاتق من //
- سعيدوني مصطفى من تابلاط
- براهيمى الشارف من //
- بن العالم العالم من //
- دروجي الطاهر من //
- حدو محمد من //
- عثمانى العيد من //
- سعيدون ابراهيم من دوار زيانة بتابلاط
- قرواني مهدي من //
- مزيان تركي و فرحاني عمار و فرحاني محمد من نفس الدوار .

وتمّ الحكم عليهم ما بين ستة أشهر و سنة سجنا و عقوبة مالية تراوحت ما بين ستة آلاف فرنك و عشرة آلاف فرنك .وأشارت هذه التقارير إلى القمع المسلط، باستخدام أساليب رديئة في حق الجزائريين الممارسين للعمل السياسي ، بذريعة محاربة الحركات الانفصالية، حسب تعبير الإدارة الاستعمارية الفرنسية . وكانت الأجهزة الأمنية تستغل بعض الأحداث للتنكيل بالوطنيين بعد اكتشافها للمنظمة الخاصة (O.S) ، بالقطاع القسنطيني ، التي قامت بحملات تفتيش واسعة في حق المناضلين بمنطقة تابلان و ضواحيها⁽¹⁸⁾، واعتقال كل مشتبّه فيه ؛ حيث تناول تقرير مفصل للعناصر الخطيرة بالمنطقة و ضرورة التصدي لها .

ونظرا لهذه الممارسات البوليسية في حق المناضلين الوطنيين بعمالة الجزائر ، نتج عنها ردود فعل عديدة ، تمثلت في حدوث موجة من الاحتجاجات والاستنكارات للقمع المسلط على الحركة الوطنية من قبل زعماء بارزين أمثال "فرحات عباس" و "مصالي الحاج"، حيث تطرقت جريدة "الجي روبيوكان" اليسارية⁽¹⁹⁾ في مقال لها تحت عنوان ، "مجموعة من أساليب القمع" وضحت من خلاله: "أن حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، أصدرت بيانا حول الموضوع قالت فيه، أن معلومات واردة تشير إلى القمع الاستعماري المستمر بشكل وحشي... " ، و أضافت أيضا : " أن أجهزة الأمن للاستعلامات العامة تريد إيجاد جو غير آمن ، بهدف تبرير قمعها للوطنيين ... " وأردفت موضحة عل لسان البيان السابق ذكره : "أن ذلك لا يخيف الجزائريين الذين يتطلعون إلى تحقيق السيادة الوطنية المفقودة ...".وأضافت نفس الجريدة في عدد آخر لها²⁰: " أن منتخبي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية والحزب الشيوعي الجزائري للمجلس البلدي "الحسين داي" ، تقدموا بالتماس ينتقدون فيه القمع و يطالبون بإطلاق سراح المعتقلين السياسيين ، وطالبوا من السكان المسلمين اليقظة من أجل تحقيق الحرية... " .

أما إحدى أعضاء المجلس العام لعمالة الجزائر ، وهي ممثلة يسارية ، فقد انتقدت العنف المفروض على الجزائريين من قبل الإدارة ، و صرّحت بأنها متضامنة مع المسلمين الجزائريين الذين يتعرضون للقمع منذ 130 سنة²¹ .

ولمقارنة ما ورد في هذه التقارير السرية ، باعتراف الأجهزة الأمنية ، حول سياسة القمع المطبقة في الجزائر ، مع تقارير الحاكم العام للحكومة العامة في الجزائر، المرسلة إلى وزير الداخلية الفرنسي ، نجده يبرر هذه الأفعال من خلال إشارته إلى الأنشطة الخطيرة لحزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ، وفي المقابل نجد تقرير آخر يورد بأن مجموعة من المناضلين السياسيين للحزب تظاهروا بمدينة الجزائر ضد تصرفات رجال شرطة الاستعلامات العامة PRG⁽²²⁾، مما لا شك فيه أن هذه التقارير تعترف بوجود قمع، لكنها حاولت تبريره بمحاربة الانفصاليين والرافضين للسيادة الفرنسية .

ولهذه الغاية نجد بعض ممثلي السكان المسلمين من الأحزاب الوطنية واليسارية ومناضلي حقوق الإنسان يتعاطفون مع الجزائريين ، من خلال رفع انشغالهم بالمجالس المحلية و الجهوية ، ذلك ما سنحاول التطرق له في العنصر الموالي لهذه الدراسة.

3 - دور منتخبي المنطقة في رفع انشغالات السكان بالمجلس الجهوي لعمالة الجزائر

إن التطرق لهذا الموضوع ، هو تكملة لدور الحركة الوطنية في المجالس المنتخبة ، في عرض مشاكل السكان المسلمين على المستوى الجهوي ، باعتبار أن المجلس العام يمثل جميع دوائر وبلديات العمالة ، ومن بينها دائرة المدينة وبلدياتها، منها البلدية "المختلطة لتابلاط" . وأن هؤلاء الممثلين للسكان من المستقلين المسلمين والمؤيدين للإدارة الاستعمارية وبعض أعضاء الأحزاب الوطنية ، كانوا يدافعون في تدخلاتهم عن السكان المسلمين⁽²³⁾ .

وعند إطلاعنا على قائمة المنتخبين للهيئة الثانية لهذا المجلس وجدنا أسماء بارزة ، من بينهم ممثلي دائرة" المدينة " أمثال " بوشنافة محمد " و فارس عبد

الرحمان" من بوغاري و هما شخصيتان بارزتان في هذا المجلس ، قاما بالدفاع عن سكان المنطقة ورفع انشغالاتهم الاقتصادية والاجتماعية ، كقلة المرافق الصحية والتعليمية وانتشار البطالة في صفوف المسلمين، وكان المجلس العام في العديد من دوراته ، يقوم بمناقشة السياسة العامة للحكومة في الجزائر، وحكامها العامون، أمثال "نايجلان" "Naegelan" و ليونارد Leonard، بالتطرق للمسائل الاقتصادية والاجتماعية، إضافة إلى تدخل أعضاء الحزب الشيوعي في المسائل السياسية الخاصة بالقمع الاستعماري ، مما كان يثير تحفظات والي العمالة ويقوم برفع الجلسات معتبرا أن هذا المجلس لا يخوله القانون بالتحدث في المسائل السياسية⁽²⁵⁾.

وكان أعضاء المجلس العام من الوطنيين والشيوعيين ، يقومون بتقديم التماسات ، حول العفو وإطلاق سراح المسجونين السياسيين والضغط على الحكومة العامة ، لترفع هذا الانشغال إلى حكومة المتربول⁽²⁶⁾.

إن دور أعضاء المجلس العام لعمالة الجزائر ، كان مهما في مناقشة جميع المسائل الانشغالات الخاصة بسكان المنطقة ، الذين كانوا يعودون إلى بلدياتهم ودوائرهم للالتقاء بالسكان ورفع انشغالهم المختلفة .

ونظرا للتعتيم الإعلامي للإدارة الاستعمارية ، وممارستها الضغط المستمر من قبل أجهزتها الأمنية ومؤيديها من بعض السكان المحليين ، سئمت الحركة الوطنية ذات الاتجاه الاستقلالي من هذه الممارسات ، ولم تجد بدا من استخدام أسلوب المقاومة المسلحة للضغط على هذه الإدارة لتستجيب لتطلعات الجزائريين ؛ حيث كانت عمالة الجزائر ومنطقة تابلاط مع موعد جديد للتاريخ ، في يوم الفاتح من نوفمبر 1954 .

4- مشاركة منطقة تابلاط في ثورة التحرير خلال الفاتح من نوفمبر 1954

شهدت عمالة الجزائر كغيرها من مناطق الوطن الأخرى ، اندلاع الثورة المسلحة ليلة لأول نوفمبر 1954 ، ولم تغب منطقة تابلات عن هذا الحدث الهام .

وقام الحاكم العام للجزائر "ليونارد" بإرسال تقرير مفصل إلى وزير الداخلية الفرنسي يوم 07 نوفمبر 1954 حول الوضع العام في الجزائر²⁷ ، و جاء فيه سرد لأهم الأعمال الإجرامية حسب وجهة نظره ، ومنها مهاجمة المنشآت العمومية بتابلات وقطع خطوط الهاتف الرابطة بين "فيالار" "تسيمسيلات حاليا" ومدينة الجزائر ، وتحدث التقرير عن تحرك الأجهزة الأمنية باعتقال الأشخاص المتورطين . واعتقل العديد من أبناء تابلات المتعاطفين والمنخرطين في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية .

ونتيجة لهذه الأحداث، عرفت المنطقة حملة قمع واسعة استهدفت السكان المسلمين ، حيث أكد الحاكم العام روني ليونارد هذه السياسة المنتهجة في الجزائر أمام الجمعية الجزائرية⁽²⁸⁾ ، من خلال التفاصيل عما وقع ليلة أول نوفمبر حيث قال: " أنني تلقيت أنباء عن أحداث ليلة 31 أكتوبر من قبل التقارير الأمنية والجزائريين... " ، وقد اعتبرها أعمالا إجرامية، وأضاف أنه بعد ثمانية أيام ، فإنه قد تلقى دعما من وزارة الداخلية للجزائر من أجل الحفاظ على أمن الجزائر حسب اعتقاله .

ومن جهة أخرى قال في خطاب آخر له أمام الجمعية الجزائرية يوم 16 نوفمبر 1954 : " أتأسف للقتلى و نظرا للأحداث ، وانخراط حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في هذه الأعمال ، فإنني طالبت من الحكومة حلّ هذا الحزب" ⁽²⁹⁾ .

يعتبر ذلك في نظرنا ، استخدام فرنسا في الجزائر لسياسة القمع عشوائي ، دون تحليل للظروف والوقائع التي أدت بالشعب الجزائري إلى رفض السيطرة الاستعمارية واستخدام وسائل العنف الثوري ، بعد ما جرب معها الأساليب السلمية لمدة طويلة.

ومن جانب آخر عرض السيد "جين فان جور"⁽³⁰⁾ "jean van jour" ، مدير الأمن العام عرضا عن الجرحى و القتلى الذين سقطوا يوم عيد القديسين ، وقال : " إنني أتعهد بتحقيق الأمن في العمالة والمناطق التي وقعت فيها الأحداث ...". و ذكر أيضا مختلف العمليات بالتفصيل التي وقعت بمنطقة لأوراس وبعماله الجزائر ومنطقة القبائل و منطقة الظهرة بمستغانم ، تمثلت حسب رأيه في اغتيالات ومهاجمة ثكنات الدرك و قطع وسائل الاتصال، و حاول تحليل هذه الأحداث ، مستفسرا عن كيفية تمكن هذه المجموعات من تنفيذ هذه العمليات ، رغم السياسة الأمنية المتشددة، وهو اعتراف بالقمع والزجر المسلط على الجزائريين ، وعرج إلى المعلومات الأمنية المتوفرة لديه عن حركة الانتصار وانقسامها و بروز جماعة من الأفراد التابعين للمنظمة الخاصة وعلاقة ذلك بالأوضاع الدولية ، و قال : " أن الجهات الأمنية كانت لديها العديد من المعلومات ...". و قدّم تبريرات حول نجاح هذه العمليات أمام الجمعية الوطنية قائلا : " إن شرطة الاستعلامات العامة جاهزة لحراسة الأجانب و مراقبة الوضع العام ...". ، و طالب من المتربول مساعدة الجزائر على الاستقرار ؛ وأشار أيضا لحملة الاعتقالات، التي مست الجزائريين بدوائر عمالة الجزائر، مركزا على بعضها و منها :

- توقيف ثلاثة أفراد من "شون مارشال "

- توقيف 11 شخص من "أومال" ذراع الميزان.

- // 09 // بياعلي

- // 04 // بوفاريك

- // 16 // الصومعة

نجد أن هذه الإحصائيات، لا تعكس حقيقة ما جرى في الأيام الأولى لاندلاع الثورة التحريرية من خلال تقارير أخرى أشارت إلى اعتقالات واسعة في صفوف حركة الانتصار⁽³¹⁾، و نعتقد من جانبنا، بأنه حاول التقليل من الأحداث، و تجنب الحديث عن السياسة القمعية التي سلطت على الجزائريين.

خلاصة

تطرقنا في هذه الدراسة المتواضعة إلى الإجراءات و الأساليب البوليسية القمعية، التي شهدتها عمالة الجزائر ومنطقة تابلط على وجه خصوصاً، باستخدام حرب إبادة في حق السكان العزل، لما تعرض له الجزائريون بالبلديات المختلطة، التي كانت تسير من قبل حكام مدنيين غير منتخبين ، كانوا ينفذون السياسة القمعية بشكل زجري وقمعي في حق الجزائريين ؛ ورغم هذه السياسة القمعية ، فقد شاركت منطقة تابلط في الحياة السياسية الوطنية . وكشفت لنا الوثائق المطع عليها ، أن المنطقة كغيرها من البلديات المختلطة ، التي توجد بها كثافة سكانية كبيرة من الجزائريين ؛ كانت تخضع لقوانين صارمة واستثنائية بالضبط عليهم ومنعهم من النشاط السياسي ، وتعريض أبنائها للاعتقالات والمطاردات ومصادرة أراضيهم (32).

وقد قامت الأجهزة التنفيذية للبلديات المختلطة والكاملة الصلاحيات والدوائر والعمالات ، بإرسال تقارير مفصلة قبل سنة 1954 إلى الحكومة العامة في الجزائر ، تشير إلى الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية ؛ حيث جمعت هذه التقارير في ملف شامل تحت عنوان " الجزائر في نصف قرن من خلال تقارير السلطات المحلية في الجزائر (33).

ولهذه الغاية استخلصنا بعض النتائج الخاصة بهذه الدراسة في ما يلي :

- اعتبرت منطقة تابلط منطقة إستراتيجية، باعتبارها منطقة إسناد لمدينة الجزائر وهمزة وصل مع دوائر عديدة كالمدينة و تيزوزو و البلدية .
- شارك سكانها في الحياة السياسية ، بانخراط أبنائها في الأحزاب الوطنية .
- تعرضت المنطقة لقمع أمني ومضايقات على النشاط السياسي، باعتقال العديد من المناضلين وفرض العقوبات المالية عليهم، و قيام الإدارة الاستعمارية بحملة تهديد لسكانها خلال اندلاع الثورة التحريرية.
- ساهمت منطقة تابلط، في أحداث التاريخ الوطني وقدمت الشهداء ودفعت ثمنها غالياً، بسبب دورها النضالي في جميع محطاته ، وإننا كباحثين عن الحقيقة

التاريخية نشهد ، بأن المنطقة كان لها دورا بارزا خلال نضال الحركة الوطنية من خلال قراءتنا المتواضعة للوثائق الخاصة بنشاط الحركة الوطنية بهذه المنطقة، مما جعلها من بين المناطق الأولى التي ساهمت في تفجير الثورة المسلحة في الفاتح نوفمبر 1954.

الهوامش

1- Archive d'outre Nationale d'Outre mer a Aix en Provence (ANOM)boite N°19H/22 , communes mixtes , département d'Alger /

- ANOM, boite N° 4I/ 226, département d'Alger , répression et méthode policière contre le MTLD (1948- 1954).

2 – Aron ®, les origines de la guerre d' Algérie ed, fayard , Paris , S.D p p 175 – 176

Cf, Boyer(P), de L'Algérie Médiane (Ancien département d'Alger) , 1830 – 1956), ed ,librairie d'Amérique et d'Orient , 1960 , Paris p p 282 – 184.

3 – Archive Nationale de France boite N° 4AG/ 284, questions Musulmanes .

4 – ibid

5 – ANOM , boite N° 81f/41, création de nouveau départements et arrondissement En Algérie .

6 – ibid, boite N°81F/ 10, Situation Politique et Economique et Sociale de L'Algérie ,

Dossier , communes mixtes , réformes

Administratives ,1951

7 – ibid boîte N° 19H/22/ communes mixtes ,
département d'Alger

8 – ibid , Gouverneur Civil de Tablat / mois de
juillet 1951.

Cf, // // le 31 Mars 1953.

9 – ANOM, boîte N° 19H/ 22 , communes mixte
de Paléstro , le 02 Juin 1951.

Cf, Alleg(H) et Autres La Guerre D'Algérie , ed ,
Temps Actuelle S.D, p p 300 – 303.

10 – ANOM , boîte N° 81F/ 878, Les Incidents En
Algérie , Rapport du MTLD à L' O .N.U
Le 26 octobre 1952.

11 – ibid , boîte N° 81F/ 80, Assemblée et Elus
dans les Conseils du Métropole .

12 – Thénault (S), Une Drôle de Justice , les
Magistrats dans la Guerre D'Algérie , ed la
découverte , Paris XIII, 2001, p p 15 – 22 .

13 – ANOM, boîte N° 4I / 226, op cit

14 –ibid, département d'Alger.

15–Alleg(H) et Autres , op cit , p 302.

16 ANOM, boîte N° 4I / 226, op cit.

و ينظر الملحق رقم 01 الخاص بمجموعة المناضلين التابعين لحركة الانتصار
للحريات الديمقراطية الذين تعرضوا للسجن والعقوبات .

- 17 ANOM, boîte N° 4I / 226, Rapport des condamnés, de Tablat , PRG, Aller, le 02 novembre 1948.
- 18 – ibid boîte 4I/ 224 Organisation Secrète ,, Rapport du PRG le 30 Mars 1953
- 19 – Alger Républicain , le 21 – 02 – 1951
- 20 – ibid le 23 – 03 – 1951 .
- 21 – ibid le 17- 10 – 1952 .
- 22 – ANOM, boîte N°81F/ 878 , Les Incidents En Algérie , Rapport du Gouverneur Général au Ministre de L'Intérieure en 1952.
- 23 – Conseil Général D'Alger , délibération le 02 Juin 1947.
- 24 – Dépêche Quotidienne D'Algérie le 16 – 10 – 1951.
- 25 – ANOM, boîte N°81F/ 714, Rapport Du Préfet au Ministre de l'intérieure, sur le Conseil général D'Alger du 16 au 30 Avril 1951.
- 26 – ibid le 26 – 10 – 1951/
- 27 – ANOM, boîte N°81F/ 878 , Les Incidents En Algérie , le 1^{er} Novembre 1954 Rapport du G. G . de L'Algérie au Ministre de l'intérieure .
- 28 – Gouvernement Général de L'Algérie ,Mr Roger Léonard , les Evénements D'Algérie , Discours et Allocation , Exposé des Commissions

du Gouvernement devant l'Assemblée Algérienne
du 01 au 26 – 11– 1954 , Imprimerie officielle ,
Alger .p p 4

29 – ibid p 10 – 11.

30 – ibid p 11.

ANOM, boîte N°81F/ 878 , Les Incidents En

31 – Algérie, op cit

32- رسائل جامعية عديدة تناولت هذا الموضوع منها:

- بن داهة عدة، ظاهرة الاستيطان و الصراع على الأرض بين الجزائريين و
المستوطنين ، رسالة دكتوراة تحت إشراف ، فغور دحو قسم التاريخ و علم الآثار
، جامعة ألسانيا وهران 2008 ص ص 409 – 535

- بليل محمد ، تشريعات الاستعمار الفرنسي في الجزائر و انعكاساتها على
الجزائريين بين 1881 و 1914،القطاع الوهراني نموذجا ، رسالة ماجستير تحت
إشراف مهديد ابراهيم ، قسم التاريخ و علم الآثار ، جامعة ألسانيا وهران ،
2006 – 2007 ، ينظر فصل عن التشريعات العقارية :ص ص 58 – 108

33 – G.G.A , L'Algérie du Demie Sicle, Vue par
les Autorités Locales 1954.

تناولت هذه التقارير مختلف أوضاع السكان المسلمين بالبلديات و الدوائر ، من
وجهة نظر السلطات المحلية الاستعمارية الفرنسية .

و قام الأستاذ شنتوف بدراسة حول نفس الموضوع :

Chentouf (T), L'Algérie en 1954 , Document
d'archives , OPU Chapitre N°III p p 177 – 20

الملاحق :

الملحق رقم 01: يتناول وثيقة خاصة بمجموعة مناضلي حركة الانتصار

للحريات الديمقراطية من تابلاط

اعتقلوا بسبب نشاطهم السياسي ، أنظر: CAOM boite N° 4I/226

الملحق رقم 02: شكوى لأحد المعتقلين بسجن البلدية للنائب العام لقضاء

الجزائر ، أنظر:

CAOM boite N° 4I/226

ALGER LE 2 NOVEMBRE 1948.

P.R.
POLICE DES RENSEIGNEMENTS
GÉNÉRAUX
DU
DISTRICT D'ALGER.
N°

- R A P P O R T -

J'ai l'honneur de vous faire connaître que dans son audience du 29 OCTOBRE 1948, le Tribunal Correctionnel d'ALGER a prononcé les condamnations suivantes :

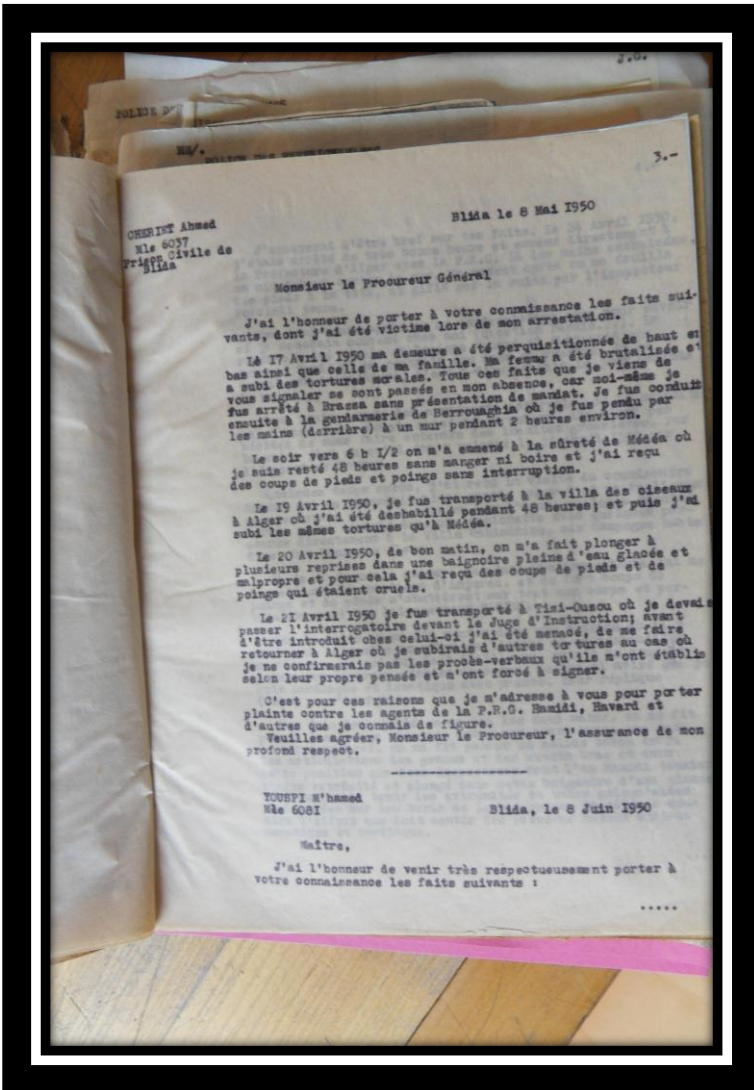
- <u>SAADI Ahmed ben Yahia,</u>	d'ALGER ou de la banlieue Algéroise - 8 mois de prison - 20.000 Frs d'amende.
<u>ABDELLI Abdelkader,</u>	demeurant au même lieu - relaxé.
- <u>BOURKEUR Derradji,</u>	Originaire d'AUMALE - 1 an de prison - 20.000 Frs d'amende - privation des droits électoraux pendant 10 ans.
- <u>NATLI Aïssa,</u>	Originaire d'HUSSEIN DEY - d°
<u>OUADAH El Hattek</u>	Originaire d'AUMALE - relaxé.
- <u>BISSER Ahmed,</u>	Originaire d'ALGER - 8 mois de prison - 20.000 Frs d'amende.
- <u>MOALI Ahmed,</u> Conseiller Municipal à EL BIAR	- 18 mois de prison - 20.000 Frs d'amende, privation des droits électoraux pendant 10 ans.

Les intéressés affiliés au M.T.L.D. - P.F.A. étaient poursuivis du chef d'atteinte à l'exercice d'un droit électoral (ART. 109 du Code Pénal).

Le Commissaire Divisionnaire de la P.R.G.
Chef du District d'ALGER.

ET TRANSMIS à :
LE PREFET (Cabinet)
LIATIONS à :
LE PREFET (Police Générale)
BRINGARD Directeur Général
la Sécurité Générale.

Signé, G. COSTE



أحباس الكتب المخطوطة في المغرب الأوسط
مواصفاتها وأشكال الانتفاع بها - (7-10هـ / 13-16م)
كروم عيسى
أ.د عبد العزيز فياللي
جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2

الملخص

كانت الكتب المخطوطة من بين أنواع الأحباس التي سارع الناس في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط إلى تجميعها على المكتبات الخاصة، والعامّة في المساجد و المدارس و الزوايا، لينتفع بها المدرسون وطلبة العلم؛ فقد صاحب بناء المساجد والمدارس إنشاء الخزائن وتجميع الكتب العلمية والدينية عليها، من طرف السلاطين ومن طرف عامة الناس؛ وكان للكتب المخطوطة المحبسة خصائص انفردت بها، مثل كتابة حبس في أولى أوراقها وفي بعض أوراقها الداخلية لتمييزها عن بقية الكتب الأخرى؛ كما كانت لها ضوابط شرعية وقانونية لاستغلالها حيث كانت تخضع لشروط محبستها، كأن لا يخرج من المكتبة أو القراءة دون النسخ، كما كان هناك تمييز في الاستغلال بين الكتب والمصاحف.

الكلمات المفتاحية: الحبس، الوقف، المخطوطات، المكتبات، الخزائن

Manuscripts were among the types of waqf that people rushed, in the central Maghreb during the middle ages, to waqf in private libraries in mosques, schools and Zaouias so as to benefit teachers and students. The building of mosques and schools came along the establishment of cabinets and making of habous (wakf) of scientific and religious books, in them, by sultans and the general

public as well. Wakf manuscripts had characteristic property them like writing "Habous" on the first sheet and on some of the sheets inside in order to differentiate them from the other books. They also had legitimate and legal rules to use them since they were subject to the terms of people who put them in waqf such as not to let them come out of the library without coping as there was also distinction between the exploitation of books and Korans.

Keywords ; habouse, wakf, Manuscripts, libraries, religions books

مقدمة

الحبس أو الوقف¹ نوع من الصدقات الجارية التي حثت الشريعة الإسلامية عليها، كما يعتبر من أعظم أعمال البر و الإحسان، يسعى صاحبه من ورائه التقرب إلى الله وابتغاء الجزاء في حياته وبعد مماته؛ عرّف الفيروزآبادي الحبس بأنه كل شيء وقفه صاحبه من نخل، أو كرم أو غيرها فيحبس أصله ويسبل غلته. والحبس من الخيل الموقوف في سبيل الله، وقد حبسه وأحبسه. وأضاف أنّ تحبيس الشيء يعني أن يُبقي أصله ويجعل ثمره في سبيل الله.² وجاءت مشروعية الوقف استناداً على مجموعة من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، نذكر منها قوله تعالى ﴿يُنَبِّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخْتَرَ﴾³، وقوله تعالى ﴿لَنْ تَنَالُوا

الرَّبِّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ. ﴿٤﴾ وفي السنة
عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ
انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَكْدٍ صَالِحٍ يَدْعُو
لَهُ " ⁵، وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم " إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ،
وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ
نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ " ⁶

وقد تنوعت الأحباس ما بين ممتلكات عقارية، وممتلكات منقولة، كما مسّت
مختلف مجالات الحياة ثقافية، واجتماعية ودينية واقتصادية، ففي المجال الثقافي ركز
المسلمون على بناء المدارس، والمساجد والزوايا وتزويدها بالكتب؛ وكان لهذه
الأخيرة عناية كبيرة من طرف المسلمين رواية وكتابة وإقراء وتأليفا وذلك لأهميتها
العلمية، ودورها في خدمة العلم. ⁷

وانطلاقا من هذا الباب سارع بعضهم إلى تجميع الكتب بمختلف أنواعها على
المكتبات الخاصة، و العامة في المساجد و المدارس و الزوايا، من أجل الانتفاع بها
سواء من طلبة العلم أو من المدرسين.

تأسيسا على ما سبق تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن سّنة تجميع الكتب
ومواصفاتها وأشكال استغلالها من خلال الإجابة على الأسئلة التالية: إلى أي
مدى وصلت عناية أهل المغرب الأوسط بجس الكتب؟ ومن هي الفئات
المحبّسة؟ وما أنواع الكتب المحبّسة؟ وكيف كانت تستغل كتب الأحباس؟

1 - الاهتمام بإنشاء المكتبات ووقف الأوقاف عليها

كان لتشييد المدارس في المغرب الأوسط دور كبير في تنشيط الحركة العلمية، ولم يكن بناء المدارس وحده كافيا لنجاح العملية التعليمية دون رصد الأموال تخصص لنفقات و أجور القائمين عليها، ويظهر ذلك جليا ما قام به أهل البر و الخير من حكام ومحكومين في تحييس الأموال على مختلف المؤسسات التعليمية؛ وكانت المدارس أهم المؤسسات العلمية المستحدثة خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي لتقوم بعملية التعليم، إلى جانب المساجد، والكتاتيب والربط والزوايا التي كانت معروفة منذ مجيء الإسلام إلى ديار بلاد المغرب، حظيت هذه المؤسسات بالناية المادية من طرف السلاطين، فكلما بنيت مدرسة إلا أوقفوا عليها الأوقاف الكثيرة من الأراضي والدور والحمامات والطواحين⁸ وغيرها، ربما من أجل ضمان استمرارها في أداء مهامها العلمية النبيلة؛ ولتكون مصدرا ماليا لجرايات ومرتبات المدرسين والطلبة؛⁹ لقي هذا العمل استحسانا من طرف الناس حتى أصبحت المدارس تستقطب أعدادا كبيرة من الطلبة والمدرّسين إليها، وكانت للمدرسة غرف تابعة لها يسكنها الطلبة،¹⁰ وزيادة على ذلك ومن أجل توفير المناخ الملائم للطلاب تم إنشاء خزائن الكتب وتحييس الكتب عليها سواء في المساجد أو في المدارس لتكون سندا و معيننا تساعد الطلبة على الاستزادة من العلوم المختلفة المصادر.

إن إنشاء المكتبات لم يكن جديدا على أهل المغرب الأوسط، بل كان معروفا عندهم منذ فترة بعيدة، فقد اهتم ولاة الدولة الرسمية من قبل على توفير الكتب وجلبها إلى تيهرت من البقاع البعيدة، دُكر أن البيت الرستمي كان بيت العلوم وجامعا لفنونها، ويبحثون عن الكتب ويسعون للحصول عليها، فقد بعث الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (160هـ - 171هـ / 777-788م)

بألف دينار إلى البصرة ليشتروا له بها كتباً؛¹¹ وكان لأئمة الدولة الرسمية اهتماماً بالغاً في إنشاء المكتبات العلمية التي كانت زاخرة بمختلف أنواع العلوم في العاصمة تيهرت، ومن أشهرها مكتبة " المعصومة"،¹² التي كانت تحوي ثلاثمائة ألف مجلد في مختلف أنواع الفنون، والآداب والعلوم، ولكنها لم تسلم من الحرق على أيدي الشيعة الإسماعيلية أثناء غزوهم لمدينة تيهرت سنة 296هـ/908م، ولم يتركوا فيها إلا ما تعلق بالرياضيات، والهندسة والطب.¹³

ومع تطور الزمن زاد الولوج بإنشاء المكتبات ففي عهد الدولة الحمادية كثرت فيها المكتبات العمومية والمكتبات الخاصة، فمن المكتبات العامة تلك التي كانت متواجدة في المساجد متاحة للجميع، ونذكر على سبيل المثال المكتبة التي كانت في مسجد المنار بالقلعة كانت مملوءة بالكتب المتنوعة المحمولة من أقطار المغرب، و المنقولة عن دروس أساتذة الجامع.¹⁴ وكذلك الخزانة اللتين كانتا موجودتين بباب البهو من أبواب الجامع الأعظم ببلدة قسنطينة الذي يعود بناؤه إلى سنة 430هـ/1038م حيث كان يتردد عليهما العلماء والطلاب للقراءة¹⁵ بالجامع وأما المكتبات الخاصة فكانت تحت تصرف أصحابها وعلى وجه التحديد العلماء منهم والمدرسون، مثل المكتبة التي كان يمتلكها أبو عبد الله بن الحسن بن ميمون التميمي القلعي (ت 673هـ/1274م)،¹⁶ أتاحها للطلاب لا فضل له عليهم فيها، يطبق فيها نظام الإعارة.¹⁷

وفي العهد الزياني ازداد اهتمام أهل المغرب الأوسط بتشييد المكتبات ووقف الكتب عليها مع ازدهار الحركة العلمية، خاصة منذ منتصف القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، حيث كانت المساجد والمدارس تغص بالمصاحف، والكتب المتنوعة من العلوم العقلية والنقلية و الفنون والآداب في خزائنها؛ ومما اشتهر من

المكتبات العامة مكتبة الجامع الكبير بتلمسان، وهي من إنشاء السلطان أبي حمو موسى الثاني (760-791هـ / 1359-1388م)،¹⁸ والتي كانت توجد على يمين المحراب وكان قد دون على بابها، "أمر بعمل هذه الخزانة المباركة السلطان أبو حمو بن الأمراء الراشدين أيد الله أمره وأعز نصره ونفعه بما وصل ونوى و جعله من أهل التقوى وكان الفراغ من عملها يوم الخميس ثالث عشر لذي القعدة عام سبعمائة و ستين"،¹⁹ ولا يستبعد أن يكون قد أنشأ مثلها في المدرسة اليعقوبية التي بناها تخليدا لوالده الأمير أبو يعقوب، فقد احتفل بافتتاح المدرسة احتفالا كبيرا وأكثر عليها من الأوقاف.²⁰

وذكر عن السلطان أبي زيان محمد بن حمو (796 - 801هـ / 1394 - 1399م)²¹ أنه كلف بالعلم حتى صار منهج لسانه وروضة أصفانه، وكان ناسخا للمصاحف ولكتب الفقه والحديث؛²² وأن عناية واهتمام هذا السلطان للعلم والعلماء جعلته ينشئ مكتبة عظيمة "بمقدم الجامع الأعظم بتلمسان، التي هي من مآثره الشريفة المخلدة من ذكره الجميل ما سرت به الركبان، لما أوقف عليها من الأوقاف الموجبة للوصف بجميل الأوصاف"²³ كما كانت الزوايا التابعة لأهل التصوف تحوي العديد من الكتب المحبسة عليها فقد ذكر محمد ابن سعد الأنصاري التلمساني(ت901هـ/1495م) أن زاوية الشيخ إبراهيم التازي بمدينة وهران كانت تحوي على الخزائن المملوءة بالكتب العلمية وآلات الجهاد.²⁴

وظلت هذه المكتبات تؤدي رسالتها العلمية طيلة فترة العصور الوسطى ثم الحديثة، وقد أضيفت إليها العديد من الخزائن إلى درجة أن الفرنسيين اندهشوا لحجم الكتب المخطوطة التي وجدوها فيها أثناء حملتهم على المدن الجزائرية مثل مكتبة عائلة الفكون بمدينة قسنطينة؛²⁵ هذه المكتبة التي توارثتها العائلة عن

الأجداد منذ العصر الوسيط كانت تحتوي على أكثر من ألفين وخمسمائة مجلد أغلبها في الفقه والحديث.²⁶

ومما يؤسف له أن هذه المكتبات لم تعد قائمة، فلا نعرف شكلها ولا حجمها و لا كيف كانت تنظم فيها الكتب، ولكن لا يُستبعد أن تكون كمثيلاتها في الأقاليم المجاورة، فمن خلال الدراسة التي قام بها محمد المنوني حول أنظمة الخزانات العمومية في المغرب الوسيط، حيث تتبع عدة نماذج في كل البلاد المغاربية والأندلس، توصل إلى أنه كان يوجد نوعين لأجهزة وضع الكتب بالخزائن، وهي إما الدواليب المتحركة، و إما الخزانات الحائطية وكلا منهما كان يشتمل على رفوف داخلية توضع عليها الكتب.²⁷ ويبدو أن هذا التنظيم كان يسري على جميع المكتبات التي تحوى عددا كبيرا من الكتب، وهي طريقة مثلى تسمح للباحث الوصول إلى الكتاب بسهولة وتهدف إلى المحافظة عليه من التلف، أما بالنسبة إلى تزويد المكتبة بالكتب فكان الغالب عليها كتب محبسة إما من طرف السلاطين الذين سعى الكثير منهم إلى توفير الكتاب بشتى الطرق، وإما من طرف الخواص و لاسيما العلماء و الفقهاء حيث دأب بعضهم على تحبيس نسخ مما يؤلفون.

2 - أحباس الكتب من طرف السلاطين

تجلت عناية أهل المغرب الأوسط في نشر العلم بتحبيس الكتب بشكل لافت للانتباه، منذ القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، ويندرج تحبيس الكتب من طرف السلاطين في إطار تشجيعهم للعلم، فبالإضافة إلى بناء المدارس، والمساجد أكثرها الأوقاف عليها من الأملاك العقارية ليضمونها لها دخلا قارا، فكانوا يجبسون عليها المصاحف والكتب المتنوعة، لتكون تحت تصرف الطلبة

والمدرسين؛ حيث شهدت فترة العصور الوسطى صعوبة في الحصول عليها من الأسواق فكان بعضهم يقطع أميالاً ليفوز بكتاب خاصة الكتب النادرة، ومن الشواهد على ذلك أن أحدهم في منتصف القرن الخامس الهجري لما سمع بكتاب تفسير القرآن الكريم للإمام عبد الرحمن بن رستم (160هـ - 171هـ / 777-788م) يباع في أسواق القلعة سافر إليها قادماً من ورجلان، غير أنه لم يفلح في الحصول عليه إذ أُخبر بأنه قد بيع.²⁸

و الكتب كانت ولا زالت من أهم الوسائل المساعدة على طلب العلم، ولم يكن الحصول عليها في ذلك الوقت من طرف الطلبة أمراً سهلاً، فقد لا يجد الطالب عمّا يبحث عنه في السوق أو عند الوراقين؛²⁹ ومن أجل ذلك لقيت عملية تحسيس الكتب كل التشجيع من طرف الناس، فأصبحت جل الكتب الموجودة في الخزانات، والمدارس والمساجد تابعة للأحباس، وظلت المكتبات هي الوجهة الرئيسية للمنشغلين بالعلم؛ ولعل قلة الكتب وعدم قدرة الكثير من طلبة العلم الحصول عليها جعل السلاطين يجسسون الكتب ويضعونها في الخزائن كلما بنو مدرسة جديدة لتكون في متناول المتعلمين والمدرسين؛ فعندما بنيت مدرسة العباد بتلمسان استفادت مثل بقية المدارس الأخرى من تحبيسات الكتب من طرف السلطان أبو الحسن المريني (732- 751هـ / 1331 - 1351م) وهذا ما نلمسه من قول صاحب المسند " ...هذه المدارس مع ما حبس في جملها من أعلاق الكتب النفيسة والمصنفات المفيدة فلا جرم أن كثر بسبب ذلك طلب العلم وعدد أهله. و ثواب المعلم والمتعلم في ميزان حسناته بلغه الله ذلك"³⁰

إن حب المسلمين وعنايتهم للكتب وخاصة المصحف الشريف، جعلتهم ينفقون الأموال الكثيرة لخدمته نشرًا، وتحفيظًا وتحبيسا، وشارك في هذه العملية

كافة فئات المجتمع، فأصبحت سنة حميدة سار عليها معظم السلاطين والأمراء؛ فعلى الرغم من أن حبس الكتب يرجع إلى فترة قديمة في تاريخ المغرب الأوسط، إلا أن سلاطين الدولة الزيانية كان لهم باع طويل في هذا المجال حيث حبسوا كتبهم على كتاتيب التحفيظ ليستفيد منها أولاد الضعفاء والمساكين،³¹ وفي الخزانات، والمكتبات الموجودة في جميع المؤسسات الدينية والعلمية.

وقد وصلتنا أخبار في غاية الأهمية عن دور سلاطين المغرب الأوسط في نشر العلم، و الاهتمام بنسخ الكتب ووقفها، فقد أفادنا محمد التنسي أنه "لما بويع السلطان أبي زيان محمد بن أبي حمو في ربيع سنة 796هـ/ 1394م أقام سوق المعارف على ساقها، ولم تخل حضرته من مناظرة، ولا عمرت إلا بمذاكرة، و محاضرة فلاحت للعلم في أيامه شمس..."³²، فقد نسخ نسخا من المصاحف بيده وحبسها في خزائنه، ومنها مصحف موجود في الخزانة العامة بالرباط، مكتوب بخط مغربي جميل، على رق غزال محلى بالذهب عند أول كل سورة، وعلى رأس كل آية، وجميع ما فيه من أسماء الله الحسنى مكتوب بالذهب، نسخه بتلمسان عام 801هـ/1398م،³³ و اعتنى بكتب الحديث ومختلف أنواع العلوم حيث أنه نسخ أيضا نسخة من صحيح البخاري، ونسخا من الشفا لأبي الفضل عياض، حبسها كلها في خزائنه بمكتبة الجامع الأعظم،³⁴ وكان قد صنّف كتابا في التصوف سماه " كتاب الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة" ومن دون شك أن هذا الكتاب هو الآخر كان من أحباسه في خزائنه، ولكنه يعد في حكم المفقود على ما ورد عند محمد بوعياذ محقق كتاب تاريخ بني زيان ملوك تلمسان و هو مقتطف من نظم الدر والعقيان.³⁵

كان من عادة سلاطين بني زيان عندما ينظمون قوافل الحج يختارون أحد الشيوخ من كبار الفقهاء، والعلماء يترأس القافلة يحملون معهم المصحف، والكتب الصحاح التي تم نسخها بتلمسان، وإرسالها إلى البقاع المقدسة وتحبيسها على القراء في مساجد مكة، والمدينة وبيت المقدس وبيت الخليل بفلسطين؛³⁶ وهذا يعكس مدى تعلق أهل المغرب الأوسط حكاما ومحكومين بالأماكن المقدسة.

وكان المصحف المخطوط المحبس يلقي اهتماما كبيرا من طرف المحبين، ولنا في هذا الشأن مثال عن المصحف الشريف الذي نسخه ونمقه الناسخ أحمد بن حسن البلباني التلمساني،³⁷ الذي نسخ مصحفا للسلطان المريني أبي يعقوب يوسف (685 . 706 هـ / 1286 - 1307 م)،³⁸ عندما كان في المنصورة أثناء حصاره لمدينة تلمسان حبسه على الحرم المكي، ويكفيينا وصف ابن خلدون له بقوله " مصحف رائع الصنعة، كتبه ونمقه أحمد بن الحسن الكاتب المحسن، واستوسع في جرمه، وعمل غشائه، من بديع الصنعة، واستكثر فيه من مغالِق الذهب المنظم بخرازات الدر و الياقوت، وجعل منها حصاة وسط المغلق تفوق الحصيات مقدارا وشكلا وحسنا، واستكثر من الاصونة عليه"³⁹؛ ووُصف لضخامته بكونه جمل يعير نُقل في موكب للحجاج إلى مكة المكرمة عام 703 هـ / 1303 م.⁴⁰

وكان لهذا المصحف مكانة كبيرة في البقاع المقدسة لما له من فضل من طرف صاحبه، فمما تفضل به السلطان على المصحف المحبس هو تحبيسه للأراضي بالمشرق على قراء المصحف،⁴¹ ويذكر ابن مرزوق الخطيب بأنه وقف عليه وقرأ فيه حيث قال " وقد رأيت بمكة شرفها الله المصحف الذي بعثه المولى أبو يعقوب بخط

ابن الحسن، وكان وجهه محلى بالذهب المنظوم بالجواهر النفيسة، فانتزع ما عليه وبقي في قبة الشراب يقرأ فيه احتسابا وقد قرأت فيه في أعوام.⁴²

3 - أحباس الكتب من طرف الرعية

لم يكن السلاطين وحدهم يقومون بهذا الفعل، وإنما وجدنا من العامة من كان يجبس كتبها له إما على المساجد، أو المدارس أو الزوايا، ومن دون شك أن مساهمة العامة من الناس في حبس الكتب، كان بهدف الحصول على الأجر والثواب، غير أن النصوص الواردة إلينا في هذا الشأن قليلة، وذلك لعدم اهتمام المؤرخين بالعامة من الناس مثل اهتمامهم بالأمر والسلاطين، باستثناء بعض الإشارات هنا وهناك.

من أهم ما وصل إلينا من معلومات حول تحبيس الرعية للكتب، ما جاء في الدرر للمازوني عن رجل أوصى بتحبيس كتب كان يملكها بعد موته، وعلى الرغم من أنه كان مستدان إلا أن الفقهاء أفتوا بأن يمضي الحبس؛⁴³ وفي نازلة أخرى تقول بأن رجلا كانت لديه كتب حبسها في مرضه على من يكون فقيها من أولاده، فانتفع بها أحد بنيه كان منشغلا بالعلم، ثم توفي فرجعت لولد آخر من أولاده كان متمسكا بطلب العلم.⁴⁴

وكان من سنة الشيوخ وأهل العلم كثيرا ما يجبسون الكتب، ويتصدقون بما فقد ذكر لنا ابن مرزوق في المناقب أن والده أبو العباس أحمد بن مرزوق (681هـ- 741 / 1282-1340م) عندما عزم على الرحلة إلى مكة المكرمة أعتق مملوكة له، وحبس كتبها وأوصى له بكتب.⁴⁵ ومن المدن التي حافظت على مكتباتها العامة والخاصة منذ إنشائها إلى غاية العهد الحفصي، واستمر الناس في تحبيس الكتب خاصة المصاحف على المساجد والربط؛⁴⁶

ولم يكن أهل المغرب الأوسط يجسسون الكتب داخلها بل كانت لهم مشاركة خارج الديار أيضا، إذ توجد مجموعة من الكتب محبسة في رواق المغاربة بالأزهر الشريف تعود لأهل المغرب الأوسط، نذكر منها مخطوط اللمع في الفقه، وحسب ما جاء في صفحته الأولى أن الكتاب من تأليف أبي زكريا يحيى التلمساني (ت663هـ/1264م)⁴⁷، أما بشأن التحبيس فقد كُتِب في الورقة الأولى منه " هذا من جملة ما أوقف الشيخ محمد التلمساني على طلبة العلم الشريف ولا ينتفع به في غير ذلك"⁴⁸ وكان للعلماء حض كبير في تحبيس الكتب لاسيما على الحرمين الشريفين، وعلى المسجد الأقصى غير أنه لم يصلنا من المعلومات عنها إلا القليل فقد كانت للشيخ إبراهيم التلمساني (ت766هـ) كتب جلييلة في الفقه، والأصول و الحديث واللغة، وغيرها حبس أكثرها بمكة المكرمة و بعضها على المدرسة الشهابية بالمدينة المنورة.⁴⁹

لقد حافظت جل المحاضر المغرب أوسطية على ما تم انشاؤه من مكنتات وخزائن للكتب وعلى سنة تحبيس الكتب عليها، وبصفة خاصة المدن التي عرف عنها نشاط علمي غزير كتلمسان، وقسنطينة وبجاية، هذه الأخيرة التي تميزت بكثرة مكنتاتها الخاصة والعامة، ورغم مكانتها العلمية إلا أن الحديث عن المكتبات الموقوفة لم يرد إلا قليلا عند بعض المؤلفين الذين تكلموا عن تحبيس بعض المصاحف على المساجد وعلى الربط.⁵⁰

4 - الكتب المحبسة و الكوديكولوجيا

كانت الكتب المخطوطة تلقى اهتماما بالغا من طرف الناسخين، والوراقين سواء من حيث الخط أو من حيث التجليد، وغيرهما مما كانت تتطلبه صناعة المخطوط؛ إلا أن الكتاب المحبَس انفرَد ببعض الخصوصيات عن غيره من الكتب

المخطوطة الأخرى، حيث أنه تميز بمواصفات خاصة به، ونتيجة لكثرتها وقيمتها العلمية ظهر فرع في علم الكوديكولوجيا⁵¹ يسمى الوقفيات، يهتم بدراسة كل ما يتعلق بالمخطوطات المحبسة كمعرفة المحبس، وتاريخ التحبيس والخزانة المحبسة عليها، وهذه الدراسات الخاصة بالكتب المحبسة ساعدت الباحثين في التوصل إلى معرفة المخطوطات التي كانت مجهولة المؤلف، أو العنوان أو هما معا وكذا تاريخ التأليف.⁵²

ومن المواصفات الأساسية التي تميزت بها الكتب المحبسة عن غيرها من أنواع الأحباس الأخرى، هو خاصية التوثيق فهو لا يشبه بقية الأوقاف الأخرى، فكما هو معروف أن كل وقف يجب توثيقه بالصيغة المعروفة لدى الموثقين،⁵³ بينما توثيق المحبس في الكتب يكون في الكتاب المحبس ذاته، فالعادة كانت تقتضي أن تكتب صيغة التحبيس في الورقة الأولى التي تنص على العنوان، وصاحب المحبس ومكان التحبيس وشروط استغلال الكتاب، وكان العرف السائد أيضا عند أهل المغرب الإسلامي أن تكتب في معظم ورقات الكتاب أو جميعها كلمة حبس، وهذا بخلاف الأحباس الأخرى حيث لا يمكن أن يكتب عليها حبس باستثناء الحيوانات كالأحصنة هي الأخرى كان يوسم على جلدها كلمة حبس.

وكانت كلمة حبس تكتب في الكتاب بطريقتين: الطريقة الأولى وهي الكتابة بغير مداد حيث اضطر القدماء منذ القرن السادس للهجرة أن يرسموا عليها كلمة "حبس" بواسطة ثقوب متتابعة بالإبرة أو ما يشبهها لينفذ الثقب إلى سائر الأوراق.⁵⁴ وبهذا يصبح الكتاب المحبس مميّزا عن غيره من الكتب الأخرى، ويكون التعامل معه مخالفا لباقي الكتب، ولاسيما في إعارته وإخراجه من المكتبة.

أما الطريقة الثانية والتي شاعت بكثرة خلال القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، هو الكتابة بالمداد في أول الصفحات نص توثيقي يذكر فيه صيغة الوقف، واسم الموقوف، والجهة الموقوف عليها وقد تضاف إليها شروط التحبیس، وتكتب في بقية الصفحات كلمة وقف أو حبس، والعادة أنها كانت تتكرر في معظم الصفحات، وتكتب في نفس المكان، بمعنى إذا كتبت في الأعلى ينسحب الأمر على بقية الأوراق، وإذا كتبت على هامش الورقة على اليسار أو اليمين، يحافظ كاتبها على نفس الوتيرة في جميع الأوراق لا يخالفه، وكان هذا مطبق في معظم الوقفيات، وبعضهم كان يكتفي بتكرارها في بعض الصفحات الداخلية، وقد يوجد في جميع أجزاء الكتاب، وهذه الأمور كلها يمكن ملاحظتها في الكتب المخطوطة المحبسة.

5 - النظام القانوني والشرعي لاستغلال الكتب المحبسة

من دون شك أن المكتبات خلال هذه الفترة كانت تسير وفق نظام معين، يستند إلى ضوابط تنظيمية قانونية وشرعية في استغلال الكتب المحبسة الموجودة في المكتبات العامة الموجودة في المدارس أو المساجد أو الزوايا؛ وليستفيد الطلاب من الكتب المحبسة، وفي نفس الوقت المحافظة على الكتب اعتمدت المكتبات نظام الإعارة، وفي هذا الشأن قال ابن حيان " إذا أردت كتابا استعرته من كتب الأوقاف وقضيت حاجتي"⁵⁵ لكن القاعدة الأساسية في استغلال الكتب المحبسة يخضع بالدرجة الأولى إلى ما شرطه الحبس، فمنهم من كان يشترط أن لا يعطى من الكتب إلا كتابا بعد كتاب، هذا بالنسبة للكتب التي يسمح بخروجها من المكتبة، وبحضرة الخازن المسئول عنها.

وقد فرق الفقهاء في التعامل بين كتب العلم والمصاحف، بحيث يمكن لأحدهم أخذ الكتب العلمية لنسخها، أو قراءتها من مكان التحييس إلى الدار، أو مكان آخر لان الأصل فيها حبست لذلك،⁵⁶ ما لم يشترط محبسها عدم النسخ، فقد كان بعضهم عندما يحبس كتبها يشترط شروطاً من أجل الانتفاع بها كأن يقول بأنها محبسة للقراءة دون النسخ⁵⁷ أما المصاحف فكان لا يسمح بإخراجها وإنما قراءتها في المكان الذي حبست فيه .

- خاتمة

إن أحباس الكتب على المؤسسات العلمية له دلالات كثيرة فهي تدل على اهتمام أهل العلم وأصحاب السلطة بضرورة نشر العلم من جهة، ومن جهة ثانية محاولة التقرب إلى الله بالصدقات الجارية للحصول على الأجر في الحياة وبعد الممات. كما تدل على مشاركة جميع أهل المغرب في عملية تحييس الكتب ولم تقتصر على فئة معينة منهم، بل ساهم فيها السلاطين والعلماء والشيوخ والعامّة من الناس. وكان تحييس الكتب هو الطريقة الشرعية الوحيدة التي تقدم خدمات علمية للأهل العلم من جهة والحصول على الثواب والأجر من جهة أخرى انفردت الكتب المحبسة بمجموعة من الخصوصيات لتمييزها عن باقي الكتب الأخرى، وللمحافظة عليها من أيدي العابثين، لتؤدي رسالتها العلمية و الدينية. ومن الفوائد القيمة لأحباس المخطوطات أنها ساهمت بشكل كبير في المحافظة على هذا التراث الثمين فلولا الأحباس ما وصلتنا العديد من المخطوطات، لأن غالبية المخطوطات الموجودة في المكتبات أصلها حبس. كانت الكتب المحبسة عوناً وسنداً للطلاب في طلب العلم واكتساب المعرفة سيما للغير قادرين على

الحصول عليها من مكان آخر، وبذلك كانت لها مساهمة كبيرة في تشجيع الناس على طلب العلم و نشر الثقافة في أوساط المجتمع.

الهوامش

¹ استعمل الفقهاء الوقف والحبس وكلاهما يؤديان نفس المعنى، وشاع استعمال الوقف عند أهل المشرق بينما استعمل أهل بلاد المغرب الحبس بالضم، الحُبْسُ بالضم ما وُقِفَ، وَحَبَسَ الْفَرَسَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَحْبَسَهُ فَهُوَ مُحَبَّسٌ وَحَبِيسٌ وَالْأُنْثَى حَبِيسَةٌ والجمع حَبَائِسُ، ومعنى تحبيسه أن لا يورث ولا يباع ولا يوهب ولكن يترك أصله ويجعل ثمره في سُبُلِ الخَيْرِ؛ (محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ج6، دار صادر، بيروت، د ت، ص44)

² الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي (ت: 817هـ / 1415م) القاموس المحيط، ج2، المطبعة الأميرية، ط3، مصر، 1301هـ، ص204

³ سورة القيامة، الآية 13

⁴ سورة آل عمران: الآية 92

⁵ صحيح مسلم - كتاب الوصية - باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، حديث رقم 1631؛ يحيى بن شرف النووي محي الدين أبو زكريا، صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية بالأزهر، 1929، ص96

⁶ أخرجه ابن ماجه في «المقدِّمة» بابِ ثوابِ مُعَلِّمِ الناسِ الخَيْرِ 242

⁷ حسن الوراكلي، مباحث في تاريخ الغرب الإسلامي، دار الأمان للطبع والتوزيع، الرباط، المغرب، 2013، ص55

⁸ BROSELARD (CH). Les inscription arabes de Tlemcen _ Mosquée de ouled EL -Imam, revue Africaine, N 15 , année 1859, pp170.171.

⁹ الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، ج7، ت محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1980، ص264

¹⁰ نفسه، ص7

¹¹ أبو العباس الدرجيني، طبقات المشائخ بالمغرب، تحقيق إبراهيم طلاي، ج1، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974، ص56

- ¹² تعود تسميتها بهذا الاسم لوجودها في القصب المشرفة على السوق و التي تسمى المعصومة؛ (أبو عبيد البكري، المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان ليوفن و أندري فيري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص733)
- ¹³ عيسى الحريري، الدولة الرسمية بالمغرب الإسلامي - حضارتها وعلاقتها الخارجية بالمغرب والأندلس، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، 1987، ص237
- ¹⁴ عبد الحميد عويس، دولة بني حماد صفحة رائعة مت التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 1991، ص254
- ¹⁵ عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والهداية، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1987، ص36
- ¹⁶ هو أبو عبد الله محمد بن الحسن بن ميمون التميمي القلعي أصله من قلعة بني حماد، نشأ بالجزائر ودرس فيها، ثم انتقل إلى مدينة بجاية مستوطنا قرأ فيها وبرز في النحو والبلاغة والدب وكان له درس يحضره نبهاء وفضلاء الطلبة، توفي سنة 673هـ / 1274م، (أبو العباس الغبريني، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بجاية، تحقيق عادل نويهض، منشورات دار الأفاق الجديدة، ط3، بيروت، لبنان، 1979، ص 67)
- ¹⁷ نفسه، ص 70
- ¹⁸ تولى أبو حمو موسى الثاني حكم دولة بني زيان من سنة هـ 760 / 1359م إلى سنة 791هـ / 1389م وهو باعث الدولة الزيانية من جديد بعد أن كانت تحت سيطرة المرينين؛ (محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود بوعياض، المؤسسة الوطنية للكتاب و المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1985، ص157)
- ¹⁹ BROSSELDARD (CH). Op cit.p.90
- ²⁰ محمد التنسي، المصدر السابق، ص180
- ²¹ تولى حكم الدولة الزيانية ما بين سنتي 796 - 801هـ / 1394 - 1399م حيث تمت بيعته في شهر ربيع الثاني سنة ست وتسعين و سبعمائة هجرية؛ (نفسه ، ص210)
- ²² نفسه ، ص211
- ²³ نفسه ، ص211
- ²⁴ روضة النسرين في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تحقيق يحي بوعزيز، دار البصائر للنشر، الجزائر، 2009، ص149

- ²⁵ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري، ج1، الشركة الوطنية النشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص187
- ²⁶ نفسه، ص308
- ²⁷ محمد المنوني، قبس من عطاء المخطوط المغربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999، ص635
- ²⁸ أبو العباس الدرجيني، المصدر السابق، ص 471
- ²⁹ كان في مدينة تلمسان سوق خاصة ببيع الكتب، (محمد ابن مرزوق، والمسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تحقيق: ماريا خيوس بغيرا، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص460)، (محمد التنسي، المصدر السابق، ص124)
- ³⁰ محمد ابن مرزوق، المصدر السابق، ص507.406
- ³¹ حسن الوراكلي، المرجع السابق، ص 55
- ³² محمد التنسي، المصدر السابق، ص211
- ³³ نفسه، هامش، رقم 534، ص211 نقلا عن « E. Lévi Provençal : Note sur un Coran royal du XIV° siècle » Hespéris-Année 1921- 1er trimestre- p.p 83-86
- ³⁴ نفسه، ص211
- ³⁵ نفسه، هامش رقم 537، ص211
- ³⁶ فيلاي عبد العزيز، دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ص230
- ³⁷ لم نقف على ترجمة له في المصادر التي اعتمدنا عليها
- ³⁸ استولى السلطان المريني أبي يعقوب يوسف على المغرب الأوسط، وبنى من القرب من تلمسان مدينة سماها المنصورة، (محمد التنسي، المصدر السابق، ص130)
- ³⁹ عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج7، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2000، ص299.
- ⁴⁰ حسن الوراكلي، المرجع السابق، ص56
- ⁴¹ محمد ابن مرزوق، المصدر السابق، ص475
- ⁴² نفسه، ص476

- ⁴³ أبو زكريا يحيى بن موسى المازوني ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مخطوط، تحت رقم 827،
جامعة الأمير عبد القادر ، قسنطينة ، ورقة 247 و
⁴⁴ نفسه، ورقة 248ظ
- ⁴⁵ محمد ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، تحقيق سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار
البيضاء، المغرب الأقصى، 2008، ص 272
- ⁴⁶ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع
المجري، ج1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص300
- ⁴⁷ تم تحقيق الكتاب مؤخرًا من طرف شريف المرسي وجعل لوفاة مؤلفه أبي إسحاق إبراهيم بن
أبي زكريا يحيى بن محمد بن موسى التحجبي التلمساني سنة 699هـ، و حققه أيضا محمد شايب
شريف جاعلا لوفاة مؤلفه أبي إسحاق إبراهيم بن أبي زكريا يحيى التلمساني بن محمد بن موسى
التحجبي التلمساني (ت1264/هـم) معتمدا على كتاب صلة التكملة في وفيات 663هـ
⁴⁸ أبو إسحاق إبراهيم بن أبي زكريا يحيى بن محمد بن موسى التحجبي التلمساني (ت663هـ)،
المع في الفقه، مخطوط، الأزهر الشريف، القاهرة، رقم النسخة: 314856، ورقة رقم 1 و
⁴⁹ حسن الوراكلي، المرجع السابق، ص59
- ⁵⁰ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من الفتح الإسلامي إلى نهاية القرن التاسع
المجري، ج1، ص300
- ⁵¹ كوديولوجيا (codicologie) لفظ يتركب من *codex* وتعني كتاب في اللاتينية
و *logos* وتعني علم، فهو يدرس الكتاب المخطوط باعتباره قطعة مادية، فهو علم يبحث في
خوارج النص كالحواشي، والشروح، والتصحيحات والتعليقات، والوقفيات، و الإجازات ثم
العناصر المتعلقة بصناعته كالتوريق وترقيمه والتجليد وتجارة وفهرسة؛ (أحمد شوقي بنين، في
الكتاب العربي المخطوط، دار أبي رزاق للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 2013، ص52)
⁵² نفسه، ص59
- ⁵³ يمكن الإطلاع على صيغ توثيق عقود الأحياس في(ابن عرضون احمد بن الحسن،التقييد
اللائق بمتعلم الوثائق، نسخة مصورة من مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1 / 3 :
190، ورقة 71ظ، ورقة 72و)، و (الجزيري، المقصود المحمود في تلخيص الوثائق والعقود،
نسخة مصورة من مخطوط بمكتبة جامعة هرفرد تحت رقم Ms. 1704 . 183arabe
⁵⁴ أحمد شوقي بنين، المرجع السابق، ص76

-
- ⁵⁵ عبد القادر ربوح، الأعباس ودورها في المجتمع الأندلسي ما بين القرن 4 - 8هـ / 10-15م مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية، جامعة الجزائر، 2006، ص106
- ⁵⁶ الونشريسي المصدر السابق، ص37
- ⁵⁷ نفسه، ص193

مشروع بلوم- فيوليت: اصلاحات ضائعة بين تماطل حكومة الجبهة الشعبية و سلطة اللوبي الجزائري (1936م- 1938م)

أ. خميسة مدور - قسم التاريخ-جامعة 8 ماي 1945

الملخص:

توالى الحكومات على الجزائر المستعمرة ، دون احداث تغيير يذكر لصالح الاهالي الجزائريين ، او الوفاء بوعود الاصلاح التي لطالما طالب بها هؤلاء في ظل سيطرة المستوطنين الواسعة وانتهاج سياسية قمعية ضد كل ما من شأنه ادخال اصلاحات سياسية واجتماعية .

لكن الامل تجدد بوصول الجبهة الشعبية للحكم في فرنسا سنة 1936 وظهر بعض المشاريع الاصلاحية في الجزائر لصالح الاهالي المسلمين ، من بينها اعادة بعث "مشروع فيوليت" او ما يعرف "بمشروع بلوم فيوليت". والذي يقضي بوضع اصلاحات جديدة للجزائريين المسلمين خاصة الحقوق السياسية والنيابية .

سأحاول في هذا المقال ان اقف على محتوى هذا المشروع ، ومدى استجابته لمطالب الاصلاح التي طال انتظارها خاصة في شقها السياسي ، وردود الفعل المختلفة حوله ، وهل هو فعلا اصلاحات ضائعة لم يستغلها المسلمون الجزائريون لصالحهم ؟ ولماذا لم يصادق عليه ليصبح قانونا قابلا للتنفيذ ؟

Abstract:

Many governments ruled colonial Algeria, without causing any change in favor of Algerians, or deliver on promises of reform which were long reclaimed

by these latter under the broad control of the settlers and the adoption of political repression against all that would introduce political and social reforms

However, hope was revived by the arrival of the Popular Front to power in France in 1936 and the emergence of some of the reform projects in Algeria for the benefit of Muslim residents, including: revival of "Violet Project" or what is known as "Bloom Violet Project"; which aimed at setting new reforms to the Algerians Muslims especially concerning the political and parliamentary rights.

This article tries to take a deep look at the content of this project, and its responsiveness to the demands of reform that were long awaited especially in its political section, the various reactions towards it, if it was actually lost reforms not exploited by Algerians Muslim in their favor? and why it was not ratified into an executable law?

مقدمة:

تعتبر فترة الثلاثينات من القرن العشرين فترة حاسمة في تاريخ الجزائر الحديث حيث شهدت المرحلة تغيرا في وجه الجزائر السياسي الى غاية اندلاع الحرب العالمية الثانية، فقد نمت الحركة الوطنية و اشتد ساعدها، رغم الضغوط و سياسة القمع ، فقد غطت محاولات النواب و النخبة الفراغ السياسي فترة تراجع نجم الشمال مع حله في نوفمبر 1929 ، كما ظهرت جمعية العلماء المسلمين ، محاولة احداث تحولات فكرية و دينية في المجتمع الجزائري بالتزامن مع نشاط جماعة النخبة من النواب الجزائريين ، والذين رفعوا اصواتهم منادين بالمساواة في الحقوق و الواجبات .

بالموازاة مع هذا النشاط السياسي للحركة الوطنية ، اشتدت ضغوطات السلطات الاستعمارية ، على شخصية الفرد الجزائري و كل مقومات هويته من لغة و ثقافة و تاريخ و حضارة و دين ، وهو ما ترجمته مجموعة القوانين كمنشور ميشال في 16 فيفري 1933 ، و قرار رينيه في 30 مارس 1935 و اللذان ابانا عن وجه فرنسا الاستعماري ، و حقيقة اهدافها و سياستها من اجل تقييد الحريات العامة و قهر الشعب الجزائري وإبقاء الجزائر مستعمرة تابعة لا غير .

امام هذا الوضع اضطرت فرنسا الى التلويح ببعض المشاريع بناء على تقارير اللجان البرلمانية التي زارت الجزائر و اطلعت على اوضاع الاهالي المسلمين مندرة بفقدان الجزائر الفرنسية ، وكذا أصوات المتعاطفين من اليربيين الذين اكادوا على ضرورة الاصلاحات لمعالجة المسألة الجزائرية ، و من هؤلاء السياسي الفرنسي "موريس فيوليت " الذي مع مجيء حكومة الجبهة الشعبية للحكم في فرنسا حاول ايداع مشروعه في غرفة النواب في جلسة مجلس الوزراء ليوم 15

أكتوبر 1936 م والذي يقضي بوضع اصلاحات جديدة للجزائريين المسلمين وعلى رأسها توسيع حقهم الانتخابي و منحهم المواطنة الفرنسية دون تخليهم عن احوالهم الشخصية الاسلامية وهو ما اطلق عليه المشروع الحكومي "بلوم فيوليت" (Blum-viollette) 30 ديسمبر 1930 م.

فما هي ظروف صدور هذا المشروع ؟ و ما هو مضمونه ؟ و هل تجاوب مع مطالب و طموحات الجزائريين السياسية ؟ و هل اجتهدت حكومة الجبهة الشعبية في تحقيق مطالب الحركة الوطنية و تنفيذ محتوى المشروع ؟ كيف كانت ردود الفعل المختلفة منه (الجزائرية و الفرنسية)؟ ما هي مصلحة اللوبي الجزائري في تعطيله امام تماطل حكومة الجبهة في تنفيذه ؟ ما هو مصير هذا المشروع ؟.

1- الوضع السياسي في الجزائر عشية إعلان المشروع:

تعد فترة الثلاثينات منعطفًا حاسمًا في الحياة السياسية في ظل السيطرة الاستعمارية، المطبقة والتي أبانت عن أهدافها وتسلطها الاستعماري، وتنفيذ رغبة أقلية من الكولون، يجعل الجزائر الفرنسية مستعمرة الأحلام.

فبحلول سنة 1930 م، احتفل الفرنسيون بمموتهم⁽¹⁾ باحتلال الجزائر حيث اعتبروا هذه السنة بداية عهد جديد من الانتصارات في الجزائر، ودخلوا القرن الثاني من احتلالها وهم في غمرة النشوة والسعادة معتقدين أنهم سيظلون فيها الى الأبد، ورفع غلاظهم، شعارات معادية للعرب والإسلام معلنين أنهم قد افتتحوها الجزائر عنوة وأنهم افتكوها من الحضارة الإسلامية وأعادوها إلى الحضارة الرومانية ، وكانوا خلال ذلك يضربون بيد من حديد على محاولات التنظيم

السياسي بين الجزائريين معتبرين كل محاولة من هذا النوع كفرانا بنعمة فرنسا على الجزائر واصفين من يقوم بها بالخيانة أو التبعية لدولة أجنبية أو بالإجرام وهكذا خنقوا حركة الأمير خالد في مهدها، وأجبروا النواب المستقلين على طأطأة الرأس ، وهم من اشتبهوا بجماعة "بن وي وي".⁽²⁾

إلا أن رغبة الوالي العام "فيوليت"⁽³⁾ في التخفيف من وطأة العنف والإرهاب المسلط عليهم من قبل الكولون، وهو ما لمسها الجزائريون بتوليته هذا المنصب لم يكدهم يتحقق بحلول سنة 1930م، حيث تأمر عليه غلاة الاستعمار، وأثاروا ضجة عليه ، كما نشروا حملات دعائية ضده و ضد سياسته ، بغية حرمان الجزائر من كل الحقوق ولو كانت تافهة، من خلال التأثير على نواب البرلمان الفرنسي والذي كان أداة طيعة بين أيديهم⁽⁴⁾، اين رفضوا مشروعه الاصلاحى الذي طرحه للمناقشة على مجلس الشيوخ في جويلية 1931 م ،وهو مشروع قانون تناول مجموعة من القضايا أهمها السماح للنخبة بنيل المواطنة الفرنسية دون التخلي عن الاحوال الشخصية ،ليدافع عن هذا الطرح وبين ان معاناة الجزائريين ليست بسبب الازمة الاقتصادية فحسب، بل كذلك معاناتهم من

ازمة نفسية بسبب النظام الذي يقتل شيئا فشيء كل افاق المجتمع الاهلي⁽⁵⁾ ،إلا ان المشروع رفض مرة اخرى في 22 مارس 1935م بعد خطاب النواب الفرنسيين في الجزائر كيتولي و ديرو ومارسيل رينيه الذي صرح : " منذ 1919 بدلنا كل ما في وسعنا لا تطلبوا منا الذهاب الى ابعد من هذا لأنه بكل بساطة مستحيل"⁽⁶⁾ .

وهكذا بقي مشروع فيوليت محل رفض تام من طرف السياسة الفرنسيين الناتج بالأساس عن ضغط المعمرين و ممثلهم ، والذين كانت لديهم حساسية من الاصلاح في الجزائر و يرفضون اي فكرة لمنح ادنى حق للجزائريين ،يحدث

هذا في ظل تنامي نشاط الحركة الوطنية رغم الضغوط ، حيث استمر «نجم شمال افريقيا»⁽⁷⁾ ، في نشاطاته المختلفة ، أين بدأ في اجتماعات وتأسيس الفروع في باريس ونواحيها ، وتوزيع المناشير باللغتين العربية والفرنسية ، كوسيلة للاحتجاج ، كما كانت مشاركته في مؤتمر بروكسل ، المنعقد بين 10 و 15 فيفري 1927م ، فرصة كبيرة للتنديد بالإمبريالية الاستعمارية ، وحق الشعوب في تقرير مصيرها ، منها الشعب الجزائري .

يحدث هذا في الوقت الذي كانت فيه النزعة الوطنية تتنامى وتزايد لكثرة الخلافات مع القوى الاستعمارية في الجزائر وفرنسا⁽⁸⁾ ، فكانت سنة 1933 انطلاقة جديدة للنجم ، وإعادة بعث لنشاطاته بقيادة مصالي الحاج⁽⁹⁾ .

وذلك بوضع برنامج سياسي والقوانين الداخلية والمطالب المستعجلة ، فانعقد مؤتمر نجم شمال افريقيا يوم 28 ماي 1933 ، وقد تضمن هذا البرنامج قسمين ، ويمكن اجمال القسم الأول منه في مطالب ديمقراطية ، وأهداف ومرامي سياسة كانت ترد عادة في خطاب النجم إلى السلطات الفرنسية العامة منذ تأسيسه⁽¹⁰⁾ .

وبمجرد عودة "مصالي" من منفاه في جنيف⁽¹¹⁾ ، شرع وجماعته في العمل من اجل تقوية نفوذ الحزب ، وخاصة في فرنسا ، فشكل في يوم 20 جوان 1936 وفدا يتكون من "عميش" وجيلالي" و"بنون أكلي" واتجه إلى وزارة الداخلية الفرنسية لتقدم مطالب حزبه المتمثلة في انشاء برلمان جزائري المقترح من طرف "مصالي الحاج" ، وقد استقبل الوفد استقبالا حسنا وتلقى وعودا بالنظر في هذا المطب بالذات ، في الوقت الذي بقي فيه مصالي الحاج مصرا على موقفه في مهاجمة سياسة الادمج ، ويظهر ذلك من خلال الرسالة المنشورة التي وجهها الى الشعب الجزائري في نوفمبر 1936 والتي نصت على ما يلي "يا لتعاسة

الجزائريين؟ الادماج، الالحاق، الضم الانصهار، الخليط كلها كلمات مرادفة للموت، المحو، التشتيت، نطقوا بها دون فهم، يتبححون بالتسول بها من حكومة الجبهة الشعبية، ولا يدركون ما تحتويه من احتقار، غرابة و في نفس الوقت مأساة⁽¹²⁾، وهو ما يختلف عن مطالب الأحزاب الجزائرية الأخرى وهي فدرالية المنتخبين وجمعية العلماء والحزب الشيوعي الجزائري فهذه الأخيرة طالبت مجتمعة في مؤتمرها المنعقد يوم 07 جوان 1936 بإصلاحات سياسية تتمثل في الحصول على الجنسية الفرنسية دون التخلي عن الهوية الإسلامية، وتمثيل الجزائريين في البرلمان الفرنسي⁽¹³⁾، وكانت أهم المطالب التي رفعها هؤلاء تتمثل في منح جميع حقوق المواطنة للجزائريين المسلمين مع الاحتفاظ بقانونهم للأحوال الشخصية، وينص التمثيل النيابي الوحيد في هيئته انتخابية عامة مشتركة والإبقاء على الشخصية الوطنية وقد تم تسجيل هذه المطالب في ميثاق سمي " كراسة مطالب الشعب الجزائري المسلم"⁽¹⁴⁾.

بالموازاة مع هذا كانت جمعية العلماء المسلمين خير رافد إصلاحية، ساهم في تمسك المسلمين الجزائريين بهويتهم، فكانت ترى قضية التجنيس، قضية دينية لأن المتخلي عن جنسيته هو متخل بطبيعة الحال عن دينه وهويته. لذلك اتخذت موقفا معاديا للتجنيس والمتجنسين، وطرحت إشكالات هامة في هذه الفترة، تخص هؤلاء

المتجنسين⁽¹⁵⁾، الذين تشبثوا بهوم المواطنة الفرنسية، والتمتع بالحقوق كما المواطن الفرنسي لذا نعتهم " رايح زنائي" بالمتجنسين المساكين⁽¹⁶⁾ فقد تجنسوا ظنا منهم أن يتقدموا، ولم يعتبروا انتقاد إخوانهم، فأصبحوا منبوذين من الطرفين، ولا ينتمون لا لهؤلاء ولا لهؤلاء، فأوجدوا أنفسهم في موقف لا يحسدون عليه. فوصفهم "ابن باديس" بالمرتدين⁽¹⁷⁾.

وهكذا وعلى الرغم من تباين مطالب الحركة الوطنية، في هذه الفترة إلا أنها اتفقت على مطلب المواطنة الفرنسية مع الاحتفاظ بالأحوال الشخصية، خصوصاً بعد وصول حليف هام إلى الحكومة في فرنسا، وهي حكومة الجبهة الشعبية وذلك من أجل تحقيق حد أدنى من المطالب.

2- محتوى مشروع بلوم- فيوليت :

ان مشروع " مورييس فيوليت" كان لبنة أساسية لما جاء بعده وهو مشروع "بلوم- فيوليت"، بل هو إعادة احياء له. وقد تضمن ثمانية فصول. شملت إصلاحات سياسية واقتصادية واجتماعية حيث تضمنت المادة الأولى منه منح فئات من الأهالي الجزائريين حق المواطنة الفرنسية، وخص منهم بالذات الفئات التالية:

● المشتغلين بالجيش الفرنسي ويتعلق الأمر:

- 1- الأهالي الذين أمضوا الخدمة العسكرية برتبة ضابط.
- 2- الأهالي الذين غادروا الجيش، وهم في رتبة رقيب أول أو رتبة أعلى منه بشرط ان يكونوا خدموا في الجيش مدة 15 سنة ونالوا شهادة حسن السلوك.

3- الأهالي الحائزون على ميدالية عسكرية أو الصليب الحربي (Croix de Guerre)

- 4- أصحاب رتبة جوقة الشرف أو الذين أهلوا لنيل مرتبة من رتبها بشرط أن يكون نيلها لهم وأثناء الخدمة العسكرية.

● بينما خص هذا المشروع فئة ثانية من الأهالي، وهي الفئة المتنورة الحائزة على إحدى الشهادات الآتية⁽¹⁸⁾:

- شهادة تعليم، البكالوريا، الشهادة العليا، الشهادة الثانوية، شهادة التخرج من إحدى المدارس الوطنية، او خاصة بتعليم الصنائع. والحرف و الفلاحة والتجارة، الموظفون الذين نالوا وظيفتهم عن طريق الامتحانات والمسابقات.
- بالإضافة إلى الفئة المنتخبة ضمن مختلف الهيئات الفرنسية: المنتخبون في الغرفة التجارية والفلاحية، النواب الماليون، النواب في المجالس العامة، في البلديات، ذات الصلاحيات الواسعة، ممثلو الجماعات الذين شغلوا مناصبهم طيلة المدة التي أوكل لهم فيها هذا المنصب، الباشا غاوات والأغاوات والقياد الذين قاموا بوظيفتهم على الأقل مدة 04 سنوات⁽¹⁹⁾.
- كما خص المشروع فئة العمال الذين استحقوا وسام العمل المساعدين في النقابات العمالية، الذين شغلوا مناصبهم مدة عشر سنوات.
- تمنح الحقوق السياسية بعد سنة من تطبيق هذا القانون لمائتين من أهالي كل عمالة من بين التجار والحرفيين بمقتضى قرار يصدره الوالي العام وتمنح نفس الصلاحية للغرف الفلاحية الثلاث تحت نفس الشروط صلاحية منح حقوق المواطنة لمائتي فلاح، بينما يصبح هذا العدد في كل سنة خمسين، تمنحه الغرفة الفلاحية التجارية وأرياب العمل والغرف الفلاحية لمن تختارهم من الفلاحين⁽²⁰⁾. وحسب هذا المشروع الحكومي الذي وسع دائرة الفئات للحصول على حقوق المواطنة سيتضاعف عدد هؤلاء بشكل ملفت للانتباه بين سنتي 1936 و 1940 وذلك كما يلي:

السنة	1936	1940
المجموع	2406	30546

اما بالنسبة لتقسيم الناخبين الجدد سيكون التالي:

سنة	سنة 1936	الفئات
1940		
3300	2150	قدماء الضابط لهم 15 سنة خدمة.
1000	6000	قدماء الضابط لهم وسام عسكري والصليب الحزبي.
4800	4300	الحاصلون على شهادات العليا أو الثانوية.
1536	1500	المواطنون المعينون عن طريق الامتحانات والمسابقات.
1774	1714	القياد وقدماء القياذ والباشاغاوات والأغاوات.
6006	6006	المنتخبون الأهالي، نواب الأهالي المنتخبون العامون في البلديات وممثول الجماعات
1050	638	المنتخبون في الغرفة التجارية والفلاحية والأعضاء الذين تختارهم هذه الغرفة.
60	120	العسكريون الحاصلون على جوقه الشرف والحاصلون عليها بصفة مدنية
1020	6	العمال الحاصلون على ميداليات.
1050	600	الأعضاء الذين يختارهم مجلس الإدارة.

وعليه وبموجب هذا القانون يصبح بإمكان 24046 أهلي مسلم الانضمام إلى العائلة الفرنسية، ويكون لهم الحق في التصويت ليرتفع هذا العدد بشكل تدريجي في الانتخابات التشريعية المقبلة سنة 1940 إلى (300546)، ومهما تكن دقة تلك التقديرات، فإنه يبين أن الهيئة الانتخابية الفرنسية، وعدد المسجلين فيها البالغ عددهم (202.749) في عام 1936 لم تكن تخشى الاكتساح، غير أن نسبة 12 إلى 14% من الناخبين الإضافيين الذين كان يتوقع أن تنتخب الغالبية منهم مرشحي الجبهة الشعبة كانت كافية بلا شك لتعديل التمثيل النيابي السياسي للجزائر في غرفة نواب الجزائر 12 نائبا بدل 09 نواب، وهذا كله لا يبرر أي خوف أو هلع من هذا المشروع كما أشير⁽²¹⁾:

بالمقابل كان يمكن أن يحدث الانقلاب فعلا في التمثيل المحلي، إذ أمام (833، 113) مواطنا فرنسيا مسجلا في عام 1935 ضمن القوائم الانتخابية لانتخاب المندوبيات والمستشارين العامين، كان يوجد 25.000 ناخب مسلم

قادرين على القيام بدور الحكم في التنافس، بل وحتى فرض مرشحهم في بعض الدوائر الانتخابية، أما على المستوى البلدي، فإن الناخبين الجزائريين الجدد كانوا يصددون تعديل تركيبة المجالس فيها و كان يمكنهم الحصول على ما يقارب نصف عدد المقاعد، ولو فرضنا أن 5/1 المسلمين سينتخبون بصفتهم فرنسيين (أي مجموع الخمسين)، ويؤلفون كتلة مع ثلث المجلس المنتخب بصفتهم أهالي (خمسة أخماس)، غير أنه وحتى مع هذه الفرضية القصوى، لم يكن لأغلبية المجلس أن تصبح مسلمة. على عكس ما كان مغالطة من طرف اتحادية رؤساء البلديات⁽²²⁾

ومما لا شك فيه أن مشروع "بلوم فيوليت" هو تنفيذ لفكرة دمج الجزائر بفرنسا بصورة تدريجية، عن طريق النخبة الجزائرية المتخرجة من المدارس الفرنسية. وتهدئة غليان السنوات الأخيرة، وكسب نخبة المسلمين لصالح القضية الفرنسية، فعندما تكون هذه الفئة تتمتع بممارسة الحقوق السياسية، ستكون لها مصالح تختلف عن الجماهير مع الأخذ بعين الاعتبار أن الأهالي وحتى الأكثر تحضرا لا يقبل الارتداد عن عقيدته وهو ما ادركه جيدا فيوليت بقوله: "أما الحالة الشخصية، فلا تعد حاجزا في طريق هذا الإصلاح لأن قانون الأحوال الشخصية الإسلامية هو كما عند المسلمين هو عند اليهود تقريبا، والتي لم تمنعهم منذ ستين سنة أي منذ مرسوم "كريميو" من إعطاء اليهود حق الانتخاب...، ويوجد في الهند الصينية فرنسيون لهم قانون أحوالهم الشخصية الخاص، كما يوجد بها فرنسيون مستمسكون بأحوالهم الشخصية ومع هذا فجميعهم يصوتون، سواء الذين تركوا قانون أحوالهم الشخصية أو الذين لم يتركوها، كذلك الحال في مقاطعات السنغال الأربعة، فإن جميع المسلمين لهذه المقاطعات ناخبون منتخبون مع بقائهم محافظين على أحوالهم الشخصية⁽²³⁾.

ويؤكد في مقال آخر بقوله: "...هل منع هذا النظام -الأحوال الشخصية- تجنيد الأهالي إبان ح ع I؟ وهل طلب منهم وقتها ما إذا كانوا متزوجين بأكثر من امرأة؟ أو أنهم كانوا يأخذون بنظام التطلاق أم لا؟ وهل أنهم كانوا ييحتكمون في نظام الميراث إلى الشريعة الإسلامية أو القانون المدني"⁽²⁴⁾. ان قراءة بسيطة تظهر ان الأمر وحده هو القادر على وقف الحركة الوطنية: "إذا كان المعمرون الجزائريون لا يفهمون أنه من واجهم، وحتى من مصلحتهم دعم سياسة الادمج الحذر لكن المخلص، فليعلموا جيدا أنهم يعملون على خلق حركة وطنية سوف تأخذ حتما شكلا ثوريا ككل الحركات الوطنية"⁽²⁵⁾.

فيا ترى هل تحققت أهداف حكومة الجبهة الشعبية من خلال محاولات كسب مواقف التأييد له، وكيف كانت ردود الفعل المختلفة حوله.

3- المواقف المختلفة من المشروع:

3-1- موقف الحركة الوطنية الجزائرية:

وجد مشروع "بلوم فيوليت" صدى كبير في أوساط تيارات الحركة الوطنية الجزائرية، وسيطر على الحياة النيابية خلال فترة الثلاثينات أي فترة حكم الجبهة الشعبية، وهكذا تعددت الآراء والمواقف اتجاهه، حيث تراوحت بين المؤيد والمتحفظ والرافض له.

أ- موقف النخبة من المشروع:

لقد مثل الطرف المؤد جماعة النخبة، حيث وجد المشروع قبولا ودعما كبيرا في ارتباط الطبقة المثقفة، اذ رحبت بالمشروع واعتبرته خلاصها وخلص الجزائريين من حالة الأهلية، فقد وقفت كتلة النواب المنتخبين إلى جانبه، وأيدته بحماس

شديد وكان موقفها خلال المؤتمر الإسلامي لا يحتاج إلى توضيح، ترجم هذا الموقف اجتماع كتلة النواب في وهران، حيث أصدروا لائحة بعثوها إلى الوزير الأول "ليون بلوم"، وإلى السيد "فيوليت"، وإلى وزير الداخلية، وإلى الحاكم العام، استنكروا فيها الأعمال التي لا يمكن السكوت عنها لبعض شيوخ البلديات الفرنسيين بالجزائر، وعلنوا تأييدهم المطلق للمشروع.

فهو حسبهم "تحقيق الآمال المشروعة للمسلمين الفرنسيين، ولأنه يتماشى مع سياسة فرنسا في الجزائر القائمة على فكرة الاندماج، وكذلك أصدرت كتلة النواب في قسنطينة والجزائر لائحتين في نفس المعنى، الأولى بتاريخ 15 جانفي، والثانية 12 منه" (26).

وإيماناً منهم بهذا المشروع، نشط النواب خلال نفس العام، من أجل الدفاع عنه فكثرت المؤتمرات، والتجمعات واللوائح والوفود، ومن ذلك أن وفدا برئاسة ابن جلول قد توجه إلى باريس بتاريخ 05 مارس وكانت النتيجة مرة أخرى مجموعة من الوعود، مما اضطرتهم، أمام هذه الوعود إلى اعتماد طريقة جديدة لتحقيق مطالبهم، وهي الاستقالة الجماعية حيث استقال حوالي ثلاثة آلاف نائب جزائري قبل نهاية العام احتجاجاً على تأخير مناقشة مشروع البرلمان.

وأمام هذه الضغوط وعودة "ابن جلول" و"عباس" على رأس وفد إلى باريس حيث قابلهما وزير الداخلية "ألبير صارو"، وانتظروا هناك الموافقة على المشروع مقابل سحب الاستقالة الجماعية فبدأت مناقشته في البرلمان فعلاً، وبدأ يلقي قبولا، وهو ما استنكره المعمرون، الذين بدأوا فوراً حملة شرسة ضده ولم يتوانوا في استعمال كل الأساليب لإفشاله (27).

من جانب آخر، اختار نائب رئيس المؤتمر الإسلامي، الأمين العمودي من جهته مشروع "فيوليت" "نهائيا وعلى بصيرة"، وإن كان يعترف أنه "لا يلي تمام تطلعات النخبة، وطموحات الجماهير بدرجة أكبر. وراح "محمد عزيز كسوس⁽²⁸⁾" يدافع في جريدة "Oran républicain" عن مشروع "فيوليت" على أساس أن يبين نهج سياسة معينة: لن يجل المشروع أي شيء بعد التصويت عليه، ولكنه يكون قد ساهم آنذاك في تهيئة مناخ مناسب لتغيير ديمقراطي في الجزائري⁽²⁹⁾.

ورغم كل مظاهر التأييد، وإعلان الولاء لفرنسا، من طرف هذه الجماعة، لم تنل أبدا شيئا مما كانت تصبو إليه، وقد خابت كل آمالهم، فكان فشل مشروع "بلوم فيوليت" بمثابة صدمة "لعباس فرحات" و"ابن. جلول"، وجميع العناصر المثقفة بالفرنسية والمؤيدة لسياسة الاندماج⁽³⁰⁾.

ب - موقف الحزب الشيوعي:

ان انصار فرنسا في الجزائر كثر بدليل مظاهر الولاء، ومواقف التأييد لكل إصلاح تقوم به لصالح الجزائريين، ولو كان بسيطا أو حتى لا يرقى أبدا طموحات الأهالي المتوخاة، وهو حال الحزب الشيوعي الجزائري وأنصاره وموقفهم المؤيد لمشروع "بلوم فيوليت"، باعتباره أول خطوة في سبيل تحرير الشعب الجزائري، وهو كذلك أول خطوة للتقارب الأخوي بين الشعبين الجزائري والفرنسي، فقد لاحظ الشيوعيون أن هذا المشروع مع انه لا يعطي للجزائريين كل ما يريدونه من حقوق وحرريات، فإنه خطوة أولى حقيقية تبدأ من 25 ألف مسلما وتؤدي إلى نتائج ملموسة، وأنه أفضل من حقوق كاذبة تمنح إلى مليون مسلم، ولا تحدث في حياتهم السياسية والاجتماعية أي تغيير⁽³¹⁾.

وهو ما جسده صحيفته "La lutte sociale" لسان حال الحزب الشيوعي الجزائري، فكانت تقوم بحملة في صالح المشروع، وفي رأيها أن شعب الجزائر، وشعب فرنسا كانا موافقين عليه تماما، باستثناء الفاشيين الذين كانوا يعارضونه⁽³²⁾.

بالموازاة مع هذا المجهود الواضح لهذه الصحيفة، باشرت صحف أخرى الدفاع عن المشروع، وهي صحف شيوعية او ذات اتجاه شوعي، كما فعلت صحيفة "Alger Socialiste" في عدد خاص صدر في 17 مارس 1938، خصصته كاملا للدفاع عن المشروع، والوقوف ضد كل معارضيه خاصة اتحادية رؤساء بلديات الجزائر التي قادت حملة شرسة ضد مشروع بلوم فيوليت، وخصصت مقالا هاما بعنوان "الحزب الشيوعي والمسألة الأهلية"، دافعت فيه عن المشروع، وبينت مزاياه⁽³³⁾.

ج - موقف جمعية العلماء المسلمين:

لم يكن موقف جمعية ورجالاتها، موقفا واضحا في البداية من المشروع، بل كان التخوف والحذر الشديدين هو السمة الغالبة على مواقفها، خاصة وأنها لم تدرك الغرض المنشود من وراءه، بل اعتبرته مجرد مرحلة مؤقتة يمكن استبدالها في الوقت المناسب، وهو ما عبّر عنه رجالات الجمعية في كم من مناسبة، فقد ذكر البشير الابراهيمي في مقال له في جريدة الشهاب بعنوان "يوم الجزائر" بتاريخ جويلية 1936: "..... مشروع موريس فوليت، وصاحبه من أبرز المنشغلين بالسياسة الأهلية الجزائرية وقد أدار برنامجه على اعتبارات سياسية دقيقة، لا يفهمها إلا الراسخون في علم السياسة و أفرغه في قالب لفظي مستهوي خلاب ينطوي على معان غامضة، ويحمل وجوها كثيرة من الاحتمالات والتفسيرات،

ومنها ما يعد في اعتبار النفسي الجزائري من الشعريات، ومثل هذه المعاني قد تكون عند التطبيق. مثارا للإشكال و للعسر وقد تكون معانيه بمقربة من افهام العامة خصوصا إذا كان تنفيذه يتوقف على رأي تلك الأمة أو على تأييدها..." (34).

انطلاقا من هذا الكلام، يظهر جليا ان تحفظ الجمعية على المشروع كان في محله، بل إن نظرتها إليه كانت نظرة صحيحة ودقيقة، أكدها موقف الرجل الأول للجمعية ابن باديس عندما اعتبر المشروع مجرد خطوة أولى في طريق المساواة الكاملة، وهي الشرط اللازم لحسن الوفاق، ولم يكن يثق بالمقابل اطلاقا في تصويت البرلمان على المشروع بالموافقة⁽³⁵⁾، فقد كتب منذ فيفري 1937 في جريدة الشهاب " إذا خابت آمال(الأهالي)، ورفضت غرفة النواب مشروع الحكومة، فإنكم ستعلمون عندئذ علم اليقين أنهم لن ينالوا أي شيء من فرنسا لا عدلا ولا انصافا، وي هذه الحالة سيفتحون جماعات الأبواب التي يكون اليأس قد فتحها أمامهم" كما أكد اثناء انعقاد جلسات المؤتمر الإسلامي الثاني، أن "فيوليت" عمل من اجل فرنسا بالشروع في مشروع يدعوننا إلى الانتظار⁽³⁶⁾، فأحتج كذلك مرة أخرى يوم 13 أوت احتجاجا شديدا على تعيين لجنة تحقيق جديدة، فهي حسبه وسيلة مباطلة لا تحمل إلا مدلولا واحدا وهو رفض مطالبنا بكل بساطة، كما لمح في شهر اوت أن أوان اليأس من فرنسا قد آن، وقام في غضون الأشهر الموالية، بتحذير فرنسا على الخصوص من مغبة التفكير في ان المسلمين يكمن أن يفرضوا في قانون أحوالهم الشخصية مقابل منحهم الحقوق السياسية⁽³⁷⁾.

وتزامنا مع طرح المشروع في بداية 1937 ظهر جليا موقف العلماء فقد بعثوا اثر اجتماع عقدهه بقسنطينة في 28 مارس ببرقية إلى رئيس الحكومة

الفرنسية "بلوم" إلى فيوليت، عبروا فيها لهما عن شكرهم واعترافهم لهم بتقديمها لمشروع الإصلاح الانتخابي، وأعلنوا موافقتهم التامة على المشروع الحكومي لأنه يحمي قانون الأحوال الشخصية، الذي لا يمكن ابدا حسب اعتقادها التخلي عنه، فقد ظلت الجمعية تكرر مثلما فعلت في جريدة البصائر أن "المسلمين لن يبدلوا دينهم مقابل كل أموال الدنيا، وبالأحرى ببعض الحقوق الهينة التي يعدهم إياها مشروع فيوليت" (38).

ومهما يكن الأمر، فإن مواقف الجمعية من المشروع، تراوحت بين الموافقة والتحفظ، خاصة وأنه يخص فئة محدودة وهي قليلة، لكنه بالمقابل يحمي قانون الأحوال الشخصية وهو ما لا يمكن أبدا التنازل عليه.

د - موقف المؤتمر الإسلامي من المشروع:

لم تكن جمعية العلماء الوحيدة، بالتأكيد التي كانت ترى في مشروع "فيوليت" مجرد مطالب مؤقتة" يجب أن يتبع بمراحل أخرى" حيث جاء "الدكتور بشير" في 17 جانفي 1937، ليقراً بيانا باسم المؤتمر الإسلامي الذي كان يتزأسه، فصرح فيه أن مشروع "فيوليت" ليس إلا رمزا للإنصاف والليبرالية، وأن مصير الشعب الجزائري لا بد أن يوضع في يوم من الأيام بين ايدي برمانيين مسلمين جزائريين" (39).

هـ - موقف مصالي الحاج من المشروع:

في مارس 1937، أعلن الزعيم الوطني "مصالي الحاج" عن رفضه للمشروع وقال: إن المشروع ضد الديمقراطية، ويتجاهل التاريخ ويعزز الاستعمار بزيادة عبيده إلى 20.000 تابع، وزيادة تفاقم مصير ستة ملايين ونصف من الفلاحين والعمال، وصغار التجار، وقدماء العسكريين، ومشروع "فيوليت" ليس

بالحل، وليس بداية لإصلاحات جدية، وإنه الفتنة، والتقسيم بين طبقة مزدوجة الامتياز، وأخرى مزدوجة الحرمان⁽⁴⁰⁾.

وفي مقال بتوقيع قيادة نجم شمال افريقيا بعنوان: أيها الشعب الجزائري انفض ضد مشروع فيوليت كتبت صحيفة الأمة الصادرة في شهر جانفي 1937: نجم شمال افريقيا يناهض مشروع فيوليت لأنه يعتبره خطرا بالنسبة إليه، الشعب الجزائري واحد وموحد وعليه أن يتوحد ضد التقسيم والتجزئة إلى فئات حجمها عشرين ألف لأن مشروع فيوليت هو ليس قط بداية الادمج، بل أداة تقسيم وخلاف داخل البلاد⁽⁴¹⁾.

وهذا ولم يتراجع أبدا حزب الشعب الجزائري خليفة نجم الشمال عن موقفه من المشروع، وظل وفيا لمبادئ نجم الشمال، المتمثلة في محاربة سياسة الادمج⁽⁴²⁾، فبالإعلان عن انشاء هذا الحزب، ذكرت جريدة الأمة ببرنامج النجم وهدفه، أي إدامة سياسة الادمج المتبعة منذ أكثر من قرن سائرا على خطى النجم "نحن لم نكف أبدا عن مناهضة هذا المشروع". وقد خاض الحزب ضد أصحاب المشروع معركة شرسة معتبرا أنه من المستحيل تغيير الجنسية كما نغير ربطة العنق: فقد جاء في جريدة الأمة في عدد جانفي 1938 ما يلي:

"إن جنسيتنا قبل كل شيء وماضينا وتاريخنا وعاداتنا وتقاليدنا وذكريات شبابنا وممارساتنا الفكرية، وهو كل ما يدخل في تكوين أانا، ولا يمكن إفراغ الشخصية من محتواها بمجرد الرغبة في ذلك، وبعبارة أخرى، لا يمكن للفرد أن يلغي انتماءه العربي أو القبائلي ليصبح فرنسيا بين عشية وضحاها"⁽⁴³⁾.

كان مصالي ومن ورائه حزب الشعب يدرك جيدا أن المشروع مرحلة تقود في النهاية إلى الاندمج، وهو ما لم يرغب فيه على اعتبار مطالبه الاستقلالية

الواضحة، وإيمانه الراسخ بالأمة الجزائرية المستقلة تماما عن الأمة الفرنسية "نحن أنفسنا نعلم بأنه بمعارضتنا لمشروع فيوليت سوف ينفر منا المستفيدون منه على الأقل، لكننا فعلنا ذلك لأننا متيقنون بأنه عنصر تفكك المجتمع المسلم، وعليه كان يجب عمل كل شيء لمنع الشعب المسلم الواثق كثيرا في مثقفيه، من أن يكون قائد نفسه إلى فئاته."

هذا وقد دعا حزب الشعب إلى الكفاح من اجل برلمان سيد مقرر في الجزائر، عوض المندوبيات المالية،
وألا يكون هاجسه التمثيل البرلماني في فرنسا⁽⁴⁴⁾.

3-2- المواقف الفرنسية من المشروع:

تباينت ردود الفعل الفرنسية، على اختلاف اتجاهاتها حول ما طرح من مشاريع إصلاحية خلال الثلاثينات، وعلى رأسها مشروع "بلوم فيوليت" على اعتبار أنه أهمها، وإن كانت في حقيقة الأمر اجتمعت كلها على الرفض، بطريقة أو بأخرى، فطرح البعض مشاريع معارضة، واتخذ البعض الآخر طرقا مختلفة للرفض من خلال الأحزاب والمجالس المنتخبة.

وبطبيعة الحال فإن مواقف التأييد التي حصل عليها المشروع كانت تلك من جانب الأحزاب الفرنسية اليسارية، وقد اختلفت درجة دعمها له وهي كما يلي:

أ- الأحزاب الفرنسية المؤيدة للمشروع: رغم تأييدها الضمني له إلا أنها، لم تؤمن بنجاحته وانحصرت في:

❖ الحزب الاشتراكي الفرنسي (S. F. I. O)

أبدى هذا الحزب اهتمام ملحوظا بمشروع فيوليت، وقد ظهر ذلك جليا في مؤتمره الـ34 المنعقد بمرسيليا يومي 11 و 12 جويلية 1937 حيث خرج بتوصيتين هامتين:

1- المصادقة على مشروع "بلوم فيوليت".

2- تحقيق الإصلاحات السياسية والإدارية في أقرب وقت ممكن والتي ستجعل من الجزائر مقاطعة فرنسية على غرار المقاطعات الأخرى اين يكون لجميع نفس الحقوق السياسية والاجتماعية⁽⁴⁵⁾.

❖ الحزب الشيوعي الفرنسي.(S. F. I. c)

لقد كان موقفه واضحا على إثر ما صرحت به جريدة (L'humanité) لسان حال الحزب في 15 جانفي 1937: "إن الحزب الشيوعي، جريدته، مجموعته البرلمانية، كان حرا دوما من اجل منح جميع الحقوق الديمقراطية لكل مسلمي افريقيا الشمالية، يجدون الإصلاح الانتخابي المشروع غير كاف ويطالبون توسيعه العاجل والمتوقع لكل السكان المسلمين وسيعملون لكي تتم المصادقة عليه أسرع ما أمكن من طرف الغرفة حتى تتحصل قريبا فئات أخرى من المسلمين، وكل الشعب الجزائري على الحقوق السياسية....⁽⁴⁶⁾.

ب- الأحزاب اليمينية الفرنسية المعارضة للمشروع:

من أهم الأحزاب اليمينية التي اتخذت موقفا واضحا الحزب الاجتماعي الفرنسي (P S F) ، فمنذ ظهوره في جويلية 1936 بشكل جديد⁽⁴⁷⁾ رفض مشروع "فيوليت" الذي يهدد في نظره السيادة الفرنسية، وقد احتوى برنامج الحزب الذي حرّره "ستانيز لاس دوفو" أستاذ الفلسفة بليسي قسنطينة (ثانوية قسنطينة)، نشر التعليم وتنمية الفلاحة، وتوزيع جزء من الأراضي الدولة،

واحداث بنك شعبي أهلي، والمساواة الضرورية بين الأهالي المتطورين والفرنسيين لكن بعد تخليهم عن نظام الأحوال الشخصية، وأخيرا حق المسلمين في انتخاب نواب خاصين بهم... كما عرض مؤتمر الحزب المنعقد في 23 أكتوبر 1938 برئاسة الكولونيل "دولار ولا" منح قدماء المحاربين الأهالي حق المواطنة (48).

هذا ومن جانب آخر، اعتبر حزب (P S F) الأهالي مواطنين فرنسيين بمقتضى قانون سيناتيس كونسيلت لاختلاط دمائهم بدماء الفرنسيين في ح ع، لذلك من الضروري منحهم العدالة والاستقرار، لكن دون المساس بالسيادة الفرنسية التي لا رجعة فيها (49). كما أكد مؤتمر الحزب على ضرورة تحقيق الادمج التدريجي للعناصر الأهلية المثقفة والمتعلمة لكن مع معارضة تجنس الأهالي المحافظين على أحوالهم الشخصية (50)، ضف إلى أنه لا يرفض فكرة ادمج الأهالي المسلمين، لكن اشترط أن يكون ذلك عن طريق كامل الإرادة والحرية للأهالي في طلب هذا الانتماء، ولا يمكن منحهم المواطنة اجمالا مثل اليهود، ويبدو أن هذا التوجه للحزب كان لغاية واضحة، وهي توجيه الأهالي ومحاولة كسبهم وتحويلهم عن الجبهة الشعبية.

هذا ولم يختلف موقف حزب الشعب الفرنسي (51) (Parti populaire français) اذ عارض كل امتياز للأهالي يمس السيادة الفرنسية، وعقد اول مؤتمر للحزب في جانفي 1937 بالجزائر، وقد حضره بعض المسلمين، حيث لم يخف أبدا مناهضته لمشروع فيوليت محتجا على هذه الإساءة الخطيرة للسيادة الوطنية في مقاطعات الجزائر الثلاث، لدرجة أن "دوربو" تبنى مشروع مضاد بهدف انشاء هيئة انتخابية مسلمة لجميع الفرنسيين الذين كانوا يرغبون في الاحتفاظ لحق قانون الأحوال الشخصية، حيث تقوم هذه الهيئة بانتخاب ممثلين لغرفة النواب بشروط المواطنين الفرنسيين نفسها (52).

كان الحزب الشعبي الفرنسي آلة حرب حقيقية ضد مشروع "بلوم فيوليت"، فقد أدان سياسة الإدماج وعمل على جمع كل المناهضين للمشروع، وكانت السياسة الإمبراطورية الاشتغال الرئيسي للحزب.

وهو ما أوضحته جريدة "Le Pionniers"، وهي لسان حال فيدرالية الجزائر للحزب الشعبي الفرنسي في عددها ليوم الخميس 10 فيفري 1938، والذي أوضحته فيه أن الجزائر كاملة ضد مشروع "بلوم فيوليت". وطالبت السيد فيوليت، الجلوس في المقاعد الخلفية، وأن هذه اللحظة هي لحظة حياة أو موت، طبعاً إن تم التصويت على المشروع⁽⁵³⁾.

هذا وأمام ردود الأفعال هذه من قبل الأحزاب خاصة اليمينية ذهبت الطبقة السياسية إلى أبعد من ذلك، إذ قامت مجموعة من الشخصيات الهامة والفاعلة في نفس الوقت في الحياة السياسية في الجزائر أو حتى في فرنسا بالاتحاد والتعاون ضد مشروع "بلوم فيوليت" فالخطر كبير في نظر هؤلاء، ما ترجمته شخصيات وهرانية هامة دعت إلى ضرورة الاتحاد في حزب واحد يقف سدا منيعاً أمام أي فرصة قد تمنح للمشروع أو التصويت عليه في البرلمان.

فكان انشاء الحزب الوطني للعمل الاجتماعي (Rassemblement national d'action sociale) عملي لمواجهة الجبهة الشعبية، وردّ كذلك على "فدرالية المنتخبين المسلمين" والمؤتمر الإسلامي⁽⁵⁴⁾، وتطورت هذه النخبة لتضم كل الوطنيين الفرنسيين المعارضين لمشروع "بلوم فيوليت"⁽⁵⁵⁾.

ج- المنتخبون الأوروبيون:

كان المنتخبون الأوروبيون⁽⁵⁶⁾ يخشون خاصة رؤية المسلمين يجتاحون الهيئة الانتخابية للمواطنين ففي الوقت الحالي، كان المواطنون من الأهالي يشكلون أقلية

لكن بعد خمس عشرة سنة أو عشرين سنة سيمثلون ربما الأغلبية وهو تساؤل طرحه الفرنسيون عامة، حيث عنونت إحدى الصحف بتاريخ 09 مارس 1938

" Les indigènes algériens de viendront ils les électeurs français ?" فشعور الخوف هاجس يمكن أن يتجسد حسبهم بالتصويت على المشروع، وهو ما انتفض له هؤلاء، بأساليب مختلفة، استقلالات جماعية، احتجاجات، إضرابات، وغيرها من الضغوط الشديدة، التي مورست على البرلمان، وبالتالي الحكومة لرفض المشروع جملة وتفضيلا، فمستقبلهم في الجزائر يضيع أمام هذه المؤامرة.

أما البرلمانيون⁽⁵⁷⁾ فقد صرّحوا بعد مقابلة رئيس الوزراء " بلوم فيوليت" برفضهم الجماعي " بلوم فيوليت" لما يحدثه من اضطراب كبير في سائر القطر الجزائري، لأن المواطنين الفرنسيين بالمدن والوادي يرفضون وجود هيئتين انتخابيتين في قائمة واحدة تتمتع كلتاهما بحقوق سياسية واحدة، لكن تخضع إحداها للقوانين المدنية الفرنسية بينما تحتفظ الأخرى بشريعتها الإسلامية فيسمح بتعدد الزوجات، وبالطلاق بسبب ومن دونه، وتحرم البنات في الغالب من حق الإرث، ليضيف البرلمانيون حجة أخرى لرفض المشروع، وهي ما سيحدثه من اضطرابات بين الأوروبيين والمسلمين عند كل دورة انتخابية، لأن المشروع عبارة عن لعبة اوتوماتيكية يتم فيها ادخال الأهالي في الذاكرة الانتخابية الفرنسية بشكل متتابع، فتكون لهم الأغلبية في مدة قصيرة، ثم أضافوا بأنه سيضرب السيادة الفرنسية ضربة قاضية لذلك كله فهم غير مستعدين لتحمل مسؤولية هذه النتائج الخطيرة⁽⁵⁸⁾.

ومن ضمن البرلمانين الذين أطلقوا العنان لامتعاضهم، وسخطهم على المشروع (M. Saurin)⁽⁵⁹⁾، أين صرح في صحيفة "الجريدة (Le Journal)" : "journal) ولو تحقق مشروع بلوم فان السيادة الفرنسية في افريقيا الشمالية ستتضرر ضررا شديدا، ولكن ما جدوى ذلك؟ سيكون فيوليت قد اقتص لنفسه حينئذ من الاستعمار الجزائري الذي لم يخف أبدا انه ظل يعتبر هذا الحاكم الطاغية المصطنع مجرد أبله خرف"⁽⁶⁰⁾.

كما عبر "جان ميليا" (Jean Méliá)⁽⁶¹⁾، أنه كان مع تجنيس الأهالي على غرار ما فعل باليهود بموجب قرار كريميو، وتقديمه لكراسته التي وزعها على رجال السياسة بفرنسا والجزائر في " أكتوبر 1927" في العمل على كل ما في الطاقة لتقريب مسلمي الجزائر ومزجهم في الحياة الوطنية الفرنسية تكون الجزائر قطعة من فرنسا بل تكون هي فرنسا نفسها" إلا أنه كان ضد مشروع "بلوم فيوليت"، فمن وجهة نظره، فإن هذا الأخير يوقف عملية فرنسة المسلمين، ودعهم ليصبحوا مواطنين فرنسيين⁽⁶²⁾.

بالموازاة مع نشاط النواب البرلمانين الكثيف ضد المشروع، نشط بالمقال منتخبون آخرون من غلاة الاستعمار والاستيطان الذين كانوا يروا في هذا المشروع، نهاية الجزائر الفرنسية، وفقدانها نهائيا، وقادوا هجوما بلا هوادة ضده، مؤثرين على الحكومة ورئيسها باستقالات جماعية أرادوا من خلالها شل الحياة السياسية في الجزائر، وهو الأمر الذي مكنهم في الأخير من تحقيق هدفهم بعد جهد سياسي واعلامي، وحتى مادى كبير ستقف على بعضه فيما يأتي:

فحملة رؤساء البلديات، كانت حملة كبيرة، جاءت كرد فعل عنيف جدا على التصويت على الفصل الأول من المشروع من قبل لجنة الاقتراع على المشروع في البرلمان⁽⁶³⁾.

وقد ابتدأوها بعقد اجتماعات في كل من وهران في 05 جانفي 1937 برئاسة الأب لامبير، وفي قسنطينة بتاريخ 06 جانفي 1937⁽⁶⁴⁾ برئاسة كوزان، حيث وجهوا نداءات مستعجلة للحكومة والبرلمانيين يطالبونهم برفض مشروع فيوليت لنفس الأسباب التي تدرج بها البرلمانيون كما سبق الذكر. كما عارضوا المشروع مرة أخرى أثناء عقدتهم مؤتمرا في 14 جانفي 1937 بدار الفلاحة، وصوت خلالها ثلاثمائة شخص ضد المشروع مقابل مؤيدين فقط، وهددوا بتقاسم استقالتهم في حالة مصادقة المجلس عليه في محاولة لعرقلة إداريا⁽⁶⁵⁾.

هذا ولم يهدأ بال رؤساء البلديات للمقاطعات الثلاث في اتخاذ خطوة هامة كتهديد جماعي ووسيلة ضغط على الحكومة، للتراجع عن اعتماد هذا المشروع، وأشهبوا سلاح لاستقالات الجماعية مثلما فعل اتحاد رؤساء بلديات مقاطعة وهران مثلا(66)، وكذلك رؤساء بلديات كل من مقاطعتي قسنطينة والجزائر.

د- مشاريع الأوروبيين المضادة:

شهدت الساحة السياسية بظهور مشروع فيوليت تطورات كبيرة بل وانقلاب سياسي هام، لم تشهده الجزائر الفرنسية منذ ظهور قانون 1919، فازدادت الانتقادات وأسالت الكثير من الحبر أثناء مناقشته في البرلمان الفرنسي.

بالموازاة مع هذا الزخم البرلماني الكبير، نشط كثير من البرلمانيين المعارضين وعلى رأسهم النائب "بول كيتولي" (Paul cuttoli)⁽⁶⁷⁾، ممثل عمالة قسنطينة في مجلس الشيوخ. أين عرض الأخير مشروعاً في 21 مارس 1935 عندما ألقى خطاباً دافع فيه عن الاستعمار، وعبر عن معارضته لمشروع فيوليت بقوله: "إن المسألة المطروحة اليوم امامنا هي معرفة ما إذا كنا نريد الحفاظ على الجزائر، وعلى

شمال افريقيا أم لا.... لا يوجد من الأهالي إلا أقلية تفكر في توسيع الحقوق المدنية، والأغلبية منهم يجهل كل شيء عن مؤسساتنا، ولا يطمح إلا في تحقيق تحسينات اجتماعية وإن بعض المطالب السياسية تخفي من ورائها يقظة خطيرة تتسم بالتعصب الكاره للأجانب وقد اختار في هذا الوقت بالذات بعض المفكرين الطائشين المناداة بالحقوق السياسية لصالح الأهالي... " (68) .

ثم قدم مشروعا آخر في 28 فيفري 1938، وهو مشروع مضاد لمشروع "بلوم فيوليت" (30 ديسمبر 1936)، إلا أنه تكلمة لمشروعه الأول حيث أضاف أصناف فئات أخرى بإمكانها الاستفادة من الجنسية الفرنسية" (69) .

وهكذا لم يضيف "كيتولي" جديدا إلى هذا المشروع، إلا بعض الفئات والتي قدمت تضحيات كبيرة في خدمة فرنسا، مكنتها الحصول على الجنسية الفرنسية.

وهذا طبعا في ظل خصوصية واحدة هامة ميز بها "كيتولي" مشروعه وهي منح فرصة "سنة" لطلب الأهالي التجنس، بكل حرية، في طلب المواطنة أو تركها.

وبالإضافة إلى مشروع "كيتولي" قدم النائب "دوفو (Devaud)"، وهو أحد نواب بعمالة قسنطينة، وأحد معارضي مشروع "فيوليت"، حيث أبدى تحوفا شديدا منه حين قال: "مهما كان عظمي الأخوي وانجذابي نحو الأهالي المسلمين الذين يسكنون عمالاتنا الافريقية الثلاث، فإني اخشى كثيرا أن يثير هذا المشروع من وراء البحر المتوسط احتجاجات ومظاهرات عدائية شديدة من طرف الرأي العام الفرنسي ضد هذا المشروع" (70)، ثم قدم في فيفري 1938 مشروع آخر إلى مجلس البرلمان يمنح المواطنة الفرنسية للأهالي الجزائريين الذين ينتمون لإحدى الفئات التالية (71) :

1- قداماء المحاربين المتطوعين الحاصلين على الصليب الحربي .

- 2- قدماء المحاربين الذين تحصلوا على ميدالية عسكرية والصليب الحربي.
 - 3- الجنود الذين غادروا الجيش بعد خدمة دامت خمس عشرة سنة.
 - 4- الحاصلون على شهادة البكالوريا من التعليم الثانوي والشهادة العليا، الشهادة المتحصل عليها بعد التخرج من إحدى المدارس الوطنية الفلاحية أو التجارية.
 - 5- الحاصلون على وظائف عن طريق المسابقات.
 - 6- الحاصلون على جوقة الشرف.
- وبتحليل بسيط تتوصل إلى استنتاج هام وهو، أن هذه المشاريع المضادة ماهي إلا تمويه وعرقلة لمشروع "بلوم فيوليت" لضرب تنفيذ هذا الأخير، وكسر أي محاولة قد تمنح بعض الفئات صفة المواطن.

4- مصير مشروع "بلوم فيوليت" من وقف التنفيذ إلى دفن المشروع:

عجزت الحكومة الفرنسية عن تنفيذ مشروعها، وعلقت عليه أمالا كبيرة لحل القضية الأهلية، وادماج الأهلي المسلم ليصبح فرنسيا مسلما دون تخليه عن قانونه الشخصي.

وهكذا وبسقوط حكومة بلوم في 21 جوان 1937، كانت نهاية خطوط المشروع، وحتى بعد تشكيل حكومة "شوتان" (Chautemps) في 30 جوان 1937، لم يستطع مناصرو المشروع إعادة احيائه.

وبعد مدة قصيرة على تشكيل حكومة "دلا ديه"، أعلن رؤساء بلديات الجزائر يوم 22 افريل سحب استقلالهم بعد ما تلقوا ضمانات بعدم عرض مشروع "بلوم فيوليت" للنقاش، ومع ان موقف دلا ديه الشخصي الذي كان يجذب منذ عام 1935 منح الحقوق الانتخابية إلى كل أولئك الذين يتخلون عن

قانون الأحوال الشخصية إلا أن الخطاب ظل غامضا، وقد برر في 9 جوان طلب مساءلة عن النيات الحقيقية للحكومة فيما يخص المشروع، إلا أنه لم يحدد تاريخ النقاش أبدا⁽⁷²⁾.

بل و ذهب الى ابعده من ذلك حين رفض استقبال الوفد الذي ذهب لمناقشة المشروع، و رفضه لأنه لا يتماشى مع الشريعة الاسلامية، مهددا باستعمال القوة لفرض النظام و الانضباط وبهذا، كان المشروع قد دفن نهائيا، دون أن يقدم الأوروبيون أي تنازل، مهما كان نوعه .

الخاتمة:

بعد هذه الدراسة لمشروع بلوم فيوليت ، يمكننا الوقوف على الاستنتاجات التالية :

- ان دعم حكومة الجبهة الشعبية لمطالب الجزائريين كان حبرا على ورق ،بعد مد و جزر لهذا المشروع ، دون نتيجة تذكر.
- ان ورقة المحافظة على الاحوال الشخصية مع التمتع بالمواطنة الفرنسية ، كانت مجرد سياسة فرنسية لكبح جماح الحركة الوطنية ، وعلى رأسها المطالب الاستقلالية احزاب نجم شمال افريقيا
- انتهت سياسة المماطلة التي انتهجتها حكومة الجبهة الشعبية الى نتيجتين هامتين:

- تخوف الجبهة الشعبية من تحمل المسؤولية التاريخية للمصادقة على هذا المشروع

- تعتبر سياسة المماطلة و الاحتواء هذه وسيلة لتحقيق الاهداف دون المساس بمصلحة فرنسا ومن ورائها غلاة المستوطنين.

- لم يكن اللوبي الجزائري المتكون من اساطين المعمرين والذي زاد نفوذهم السياسي و الاقتصادي ليسمح بالمصادقة على المشروع، مما يقودنا الى ادراك مكانة هؤلاء في الجزائر و في فرنسا نفسها.
- تساؤل هام جدا يطرح نفسه، وهو هل سلطة اللوبي الجزائري اصبحت مساوية لسلطة الحكومة الفرنسية لدرجة منعها من المصادقة عل القوانين.
- لاشك ان التآمر على مصلحة الجزائريين ،كان هدفا مشتركا بين حكومة الجبهة الشعبية و المستوطنين ،وإلا لصادق"ليون بلوم" على المشروع كما صادق "كليمانصو" على قانون

"04 فيفري 1919"

- بقيت هذه المشاريع مجرد محاولات لدمج الشعب الجزائري،وفصله عن هويته ودينه ووطنيته دون الالتفات لطموحاته و مستقبله.
- مشروع بلوم فيوليت كان فعلا في تلك المرحلة من تاريخ الجزائر اصلاحات هامة لصالح الاهالي الجزائريين ضاعت بين تماطل ومراوغات حكومة الجبهة الشعبية وسلطة وتآمر اللوبي الجزائري.

الهوامش:

(1) كانت سنوات 1930 سنوات تقييم العمل الاستعماري بتمجيد المناهج الفرنسية للاستعمار وقد تابعت الجماهير المسلمة في المدن الاحتفالات في حين تجاهلها سكان الأرياف وأراد المنتخبون والوجهاء بهذه المناسبة الحصول من فرنسا الجزائرية على اللقطة الكريمة التي تجعل من المسلمين فرنسيين مساوين للفرنسيين الآخرين وقد كانت الدعاية الخاصة بالذكرى المثوية في قمة التنظيم اذ وصلت حدتها درجة الدعاية الحربية فمثلا نشرت وكالة "هافاس" 352 مقالا تضاعفت بواسطة أكثر من 1400 إعلان صحفي و 1200.000 نسخة من كتاب

دفاتر الذكرى المئوية (Cahier de Centenaires) والتي وزعت على المكتبات والمؤسسات فمن ميزانية قدرت بحوالي 93 مليون فرنك خصصت 6300.000 منها للدعاية وتم جذب 800.000 زائر من فرنسا إلى الجزائر من بينهم 306 نائبا. أنظر: محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، (1919-1939)، ترجمة احمد بن البار، شركة دار الامة للطباعة و النشر و التوزيع ، الجزائر، 2011، ص312.

(2) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، ج 1، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، لبنان، 1998، ص231.

(3) موريس فيوليت (Viollette Maurice) ، ولد في 03 سبتمبر 1870 ، درس الحقوق، عين في نقابة المحامين ، تقلد مناصب عديدة ككاتب (1902)، وعضوا في مجلس الشيوخ (1906) كما عين على راس بلدية "درو" (dreux, 1906)، ونائبا لرئيس الغرفة البرلمانية (1914-1917)، كما تقلد منصب الحاكم العام بالجزائر (1925-1927) ثم وزير دولة مكلف بشؤون الاهالي ضمن حكومة "ليون بلوم".

انظر : Jeanne et André Brocheir livre d'or de l'Algérie : Dictionnaire des personnalités passées et contemporaine Baconnier frères, Alger, 1937, p297

(4) يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3. الجزائر، 2013، ص84.

(5) Julien Fromage : L'Algérie vivra-t-elle ? Ou projet Blum Violette au temps du front populaire, mémoire de fin d'étude,

université Lyon 3, juin 2003, p17.

(6) محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، (1919-1939)، مرجع سابق، ص539.

(7) تأسست الجمعية المسماة "نجم شمال افريقيا" بباريس سنة 1936، من طرف المدعو "حاج علي عبد القادر" الجزائري الأصل، عضو في تلك الفترة في اللجنة القيادية للحزب الشيوعي، ورئيس للخلية الشيوعية بفرنسا، حدّد المؤسس هدف جمعياته كما يلي: "الدفاع عم المصالح المادية والمعنوية والاجتماعية لمسلمي شمال إفريقيا وكذا تنقيف أعضاء الجمعية، وقد أردفت المذكرة الصادرة عن إدارة شؤون الأهالي مكلف سري عن الجمعية، أنه حزب منذ بدايته كان تشكيل ثوري لا يستهدف أقل من التحرير الكامل لشمال افريقيا، فذلك فحوى أقوال قاداته. فضلا عن ذلك فإن المنشورات والصحف والمؤتمرات تنطرق لبرنامج يمكن أن تختصر نقاطها الاساسية فيما يلي: الاستقلال التام، انسحاب قوات الاحتلال، تشكيل حكومة وطنية ثورية و تأسيس جيش وطني للإطلاع على هذه المذكرة كاملة، أنظر: محفوظ قداش، محمد قناش، نجم الشمال الافريقي (1926-1937) وثائق و شهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية 1984، ص147-158.

(8) ما تجسد خاصة عند احتفال فرنسا بالمئوية في الجزائر، فقد تدمرت اللجنة الوطنية من تلك الاحتفالات التي رسمت الحسرة والأسى، والشعور بالغبن لما آل إليه وضع الجزائر والجزائريين.

(9) حجي مصالي المدعو "الحاج"، ولد في 16 ماي 1898 بتلمسان، دخل الكتاب بجامع سيد الوزان، ثم دخل المدرسة الفرنسية، في سنة 1918 دعى إلى

الجنديّة و قضى 3 سنوات في غرونوبل، كانت له عدة نشاطات ثورية الى ان اسس سنة 1925 جمعية دينية "الاخوة الاسلامية" الى ان اسس نجم الشمال انظر: محفوظ قداش، محمد قنانش، مرجع سابق، ص 233.

⁽¹⁰⁾ أنظر النص الفرنسي الكامل لمطالب النجم في Bulletin Colonial de L'Afrique française, 1934, p p 576-577

وقد اعادت جريدة النجم نشره في الامة El Ouma, N°25 (septembre-octobre 1934) وهي لسان حال النجم.

⁽¹¹⁾ يذكر مصالي تفاصيل عن وصوله لمنفاه في جنيف يوم 18 يناير 1936. وأهم نشاطاته التي كان يقوم بها، بعد تسويه لوجوده في هذا البلد مع الشرطة السويسرية. انظر: مصالي الحاج: مذكرات مصالي الحاج 1898-1938، تر. محمد المعراجي، منشورات ANEP، الجزائر، 2007، ص 185.

⁽¹²⁾ محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية، ج 1، مرجع سابق، ص 618.

⁽¹³⁾ عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1997، ص 296.

⁽¹⁴⁾ L'Afrique Française, 1936, p462, et La Justice, 26 juin 1936.

⁽¹⁵⁾ لقد طرحت فكرة التجنس على الجزائريين لتسوية الوضعية القانونية لهم، إبتداءا بقانون سيناتيس كونسيلت الصادر في 14 جويلية 1965، وتحديد شروط صارمة على كل من يرغب في التجنس بالجنسية الفرنسية، وعلى رأسها

التخلي على الأحوال الشخصية الإسلامية، فلم يقبل عليه إلا عدد قليل من الأهالي.

(16) أنظر: رايح زناطي، المتجنسون المساكين 04, la voix des indigènes, septembre 1930.

(17) التجنس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة الإسلامية، ومن رفض حكما واحدا من أحكام الإسلام عد مرتدا من الإسلام بالإجماع، فالمتجنس مرتد بالإجماع. مما جاء في نص الفتوى "التجنس و التوبة منه"، انظر عبد الحميد زوزو، الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية، ج1، دار هومو للطباعة والنشر، الجزائر، 2012، ص393.

(18) لاطلاع على ما جاء في مشروع بلوم فيوليت انظر: النص الاصيلي في:

J.o.doc.Parl.Chambre,session extraordinaire,
annexe N : 1596, séance du 30 décembre
1936,

Et aussi : Claude Lazard, l'accession des indigènes algériens à la citoyenneté française, librairie technique et économique paris, 1938, pp67-70.

Et aussi : L'Afrique française, 1937, p 142.

(19) حسب هذا المشروع الحكومي الذي وسع دائرة الفئات للحصول على المواطنة، للاطلاع على تفاصيل حول هذه الاحصائيات انظر: محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص ص 534-535.

(20) Claude Lazard, op.cit. pp67-70.

(21) شارل روبر أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، من انتفاضة 11 الى اندلاع حرب التحرير 1954، ج2، تر، المعهد العالي للترجمة، شركة دار الامة للطباعة و النشر، الجزائر، 2013، ص 716

(22) المرجع نفسه، ص 717.

(23) تصريح له في جريدة " بوبيلر " Populaire le وهي جريدة الحزب الاشتراكي الفرنسي كانت تصدر خلال عشرينات ق. 20 تحت اشراف ليون بلوم. انظر : Le populaire, 07 janvier 19

Et aussi L'Echo d'Alger 08 janvier 1937.

(24) النجاح عدد 1145، 10 جانفي 1937.

(25) L'Echo d'Alger. ، 31 octobre 1936

كما جاء ي تقرر المستشار العام (Bore taud)، " في نفس الجريدة: كانت ميزة المشروع " المنح التدريجي للحقوق السياسية للأهالي "الراقين" دون التخلي عن قانون الأحوال الشخصية بتشجيع التقارب وتحضر ذلك الاندماج الذي ستمخص عنه جنس قوي وسليم، فرنسي بكل أليافه الذي لن تكون اسهاماته المادية والفكرية إلا لتثري اشعاع العبقريّة الفرنسية في العالم. انظر :

L'Echo d'Alger, 31 octobre 1936.

(26) ابو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية، ج3، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ص76.

(27) المرجع نفسه، ص 77.

(28) محمد عزيز كسوس: اندماجي من مجموعة الجمهوريين المستقلين التي ترأسها ابن جلول، بعد دراسته الإعدادية بسطيف، تابع دراسته الثانوية بفرنسا بعد 1919 ثم أكملها بدارسته الحقوق في جامعتي الجزائر وباريس، كاتب ودادية الطلبة المسلمين لإفريقيا الشمالية بين سنتي 1923-1924، ثم من بين مؤسسي جمعية الطلبة المسلمين مقرها بفرنسا 1927. امتهن التعليم إلى جانب العمل الصحفي في جريدتي "لانتانت" و Oran Républicain ، ميل إلى الاندماج على طريقة موريس فيوليت، انظر: عبد الحميد زوز، مرجع سابق، ص 592.

(29) شارل روبر أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ج 2، مرجع سابق، ص 722.

(30) عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر، مرجع سابق، ص 235.

(31) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية، ج 3، مرجع سابق، ص 19 .

(32) شارل روبر أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ج 2، مرجع سابق، ص 722 .

وفي مقال هام لها بتاريخ 26 مارس 1938 أوردت هذه الجريدة موقف بلدية تبسة من مشروع "بلوم فيوليت"، وهو ضرورة التصويت عليه، وقد جاء المقال بعنوان :

La Municipalité de Tébessa pour le projet Blum
Viollette

La lutte-Sociale, 26 Mars 1938 انظر
: (33)Le parti

Socialiste (S. F. I. O) et la question
indigène, en Alger Socialiste, N°.769, 17
Mars 1938.

⁽³⁴⁾ كريمة بن حسين: الحياة السياسية في قسنطينة من سنة 1930 الى سنة
1939، رسالة للحصول على دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ، جامعة
قسنطينة 1984، ص188.

للاطلاع على المقال الأصلي للبشير الابراهيمي انظر: الشهاب، "يوم الجزائر"،
ج5 وملحق ج4، م 12، جويلية 1936، ص205.

⁽³⁵⁾ شارل روبيير أرجون، تاريخ الجزائر المعاصرة، مرجع سابق، ص727.

⁽³⁶⁾ L'Afrique française, octobre 1937, p461.

⁽³⁷⁾ شارل روبيير أرجون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ج2، مرجع سابق، ص728.

⁽³⁸⁾ الشهاب 18 فيفري 1938.

⁽³⁹⁾ جاء في مقال هام ل "A.SADOUN" : "امين اللجنة المشتركة في الجبهة
الشعبية والمؤتمر الإسلامي، توضيح هام لضرورة التصويت والموافقة على مشروع"
بلوم فيوليت"، وابرار مزايه بالنسبة للأهالي.

انظر المقال في :

Oran Républicain, 28 février 1938,
Archive Aix en Provence, Boite 3cab/96-
97.

(40) La justice, 4eme Année, N°. 60, 20 janvier 1937, p1.

(41) كريمة بن حسين، مرجع سابق، ص ص 188 - 189.

(42) بن جامين سطورا، مصالي الحاج رائد الحركة الوطنية الجزائرية (1898-1974)، ترجمة صادق عماري، دار القصة الجزائر، ص 152.

(43) محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص 683.

(44) الأمة، 21 جانفي 1938.

(45) كمال حمزي، القضية الجزائرية أما البرلمان الفرنسي 1916 1954 (من خلال الجريدة الرسمية للجمهورية الفرنسية)، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، بوزريعة، الجزائر، 2009-2010. ص 219.

(46) L'Humanité, 15 janvier, 1937.

(47) بعد حل "صلبان النار (Les croix de feu)" نتيجة تنامي نشاطها في البلاد وجذبها للعديد من الأهالي خاصة قدماء المحاربين، وقد أشار "دي لاروك" (Colonel de la roque) إلى مخاطر يقظة الإسلام على السيادة الفرنسية في الجزائر، وفضح اخفاق السلطات العمومية، تم حل هذه الحركة بمرسوم بتاريخ 08 جوان 1936 فقرر حينها هذا العقيد تأسيس حزب سياسي جديد هو الحزب الاجتماعي الفرنسي

(Parti socialiste français PSF)، كما عرف الحزب تطورا سريعا فأصبحت له جريدة تعتبر لسان حال الحزب وهي جريدة "شعلة الجزائر (La Flamme D'alger)".

لمزيد من المعلومات أنظر: محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، مرجع سابق، ص 537 .

(48) المرجع نفسه ، ص 558.

(49) La Dépêche de Constantine : 24
octobre 1938.

(50) Rapport de police de Constantine, 23
octobre 1938, Archives de la wilaya de
Constantine.

(51) أسسه دوريو في 1936 بعد الانشقاق عن الحزب الشيوعي، وقد بين هذا
Le projet Blum الأخير معارضته الشديدة للمشروع في مقال هام بعنوان
Viollette: Sarraut et absolument inacceptable
pour : les français d'Algérie, jacques Doriot, en
Oran matin, 9 mars 1938. (52) J. o.
Doc. Par. Chambre, session ordinaire annexe
N°.1804, séance 02 février 1937.

(53) Le Pionnier, jeudi 10 février 1938.

(54) على اعتبار أن هذه تجمعات حزبية وطنية، جمعت أطراف الحركة الوطنية
لمساندة مشروع "بلوم فيوليت"، وبالتالي مساندة الجبهة الشعبية.

(55) أسس هذه اللجنة القس "Abbé Lambert"، والأستاذ دي فروكي
(Défroqué) كما جاء في جريدة :

La Bourgogne républicain بتاريخ 8 مارس 1938، مقال هام
 بعنوان: الفاشيون الجزائريون ضد مشروع فيوليت
 : Les Fascistes Algériens contre le projet Violette. .
 استقالة "L'abbé Lambert" وعداءه الشديد لهذا المشروع. انظر
 : Bourgogne républicain, 8
 Mars 1938.

(56) اتخذوا موقفا صارما اتجاه هذا المشروع، واعتبروه مؤامرة لخسارة الجزائر، فاتحدوا
 وعبروا عن رفضهم له، في اتحادات وعن طريق اجتماعات انتهوا الى قرارات هامة
 أعلنوا عنها في صفحات جرائدهم. مثال ذلك :

Les élus algériens se Sont réunis afin de
 concerter leur action. Oran-matin, 5 mars
 1938.

(57) من هؤلاء البرلمانيون "روكس فريسنيغ (Roux Freyssing) ، نائب
 عمالة وهران بمجلس الشيوخ، و (M.Saurin) نائب بمجلس الأمة ورئيس
 المجلس العام بعمالة وهران و "انجالبير (Enjalber) "نائب عمالة وهران بمجلس
 الأمة.

(58) النجاح: عدد 1941، 01 جانفي 1937.

(59) بول صوران "Saurin": نائب عن مدينة وهران، مناهض لمشروع بلوم
 فيوليت، يرى فه نهاية لفرنسا بالجزائر، وله اقتراحات خاصة كغيره من النواب في
 موضوع التمثيل الأهلي عضو في "المجلس القومي" المنشأ في جانفي 1941 من
 قبل حكومة فيشي وفي عهد الأميرال كمثل للاتحاد الديمقراطي، انظر عبد
 الحميد زوز، مرجع سابق. ص 137.

(60) Le journal, 5 mars 1938.

(61) جان ميليا: رئيس ديوان عموم الجزائر ورئيس لجنة الدفاع عن حقوق الأهالي من دعاة الادمج وصدیق الاندماجين، صاحب كتاب "المصير المأساوي للأهالي مسلمي الجزائر".

(62) شارل روبير أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ج2، مرجع سابق، ص720 .

(63) وقد أوردت جريدة "L'Echo d'Alger" بتاريخ 04 مارس بصيغة التعجب والاندعاش ما حدث في أروقة غرفة النواب بعد المصادقة على الفصل الأول أنظر : l'Echo d'Alger 04 Mars 1938

(64) La dépêche de Constantine 27 février 1938.

(65) عن هذا الاجتماع حول المشروع من قبل رؤساء بلديات الجزائر، أنظر : Les Maires d'Algérie protestent contre l'adoption du projet Viollette en Algérie, 08 février 1938

(66) انظر تقرير والي مقاطعة وهران الى المحافظ العام للجزائر عن استقالة بعض رؤساء بلديات وهران:

Le préfet de département d'Oran,
Monsieur le G. G. de l'Algérie. Archives
Aix en Provence, Boite3cab/85.

(67) بول كيتولي: (17 سبتمبر 1899 - 1949) نائب برلماني عن عمالة قسنطينة بدأ حياته كرجل قانون إذ اشتغل بالمحاماة ثم تقلد مناصب سياسية، كمنتخب عن عمالة بسكرة بالجلس العام ثم عن برج بوعرييج ثم نائب عن رئيس لجنة العمالات، رئيس بلدية، وقد اهتم منذ 1914 بالسياسة التي تخص

الأهالي في شمال افريقيا، وسط جمهوري ديمقراطي، يعد من المسؤولين عن بقاء
السياسة الفرنسية على حالها، له وجهة نظر خاصة فيما يتعلق بتجنيس النخبة
المتفرنسة تجنسا فرنسيا تجريبيا، صاحب جريدة.. La dépêche de const..
انظر:

Jaques Binoche :Paul Cutoffi l'Algérie, les
hommes et l'histoire, parcours, N°. 9,
1988 ; PP 35-36.

⁽⁶⁸⁾ Le Républicain de Constantine, 27
Mars 1935.

⁽⁶⁹⁾ J. o .Doc. Parlementaire, Sénat, session
ordinaire séance du 28 février 1938
Annexe N°. 124, P100.

⁽⁷⁰⁾ النجاح: عدد 1941، 1 جوان 1937.

⁽⁷¹⁾ Claud Lazard: Op, cit, PP 72-73.

⁽⁷²⁾ شارل رويبر أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ج2، مرجع سابق، ص739 .

فقهاء مدينة قسنطينة خلال العهد الحفصي

(625-981هـ/1227-1573م)

د. محمد قويسم - جامعة 20 أوت 1955 - سكيكدة - الجزائر

ملخص:

عرفت مدينة قسنطينة بالمغرب الأوسط خلال العهد الحفصي (625-981هـ/1227-1573م)، أي خلال مايزيد عن ثلاثماية وخمسين سنة نهضة علمية واضحة في عدة علوم، منها الفقه وأصوله من خلال مايزيد عن خمسين عالم ألفوا عشرات المؤلفات التي أنارت طريق الناس في شؤون الدنيا والآخرة، بعض هذه الكتب طبع والبعض الآخر مازال مخطوطا، وهي متفرقا في عدة بلدان.

ABSTRACT :

Constantine city recognized a great renaissance in knowledge and sciences during hafsid period (625-891 ac/ 1227-1573 ad), especially in fiqh ,in which it had more than fifty scholars, who published a lot of books, some of them printed and the others still manuscripts in many places.

مقدمة:

علم الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين، بالوجوب والحذر والندب والكرهة والإباحة، وهي من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفة من الأدلة... وانقسم الفقه إلى طريقتين: طريقة أهل الرأي والقياس، وهم أهل العراق، وطريقة أهل الحديث، وهم أهل الحجاز¹، وأصول الفقه هو علم النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتأليف²، وظهر فيه كثير من العلماء منها في مدينة قسنطينة ما بين القرنين السابع والعاشر الهجري وهم على التوالي:

1- أبو علي حسن بن علي بن الفكون القسنطيني: من أسرة الفكون الشهيرة بقسنطينة توفي سنة 602هـ / 1205م، كان فقيها مشهورا، و كان أحد شيوخ

الرحالة العبدري البارزين، رحل إلى مدينة مراكش، توارث أفراد عائلته العلم عنه مدة تزيد عن سبعة قرون من الزمن³.

2- حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ القسنطيني: من أسرة ابن قنفذ الشهيرة أيضا بقسنطينة، وهو فقيه مالكي من وجهاء وأعيان المدينة (ت664هـ / 1265م)، وهو جد والد المؤرخ والرحالة والقاضي والمحدث والفلكي أبو العباس أحمد بن حسن (الخطيب) بن علي بن ميمون بن القنفذ القسنطيني الشهير بابن الخطيب (ت810هـ / 1407م) الذي ترجم له في كتابه الوفيات وأثنى عليه كثيرا⁴.

3- عبد العزيز بن مخلوف: هو أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن مخلوف المكنى بابي فارس، قاض ومحدث وفقه مالكي متقن للمذهب، ولد بتلمسان سنة 602هـ / 1205م وتعلم بها، ثم انتقل إلى بجاية وأخذ عن شيوخها مثل أبي حسن الحرالي وأبي محرز وأبي العباس الملياني، وصفه الغبريني شيخنا الجليل الفقيه القاضي، العلامة المتقن، المحدث خزانة مالك رضي الله عنه، تولى إلى جانب التدريس قضاء الأناكحة أولا ببجاية عن أحد قضاةها، ثم أستقل بالقضاء في بسكرة، قسنطينة ثم مدينة الجزائر، وتوفي بهذه الأخيرة سنة 686هـ / 1287م⁵.

4- حسن بن خلف الله ابن باديس: حسن بن خلف الله بن حسن بن أبي القاسم بن ميمون باديس القيسي القسنطيني، ولد حوالي 707هـ / 1307م، وتوفي سنة (784هـ / 1382م)، كان عالما من علماء الفقه المالكي من أهل قسنطينة⁶، وروى عن ابن غريون البجائي وغيره وأخذ عن ابن عبد السلام وغيره وتوفي وهو قاضي بقسنطينة ولم يترك مؤلفات⁷.

5- حسن بن أبي القاسم بن باديس القسنطيني: هو ابن عم حسن بن خلف الله بن باديس، هو أبو علي حسن بن أبي القاسم بن باديس ولد في سنة 701هـ / 1301م وتوفي سنة (787هـ / 1385م) من أسرة ابن باديس الصنهاجية، كان قاضيا ومحدثا وفقهيا مالكيا، تعلم في مدينة قسنطينة مسقط رأسه ثم في مدينة بجاية، ثم شد الرحال إلى المشرق لأداء فريضة الحج والاستزادة من الدرس والتحصيل، فنزل بالقاهرة وغيرها من حواضر الشرق الكبرى، تولى بعد عودته منصب قاضي الجماعة

بمدينة تونس سنة 778هـ / 1376م، ثم أعفي منه فعاد إلى مدينة قسنطينة وشغل نفس الوظيفة بها، قام بشرح كتاب تقايد قال عنه ابن قنفذ أدرك في حادثة سنه من المعارف العلمية ما لم يدركه غيره في كبر سنه، وكان كثير الشروح⁸.

أسند إليه منصب قضاء الجماعة بتونس آخر ربيع الأول من سنة 778هـ / 1376م وفي أواخر صفر 781هـ / 1379م، استعفي من قضاء الجماعة بتونس فقدمه السلطان إلى قضاء بلده قسنطينة، وكانت له علاقات وثيقة بعلماء تلمسان في عصره⁹.

له عدة مؤلفات هي:

- القصيدة السينية المسماة النفحات القدسية: ذكر فيها أربعين وليا الذي اشتمل عليهم كتاب الروض الناظر في مناقب الشيخ سي عبد القادر

- مختصر الروض في مناقب الشيخ سيدي عبد القادر: هو استعراض ملخص لما أطلع عليه ابن باديس بالقدس الشريف في كتاب روض الناظر في مناقب الشيخ عبد القادر من حيث المولد والنشأة وانتظامه في الطريقة وشيوخه وتقشفه، ثم بعض كراماته خاصة في بغداد ويختم بذكر طائفة من مشاهير الصالحاء بقصيدة ممن ذكروا في روض الناظر¹⁰

- مجموعة تقايد أخرى: في عدة مواضيع مختلفة¹¹.

6- أبو بكر بن عمر بن علي بن سالم رضي الدين القسنطيني: ولد بقسنطينة سنة 607هـ / 1210م ونشأ بالقدس، ثم انتقل إلى القاهرة، كان متضلعا في الفقه عالما بخصائصه وبدقائقه وأصوله، كان يشارك في الحديث، توفي في الرابع عشر ذي الحجة سنة 695هـ / 1295م وله ثمان وثمانون سنة وكان من كبار أئمة العربية بالقاهرة¹².

7- علي بن حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ القسنطيني: خطيب، وقاضي، وفقه مالكي، ولد بمدينة قسنطينة وتوفي بها سنة (733هـ / 1332م)، وهو جد

أحمد بن قنفذ القسنطيني المؤرخ، تولى الخطابة ستين سنة بالمسجد الجامع وخطبة القضاء حتى استقال منها¹³.

8- حسن بن علي بن حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ القسنطيني: فقيه، وخطيب، ومحدث مالكي، تعلم بمدينة قسنطينة ثم بجاية، هو والد أحمد بن قنفذ القسنطيني المؤرخ لذلك اشتهر بن الخطيب، ورحل إلى بلاد المشرق لطلب العلم وآداء فريضة الحج، توفي سنة (750هـ / 1349م) بسبب الطاعون الذي عم البلاد كلها، والذي أُلّف فيه كتاب المسنون في أحكام الطاعون، تحدث فيه عن هذا المرض، وأحكامه الشرعية، والأحاديث الواردة في هذا الوباء، له مصنف آخر معروف بالمسائل المسطرة في النوازل الفقهية¹⁴.

9- أبو القاسم بن الحاج عزوز بن علناس القسنطيني: (ت755هـ / 1354م) ويعتبر هذا العالم من كبار الفقهاء البارزين في الفقه واللغة من أهل قسنطينة وعلمائها، العارفين بأصول الدين، له مؤلفات عديدة ومصنفات كثيرة في الفقه، لكن عبثت بها يد الزمان¹⁵.

10- أحمد الشهاب القسنطيني: هو أحمد بن يحيى بن موسى الشهاب القسنطيني، هو أكبر أولاد أبيه، حفظ عدة محفوظات، واشتغل كثيرا وحصل علما وكانت فيه أهلية الترقى إلى الفتيان فهو من الفقهاء المالكيين، توفي في حياة أبيه سنة 759هـ / 1357م وخلف ولدين حفظا القرآن وكفلهما جدما¹⁶.

11- أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن عمران المالري: (ت764هـ / 1362م) من قبيلة بويوسف الزاوية، وهو فقيه من كبار الصوفية أحتل مكانة مرموقة في بلاط الحفصيين وهو جد المؤرخ القسنطيني أحمد بن قنفذ من أمه، كانت له زاوية بملازة التي تقع غرب المدينة وتبعد عنها بمرحلتين (فرجيو)، دفن بها سنة 764هـ / 1362م¹⁷.

12- أحمد بن قنفذ القسنطيني:

هو أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن حسن بن علي بن ميمون بن قنفذ الشهير بابن الخطيب وبابن قنفذ القسنطيني ولد بمدينة قسنطينة سنة 741هـ/ 1340م، وكانت وفاة أحمد بن قنفذ القسنطيني سنة 810هـ/ 1407م¹⁸.
ترك خمس مؤلفات في الفقه هي:

- تقريب الدلالة في شرح الرسالة: في الفقه وكان شرح رسالة أبي زيد القيرواني في أربعة أسفار وهو مفقود¹⁹.

- اللباب في اختصار الجلاب: في الفقه وهو مفقود وهو شرح لكتاب التفرغ في فروع المذهب المالكي ألفه عبيد الله بن الحسين الجلاب من فقهاء المالكية ببغداد (ت 378هـ/ 988م) وشرح التفرغ كثيرون منهم أحمد بن قنفذ القسنطيني²⁰، وكتاب اللباب في اختصار الجلاب من الكتب المدرجة في برنامج التعليم بجامعة الزيتونة التي اختصرها أحمد بن قنفذ القسنطيني أيضا²¹.

- تفهيم الطالب لمسائل أصول ابن الحاجب²²: في الفقه قال عنه في كتاب شرف الطالب وهو غريب قال قيده في زمان قراءتي على الشيخ أبي محمد عبد الحق المسكوري بمسجد البليدة من مدينة فاس وكان الابتداء في أول سنة 770هـ/ 1368م²³.

- تحفة الوارد في اختصاص الشرف من قبل الوالد: عالج هذا الكتاب قضية النسب الشريف في بلاد المغرب بعد سقوط الدولة الموحدية سنة 668هـ/ 1269م، لكثرة المنتحلين والمدعين لهذا حيث ورد السؤال على أحمد بن قنفذ سنة 803هـ/ 1400م وهو قاضي وخطيب ومفتي مسجد قصبنة قسنطينة، فكان السؤال عن ثبوت الشرف من الأم وهل يسوغ التسوية بينه وبين الشرف من الأب²⁴.

- تقييدات في مسائل مختلفة:

13- محمد المراكشي القسنطيني الأكمه: هو محمد بن عبد الرحمن أبو عبد الله

بن أبي زيد المراكشي أصلاً القسنطيني دارا المالكي مذهبا عرف بالكفيف أو الضير أو الأكمه بسبب ولادته أعمى سنة 739هـ / 1338م²⁵.

وكانت وفاته في آخر ذي الحجة سنة (807هـ / 1404م)، ولعل ما يفسر هجرة أسرته إلى قسنطينة في عهد جده الثالث فرارا من بني مرين لأنه كان مظاهرا للموحدين، فنزل هو بقسنطينة ونزل أخوه بقفصة، ونسبهما من ولد الصحابي عمار بن ياسر²⁶.

ترك عدة مؤلفات هي:

-إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم: ذكر سبب تأليف الكتاب بقوله واحتلف فيها (أي نازلة الشرف من قبل الأم أو الأب) علماء تونس وعلماء بجاية رضي الله عن جميعهم سنة (726هـ / 1425م) قبل ولادتي بنحو ثلاث عشرة سنة... ويضيف وتبدأت هذا الإملاء ضحى يوم الجمعة السادس لذي القعدة عام (801هـ / 1398م)، وذكر ابن الأكمه (810هـ / 1407م)، قال التونسيون وأحمد بن قنفذ القسنطيني بالشرف من قبل الأب، وقال البجائيون والمراكشي الضير وابن الغماز من علماء تونس، بالشرف من قبل الأم²⁷.

-الأرجوزة المراكشبية: أو ترجيز المصباح المسمى ضياء الأرواح المقتبس من المصباح، في المعاني والبيان، شرحها الفقيه أبو البركات التلمساني في سفر سماه المقاصد السنينة في شرح المراكشبية²⁸.

-ضوء الصباح على ترجيز المصباح: وهو شرح لترجيز المصباح²⁹.

-ضوء المصباح: هو مختصر ضوء الصباح³⁰.

-إسفار الصباح: وهو شرح ضوء المصباح مختصر ضوء الصباح على ترجيز المصباح وهو شرح لترجيز المصباح³¹.

-الإعلام بفضل الصلاة على خير الأنام: في الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم³².

14- قاسم بن عبد الله بن منصور بن عيسى الهالبي القسنطيني: ولد بمدينة قسنطينة سنة 788هـ/1386م ونشأ بها وقرأ القرآن على شيوخها، كما أخذ الفقه عن الشيخ العالم عبد الرحمن الباز ومحمد الزلدوي قاضي مدينة قسنطينة حينذاك ومحمد بن مرزوق، ويعد من العلماء المحدثين، ومن الفقهاء البارزين ومن المقرئين المشهورين المالكيين، ثم شد رحاله في طلب العلم إلى مدينة تونس حاضرة الحفصيين، فأخذ عن قاضيها الغريبي، وأبو القاسم البرزلي والعبدوسي، وسمع منه كتاب البخاري، ثم أنتقل إلى الحجاز حتى توفي بها سنة 849هـ/1445م³³.

15- إبراهيم بن فايد الزواوي القسنطيني: هو أبو إسحاق إبراهيم بن فائد بن موسى بن هلال الزواوي القسنطيني ولد في جبال جرجرة من قبيلة زواوة سنة 796هـ/1393م، ثم انتقل إلى بجاية، فقرأ القرآن واشتغل في الفقه على أبي الحسن علي بن عثمان المتقلاقي، ثم رحل إلى تونس، فأخذ الفقه والمنطق على يد علمائها³⁴، ثم انتقل إلى قسنطينة، فقطنها واستقر بها³⁵.

ثم عكف للتدريس والتصنيف، فألف عدة كتب في الفقه هي كالتالي:

- تلخيص المفتاح: في مجلد وسماه تلخيص التلخيص وهو شرح تلخيص المفتاح³⁶.

- شرح مختصر الشيخ خليل: الذي كان في ثمان مجلدات وسماه تسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض خليل³⁷.

-فيض النيل في شرح مختصر خليل³⁸: هو شرح آخر لمختصر خليل في مجلدين³⁹.

-تلخيص البيان: أي تلخيص كتاب البيان والتحصيل لما في المستخرجة من التوجيه والتعليل⁴⁰ لابن رشد المجد⁴¹.

- تحفة المشتاق في شرح مختصر خليل بن إسحاق: هو شرح وافي على مختصر خليل، ذكر أبو القاسم الحفناوي أنه رآه في خزانة جامع الشرفاء بمراكش، السفر الأول من شرح آخر له على خليل، وهو مجلد ضخمة⁴².

نتقل إلى الحجاز حيث أدى فريضة الحج عدة مرات، وحضر مجلس ابن الجزري سنة (828هـ / 1424م)، وأخذ عنه شهاب بن يونس، ولقيه أبو الحسن برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي في سنة (853هـ / 1449م) بمكة المكرمة والتقى المؤرخ المصري السخاوي بمكة التي توفي بها أبو إسحاق إبراهيم الزواوي سنة (857هـ / 1453)⁴³.

16- محمد بن المبارك القسطنطيني: ولد ونشأ بمدينة قسنطينة وتعلم على يد كبار شيوخها، كان عالماً وفقهياً، ثم انتقل إلى الحجاز، وكان من شيوخه محمد بن عيسى فاستوطن المدينة المنورة واستقر بها إلى أن أدركته الوفاة بالمدينة المنورة سنة 868هـ / 1463م⁴⁴.

17- أبو القاسم محمد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن القسطنطيني: ولد ونشأ بمدينة قسنطينة وتعلم بها عن كبار شيوخها ومعلميها، ثم انتقل بعد ذلك إلى بلاد المشرق حيث حظ رحاله في باديء الأمر بمكة المكرمة سنة 830هـ / 1426م، ثم توجه إلى مدينة القدس الشريف واستقر بها إلى أن أدركته المنية فيها سنة 859هـ / 1454م⁴⁵.

18- عبد الرحمن القسطنطيني الكالديسي: ولد بمدينة قسنطينة وعاش بها، ثم هاجر إلى الحجاز وكان من أهل الصلاح والتربية وله أتباع وأصحاب يجتمعون على الذكر والأوراد غدوة وعشية، وكانت مجاورته بالمدينة سنة 765هـ / 1363م مع أهله ثم رحل إلى مدينة القدس الشريف مع أهله أيضاً⁴⁶.

19- أحمد بن يونس بن سعيد بن عيسى بن عبد الرحمن بن يعلى بن مدافع بن خطاب بن علي الحميري القسطنطيني المغربي المالكي نزيل الحرمين، ولد بمدينة قسنطينة سنة (813هـ / 1410م)، ونشأ بين أهلها فحفظ القرآن على شيوخها كما تتلمذ على كبار

علمائها⁴⁷، توفي أحمد بن يونس القسنطيني بمدينة المدينة المنورة في شهر شوال سنة 898هـ/1492م.⁴⁸

من مؤلفاته مايلي:

-رسالة في ترجيح ذكر السيادة في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة وغيرها.⁴⁹

-رد المغالطات الصنعانية: وهو أجوبة عن أسئلة وردت من مدينة صنعاء، مما يوضح مدى الإشراف العلمي لمدينة قسنطينة غربا وشرقا في هذه الفترة⁵⁰.

-قصيدة: في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم مطلعها:

يَا أَكْثَمَ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ مَنزِلَةً *** وَمَنْ عَلَيْهِ الثَّنَاءُ فِي سَائِرِ الْكُتُبِ⁵¹.

20- أبو زكريا يحيى بن أحمد بن عبد السلام بن رحمون المعروف بالعلمي: ولد ونشأ بمدينة قسنطينة، رحل إلى تونس حيث درس، ثم انتقل إلى بلاد المشرق، بداية مصر حيث أصبح أستاذا بالمنصورة وبالجامع الأزهر، وقام بأداء فريضة الحج سنة (875هـ/1470م)، واستقر في مدينة مكة المكرمة إلى أن توفي سنة (888هـ/1483م)، التقى مثل غيره من علماء قسنطينة بالفقيه والعالم شمس الدين السخاوي، ترك مؤلفين هما:

-شرح الرسالة في الفقه: رسالة ابن زيد القيرواني التي ساير فيها ابن سحنون، فهي أفضل مختصر فقهي بسيط لعرض غزير المادة، أطلع على شرح العلمي القسنطيني كل من بدر الدين القرابي وأحمد بابا التنبكتي.⁵²

-تعليقات على مختصر خليل: وهو مختصر في الفقه.

21- النقاوسي محمد أبو الطيب القسنطيني: هو محمد بن محمد بن محمد بن يحيى بن أبي علي أبو الطيب النقاوسي القسنطيني، ولد بنقاوس وتعلم بقسنطينة ثم تونس، وهو قاضي ومفسر ولغوي منطقي أصولي من فقهاء المالكية، ثم رحل إلى مصر فاخذ عن كبار علماء القاهرة ومنها حج إلى الحجاز.⁵³

22- أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن النقاوسي البجائي: وقيل أحمد بن صالح ويكنى بأبي زيد، عاش في القرن التاسع الهجري وأقام في بجاية أو قسنطينة أو فيهما معا وكان من كبار فقهاء المالكية، توفي حوالي 810هـ / 1407م⁵⁴. وترك عدة مؤلفات هي:

- الأنوار المنبلجة في بسط أسرار المنفرجة: أهم كتبه وهو شرح لقصيدة المنفرجة ترجم في أوله لناظمها النحوي القلعي وأطنب على طريقة شراح المتون في الشرح اللغوي الأدبي قبل التفرغ إلى غايته من هذا الشرح وهي التصوف والبحث عما في القصيدة من معاني الخير والصلاح على طريقة الشيخ عبد الرحمن الوغليسي، ومازالت معلوماتنا ناقصة عن عبد الرحمن النقاوسي⁵⁵.

23- الشيخ أبو القاسم بن محمد بن أحمد الوشتاتي القسنطيني: ولد في قسنطينة، ونشأ في تونس، وأخذ فيها علوم عصره عن جماعة من شيوخ الزيتونة منهم أبي مهدي عيسى الغبريني حتى أصبح من نبغاء الزيتونة في الفقه وأصول الدين، تولى خطة قضاء الجماعة بتونس 863، 870هـ / 1458، 1465م في عهد الأمير الحفصي أبي عمرو عثمان، وإمامة جامع الزيتونة والخطابة به والإفتاء، كما اشتغل بالتدريس في مدرسة الشماعين، مات مقتولا وهو بمحارب جامع الزيتونة وقت صلاة الصبح يوم الخميس 19 صفر 847هـ / 18 جوان 1443م⁵⁶.

24- عمر الوزان الكماد القسنطيني: هو أبي حفص وأبي بكر عمر بن محمد الكماد الأنصاري المعروف بالوزان القسنطيني: فقيه وعالم صوفي ولد بمدينة قسنطينة سنة 906هـ / 1500م وعاش بها، رحل إلى تونس ثم مصر وأخذ عن مشايخهما، كانت وفاته بقسنطينة يوم الأربعاء 20 شعبان سنة 965هـ / 08 جوان 1557م، ويبقى تاريخ وفاته غير دقيق لأنه ذكر زيارته للشيخ عبد الكريم الفكون وهو مريض والذي توفي سنة 988هـ / 1580م، ودفن بجامعه الذي هدمه الاستعمار الفرنسي ثم نقلت رفاته إلي مسجد سيدي عبد الرحمن القروي برحلة الجمال ومازال إلى اليوم على يسار المحراب والمسجد سمي باسمه سيدي عمر الوزان⁵⁷.

من مؤلفاته:

- البضاعة المزجاجة: كتاب على طريقة الطوالع للبيضاوي والمواقف للأيجي سماه فتاوي في الفقه والكلام، أبدع فيها ما شاء الله، سأله عن بعضها الفقيه الكبير المحقق الصالح أبو زكرياء يحيى بن عمر الزواوي، وهو غاية في التحقيق والإيضاح لتلك الأغراض⁵⁸.

- الرد على الشبوية⁵⁹: هو كتاب في الرد على الطريقة الشاذلية بقيادة المرابط عرفة القيرواني وأصحابه، وهو كتاب جليل ختمه بالتصوف ومد فيه النفس بما يعلم منه أنه من أهل التصوف⁶⁰.

- حاشية على شرح الصغرى للسوسى: وهو شرح للكتاب شرح الصغرى للسوسى في حاشية كل صفحة⁶¹.

- تعليق على قول خليل: وخصصت فيه نية التحالف أو الحالف وهو تعليق صغير⁶².

- أجوبة: كثيرة في الفقه والكلام وغيرهما أبدع فيها ما شاء، سأله عن بعضها الفقيه الكبير المحقق الصالح أبو زكريا يحيى، عمرو الزواوي رفيق شيخنا الإمام في الأخذ عن الفقيه السوسى، نقلها عنه صديقه الشيخ عبد الكريم الفكون في كتابه النوازل وهو مجموع أجوبة وفتاوي صدرت في حياة المؤلف⁶³.

وكلها كتب تضمنت فتاوي في الفقه وعلم الكلام أبدع فيها، قال عنه تلميذه عبد الكريم بن الفكون: «كان بحرا لا يجار في العلوم فقها وأصولا ونحوها وحديث»، توفي بمدينة قسنطينة سنة 950هـ / 1543م أو (960هـ / 1552م) ودفن بمدرسة ابن آفوناس التي تقع على يمين المار بباب الوادي بالناحية الغربية للمدينة⁶⁴، ذكره أحمد المنجور بقوله: «كان هذا آية الله يبهز العقول في تحقيق فنون المعقول والمنقول ومن عباد الله الصالحين»⁶⁵.

25- يحيى بن محمد الفكون القسنطيني: وضع حاشية على المدونة ضمنها كما قال حفيده عبد الكريم الفكون نوازل ووقائع قل أن توجد في المطولات، وكان يحيى الفكون من فقهاء قسنطينة لكنه التجأ إلى تونس على كبر سنه، أثناء الاضطرابات التي حدثت في بلاده وفي تونس تولى الفتوى والإمامة بجامع الزيتونة، توفي شهيدا

خلال غزوة شارلكان (شارل الخامس) الإسباني لمدينة تونس سنة 941هـ/1534م⁶⁶.

26- قاسم بن يحيى بن محمد بن الفكون القسنطيني: فقيه ومفسر وقاضي من أسرة الفكون أيضا (ت 965هـ/1557م) نشأ وتعلم بمدينة قسنطينة، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة بتونس، ليوسع معارفه فانتظم في حلقاته عدة سنوات إلى أن نبغ في العلوم الفقهية والأصول، أختاره القصر الحفصي إماما للمسجد الخاص بالأمراء والسلاطين بتونس، وبعد تفرغه من هذا الوظيفة رجع إلى مسقط رأسه بعد وفاة والده يحيى سنة 941هـ/1534م، حيث تولى خطة القضاء بمدينة قسنطينة، وله حواشي مختلفة على بعض الكتب والمؤلفات⁶⁷.

27- أبو عبد الله محمد آفوناس: فقيه أشتهر بالعلم وبالولاية، كان مقربا من أمراء بني حفص لوجهاته ونباهته، تزوج ابنة الشيخ العلامة عمر الوزان، وتوفي في حياته أي في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري السادس الميلادي (10هـ/16م)، ودفن بالمدرسة المسماة باسمه الواقعة بالقرب من باب الوادي في مدينة قسنطينة⁶⁸.

28- أبو عبد الله محمد العطار: فقيه معاصر للشيخ الفقيه الوزان، وكان عارفا بالمعقول والمنقول، ومدرسا بارعا بمدارس مدينة قسنطينة وبمساجدها، وكان يشتغل إلى جانب العلم بالتجارة ولهذا كان ميسور الحال، أحاب على أسئلة تتعلق بالفقه وردت من مدينة فاس عاصمة المرينيين، وكان أبو عبد الله هذا منصفًا ومحبا للحق لا يخاف لومة لائم، وجرأته هذه جعلت له خصوما من شيوخ المدينة، مما جعله يرحل إلى تونس وأخذ من علماء الزيتونة الذين أحاطوه برعايتهم وقربوه منهم لفطنته ونبهاته وغزارة تحصيله، توفي سنة (934هـ/1527م)⁶⁹.

29- طاهر بن زيان الزواوي القسنطيني: ولد بمدينة قسنطينة ونشأ بها، رحل إلى بلاد المشرق لأداء مناسك الحج، ثم أستقر بالمدينة المنورة دار هجرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وبها تعلم على يد الشيخ الإمام القطب أبي العباس أحمد زروق وولده الشيخ أحمد زروق الصغير، توفي بالمدينة المنورة بعد سنة (940هـ/1533م)، ترك عدة مؤلفات في التصوف والتوحيد هي:

- نزهة المرید فی معانی کلمة التوحید: فی التصوف دوئها فی ثلاثة کراریس .
- رسالة القصد إلى الله: فی التصوف أيضا جعلها فی کراسین⁷⁰ .
- 30 - أبو العباس أحمد الغربي:** (ت ق 10هـ / 16م) من الفقهاء النادرین من أهل قسنطينة، أصله من مدينة میلة، كان متبحرا فی العلم والمعرفة، تولى وظيفة قاضي الجماعة بقسنطينة وتمکن من إدارة هذه الخطة بنجاح، مؤلفاته الفقهية هي:
- فتح الملك الوهاب بشرح رسالة عمر بن الخطاب: هو شرح رسالة القضاء للخليفة عمر بن الخطاب، قال فيه صاحب منشور الهداية: «شرحها بشرح لم یسبق إلى مثله»⁷¹، وضمنه جملة من الأحكام، ومن التاريخ، ومسائل اعتقاديته، وصوفية أخرى، وحكايات مستظرفة وهذا يدل على تبحر أبي العباس فی العلم والمعرفة⁷² .
- مقترح الطلاب: هو حاشية على المقترح لأبي المظفر بن سعد البروي المتوفى ببغداد سنة 568هـ / 1172م، وتمیز بالجدل والمناظرة.⁷³
- 31- الشيخ أحمد القسنطيني:** كان فقيها عالما بأصول الدين، تولى عدة وظائف سامية وخطط فقهية دينية فی البلاد الحفصية بتونس، فتولى القضاء والخطابة فی المساجد التونسية، توفي سنة 864هـ / 1459م، لا يعرف له أي كتاب⁷⁴ .
- 32- ابن غلام الله القسنطيني:** من علماء قسنطينة فی علم الحديث سمع منه أحمد بن یونس القسنطيني الموطأ بروايته عن أبي عبد الله بن مرزوق الكبير عن الزبير بن علي المهلي، وتفقه به على حد قول أبو القاسم الحفناوي⁷⁵ .
- 33- أبو القاسم البرزاني:** من اسمه يتضح أنه من الأكراد، من الشيوخ الذين درس عنهم ابن یونس فی مدينة قسنطينة⁷⁶ .
- 34- قاسم بن عبد الله الهزبري:** ذكر أيضا الهزميري من الشيوخ الذين درس عنهم ابن یونس فی مدينة قسنطينة⁷⁷ .
- 35- الحسن بن علي بن الفكون القسنطيني:** عرف به سابق، وكان أبو عبد الله العبدري سابقا فی كتابه الرحلة المغربية إلى ذكر ابن الفكون ورواية قصيدته المشهورة

في الرحلة من قسنطينة إلى مراكش مروراً بالحاضرة الموحدية، وقد ترجم له أبو العباس أحمد الغبريني في كتابه عنوان الدراية⁷⁸.

36 - عبد العزيز القسنطيني: وأبو فارس عبد العزيز بن خليفة القسنطيني، ثم التونسي، الفقيه الصوفي، شيخ المشايخ كان من أكابر الأولياء وأعلام الصوفية ويقال أنه بلغ مقام الأفراد ومنازل الأقطاب، الذي كتب رسائل صوفية، وكان يعتقد فيه أنه صعد إلى مرتبة الغوث والقطب⁷⁹.

وكان عبد العزيز بن خليفة في وقته من أصحاب الخوارق والكرامات، وصفه السللاوي ومثل من ذكر من الأولياء كان علامة الزمان وواحد وقته شيخ مشايخ إفريقية وبعض أهل المغرب عبد العزيز القسنطيني الشيخ المتكلم الصوفي صاحب الآيات البيئات، قد كان من سكان تونس وكان ملوك تونس ومن أنضاف إليهم على الفساد الذي لا ينحصر، توفي نحو 940هـ/ 1534م له رسائل صوفية كتبها إلى تلاميذه⁸⁰.

37 - عبد الكريم الفكون (الجد): هو عبد الكريم الفكون التميمي القسنطيني ت 988هـ/ 1580م، وضع تقييدا جمع فيه الآيات التي أستشهد بها سعد الدين التفتازاني في كتابه المطول، وهذا في إطار حبه لعلم البيان ولا يدخل هذا في علم التفسير حيث لم يسجل في المغرب الأوسط خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي أي تفسير للقرآن الكريم⁸¹.

38 - عبد الكريم بن محمد الفكون (الحفيد): هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون التميمي القسنطيني ولد بمدينة قسنطينة سنة 988هـ/ 1580م من أسرة مشهورة⁸²، وصفه المقرئ بقوله: «علم قسنطينة وصالحها وكبيرها ومفتيها سلاله العلماء الأكابر ووارث المجد كائرا عن كابر المؤلف العلامة سيدي الشيخ عبد الكريم الفكون حفظه الله»⁸³، عندما توفي أبوه سنة 1045هـ/ 1635م تولى عبد الكريم الفكون كل وظائفه من تدريس وإمامة وخطابة بالجامع الكبير، وكان على الطريقة الصوفية الزروقية، وشيخ السلفية على حد وصف أبو القاسم سعد الله، توفي سنة 1073هـ/ 1662م بقسنطينة⁸⁴.

وألف كتابين في الفقه هما:

- منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم الولاية: هو كتاب في التصوف ويندرج في أدب التراجم، لكن ابن الفكون الحفيد سلك فيه مسلكا مغايرا يختلف عن جمهرة المترجمين والمؤرخين، وهو مسلك نُحج فيه سبيل الصراحة المفرطة التي تعتمد على ثنائية المدح والقدح دون اعتبار لعلائق القرابة أو الصداقة أو الحظوة الاجتماعية.⁸⁵

- كتاب محدد السنان في نخور إخوان الدخان: هو تقييد مفيد يرد فيه على دعاء حلية (حلال) شرب عشبة التبغ، وعلى رأسهم العالم المصري الشهير الأجهوري.⁸⁶

39- محمد بن عبد الرحمن الفاسي القسنطيني: هو محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي الأصل القسنطيني التونسي الإقامة، كان بارعا في الفقه متقدما فيه، توفي سنة 859هـ/ 1454م⁸⁷.

40- أبو القاسم بن سلطان القسنطيني: ولد في مدينة قسنطينة بعد سنة 930هـ/ 1523م ثم رحل إلى المغرب الأقصى، أخذ عن أبي العباس أحمد المنجور، وعرف بالفقيه المعقولي الخطيب بقصبة تطوان، وله رحلة إلى المشرق أدى فيها فريضة الحج، له كتاب في مجلدين في الرد على الطائفة الأندلسية طائفة العكازين وزعيمه محمد الأندلسي أجاد فيه كل الإجادة، بعنوان: رسالة تنزيه الإله وكشف فضائح المشبهة الحشوية، وناضل فيه عن السنة السمحة اطلع عليه ابن القاضي سنة 995هـ/ 1586م⁸⁸.

41- الشمسي محمد كمال الدين: هو محمد بن محمد بن حسين بن علي بن يحيى بن محمد بن خلف الله بن خليفة التميمي الشمسي نسبة إلى مزرعة شمنة بقسنطينة، ولد سنة 766هـ/ 1364م رحل إلى الإسكندرية ثم القاهرة، المكنى بأبي شامل والملقب بكمال الدين جده الأعلى محمد بن خلف كان شافعيًا متصدرا بجامع عمرو بن العاص ومن الفقهاء المشهورين، كان محدثًا فقيها أصوليا صنف في الحديث وقال الشعر، توفي بالقاهرة ليلة 20 ربيع الأول سنة 821هـ/ 1418م⁸⁹.

ألف عدة مؤلفات هي:

- نظم نخب الظرائف في النكت الزائف للفيروزآبادي⁹⁰.

- فهرسة مروياته: وهي إجازته لأبي سعيد السلاوي وولده⁹¹.

42- الشمسي أبو العباس تقي الدين أحمد بن خليفة: هو الإمام أبو العباس تقي الدين أحمد بن محمد بن محمد بن حسن بن علي بن يحيى بن محمد بن خلف الله بن خليفة الشمسي، بن خليفة التميمي الداري نسبة إلى تميم الداري المالكي ثم الحنفي، المغربي الأصل، الشمسي نسبة إلى شمنة بتشديد الشين المعجمة والميم وتشديد النون، وهي مزرعة بباب قسنطينة، والأسكندري مولدا سنة 801هـ/ 1398م، نزيل القاهرة والمتوفى بها في 17 ذي الحجة 872هـ/ الموافق 7 جويلية 1467م، جده محمد بن خلف الله بن خليفة بن محمد التميمي القسنطيني أبو عبد الله الذي ولد بمدينة قسنطينة سنة 593هـ/ 1196م وكان عالما أيضا⁹².

ترك عدة مؤلفات هي كمايلي:

- أرفق المسالك لتأدية المناسك: من خلال عنوانه أنه في الفقه يخص مناسك الحج.

- شرح مختصر الوقاية: في الفقه⁹³.

- حاشية على الشفاء للقاضي عياض: سماه مزيل الخفا عن ألفاظ الشفا⁹⁴.

ومما يؤكد مكانته العلمية بالإضافة لمؤلفاته السابق الذكر أنه نال الإجازة من عدة علماء كبار في المغرب والمشرق هم: السراج البلقيني، الزين العراقي، الجمال بن ظهيرة، الهيثمي، الكمال الدميري، الخلاوي، الجوهرى والمراغى⁹⁵.

43- الشيخ أبو هادي مصباح: هو الشيخ الصالح أبو هادي مصباح بن سعيد الصنهاجي أصله من عرب برقة، ارتحل إلى المغرب ثم إلى المشرق وجاور بمكة مدة ثم أنتقل إلى إفريقية وبالضبط تونس وقسنطينة، حيث كان من إخوان يوسف الملاوي بن يعقوب والمقرين إليه، كما كان صديق الخطيب بن قنفذ والد المؤرخ أحمد بن قنفذ، توفي سنة 747هـ/ 1346م ودفن بزوايته في مدينة قسنطينة⁹⁶.

44- بركات بن أحمد العروسي: هو بركات بن أحمد العروس القسطنطيني ويعتبر من مشاهير علماء قسطنطينة في القرن التاسع الهجري الموافق للخامس عشر الميلادي، ألف سنة 877هـ / 1472م كتاب وسيلة المتوسلين بفضل الصلاة على سيد المرسلين⁹⁷.

ويرجع نسبه إلى سيدي أحمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الدائم الشهير بابن عروس بن عبد القادر التميمي الهواري الذي توفي بتونس سنة 868هـ / 1463م وقبره بجامع الزيتونة، وبركات بن أحمد لعروسي كان له مسجد في مدينة قسطنطينة باسمه قرب رحبة الزرع القديمة باتجاه كدية عاتي⁹⁸.

45- يحيى التدلسي القسطنطيني: هو يحيى بن يدير بن عتيق التدلسي أبو زكريا الفقيه العالم العلامة قاضي توات هو من تدلس أو دلس، أخذ عن الإمام ابن زاغو وغيره، وأخذ عنه الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، توفي في قسطنطينة يوم الجمعة قبل الزوال يوم 10 صفر 877هـ / 1472م، كما كتب تلميذه عبد الكريم المغيلي بخط يده⁹⁹.

46- أحمد المسيح أبو العباس القسطنطيني: الفقيه المدرس أبو العباس أحمد المدعو حميدة المسيح، كان من المفتين بمدينة قسطنطينة وممن له معرفة ونباهة وصدق، وممن له الشورى في النوازل، كان أخوه أبو محمد يعتمد عليه في عدة مهمات لكنه أشهر منه ذكرا لمخالطته الأمراء، توفي سنة 891هـ / 1486م¹⁰⁰.

47- عبد اللطيف المسيح: هو الفقيه الفرضي أبو محمد عبد اللطيف المسيح المدراسي نسباً كما كتب بخطه، كان مفتياً بقسطنطينة مرجوعاً إليه في وثائق أهلها، مدرسا في الفقه صاحب تفنن فيما يحتاج إليه من الوثائق، لكن الحساب أغلب عليه من غيره توفي سنة 980هـ / 1572م¹⁰¹.

ترك في الفقه المؤلفات التالية:

- شرح على مختصر الأخصري: هو مختصر الشيخ الصالح سيدي بن عبد الرحمن بن الصغير الأخصري¹⁰².

- عمدة البيان في معرفة فروض الأعيان: وقد شرح فيه تأليفا مختصرا لعبد الرحمن الأخرزي، وقد اشتمل على المهم من أمور الديانات مخلص من شوائب الاختلافات، والكتاب في آداب الدين والدنيا كالصلاة والسلام وفروض الكفاية، وقد فرغ من شرحه المذكور سنة 985هـ/ 1577م¹⁰³.

48- مصطفى بن عبد الرحمن القسنطيني: كان أعجوبة أوانه علما وحفظا وورعا وديانة حاملا لواء المذهب الحنفي، ممتلئا من علمي المعقول والمنقول، عارفا بالفلك لا يشاركه فيه غيره، شاعرا مجيدا، ولي الفتوى الحنفية، ثم القضاء، ثم الخطابة بجامع سوق الغزل ثم بجامع القصبه ثم بجامع سيدي الكتاني، توفي سنة 980هـ/ 1572م¹⁰⁴.
ترك مؤلفات غزيرة هي:

- تحرير المقال في جواز الانتقال: في التصوف¹⁰⁵.

- رسالة في الوقف على المذهب: أي المذهب الحنفي¹⁰⁶.

49- محمد بن مزيان التواتي المغربي: جاء إلى قسنطينة من المغرب وكان عالما بالفقه وبالنحو خصوصا حتى لقب بـسيبويه زمانه، في مدينة قسنطينة تولى التدريس، ثم رحل إلى بلاد زواوة وتعلم بها القراءات السبع لمدة عام ثم عاد إلى قسنطينة وكان من تلاميذه عبد الكريم الفكون الحفيد صاحب منشور الهداية، توفي التواتي في مدينة باجة بالطاعون سنة 1031هـ/ 1621م¹⁰⁷.

50- يحيى بن سليمان الأوراسي: عرف بالأوراسي لأن أصله من منطقة الأوراس، ألف بعض التقايد، وكان مفتي ومدرس بمدينة قسنطينة، لكن انشغاله بالتصوف ثم لجوءه إلى التمرد على العثمانيين قد سبب اضطرابا في حياته العلمية¹⁰⁸.

51- موسى الفكييرين القسنطيني: توفي بالطاعون بمدينة قسنطينة سنة 1054هـ/ 1644م، اهتم بإبن الحاجب توضيحا وتدريسا حتى قيل عنه كان آخر مدرس في ابن الحاجب في قسنطينة، حيث لم يدرس فيه أحد البتة بعده، بل كثر الاعتناء بالمختصر الخليلي¹⁰⁹.

خاتمة:

تميزت قسنطينة بثناء تراثها الفقهي خلال العهد الحفصي في علم الفقه وأصوله رغم أن هذا العصر يعتبر عصر ضعف في الحضارة العربية الإسلامية، ومن خلال اسم العلماء يتضح أن مدينة قسنطينة لم تكن مدينة كبرى فقط وإنما كانت عاصمة إقليم شرق المغرب الأوسط و تستقطب العلماء من كل المدن حيث أصبحوا منها رغم احتفاظهم بالنسبة إلى قبائلهم ومدنهم الأصلية مثل بونة وميلة وبجاية وسطيف.

الحواشي:

¹ ابن خلدون، عبد الرحمن: المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 2004، صص 466-467.

² المصدر نفسه، ص 474.

³ الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المائة السابعة في بجاية، تحقيق ونشر محمد ابوشنب الجزائر 1910، صص 280، 283، بن القاضي، أحمد: جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس، القسم الأول، دار المنصور للطباعة والوراقة 1973، ص 184.

⁴ ابن قنفذ القسنطيني: الوفيات، تحقيق عادل نويهض، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت 1971، ص 355.

⁵ الغبريني: المصدر السابق، صص 37، 38، التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكتب العلمية بيروت (د ت)، ص 178.

⁶ ابن قنفذ القسنطيني: أنس الفقير وعز الحقيير، نشر محمد الفاسي، ادولف فور، الرباط المغرب 1965، ص 92، شرف الطالب في اسنى المطالب، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر 1976، ص 87، بن الحاج، النميري: فيض العباب وافاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة محمد شقرون، دار الغرب الإسلامي بيروت 1982، ص 329، التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج...، 108، الفكون، عبد الكريم: منشور الهداية، تحقيق ابو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي بيروت 2005، ص 57.

⁷ ابن قنفذ القسنطيني: أنس الفقير...، ص92، شرف الطالب...ص87، بن الحاج، النميري: المصدر السابق، ص329، العبدري: المصدر السابق، ص29، التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج...، ص108.

⁸ ابن قنفذ القسنطيني: أنس الفقير...، ص92، شرف الطالب...ص87، العبدري: المصدر السابق، ص29، بن الحاج، النميري: المصدر السابق، ص329، التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج...، ص108، الفكون، عبد الكريم: منشور الهداية...، ص57، العياشي، أبو سالم: الرحلة 1661-1663، تحقيق وتقديم سعيد فاضلي، سليمان القرشي، ج2، دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارات العربية المتحدة 2006، ص205.

⁹ ابن قنفذ القسنطيني: أنس الفقير...ص50، الوفيات...ص376، التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج...، ص160، الزركشي: المصدر السابق، ص108، 110.

¹⁰ ابن باديس القسنطيني: النفحات القدسية، مخ خ ع ر رقم 583 د ورقة 1 وما بعدها، العياشي، أبو سالم: المصدر السابق، ج2، ص205.

ابن باديس الحسن بن أبي القاسم: مختصر الروض في مناقب الشيخ سيدي عبد القادر، مخ، خ ع ر رقم د 478 مجموع، و 01.

¹¹ ابن قنفذ القسنطيني: شرف الطالب...ص87.

¹² السيوطي، جلال الدين: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، ج1، تحقيق محمد الفضل إبراهيم، دار الفكر القاهرة 1979، ص ص470، 471، السخاوي، شمس الدين: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج3، القاهرة (د ت)، ص242.

¹³ الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد منصور، المكتبة العتيقة تونس 1966، ص123.

¹⁴ ابن قنفذ القسنطيني: الوفيات...ص355.

¹⁵ السخاوي، شمس الدين: الضوء اللامع...، ج1، ص ص122، 123.

¹⁶ السخاوي، شمس الدين: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة...، ج1، ص158.

¹⁷ ابن قنفذ القسنطيني: أنس الفقير... ص ص63، 64.

¹⁸ ابن قنفذ القسنطيني: أنس الفقير... ص71، الوفيات... ص361، التنبكتي، أحمد بابا: كفاية المحتاج...، ج1، ...، ص ص103، 104، محمد قويسم: المنهج التاريخي عند أحمد بن قنفذ القسنطيني، مجلة حوليات، جامعة 08 ماي 1945 قالمه، عدد07 سبتمبر2013، ص232-255.

¹⁹ ابن قنفذ القسنطيني: شرف الطالب... ص ص91، 238 المراكشي، عباس: المصدر السابق، ج2، ص224، التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج، ص109، ابن مريم: المصدر السابق، ص309، بن القاضي، أحمد: جذوة الاقتباس... القسم الأول، ص154، 155.

²⁰ ابن قنفذ القسنطيني: شرف الطالب... ص91، ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تحقيق محمد بن أبي شنب، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر1986، ص ص308، 309، بن القاضي، أحمد: جذوة الاقتباس... القسم الأول، ص ص154، 155.

²¹ ابن قنفذ القسنطيني: شرف الطالب...، ص238، ابن مريم: المصدر السابق، ص309، بن القاضي، أحمد: جذوة الاقتباس... القسم الأول، ص ص154-155.

²² ابن الحاجب هو أبو عمرو عثمان بن عمرو (ت 646 هـ/1248م) من أكرد مصر كان أبوه حاجبا فنسب إليه برع في الفقه والأصول والعربية والقراءات وعنوان كتابه منتهى السؤل في الأصول الذي شرح كثير من العلماء منهم أحمد بن قنفذ القسنطيني ينظر إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 15/9، ج2، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء المغرب 2000 ص ص231، 234.

²³ ابن قنفذ القسنطيني: شرف الطالب...، ص92، ابن مريم: المصدر السابق، ص309، ابن القاضي، أحمد: جذوة الاقتباس... القسم الأول، ص ص154، 155.

309.

²⁵ المراكشي، الأكمه محمد: المصدر السابق، ص100، ابن قنفذ القسنطيني: الوفيات... ص ص 89، 89، 381، التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج...، ص ص 284، 480، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ج2، دراسة وتحقيق محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الرباط المغرب 2000، ص ص 117، 360، السخاوي، شمس الدين: الضوء اللامع...، ج8، ص 48، المراكشي، عباس: الإعلام بمن حل بمراكش واغمامت من أعلام، ج5، تحقيق محمد عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية المغرب 1977، ص ص 26، 30، ابن مريم: المصدر السابق، ص ص 85، 308، القادري، محمد: الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج، دراسة، تحقيق، مارية دادي، تقديم، محمد بنشريفية، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط المغرب، 2009، ص 272، ترجمة رقم 260.

²⁶ المراكشي، الأكمه: المصدر السابق، ص25، ابن قنفذ القسنطيني: الوفيات... ص381، القادري، محمد: الإكليل والتاج... ص272.

²⁷ المراكشي، الأكمه: المصدر السابق، ص ص 100، 101، بوبة مجاني: تحفة الوارد في اختصاص الشرف من الوالد لابن قنفذ القسنطيني...، ص ص 151، 156، القادري، محمد: الإكليل والتاج...، ص272.

²⁸ المراكشي، الأكمه: المصدر السابق، ص27، المراكشي، عباس: المصدر السابق، ج5، ص30.

²⁹ المراكشي، الأكمه: المصدر السابق، ص28.

³⁰ نفسه.

³¹ نفسه.

³² نفسه.

³³ السخاوي، شمس الدين: الضوء اللامع...، ج8، ص36.

³⁴ السخاوي، شمس الدين: الضوء اللامع...، ج1، ص116، ج10، ص216، التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج...، ص52، 56.

³⁵ السخاوي، شمس الدين: الضوء اللامع...، ج1، ص116، ج10، ص216، التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج...، ص52، 56، السراج، محمد الوزير: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، ج1، تحقيق وتقديم محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي بيروت 1985، ص ص 643، 644.

³⁶ التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج...، ص53.

³⁷ نفسه.

³⁸ خليل: هو خليل بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر المالكي، اشتهر بخليل كان يلقب بفارس المنابر، صاحب مختصر في فقه إمام دار الهجرة الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه توفي سنة 766 هـ / 1374م ينظر التنبكتي أحمد بابا: نيل الابتهاج...، ص ص111، 112.

³⁹ التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج...، ص53، السخاوي، شمس الدين: الضوء اللامع...، ج10، ص216.

⁴⁰ التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج...، ص53.

⁴¹ ابن رشد هو أبو الوليد محمد بن رشد (الجد) قاضي الجماعة بقرطبة وصاحب الصلاة بالمسجد الجامع بها، ولد سنة 450 هـ / 1058م وتوفي 520 هـ / 1126م من مؤلفاته البيان والتحصيل، ينظر ابن قنفذ القسنطيني: الوفيات...، ص ص270، 271، النباهي المالقي الأندلسي أبو الحسن: تاريخ قضاة الأندلس وسماء كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980، ص ص98، 99، ابن رشد: الفتاوى، تقديم، تحقيق، جمع، تعليق، مختار بن طاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1987.

⁴² التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج...، ص53.

⁴³ السخاوي، شمس الدين: الضوء اللامع...، ج10، ص216.

⁴⁴ السخاوي، شمس الدين: الضوء اللامع...، ج6، ص ص182، 183.

⁴⁵ السخاوي، شمس الدين: الضوء اللامع...، ج1، ص116.

⁴⁶ السخاوي، شمس الدين: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة اللطيفة... ج2، ص160.

⁴⁷ التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج... ص82، السخاوي، شمس الدين: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة اللطيفة...، ج1، ص160، الضوء اللامع...، ج2، ص252-253.

⁴⁸ السخاوي، شمس الدين: التحفة اللطيفة...، ج1، ص160، الضوء اللامع...، ج2، ص353، التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج...، ص82، المقرئ، التلمساني: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب، ج5، تحقيق إحسان عباس بيروت 1988، ص428.

⁴⁹ السخاوي، شمس الدين: الضوء اللامع... ج2، ص353.

⁵⁰ نفسه.

⁵¹ نفسه.

⁵² التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج...، ص637.

⁵³ السخاوي، شمس الدين: الضوء اللامع...، ج1، ص7.

⁵⁴ التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج...، ص76، السراج، محمد بن محمد الوزير: المصدر السابق، ج1، ص821.

⁵⁵ التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج...، ص76، السراج، محمد بن محمد الوزير: المصدر السابق، ج1، ص821.

⁵⁶ عبد العزيز فيلاي: مدينة قسنطينة في العصر الوسيط، دراسة سياسية عمرانية ثقافية، دار البعث قسنطينة الجزائر 2005، ص152.

⁵⁷ المنجور، أحمد: المصدر السابق، ص31-32، التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج...، ص197.

⁵⁸ المنجور، أحمد: المصدر السابق، ص32.

⁵⁹ وهي الشايبية طريقة صوفية ظهرت في قرية الشابة قرب سفاقص على يد الشيخ أحمد بن مخلوف من أعراب بني هلال مند سنة 803 هـ / 1400م وبعد وفاته

- سنة 887 هـ/1482م توارث أبنائه وأحفاده المشيخة، ينظر الفكون عبد الكريم: منشور الهداية، ص168، هامش 1.
- ⁶⁰ المنجور، أحمد: المصدر السابق، ص32
- ⁶¹ ابن القاضي، أحمد: درة الحجال، ج2، ص170
- ⁶² ابن القاضي، أحمد: درة الحجال...، ج2، ص170.
- ⁶³ الفكون، عبد الكريم: المصدر السابق، ص ص37، 38، المنجور، أحمد: الفهرس، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار الغرب لتأليف والترجمة، الرباط1976، ص32، التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج... ص197، ابن القاضي، أحمد: درة الحجال...، ج3، ص205.
- ⁶⁴ الفكون، عبد الكريم: المصدر السابق، ص ص37-38، المنجور، أحمد: المصدر السابق، ص32، التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج...، ص197، ابن القاضي، أحمد: درة الحجال...، ج3، ص205.
- ⁶⁵ المنجور، أحمد: المصدر السابق، ص ص31، 32، الفكون، عبد الكريم: المصدر السابق، ص ص37، 38.
- ⁶⁶ الفكون، عبد الكريم: منشور الهداية...، ص ص12، 15.
- ⁶⁷ الفكون، عبد الكريم: المصدر نفسه، ص ص43، 44.
- ⁶⁸ الفكون، عبد الكريم: المصدر نفسه، ص ص30، 40.
- ⁶⁹ الفكون، عبد الكريم: منشور الهداية...، ص41.
- ⁷⁰ ابن مريم: المصدر السابق، ص116، التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج...، ص204.
- ⁷¹ الفكون، عبد الكريم: منشور الهداية...، ص ص40-41.
- ⁷² نفسه.
- ⁷³ الزركشي: المصدر السابق، ص140، الفكون، عبد الكريم: منشور الهداية...، ص ص40-41.

⁷⁴ الفلصادي: الرحلة، دراسة، تحقيق، محمد أبو الأحنان، الدار التونسية للتوزيع، تونس 1978، ص 115.

⁷⁵ السخاوي، شمس الدين: التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة اللطيفة...، ج1، ص160.

⁷⁶ نفسه.

⁷⁷ نفسه.

⁷⁸ الغبريني: المصدر السابق، ص ص280، 283، العبدري: المصدر السابق، ص34، ابن القاضي، أحمد: جذوة الاقتباس... ج1، ص ص184، 186، ذرة الحجال...، ج1، ص ص236، 237، المراكشي، عباس: المصدر السابق ج3، ص ص138، 139، المقرئ، التلمساني: نفع الطيب... ج2، ص958.

⁷⁹ ابن عسكر، الشفشاوني: دوحة الناشر بمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، ط2، تحقيق، محمد حجي، الرباط المغرب 1977، ص ص132، 227، ابن عيشون: الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تح، زهراء النظام، الرباط المغرب 1997، ص107.

⁸⁰ ابن عسكر، الشفشاوني: المصدر السابق، ص ص132، 127، ابن عيشون: المصدر السابق، ص107.

⁸¹ الفكون، عبد الكريم: منشور الهداية... ص52.

⁸² العبدري: المصدر السابق، ص34، ابن القاضي، أحمد: ذرة الحجال...، ج1، ص127، جذوة المقتبس... القسم الأول، ص114، المراكشي، عباس: المصدر السابق، ج3، ص29.

⁸³ المقرئ، التلمساني: نفع الطيب...، ج2، ص955.

⁸⁴ الفكون، عبد الكريم: منشور الهداية... ص51، العبدري: المصدر السابق، ص34، ابن القاضي، أحمد: ذرة الحجال...، ج1، ص127، جذوة الاقتباس... القسم الأول، ص114، المراكشي، عباس: المصدر السابق، ج7، ص29، العياشي، أبو سالم: المصدر السابق، ج1، ص170.

- ⁸⁵ ابن الفكون، عبد الكريم: منشور الهداية...، ص ص32، 33، 82، 88.
- ⁸⁶ محمد سعيد مصمودي: المرجع السابق، ص ص229، 230، 233.
- ⁸⁷ السخاوي، شمس الدين: الضوء اللامع...، ج8، ص36.
- ⁸⁸ ابن القاضي، أحمد: درة الحجال...، ج3، ص288.
- ⁸⁹ السخاوي، شمس الدين: الضوء اللامع...، ج9، ص84، 197، السخاوي، شمس الدين: وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق، بشار عواد معروف، عصام فارس الحرساني، أحمد الخطيبي، ج2، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان 1995، ص453، المقرئ، تقي الدين: ددر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، مج3، تحقيق، تعليق، محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي بيروت 2002، ص ص79-80، عبد الباسط، بن خليل: نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، القسم4، ج1، المكتبة العصرية صيدا بيروت لبنان 2002، ص12، الذهبي، شمس الدين: الذيل التام على دول الإسلام، تحقيق، حسن إسماعيل مروة، تقديم، محمود الارناؤوط، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع الكويت، دار ابن العماد للنشر والتوزيع بيروت لبنان 1992، ص508، ابن حجر، العسقلاني: المجمع المؤسس للمعجم الفهرس (مشيخة ابن حجر العسقلاني)، تحقيق، يوسف عبد الرحمن المرعشلي، مج3، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان 1994، ص301، الحنبلي، ابن العماد: شذرات الذهب...، مج9، ص221، ابن غازي: الفهرس، تحقيق، محمد الزاهي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع تونس 1984، ص ص44، 45، ابن الغزي، شمس الدين: ديوان الإسلام، تحقيق سيد كسروي حسن، ج3، دار الكتب العلمية بيروت 1990، ص160.
- ⁹⁰ الشمي، محمد كمال الدين: نظم نخبة الفكر، تحقيق، محمد سماعي الجزائري، نشر وتوزيع دار البخاري للنشر والتوزيع بريدة المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية 1994، ص10.
- ⁹¹ الشمي، محمد بن محمد: الإجازة لأبي سعيد السلاوي وولده، دراسة وتحقيق الحسين بن احمد الحدادي، دار البشائر الإسلامية 2005، ص ص13 وما بعدها.

⁹² السيوطي، جلال الدين: بغية الوعاة... ج1، ص101، القلصادي: المصدر السابق، ص 151، محمد بن علي الشوكاني: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج1، دار الكتاب الإسلامي القاهرة (د ت)، ص ص119-121، محمود محمد العامودي: حل معاهد القواعد اللآتي ثبتت بالدلائل والشواهد المنسوب للشمني، مجلة الجامعة الإسلامية، مج10، ع2، كلية الآداب الجامعة الإسلامية غزة فلسطين 2002، ص ص143، 157.

⁹³ السيوطي، جلال الدين: بغية الوعاة... ج1، ص375.

⁹⁴ الشمني، تقي الدين: : مزيل الخفاء عن أفاظ الشفاء، طبع على حاشية الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي أبي الفضل عياض اليحصي، حققه وأشرف على طباعته عبد السلام محمد أمين، ج1-2، محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص ص1 وما بعدها، القلصادي: المصدر السابق، ص151.

⁹⁵ السيوطي، جلال الدين: بغية الوعاة... ج1، ص101.

⁹⁶ ابن قنفذ القسنطيني: أنس الفقير.. ص ص90-92، شرف الطالب... ص80.

⁹⁷ العروسي القسنطيني بركات: المصدر السابق، ص6 وما بعدها.

⁹⁸ العروسي، القسنطيني بركات بن أحمد: المصدر نفسه، ص9 وما بعدها.

⁹⁹ التنبكتي، أحمد بابا: نيل الابتهاج... ص637 .

¹⁰⁰ الفكون، عبد الكريم: منشور الهداية... ص90.

¹⁰¹ نفسه.

¹⁰² نفسه.

¹⁰³ نفسه.

¹⁰⁴ أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج2، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الجزائر 1986، ص ص44، 45، وهو غير عبد الرحمن باشتارزي صاحب كتاب عمدة المرید ومنظومة الرحمانية التي شرحها ابنه مصطفى وكلاهما توفيا خلال القرن الثالث عشر الهجري ينظر أبو القاسم الحفناوي: المرجع السابق، ج2، ص6.

¹⁰⁵ أبو القاسم الحفناوي: المرجع نفسه، ج2، ص ص44، 45.

¹⁰⁶ نفسه.

¹⁰⁷ الفكون، عبد الكريم: منشور الهداية...ص57، 58، أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر، ج2، دار الغرب الإسلامي بيروت 1989، ص21.

¹⁰⁸ الفكون، عبد الكريم: منشور الهداية...صص26، 28، أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، ص73.

¹⁰⁹ الفكون، عبد الكريم: منشور الهداية...صص93، 94، السراج، محمد بن محمد الوزير: المصدر السابق، ج2، ص 248، أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، ج2، ص ص73، 383. 1998

جهود الحكومة المؤقتة الجزائرية لتدويل القضية الجزائرية في الهيئة الأممية

خلال الدورتين 13 و 14 للجمعية العامة

(سبتمبر 1958 م - ديسمبر 1959 م)

أ.سعاد بولجويجة - قسم التاريخ - جامعة 8 ماي 1945 قالمة.

الملخص:

شهدت سنة 1958م في الجزائر عدة أحداث بارزة ، على الصعيدين الداخلي و الخارجي ساهمت بشكل أو بآخر في تشكيل الحكومة المؤقتة الجزائرية ، التي تم الإعلان عنها في 19 سبتمبر 1958م بالقاهرة ، جاءت هذه الحكومة بهدف تجنب احتواء القضية الجزائرية أو الوصاية عليها ، إلى جانب العمل على تدويل هذه القضية في المحافل الدولية و بالأخص في هيئة الأمم المتحدة ، أولا من خلال الاعتراف بها ، ثم بذل الجهود من أجل إدراج القضية الجزائرية في دورات الجمعية العامة (الدورتين 13 و 14) ليس بهدف تسجيلها ، ولكن بهدف مناقشتها بجدية و الخروج بحل تدعمه المجموعة الدولية - حق تقرير المصير للشعب الجزائري والحصول على الحرية و الاستقلال - ، تحت وصاية أممية ودعم دولي بعيد عن كل الضغوطات الفرنسية .

Résumé

L'année 1958 scie en Algérie, plusieurs événements notables, à la fois d'une manière interne et externe contribué ou d'une autre dans la formation du gouvernement intérimaire algérien, qui a été annoncé le 19 Septembre, 1958 au Caire, le gouvernement est venu afin d'éviter le confinement de l'affaire algérienne ou la tutelle, ainsi que les travaux sur l'internationalisation de la question dans les forums internationaux et en particulier au sein des

Nations Unies, d'abord par la reconnaissance, puis faire des efforts pour l'inclusion de la question algérienne dans les sessions de l'Assemblée générale (sessions 13 et 14) ne sont pas le but de l'enregistrement, mais dans le but de les discuter sérieusement, et de trouver une solution soutenue par la communauté internationale – le droit à l'autodétermination du peuple algérien et obtenir la liberté et de l'indépendance – sous la tutelle de l'ONU et le soutien international est loin de toute la pression française.

مقدمة:

عرفت الثورة الجزائرية سنة 1958 م عدة صعوبات داخلية وأخرى خارجية ، منها خروج لجنة التنسيق والتنفيذ في مارس 1957 م وما نتج عنه من آثار بالغة تسبب فيها الصراع بين قادة الثورة حول وسائل وطرق نجاحها،¹ ومن هذه الوسائل المختلف عنها مسألة إنشاء الحكومة المؤقتة الجزائرية ، هذه الفكرة التي تعود إلى سنة 1956 م حسب المراسلات المتبادلة بين الوفد الداخلي والخارجي لجهة التحرير الوطني، حيث أصر من في الخارج على تأسيسها وتحفظ من في الداخل، خاصة "عبان رمضان" الذي اعتبر فكرة تأسيسها ليست بالأساسية أو ليست من الأولويات في ذلك الوقت²

بعد اجتماع القاهرة في أوت 1957 م ، ثم تكليف بعض أعضاء لجنة التنسيق والتنفيذ بإعداد تقارير من أجل تقييم المرحلة السابقة ، و البحث في موضوع تأسيس الحكومة المؤقتة الجزائرية³ ، هذا الأمر الذي أصبح ضروريا في المرحلة التي وصلت إليها الثورة الجزائرية ، خاصة بعد مجيء الجنرال ديغول و محاولته ترسيخ فكرة الجزائر الفرنسية ، وقبل فترة وجيزة من إجراء الاستفتاء الذي اقترحه ديغول في 28 سبتمبر 1958 م ، لقد كان تأسيس الحكومة بمثابة نداء وتذكير للعالم بأن الهدف الأساسي هو تشكيل جمهورية جزائرية مستقلة ، فكان لا بد لهذه الحكومة أن تؤدي دورها فيما يخص التعريف بالقضية الجزائرية ومحاولة

تدويلها في المحافل الدولية و بالأخص في هيئة الأمم المتحدة ، فإلى أي حد تمكنت هذه الحكومة من تأدية الدور المنوط بها في فترة تحتاج فيها القضية الجزائرية إيجاد حلول سريعة وفعالة ؟ ، خاصة وأنها تجاوزت فكرة التسجيل و التعريف و حان الوقت إلى المناقشات الجادة للمسألة في ظل هيئة الأمم المتحدة خلال الدورتين 13 و 14 اللتان كانتا جسرا ربط بين مرحلتين هامتين من الثورة الجزائرية .

تأسيس الحكومة المؤقتة الجزائرية والاعتراف الدولي بها :

عرفت سنة 1958 م على الصعيد الداخلي ، حدثا مميزا تمثل في تمرد 13 ماي 1958 م الذي قام به بعض قادة الجيش الفرنسي كالجنرال سالان، و ماسو..... الخ . انتهى بإسقاط الجمهورية الرابعة و قيام الجمهورية الخامسة بقيادة الجنرال ديغول⁴

أما على الصعيد الخارجي فقد شهدت سنة 1958 م عدة أحداث بارزة لها علاقة و تأثير في تشكيل الحكومة المؤقتة الجزائرية ، أبرزها مؤتمر طنجة أفريل 1958 م، حيث كان هذا المؤتمر مناسبة لتأكيد الدول المغاربية دعمها للقضية الجزائرية و طالب بضرورة تشكيل حكومة مؤقتة للجمهورية الجزائرية⁵

و قد تم الإعلان الرسمي عن تشكيل هذه الحكومة في القاهرة يوم الجمعة 19 سبتمبر 1958 ، و في نفس اليوم صدر أول تصريح لرئيس الحكومة المؤقتة حدد ظروف نشأتها و الأهداف المتوخاة من تأسيسها⁶، حيث قرأ فرحات عباس نص الإعلان أمام ما يقارب 100 صحفي ، و نفس الإعلان قرأه كريم بلقاسم و محمود الشريف من مكاتب إعلام جبهة التحرير الوطني في تونس، كما قام بنفس المهمة كل من عبد الحفيظ بوالصوف و الشيخ خير الدين من الرباط بالمغرب⁷

لقد جاءت فكرة إنشاء الحكومة المؤقتة الجزائرية بهدف تجنب كل أشكال الضغط عليها من أجل الرضوخ والقبول بحلول التسوية، التي تشمل احتواء القضية الجزائرية أو الوصاية عليها⁸

إن المبادرة بتأسيس الحكومة المؤقتة الجزائرية جاءت قبل عشرة أيام من إعلان ديغول عن فكرة تنظيم استفتاء شعبي في الجزائر، حول الدستور الجديد لفرنسا، و كرد فعل استباقي من طرف قيادة الثورة، لأن كل التوقعات كانت تشير إلى تأجيل ذلك التأسيس، حيث اتفق قادة الثورة في الخارج على أن يعلنوا عن الحكومة في أكتوبر 1958، لكنهم عجلوا بذلك حتى يتسنى لهم أن يسبقوا موعد الاستفتاء حول الجزائر المقرر في 28 سبتمبر 1958⁹

أعلنت جبهة التحرير الوطني عن تشكيل هذه الحكومة تذكيرا ونداءا للعالم، بأن قادة الثورة الجزائرية سطروا ومنذ اليوم الأول للمقاومة وذلك منذ أربع سنوات، بأن الهدف كان تشكيل جمهورية ديمقراطية اجتماعية مستقلة، حيث تقرر ذلك رسميا في ندوة طنجة.¹⁰

وعلى اثر الإعلان عن قيام الحكومة المؤقتة يذكر بن خدة أن بعد وصوله إلى مصر يوم 20 سبتمبر 1958 التقى "بفتحي الذيب" الذي لم يخف تدمير دولته بإقدام جبهة التحرير الوطني على إنشاء الحكومة دون استشارة عبد الناصر الذي طالما حاول مراقبة الثورة التحريرية والسيطرة عليها¹¹، وقد ندد بن خدة بهذا الموقف واعتبر مسألة إنشاء الحكومة أمرا يهيم الشعب الجزائري وقيادته، ولا يحق لأي كان سواء المصريين أو المغاربة التدخل في هذا الأمر، كما أضاف بن خدة أن عبد الناصر كان في الحقيقة يعارض قرار تعيين فرحات عباس على رأس الحكومة، وبعض الشخصيات الثورية ضمن الطاقم الحكومي مثل كريم بلقاسم الذي طالما اتهمه بالعمل لصالح الحبيب بورقيبة¹² إن هذا الموقف سيتغير بسرعة وستقوم مصر بعد فترة وجيزة، بالاعتراف بالحكومة المؤقتة الجزائرية، وهذا يؤكد أن الموقف المصري في البداية كان مجرد رد فعل عفوي، ناتج عن تفاجئها بالخبر بالرغم من أنه أعلن على أراضيتها.

كما عرفت الحكومة المؤقتة الجزائرية منذ تأسيسها تطورات خطيرة وأزمات¹³
عديدة كادت أن تقضي عليها وكان ذلك بسبب توقف نشاطها لعدة مرات¹⁴

وبالعودة إلى بداية تأسيس هذه الحكومة ، فقد وقع شيء من الإجماع على شخص فرحات عباس في الوقت نفسه تم معارضة وصول كريم بلقاسم إلى الرئاسة ، حيث يقول فرحات عباس حول ظروف انتخابه لرئاسة الحكومة مينا " ... إن حوادث متتالية وظروف سياسية وضعتني على رئاسة الحكومة المؤقتة الجزائرية، لم أطلب هذا الشرف ولم أطمح فيه فإن طبعي ينفر من الرئاسة وزمام الحكم وممارسة السلطة، وفي حقيقة الأمر أن السلطة لا قيمة لها إلا إذا كانت تمارس وسط شعب حر، إن الولايات التي أصابت وطني هي التي قذفت بي إلى الميدان السياسي، ولو كانت فرنسا قد وجدت حولا عادلة للمشاكل التي جابهناها، فلربما اكتفيت بمشاكلي وأشغالي الشخصية..."¹⁵ كما أعلن كذلك غداة تأليفه حكومة الجزائر المؤقتة ، أنه مستعد للتفاوض مع فرنسا على أساس إقامة إتحاد فيدرالي بين المغرب وتونس والجزائر ، كما أعلن مانصه : "...إن حكومة الجزائر قد تحملت المسؤولية كاملة و في مقدمتها قيادة الشعب والجيش الجزائري للانتصار ...أن الحل الوحيد الذي يحل مشكلة الجزائر هو إقامة اتحاد فيدرالي بين دول المغرب ، كما أن الحكومة المؤقتة تؤيد ما جاء في مؤتمر طنجة من قرارات ... كما أنها على استعداد للتفاوض مع فرنسا وتقبل بكل ارتياح كل مسعى يهدف إلى تنفيذ اتفاقية جنيف بالنسبة للحرب في الجزائر"¹⁶

عرفت الحكومة المؤقتة الجزائرية نجاحات كبيرة تمثلت خصوصا في الاعتراف الكبير بها من طرف الدول العربية والإسلامية والأسبوية، حيث كان لتأسيسها صدا كبيرا في العالم، فسارعت عدة دول للاعتراف بها نذكر من بينها: العراق، الجمهورية العربية المتحدة ، تونس ، المغرب ، لبنان ، اليمن، الأردن، في انتظار الاعتراف من باقي الدول وخاصة المنتمين إلى المجموعة الأفروآسيوية ، حيث

تعاطفت الدول العربية مع الحكومة الجزائرية ودعمتها ، كما لم تتردد الجامعة العربية في تقبلها كعضو جديد .¹⁷

ثم توالى الاعترافات الدولية بالحكومة والقضية الجزائرية خاصة بعد اعتراف الصين و السودان في 23 سبتمبر 1958 .¹⁸ ، إن اعتراف الدول العربية الإسلامية ودول العالم الثالث ، كان القصد منه هو زيادة الضغط على فرنسا من طرف الرأي العام العالمي ، وحملها على الاعتراف بوجهة التحرير الوطني كممثل شرعي ووحيد للشعب الجزائري ، وقبول التفاوض معها¹⁹

وهذه تصريحات وتعاليق بعض الدول التي اعترفت بالحكومة المؤقتة الجزائرية حسب ما وجدناه في تقارير أرشيف وزارة الدفاع بقصر فانسان في فرنسا :

- المغرب :

إن القصر والحكومة المغربية يعتقدون بأنها خطوة مهمة للاقتراب من الأهداف التي يجب تحقيقها - المفاوضات من أجل الاستقلال - كما أعلنت الإذاعة المغربية بدورها بتاريخ 1959/10/3: " أن أغلبية أعضاء الأمم المتحدة مع مفاوضات فرنسا والحكومة الجزائرية المؤقتة GPR . القائم بالأعمال في السفارة المغربية في القاهرة صرح : " بأن الشعب الجزائري أعرب بواسطة ممثليه ، قراره الراض لكل حل لا يضمن له تحقيق تطلعاته الوطنية في إطار سيادته وحرته²⁰

- تونس :

صرح الرئيس بورقيبة بأن الحرب لا تستطيع أن تقرب وجهات النظر أو الوصول إلى حل ولكنها تخلق مشاكل جديدة ، صحيح أن حق تقرير المصير هو شيء صعب أن يعلن... و...و اعتبر أن اتخاذ مثل هذا الموقف هو حدث رئيسي إن في تصريحات فرحات عباس بعض العبارات أزعجت الفرنسيين ، كما أنه لا يجب نسيان بأن الحكومة المؤقتة لها كذلك انشغالاتها الداخلية ، وقبول حق تقرير المصير يعد خطوة هامة بالنسبة لهذه الحكومة... يعرف من خلاله الطرفين تقدما

كبيراً، من أجل الفهم الجيد للمواقف الخاصة لكل منهما... إذا فرنسا اعترفت بصراحة بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره ، يمكنني أن أقول بأن القضية قد انتهت... وأنه لفعل إجرامي إن تركنا هذه الفرصة التي تؤدي إلى السلام.. نحن مستعدون لمساعدة فرنسا والجزائريين من أجل تقريب وجهات النظر والتوصل إلى حل يرضي الطرفين...²¹

- الجمهورية العربية المتحدة :

إن كل التصريحات والتعليق الصادرة عن الجمهورية العربية المتحدة كانت مساندة لجهة التحرير الوطني ومدعمة لما جاء في تصريح فرحات عباس بتاريخ 28 سبتمبر 1958 فهو بالنسبة لها تأكيد لاستمرارية الكفاح لنيل الاستقلال²²

-أندونيسيا:

" الأندونسيون يساندون الشعب الجزائري في كفاحه من أجل الاستقلال ."

- غينيا :

صرح ممثل غينيا في الأمم المتحدة بتاريخ 1959/10/02 " ...حكومتي ترغب بشدة في المفاوضات المباشرة بين فرنسا والحكومة المؤقتة الجزائرية ، وهذه الأخيرة هي الممثل الوحيد للأمم الجزائرية ، والمفاوضات هي الحل والمخرج الوحيد لهذا النزاع... "

- الدول الشيوعية :

كل الدول الشيوعية تساند تماما وجهة نظر جبهة التحرير الوطني مع دعمها التام لما تقرره²³

أما بالنسبة للدول التي لم تعترف بالحكومة المؤقتة فهي كالاتي :

لكسومبورغ :

أعلن رئيس المجلس في لوكسمبورغ للسفير الفرنسي هناك أن قضية الحكومة المؤقتة لا تطرح من أجل الحكومة الجزائرية .

غواتيمالا :

صرح نائب وزير الخارجية للسفير الفرنسي أن الحكومة الغواتيمالية كما هي مشكلة حاليا لا تظهر أي خوف أو ميل للاعتراف الحتمي بالحكومة المؤقتة الجزائرية .

الشيلي :

صرح كذلك السكرتير العام لوزارة الخارجية للسفير فرنسا ، بأن الموقف الفرنسي قانوني وسليم، ولا يمكن أن تعترف الشيلي بحكومة الجزائر في القاهرة .

أورغواي :

أعلن الوزير المكلف بالقضايا الخارجية للسفير فرنسا بالأرغواي : " ...إن تاريخ هذه القارة قد قاد حكومة الأرغواي إلى تكوين مبدأ محدد بدقة في قضية الاعتراف بالحكومات الخارجية ، وفي هذه الحالة حكومة الجزائر بالقاهرة لم تنجز أقل درجة ممكنة من الشروط المطلوبة من أجل الاعتراف بها ، وهذا أمر مرفوض لا يمكن للأرغواي الموافقة عليه ... "

اليابان :

استقبل وزير خارجية اليابان السفير الفرنسي و أكد له عدم اعتراف بلده بالحكومة الجزائرية المؤقتة وفي الوقت نفسه عبر له أن الموقف الفرنسي قانوني عادل .

أستراليا :

صرح السكرتير العام لوزارة الخارجية الأسترالية للسفير الفرنسي أن موقف الحكومة الأسترالية واضح منذ البداية اتجاه القضية الجزائرية ولن يتغير بمجرد تشكيل حكومة مؤقتة جزائرية²⁴

أما بالنسبة للدول التي لم تتخذ موقفا بعد من الحكومة المؤقتة الجزائرية فهي :

- غانا :

أكد السفير الفرنسي من مصدر موثوق ، أن حكومة غانا جد مخرجة وقلقة فيما يخص قضية الاعتراف الختمي بالحكومة الجزائرية ، وقد أعلن الوزير الأول الغاني أنه لن يتخذ أي موقف في الوقت الراهن وأنه ينتظر ما سيؤول إليه الحوار في الأمم المتحدة حول القضية الجزائرية والتي يتمكن أن تصل إلى قرار واضح .

بلغاريا :

صرح المسئول الفرنسي المكلف بالقضايا داخل وزارة الخارجية البلغارية ، بأن لديه شعور أن حكومة بلغاريا لن تتخذ أي قرار فيما يخص الاعتراف بالحكومة المؤقتة الجزائرية²⁵

لقد ظل فرحات عباس يدافع عن القضية الجزائرية في كل من إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية حتى الولايات المتحدة الأمريكية، وأكسب تأييدا دوليا للقضية الجزائرية وأحيط بدعم كبير في نصرته الشعب الجزائري وتكريس حق تقرير المصير والاستقلال.

إن تشكيل حكومة جزائرية لم يفاجئ الجهات الرسمية في باريس ، حيث صرح وزير الخارجية السيد غوف دي مارفيل " M Gauve de Merville" أن الأمم المتحدة ليس من حقها مناقشة القضية الجزائرية ، هذه القضية التي أصبحت تتلقى دعم إيجابي عالمي يوما عن يوم ، وعلى فرنسا التفكير جيدا في موقفها من الدول التي اعترفت وستعترف بالحكومة الجزائرية الجديدة ، خاصة و أن الممثلين الرسميين في باريس قد أعلنوا مسبقا أن هذه الاعترافات تختلف من دولة إلى أخرى ، ففرنسا في هذه الحالة في وضعية جديدة وخطيرة في الوقت نفسه .

لقد أثر النجاح الدبلوماسي الذي حققه فرحات عباس والحكومة المؤقتة كثيرا على فرنسا الاستعمارية التي وجدت نفسها مجبرة على التفاوض مع الحكومة المؤقتة وهذا يعني ضمنا الاعتراف بها وبالتالي بالقضية الجزائرية²⁶

المناقشات الفعلية للقضية الجزائرية في الأمم المتحدة خلال الدورتين 13 و 14 للجمعية العامة:

-1

لدورة الثالثة عشر 16 سبتمبر - 13 ديسمبر 1958:

طبعت سنة 1958 عدة أحداث هامة وخطيرة ، كانت لها انعكاسات مباشرة وغير مباشرة على مسار الثورة الجزائرية ، في الداخل والخارج .
ومن أولى هذه الأحداث ، إقدام القوات الفرنسية على قصف قرية سيدي يوسف التونسية يوم 8 فيفري 1958 ، وما نتج عنه من ردود فعل عربية ودولية ، والتي نددت بهذه الجريمة التي استهدفت مواطنين أبرياء .

كما كانت هذه الحادثة سببا في تأزم العلاقات بين تونس وفرنسا ، خاصة بعد أن قام الرئيس الحبيب بورقيبة ، برفع شكوى لدى الأمم المتحدة، طالبا منها النظر في العدوان الذي شنته فرنسا ضد مواطني القرية ، وخوفا من تأزم الوضع أكثر و أكثر خاصة فيما يتعلق بالعلاقات التونسية الفرنسية ، واستغلاله من قبل الثورة الجزائرية ، لهذا سارعت كل من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا إلى احتواء الأزمة ، عن طريق الوساطة بين الطرفين لإعادة العلاقات بين فرنسا وتونس إلى مجراها الطبيعي ، بالإضافة إلى فصل ما حدث وعدم ربطه بما تقوم به الجيوش الفرنسية من جرائم في حق الشعب الجزائري .²⁷

وبالرغم من ذلك فإن مناصري القضية الجزائرية ، استغلوا الفرصة وتقدموا بشروع قرار عرض القضية الجزائرية على الدورة الثالثة عشر ، للجمعية العامة للأمم المتحدة ، على أساس أن ما تقوم به فرنسا في شمال إفريقيا لا يهدد شعوب المنطقة فحسب ، بل هو تهديد للسلام والأمن في العالم بأسره .²⁸

هذا فضلا عن أحداث أخرى عرفتھا الساحة الدولية سنة 1958 ، واستغلتھا الثورة الجزائرية لخدمة القضية على المستوى الدولي ، منها تأسيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التي تولت ملف تدويل القضية الجزائرية ، حيث كلما امتد عمر الثورة ازداد معه التأييد العالمي لقضايا شمال إفريقيا بشكل عام والثورة الجزائرية بشكل خاص.²⁹

و نتيجة لاستمرار الفرنسيين في مناوراتهم وحرهم العدوانية ضد الشعب الجزائري ، مستغلين المهلة التي منحتها إياهم الأمم المتحدة لحسم القضية، وجهت يوم 16 جويلية 1958 ، 24 دولة من الكتلة الأفروآسيوية منها عدة دول عربية طلبا لتسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة القادمة للأمم المتحدة، مذكرة بما سبق وأن اتخذ من قرارات خلال الدورة الثانية عشر إلا أنه لم يسجل خلال هذه الفترة إلا تقدم في تنفيذ القرارات المتخذة.³⁰

لقد نصت هذه المذكرة على: "... إن الحرب ظلت مستمرة في الجزائر بلا هوية، متسببة في زيادة الآلام والخسائر في الأرواح البشرية، وليس هناك أي بادرة لوجود حل يتفق مع مبادئ وأهداف الأمم المتحدة، بل أن هناك علامات تشير للقلق في الأشهر الأخيرة تدل على أن الوضعية قد زادت خطورة، لأن الحوادث قد اجتازت حدود الجزائر..."³¹

بالإضافة إلى بروز عدة مستجدات طرأت على الساحة العربية مثل الإعلان عن ميلاد الجمهورية العربية المتحدة المتشعبة بمبادئ القومية العربية، وكذلك انعقاد الكثير من المؤتمرات ، التي أعربت فيها دول القارة الإفريقية المشاركة فيها من خلال لوائحها السياسية الختامية عن تضامنها الكامل مع الشعب الجزائري من أجل نيل استقلاله مؤكدة أنه ليس بمعزل عن باقي الشعوب الإفريقية، ووعدت إياه بالدخول بكل قواھا في الدورة الثالثة عشر لإعطاء القضية الجزائرية دفعا قويا في الساحة الدولية، وإخراج الثورة الجزائرية من المنظور الفرنسي ، والضغط على الحكومة الفرنسية لقبول منطوق المفاوضات مع الحكومة المؤقتة الجزائرية ، قصد إيجاد حل سلمي للقضية مع إدخال الأمم المتحدة في القضية

لحملها مهمة التكفل بها، وتبنيها مسؤولية إجبار فرنسا على تفضيل الحل السلمي عن الحل العسكري للفصل نهائيا في القضية.³²

وعلى هذا الأساس جرى التسجيل الرسمي للقضية في جدول أعمال الدورة يوم 22 سبتمبر 1958 ، وحاولت فرنسا كعادتها عرقلت السير العادي للمداولات وعدم المشاركة في التصويت، وفي نفس الوقت مارست الضغوط والمناورات ضد الوفود المشاركة، في هذا الشأن تذكر جريدة المجاهد أن فرنسا قد أرسلت "لوي جاكوتو" إلى دول أمريكا اللاتينية، حيث زار حكوماتها وعقد اجتماعات مع سفرائها وذكرهم بان فرنسا تعتمد على أصوات أمريكا اللاتينية في الأمم المتحدة لأنها لا تقل عن 20 صوت، ثم إن حليفاتها أمريكا تستطيع أن تضغط على هذه الدول بسهولة أكثر مما تضغط على غيرها.³³

غير أن رد جبهة التحرير الوطني على هذا التهديد كان سريعا وواضحا بقولها إن مثل هذا الموقف لن يكون له أدنى تأثير البتة على مسار القضية التي اتسعت دائرة التضامن معها بعد أن فسحت فرنسا ومن سار على طريقها المجال للمدافعين عن القضية الجزائرية بالتزايد أكثر فأكثر.³⁴

إن الموقف الذي اتخذته فرنسا خلال الدورة الثالثة عشر، لم يكن في صالحها كما كانت تتصور وإنما كان لفائدة المدافعين عن وجهة نظر الحكومة المؤقتة الجزائرية الذين استغلوا الموقف وفسحوا المجال لوفد الحكومة بقيادة "محمد يزيد" للتحرك أكثر قصد تفعيل الدبلوماسية الجزائرية بتنظيم اتصالات مع مندوبي الدول في الجمعية العامة لإقناعها بالوقوف إلى جانب القضية الجزائرية.³⁵

والملاحظ كذلك في هذه الدورة بروز الدور العربي في دعم القضية الجزائرية من خلال تدخلات وفودها، وما ميز هذه الدورة أيضا الحملة الشرسة التي شنها ممثل المملكة العربية السعودية على فرنسا السيد أحمد الشقيري قائلا: "... ها نحن بلغنا نهاية الدورة حين تبدأ مناقشة القضية الجزائرية... لم يكن هذا من جانبنا غفلة أو إهمال إن قضية الجزائر هي قضية تحرير وحرب تحرير وإنها عزيزة حقا على جميع الشعوب المحبة للحرية..."³⁶

كما أعرب الملك السعودي "سعود بن عبد العزيز" بدوره للأمين العام للأمم المتحدة "داغ همر شولد" خلال لقاء جمعهما عن مساندة العرب جميعا للقضية الجزائرية ، مؤكدا له أن العلاقة السياسية بين العرب وفرنسا متوقفة على هذه القضية ولم يكتف الملك سعود بهذا بل أعلن عن موقف مشرف وشجاع هو أن العرب لن يكتفوا بإرسال المساعدات المالية لإخوانهم المجاهدين الجزائريين، فقط بل اقترح على العرب مقاطعة فرنسا اقتصاديا حتى تستجيب للمطالب المشروعة للجزائريين.³⁷

وبالعودة إلى موضوع مناقشة القضية الجزائرية والتي شرع في مناقشتها من طرف اللجنة السياسية ابتداء من 8-10 ديسمبر 1958 حيث استغرقت المناقشة 20 جلسة قاطعتها فرنسا كلها (سياسة الكرسي الشاغر) غير أن ذلك كان لصالح القضية الجزائرية، حيث تذكر المجاهد في هذا الصدد: "أن قرار فرنسا بالانسحاب من النقاشات قد وضع المؤيدين لها في موقف حرج، حيث لم يجدوا ما يقولونه في المناقشة إلا إعادة أفكارهم المعتادة، وفي المقابل سمح هذا الانسحاب للمدافعين عن وجهة نظر الحكومة المؤقتة الجزائرية بالتغلب على مناصري فرنسا..."³⁸

كما قدمت 17 دولة أفروآسيوية مشروع اقتراح يشير إلى حق الجزائر في الاستقلال ويعرب عن قلق الجمعية العامة من استمرار الحرب في الجزائر معتبرا أن الوضع فيها يشكل تهديدا للسلم والأمن الدوليين بالإضافة إلى استعداد الحكومة المؤقتة للدخول في مفاوضات مع الحكومة الفرنسية.³⁹

ومما جاء في نص المشروع الذي عرض على اللجنة السياسية ما يلي: "... إن الجمعية العامة بعد دراستها للقضية الجزائرية، تذكر بلائحتها رقم 1012 (الدورة 11) المؤرخة في 15 فيفري 1957 التي عبرت فيها عن أملها في إيجاد حل سلمي ديمقراطي وعادل للقضية الجزائرية بالوسائل اللائقة المتماشية مع مبادئ ميثاق الأمم المتحدة، وتذكر كذلك بلائحتها رقم 1184 (الدورة 12) لمؤرخة في 10 ديسمبر 1957 التي عبرت فيها

عن رغبتها في بدأ المحادثات بين الطرفين والأخذ بالأسباب اللائقة لإيجاد حل للمشكلة الجزائرية متبعا لأهداف ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة...⁴⁰.

وفي اليوم الموالي من تقديم المشروع السابق الذكر بالتحديد يوم 13 ديسمبر 1958 تقدم وفد هايتي ومن ورائه فرنسا وحلفائها بتعديلين للمشروع يتناول استبدال عبارة "حق الشعب الجزائري في الاستقلال" بعبارة "حقهم في تقرير مصيرهم" والثاني فيتعلق بعبارة "الحكومة المؤقتة الجزائرية" وبتعويضها بعبارة "إن قادة جبهة التحرير الوطني يرغبون في التفاوض."⁴¹

ورغم أن التعديلين قد قوبلا بالرغص من طرف الكتلة الأفروأسيوية، إلا أنها أقدمت للتصويت عليها وكانت نتيجة التصويت على التعديل الأول هي رفضه من طرف 48 دولة وقبوله من طرف 13 دولة وامتناع 19 دولة عن التصويت وبعد ذلك تمت عملية التصويت من طرف اللجنة السياسية على المشروع الأساسي دون أن يجري عليه أي تعديل⁴²، وبهذه النتيجة التي كانت لصالح جبهة التحرير الوطني عن تقديم التعديل الثاني للتصويت أمام اللجنة السياسية، فأحرزت على موافقة 35 دولة ضد 18، وتخلفت عن التصويت 28 دولة وهكذا نقص صوت واحد لبلوغ ثلثي مجموع الأصوات الموافقة على اللائحة وهذا يعني انتصار لا جدال فيه للقضية الجزائرية.⁴³

بالرغم من نتيجة التصويت سيوضع المشروع في أدرج الجمعية على أن تنشط المجموعة الأفروأسيوية أكثر على الساحة لكسب المزيد من الأنصار لإحياء المشروع والتصويت لصالحه في الدورة القادمة .

لقد اختتمت الدورة 13 دون أن تدعن فرنسا عن قراراتها السابقة الراضية للحل السلمي التفاوضي وانتهت أشغالها دون أن تحقق رغبة العرب في تحقيق النصر للقضية الجزائرية، لكنها برهنت على تحدي العرب لفرنسا ومن يؤيدها وهذا ما جاء على لسان أحمد الشقيري قائلاً: "إنني أركز على السلام، لأن استمرار الحرب هو البديل الذي لا بديل سواه...، حتى النهاية والنهاية هي نصر الجزائر...".⁴⁴

لقد كان من آثار مناقشة القضية الجزائرية في الأمم المتحدة في هذه الدورة أن أثارت انتباه الرأي العام العالمي اتجاه القضية الجزائرية وأقنعتة بان ما يجري في الجزائر حرب حقيقية ، أما بالنسبة للموقف الأمريكي فانه هذه المرة كان مختلفا عما كان عليه في السنوات السابقة وذلك من عدة وجوه ، باعتبار الولايات المتحدة الأمريكية لم تصوت في هذه الدورة ضد حق الشعب الجزائري في الاستقلال أو ضد ضرورة إجراء المفاوضات بين الحكومة الجزائرية والفرنسية وهذا أمر له مغزاه، خاصة وان الفرنسيين كانوا يتمنون تصويتنا سلبيا من قبل حلفائهم الأمريكيين لكن أمريكا لم تفعل وخيبت أملهم .⁴⁵

هذه إحدى مؤشرات الهزيمة التي تعرضت إليها السياسة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر على مستوى الأمم المتحدة خلال مناقشة الدورة الثالثة عشر ، مما شجع الأمم المتحدة على الاعتراف بشرعية النضال الجزائري المتواصل ورغبته في الدخول في مفاوضات مع السلطات الفرنسية من أجل إيجاد حل سلمي للقضية الجزائرية.⁴⁶

لا شك أن تأسيس الحكومة المؤقتة الجزائرية في نفس الوقت الذي كانت تنعقد فيه الدورة 13 كان أحد العوامل الأساسية في الوصول إلى تلك النتائج (تغير مواقف العديد من الدول لصالح القضية الجزائرية ، في الوقت نفسه ضد فرنسا)، فالحكومة المؤقتة الجزائرية التي برزت كعنصر جديد جعلت عدة دول أعضاء في الأمم المتحدة تعترف بها ، وظهر ذلك جليا في مواقف مختلف الوفود أثناء المداولات ولم يقتصر الأمر عند هذا الحد، بل إن ديغول نفسه إعترف بها ضمينا عندما اعتبر ردها على مؤتمره الصحفي ردا رسميا من طرف الجزائر الحاربة وبذلك يكون الجنرال ديغول قد اعترف للحكومة المؤقتة الجزائرية بأنها المفاوضات الكفاء الذي طالما صرحت الحكومات السابقة بعدم وجوده.

ولقد كان للاعترافات المختلفة بالحكومة المؤقتة أثر في توسيع الاتصالات الدبلوماسية والانفتاح أكثر على العالم.⁴⁷

وهو الأمر الذي أعاد الاعتبار لممثلي الحكومة المؤقتة على مستوى هيئة الأمم ، حيث يذكر محمد مجاوي أنه منذ تأسيس الحكومة المؤقتة لم يعد الوزراء الجزائريين

المشتركين بدورات المنظمة الأممية ، يتخذون وضعاً دبلوماسياً مستعاراً بانداماجهم في وفود عربية كما كان يجري سابقاً ، بل أصبح ينظر إليهم من قبل الأمانة العامة للأمم المتحدة بوصفهم مدعوو "وفود صديقة" وبهذه الطريقة تضع الأمم المتحدة حداً للوضع الزائف... ، وترد للوزراء الجزائريين صفتهم.⁴⁸

وأمام هذه السمعة التي اكتسبتها مؤسسات الثورة الجزائرية في مجالها الدبلوماسي كان لا بد أن يوجد حل للمشكلة الجزائرية.

2- الدورة الرابعة عشر (15 سبتمبر-13 ديسمبر 1959):

لم تحظ القضية الجزائرية باهتمام الأمم المتحدة في الدورات السابقة رغم خطورة القضية لكونها تنطوي على مآسي إنسانية، هذا إلى جانب تصاعد المواجهة بين فرنسا والشعب الجزائري من خلال ثورته المباركة ، إلا أن هيئة الأمم المتحدة في كل مرة كانت تكفي بتسجيل القضية دون مناقشتها.⁴⁹

لقد تولت 25 دولة إفريقية أسيوية مهمة تقديم طلب تسجيل القضية الجزائرية لجدول أعمال الدورة الرابعة عشر بتاريخ 14 جويلية 1959.⁵⁰

أما عن الظروف الدولية التي سجلت فيها القضية في هذه الدورة، فقد تميزت بظهور عدت معطيات حيث تقرر أن يقوم الأمين العام للأمم المتحدة "داغ هامر شولد" بزيارة إلى فرنسا للتباحث مع مسؤوليها بشأن الوضع في الجزائر قبل مداورات الجمعية العامة، وبعد هذه الزيارة بيومين فقط يتعقد مؤتمر منروfia الذي تشارك جميع الحكومات الإفريقية المستقلة وبحضور الحكومة المؤقتة الجزائرية لبحث القضية الجزائرية أيضاً واتخاذ موقف مشترك بشأنها قبل الخوض فيها من طرف الأمم المتحدة.⁵¹

بالإضافة إلى انعقاد مؤتمر قمة الدار البيضاء التي احتضنت الدول العربية، وكذلك القمة التي جمعت بين ملك المغرب "محمد الخامس" والرئيس الفرنسي "شارل ديغول" للتباحث في المسألة الجزائرية.⁵²

أما عسكرياً فقد قام جيش التحرير الوطني في داخل الوطن بأضخم مجهود حربي لم تعرفه الثورة منذ بدايتها حسب اعترافات الفرنسيين أنفسهم ، بالإضافة إلى قيام فرنسا بأضخم وأصعب العمليات العسكرية تنفيذاً لبرنامج شال

العسكري ، قصد القضاء على الثورة وشنه حملة دعائية بان جبهة التحرير لم يعد لها من مؤيد أو تأثير في الخارج.⁵³

في أوت 1959 أقر ديغول إجراء استفتاء وإيجاد حل للقضية الجزائرية بعد أن تأكد أن العمليات التمشيطية التي أمر بها وأوكل قيادتها إلى الجنرال شال لم تأت بالنتائج المرجوة، أمام صمود جيش التحرير وتضحيات الشعب رغم كل الوسائل والأساليب التي اعتمدها من تدمير وتجويع وتشريد كما مارس سياسة التلويح بالمشاريع الاقتصادية والاجتماعية والإدارية - مشروع قسنطينة - وسياسة التهدة - سلم الشجعان- الذي كان يهدف من ورائه إلى عزل الداخل عن الخارج وإظهار أن قيادة الخارج عديمة السلطة على الداخل⁵⁴.

انعقدت هذه الدورة بعد التصريح الذي أدلى به الجنرال ديغول يوم 16 سبتمبر 1959 والذي اعترف فيه بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره على الرغم من الصيغة الغامضة التي جاء فيها والشروط والقيود المحاطة به وباقي الظروف التي سادته،⁵⁵ وأمام هذه التطورات وفي ظل التحول في الموقف الفرنسي وردود الفعل التي أثارها خاصة من طرف الحكومة المؤقتة الجزائرية ، التي أعلنت يوم 28 سبتمبر 1959.

إن تصريح ديغول يعتبر قاعدة صالحة للمناقشة لان مهما كانت مراميه فانه يعترف بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره كأساس لتسوية القضية الجزائرية وهذه تعد خطوة أولى من نوعها حيث لأول مرة يتخذ مثل هذا القرار على مستوى عال في الحكومة الفرنسية.

لقد استبشر المجتمع الدولي خيرا عندما اعترف الجنرال ديغول في خطابه الرسمي أن الشعب الجزائري له الحق في تقرير مصيره خاصة وان ذلك يعد خطوة هامة لإيجاد حل سلمي للقضية الجزائرية، لكن ما يثير الشك والريبة هو تمسك ديغول بفكرة الجزائر الفرنسية ولتجسيدها سخر كل ما تملكه فرنسا من ترسانة عسكرية للقضاء على الثورة قبل ان يتحقق تقرير المصير⁵⁶.

وعلى أساس المعطيات السابقة ، قامت مجموعة الدول الإفريقية أسيماوية بطلب إلى اللجنة السياسية تدعوها إلى إدراج موضوع القضية الجزائرية في جدول

أعمال الدورة الرابعة عشر ، لمناقشتها بعدها اطلعت على مستندات الثورة و كل ما يقوم به الجيش الفرنسي في الجزائر من عمليات تمشيط في الجبال والأرياف مخالفا العديد من الضحايا مخالفا لكل التعليمات التي أصدرتها المنظمة الأممية ، بشأن إنهاء الحرب بطرق سلمية⁵⁷.

وهكذا تجندت الوفود العربية لإنجاح القضية الجزائرية في هذه الدورة حيث تبنت المشروع المقدم من طرف الباكستان والذي نص على أن الجمعية العامة "تدعو الطرفين اللذين يهمهما الأمر إلى فتح محادثات لضبط الشروط اللازمة لتطبيق حق الشعب الجزائري في تقرير المصير في أقرب وقت ممكن بما فيها شروط إيقاف القتال"⁵⁸.

إلا أن هذا المشروع عند تقديمه للاقتراع في الجمعية العامة وقعت حادثة لا سابقة لها في تاريخ الأمم المتحدة، إذ عندما تليت فقرات القرار الواحدة تلو الأخرى واقترح عليها نالت جميعها أغلبية الثلثين وعندما عرض المشروع بكامله على الاقتراع -بعض لحظات قليلة- عدلت عدة وفود موقفها تحت ضغط الولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا،⁵⁹ فكانت نتيجة التصويت 39 لصالح و22 ضد هو امتناع 17 دولة عن التصويت أغلبها كانت تصوت لصالح فرنسا مثل: الأرجنتين، استراليا، اللوس، الإكوادور وغيرها فكان ذلك نصرا أكيدا للجزائر، ابتهج له الوفد الجزائري في الأمم المتحدة على الرغم من عدم توصل الكتلة الأفروآسيوية خلال هذه الدورة من تمرير مشروعها القاضي بوجوب الطرفين الدخول في مفاوضات قصد الوصول إلى حل سلمي على حق تقرير المصير طبقا لمبادئ الأمم المتحدة إلا انه لوحظ بروز تصدع في صف حلفاء فرنسا والموالين لها على رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية ، التي تحولت لأول مرة من صف المعارضين للقضية الجزائرية إلى الامتناع عن التصويت⁶⁰.

إن هذه الدورة لم تحقق للقضية الجزائرية إلا خيبة أمل أخرى من هيئة الأمم بسبب الموقف الغربي المؤيد لفرنسا، لكن هذا الوضع لن يستمر طويلا حيث ستواجه هذه القرارات رد فعل دبلوماسي مؤيد للجزائر ولقضيتها العادلة.⁶¹

خاتمة:

لقد كان أول تحرك للهيئة الأممية بشأن القضية الجزائرية ، هو إصدار الجمعية العامة لائحة 15 أكتوبر 1957 ، تدعو فيها إلى إيجاد حل سلمي و ديمقراطي للمسألة الجزائرية التي صارت محل اهتمام الرأي العام الدولي ، كما كانت سنة 1957 سنة الجزائر في الأمم المتحدة ، حيث عرضت قضيتها مرتين في الدورة 11 والدورة 12 واستمر طرح القضية بعد ذلك في كل دورة .

بقي دور الأمم المتحدة هزيعا حتى عام 1958 م، حيث أثبت الحل النهائي للقضية الجزائرية أن عامل الوقت كان دائما في صالح الثورة .

لهذا فقد كرس تسجيل القضية الجزائرية في جدول أعمال الدورة الثالثة عشر ، دخول الحكومة المؤقتة الجزائرية المحفل الدولي ، من خلال مشروع لائحة اعترفت بموجبها الجمعية العامة بحق الشعب الجزائري في تقرير مصيره ، مع استعداد الحكومة المؤقتة الجزائرية الدخول في مفاوضات مع الحكومة الفرنسية ، حيث أوصت اللائحة الأممية تنظيم مفاوضات بين الطرفين قصد التوصل إلى حل طبقا لميثاق الأمم المتحدة .

ومن أهم النتائج التي حققتها القضية في هذه الدورة التغيير الذي طرأ على الموقف الأمريكي الذي كان له صدى كبير في الهيئة الأممية ، وفي الوقت نفسه في مصلحة تطور القضية الجزائرية ، كما استطاع الوفد الجزائري خلال هذه الدورة ، أن يحقق الأهداف التي كانت قد رسمتها الحكومة المؤقتة من بينها الاعتراف بها ولو ضمنيا في المؤسسة العالمية والاعتراف بحق الشعب الجزائري في الاستقلال.

أما ما يلاحظ في الدورة الرابعة عشر الموقف الضعيف للحلف الأطلسي الذي وجد نفسه محاصرا ولم يجد بين يديه ما يدافع به على الموقف الفرنسي ، كما نلمس جليا تطور موقف حلفاء فرنسا حيال القضية الجزائرية و الذي انعكس

على الرأي العام الفرنسي حيث ظهر الانقسام داخل فرنسا وهذا ما انعكس على موقف الحكومة الفرنسية التي وجدت نفسها أمام مفترق طرق .

الهوامش:

¹ Maadad Massoud : **chronologie de la guerre d'Algérie**, ed : ENAL, Alger, 1992, p137-138

² Maberouk Belhoussine : **le courrier Alger/ le Caire1954-1962** ,Casbah ED, Alger,2002, p55-56.

³ Mouhamed Harbi : **le FLN, mirage et réalités des origines, crise de pouvoir** , ed. jeune africain, 1980, p253

⁴Farhat Abbas : **l'autopsie d' une guerre** , Paris , 1980, ,p 234

⁵ M. Harbi : **les archives de la révolution algérienne** ,ED jeune africain, 1975, ,p123.

⁶ Archive château de Vincennes : la république algérienne par Jean Scelles, 28 septembre1958, boîte numéro 1 H 1160/3.

⁷ Farhat Abbas : **autopsie** , op cit ,p :143-144

⁸ Nicol Grimaud : **la politique extérieure de l'Algérie** ,édition Rahma , Alger,1994,p :176-186

⁹ Hamdani Amar : **Krim Belkacem le lion des djebels**, ED d'Ahleb, Alger 1993,p217-218

¹⁰ Archive château Vincennes ,rapport sur le gouvernement algérien, Boite numéro : 1 H1160/1/2/3 .

¹¹ يوسف بن خدة: **شهادات ومواقف**, دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2004، ص74-75.

¹² Y ,Benkhadda :**La crise de 1962** ,ED Dahleb, Alger , 1986, p08-09.

¹³ من بين هذه الأزمات ، مؤامرة العقيد محمد العموري ، تقرير العقيد عميروش ، وأزمة الأمين دباغين وزير الشؤون الخارجية ، لتفاصيل أكثر أنظر : سليمان الشيخ، الجزائر تحمل السلاح ، تر محمد حافظ الجمالي ، منشورات الذكرى الأربعون للاستقلال، الجزائر ، ص 37.

¹⁴ CH.Rober.Ageron : **l'Algérie des algériens- de Napoléon 3 a de Gaulle**, Paris, 1981,p81-82.

¹⁵ فرحات عباس: حرب الجزائر وثورتها - ليل الاستعمار-، تر أبو بكر رحلة ، مطبعة فضلة ، الجزائر ، ص127
¹⁶ جريدة الأهرام ، 8 أفريل 1961.

¹⁷ Archive château Vincennes ,B numéro 1H1160/1/2

¹⁸ Archive château Vincennes, Direction Générale Des affaires politiques, note sur la reconnaissance du pseudo-gouvernement Algérien, 23/09/1958, boîte numéro 1H1160/3.p1

¹⁹ عباس محمد الصغير: من الجزائر الفرنسية إلى الجزائر الجزائرية، 1963-1927 ، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة ، 2006-2007، ص105.

²⁰ Archive château Vincennes , réactions du discours de Ferhat Abbes , 28/09/1958, boîte GR1H1160 , VI27/133F4 , P 25.

²¹ Archive château Vincennes , réactions du discours de Ferhat Abbes , ibid., p26

²² Ibid., p26

²³ Ibid., P27 . يجب معرفة أن تونس و لبنان تبنتا موقف متفهم وعادل اتجاه تشكيل . أهمية لما تحمله رسالة ديغول . الحكومة المؤقتة كما دافعت كل من أندونيسا والدول الشيوعية على مبدأها دون إعطاء أي

²⁴ Archive château Vincennes, Direction Générale Des affaires politiques, note sur la reconnaissance du pseudo-gouvernement Algerien,ibid ,p1,2,3

²⁵ Archive château Vincennes ,Direction Générale Des affaires politiques, note sur la reconnaissance du pseudo-gouvernement Algérien ,ibid. ,p1,2,3

²⁶ Archive château Vincennes , boîte numéro 1H1160/1/2 ,p02.

²⁷ خيري حماد : قضايانا في الأمم المتحدة ، ط 1 ، منشورات المكتب التجاري للطباعة و النشر و التوزيع ، 1962، ص402
²⁸ المصدر نفسه ، ص403 .

²⁹ رياض الصمد: العلاقات الدولية في القرن العشرين لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ج02، ط01، المؤسسة الجامعية للدعاية والنشر والتوزيع، بيروت، 1983، صص(280-281-282).

³⁰ بشير سعدوني: الثورة الجزائرية في الخطاب العربي 1954م-1962م ، رسالة دكتورا ، جامعة الجزائر ، 2008م-2009م ص158.

³¹ المجاهد: الدبلوماسية الجزائرية الناشئة تسجل انتصارا أكيدا أمام الأمم المتحدة، ع34، 24 ديسمبر 1958.

³² عبد القادر كرليل: تدويل القضية الجزائرية و انعكاساته على المفاوضات الجزائرية الفرنسية ، رسالة دكتورا ، جامعة الجزائر ، 2009م-2010م ، ص136.

³³ المجاهد: قضيتنا أمام الشعوب وأمام الأمم المتحدة، ع29، 17 سبتمبر 1958.

³⁴ المصدر نفسه، ص05.

³⁵ عبد القادر كرليل: المرجع السابق، ص142

³⁶ أحمد الشقيري: قصة الثورة الجزائرية من الاحتلال إلى الاستقلال ، دار العودة ، برقة ، صص39-40.

³⁷ المجاهد: مراحل مناقشة القضية الجزائرية من اللجنة السياسية إلى الجمعية العامة ، ع34 ، 24 ديسمبر 1958.

³⁸ El Moujahid : **La question Algérienne devant l'ONU**,N34 ,le 20/12/1958

³⁹ El Moujahid : **La question**,N34,24/12/1958 ,ibid

⁴⁰ المجاهد: العدد 34، مصدر سابق

- 41 عبد القادر كرليل: المرجع السابق، ص144
- 42 محمد السعيد هارون: **صدى القضية الجزائرية في المحافل الدولية** ، منشورات متحف المجاهد ، جويلية 1982ص81
- 43 المجاهد: **مراحل المناقشة من اللجنة السياسية الى الجمعية العامة**، مصدر سابق، ص11، انظر كذلك، أحمد سعيود: **تدويل القضية الجزائرية**، المصادر، العدد 15، 2007.
- 44 أحمد الشقيري: المرجع السابق، ص61.
- 45 المجاهد: العدد 34، 24 ديسمبر 1958، مصدر سابق
- 46 المصدر نفسه.
- 47 المجاهد ، ع 34 ، المصدر نفسه
- 48 محمد الجاوي: **الثورة الجزائرية والقانون** ، تر عالم علي الخشن، دار اليقظة للتأليف والنشر، بيروت، 1965، ص204.
- 49 أحمد الشقيري: **قصة الثورة الجزائرية....** ، مصدر سابق ، ص60
- 50 أحمد بن فليس : **السياسة الدولية للحكومة المؤقتة الجزائرية....**، مرجع سابق ، ص374.
- 51 المجاهد: **افتتاحية الطريق ...**، ع47، 27 جويلية 1959، ص1-2.
- 52 عبد القادر كرليل: مرجع سابق، ص148.
- 53 المجاهد: **افتتاحية الطريق....**، ع47، ص1-2.
- 54 علي كافي: **مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري (1946م -1962م)**، دار القصبية للنشر ، الجزائر ، ص179-180.
- 55 المجاهد: **الكلمة لديغول** ، ع52، 05/10/1959، ص1-9
- 56 يحيى بوعزيز: **ثورات الجزائر في القرنين 19-20** ، ج1 ، ط2 ، المركز الوطني للتوثيق و الصحافة و الإعلام ، 1986م ، صص315،312-316.
- 57 أحمد الشقيري: **قصة الثورة الجزائرية**، مصدر سابق، ص64-65.
- 58 بشير سعدوني: مرجع سابق، ص160.
- 59 المجاهد: ع57، 15 ديسمبر 1959.
- 60 أحمد بن فليس: **السياسة الدولية للحكومة المؤقتة الجزائرية 1958-1962**، مرجع سابق، ص377-378.
- 61 بسام العسلي: **جبهة التحرير الوطني**، ط01، دار النفائس، بيروت، 1984، ص170.

المحاصيل الزراعية بخراسان ودورها في النشاط الاقتصادي من خلال كتابات الجغرافيين العرب

أ. بودانة وليد - جامعة أبو القاسم سعد الله - جامعة الجزائر 02-

الملخص:

يُعد إقليم خراسان من أهم أقاليم الدولة الإسلامية اقتصاديا خاصة في المجال الزراعي الذي يقاس مدى تطوره بوفرة المحاصيل وتنوعها، وهو ما سنجد في هذه الدراسة التي تسعى إلى تقييم مدى التطور الذي بلغه الإقليم في العصر الوسيط في مجال الفلاحة، وذلك من خلال دراسة إحصائية لما كتبه الجغرافيون المسلمون عن محاصيله، أماكن توفرها، وما يُصدر منها إلى المناطق المجاورة.

RESUME

Le territoire de Khorasan est considéré comme le plus important territoire économique de l'état musulman, surtout dans le domaine agricole qu'on estime son progrès selon l'abondance et la diversité des récoltes, et c'est ça ce qu'on découvre dans cette étude qui est pour évaluer l'ampleur du développement agricole atteint à l'époque médiévale par une étude statistique pour les documents écrits par les géographes musulmans concernant les récoltes agricoles et ses lieux et son exportation aux territoires voisins

مقدمة:

تعتبر الزراعة من أهم الروافد الحضارية والاقتصادية للإنسان منذ القدم، فباكتشافها بدأ يستقر وينشئ القرى والمدن، وإضافة لكونها المادة الأساسية في

استهلاكه الغذائي، فإنها كانت عاملا مهما في اكتشاف التجارة والصناعة وتطويرهما.

وفي خراسان بلغ الازدهار الفلاحي أوجه بعد الفتح الإسلامي حيث حرر المسلمون سكان المنطقة من الاستغلال والاستعباد الذي كان مفروضا عليهم زمن الساسانيين، كما أزالوا كثيرا من الضرائب المجحفة، وأدخلوا نظما زراعية جديدة، ونقلوا بعض المزروعات من الجزيرة العربية إلى البلاد المفتوحة، وهو ما أسهم في تطور النشاط الفلاحي وأحدث تنوعا في المحاصيل.

ولعل كتابات الجغرافيين العرب من أهم المصادر التي عبرت عن هذا الازدهار حيث احتوت معلومات اقتصادية هامة لا توجد غيرها من المصادر، وعلى هذا الأساس ارتأيت أن أتناول في هذا المقال المحاصيل الزراعية الواردة في كتابات هؤلاء الجغرافيين، في محاولة للإجابة على التساؤلات الآتية:

ماهي أهم المحاصيل الزراعية في إقليم خراسان؟ إلى أي حد ساهمت الزراعة في تنشيط الحركة الاقتصادية بالإقليم؟ وما مدى أهمية كتابات الجغرافيين العرب في التأريخ للجانب الاقتصادي لخراسان؟

1/ إقليم خراسان:

اختلفت الروايات في تحديد أصل تسمية خراسان ومعناها، إذ جاء في واحدة منها أنها تنسب إلى خراسان بن عالم بن سام بن نوح عليه السلام، حيث خرج مع أخيه هيطل فنزل الأول بخراسان التي صارت تعرف بهذا الاسم نسبة له، ونزل الثاني ببلاد الهياطلة فيما وراء النهر فنسبت إليه.¹

وذكر بأن كلمة خراسان تتألف من شطرين الأول "خُر" ومعناه "كُل" والثاني "أسان" ومعناه سهل، وبذلك يصبح معنى الكلمة "كُل بلا تعب"،² أما المستشرق البريطاني كي لسترنج فيذكر بأن خراسان تعني في اللغة الفارسية القديمة "البلاد الشرقية".³

وعن حدود الإقليم ذكر الجغرافيون العرب بأنه يمتد من نهر جيحون⁴ شمالا إلى إقليم سجستان وقوهستان في الجنوب، ومن بلاد الهند شرقا إلى مفازة الغز غربا.⁵

ينقسم إقليم خراسان إلى أربعة أرباع يُنسب كل ربع منها إلى واحدة من المدن التي كانت في أوقات مختلفة عواصم للإقليم وهي نيسابور، مرو الشاهجان، هراة، بلخ.⁶

أ- ربع نيسابور: يُنسب إلى مدينة نيسابور التي تعرف أيضا باسم أبرشهر⁷ قال عنها المقدسي: " بلد جليل ومصر نبيل، لا أعرف له في الإسلام من عدل لما قد اجتمع فيه من الخلال وآتفق فيه من الخصال مثل سعة الرقعة ووسع البقعة وصحة الماء وقوة الهواء وكثرة العلماء، بلد الأجلّة والراسخين من الأئمة، فواكه واسعة لذيدة ولحوم جيّدة رخيصة ومعاش حسنة مفيدة أسواق فسيحة ودور فرجة وضياع نفيسة وبساتين نزهة وتربة علكة".⁸ ومن مدن هذا الربع: طوس، أسفرايين، بيهق، وأبيورد.⁹

ب- ربع مرو: عرفت بمرو الشاهجان تميزا لها عن مرو الصغرى التي تعرف بمرو الروذ¹⁰ وقيل بأن الشاهجان تعني "نفس السلطان" فالشاه تعني في الفارسية السلطان، أما الجان فتعني النفس أو الروح.¹¹ كان ملوك خراسان ينزلون بها قديما،¹² ومن مدن هذا الربع نجد: سرخس، مرو الروذ، وآمل.¹³

ج- ربع هراة: يقع هذا الربع حاليا بأفغانستان، ويسقيه نهر ينسب لمدينة هراة التي وصفها ياقوت الحموي فقال: "مدينة عظيمة مشهورة من أمهات مدن خراسان، لم أر بخراسان عند كوني بها في سنة 607هـ مدينة أجل ولا أعظم ولا أفخم ولا أحسن ولا أكثر أهلا منها، فيها بساتين كثيرة ومياه غزيرة وخيرات كثيرة، محشوة بالعلماء ومملوءة بأهل الفضل والثناء".¹⁴ ومن مدن هراة: بوشنج، مالن، كروخ، باذغيس، أوفة.¹⁵

د- ربيع بلخ: قيل أن اسم المدينة كان قديماً "بله" ثم عُيِّرَت إلى بلخ، ينقسم هذا الربيع إلى قسمين: القسم الشرقي طخارستان والغربي يسمى الجوزجان، وهذا الأخير كان في العصور الوسطى من أعمار النواحي وأكثرها أهلاً.¹⁶ ومن مدن هذا الربيع: خلم، الطالقان، أشبورقان، الفارياب، بنجهير، القباذيان.¹⁷

تميز إقليم خراسان كما يذكر الجغرافيون العرب ب "طيب الهواء، وعضوية الماء، وصحة التربة، وعضوبة الثمرة"¹⁸ فمناخه معتدل إلا الباميان فإنها تُعرف بشدة البرد والثلوج.¹⁹ أما الأنهار بالإقليم فإنها كثيرة تسقي معظم أراضيه أكبرها نهر هراة²⁰ ومرو،²¹ إضافة إلى نهر جيحون الذي يفصل خراسان عن بلاد ما وراء النهر.

إن توفر الشروط الملائمة أدى إلى اهتمام الخراسانيين بالزراعة وتنوع المحاصيل، سواء منها الموجهة للاستهلاك المحلي أو التي تصدر إلى المناطق الأخرى، وسنحاول الآن تقسيم حصر للمنتوجات الزراعية والأماكن التي ترزق بها.

2- الحبوب:

تُعد الحبوب من المحاصيل ذات الأهمية الكبيرة لكل الشعوب، ورغم ذلك فإننا لا نجد في المصادر العربية سوى إشارات يسيرة عن مناطق إنتاجها في خراسان، إذ تعتبر مرو الشاهجان أبرز مراكز إنتاج القمح والشعير قبل الفتح الإسلامي للإقليم، وليس أدل على ذلك من عقد الصلح الذي أبرمه المسلمون مع مرزبان²² مرو الذي دفع بموجبه "مائتي ألف حريب"²³ من بُر²⁴ وشعير²⁵. وحنطة مرو من أجود أنواع الحنطة حيث كانت تنقل إلى غاية بلاد الشام،²⁶ وليس بخراسان أنظف ولا ألد طعماً من خبز مرو.²⁷

ويتحدث المقدسي عن رستاق²⁸ أستوا فيذكر أنه من أحصص رساتيق نيسابور وأكثرها إنتاجاً للحبوب،²⁹ وكذلك مدينة طوس التي تنتج مختلف

أنواعها، أما سرخس فتعرف بأنها بلد الحبوب والأنعام،³⁰ إضافة إلى الطالقان التي تنمو بها الحبوب بوفرة.³¹

- السمسسم: يزرع في كل من نسا وأبيورد وولواج³² وبلخ،³³ وكان يرتفع من مدينة مرو الشيرج،³⁴ وهو زيت السمسسم.³⁵

- الحمص: ينتج في ولواج.³⁶

- الأرز: ينمو في كل من بلخ، ولواج،³⁷ أسفرايين،³⁸ ماراباذ³⁹ وغرج الشار (غرجستان).⁴⁰

3- الخضر والفواكه:

رغم أهميتها الكبيرة في غذاء الإنسان لم تشر المصادر إلى زراعة الخضروات بمناطق خراسان إلا نادرا، ولعل مرد ذلك يعود بالأساس إلى أن الخضر لم تكن توجه للتصدير إلى المناطق الأخرى بسبب سرعة فسادها وبالتالي لم يهتم الجغرافيون العرب بالحديث عنها.⁴¹

ومن الإشارات الواردة في هذا الشأن أن باذنجان نسا معروف بجودته،⁴² في حين يشتهر الثوم المزروع برستاق أستوا بكبر حجمه،⁴³ أما بلخ فتعرف بكثرة الخضر بها.⁴⁴

- الزيتون: ذكر المقدسي أنه يغرس في رستاق بشت (من أعمال نيسابور).⁴⁵

- التين: موجود بكثرة في خواف،⁴⁶ ويُصدر من رستاق بشت (من أعمال بلخ) إلى المناطق المجاورة.⁴⁷

- الكروم: عرفت زراعتها بخراسان انتشارا واسعا، حيث كانت بساتين كيف،⁴⁸ أسفرايين، مرو الشاهجان، مرو الروذ، سرخس، وآمل تحوي أعداداً

كبيرة من أشجار الكروم،⁴⁹ كما كانت بلخ تصدر العنب إلى خارج الإقليم،⁵⁰ وعرفت بلدة بست (من أعمال بلخ) بكثرة الأعناب فيها.⁵¹

أما هراة ورساتيقيها فكانت مضربا للمثل في كثرة وجوده أعنابها، ومما قيل فيها:

هراة أردت مقامي بها لشتى فضائلها الوافرة

نسيم الشمال وأعناجها وأعين غزلانها الفاخرة⁵²

ومن أصناف العنب المشهورة بهراة نجد الفخري،⁵³ البرنيات والكلنجري،⁵⁴ ويتميز هذا النوع الأخير برقة القشرة، وصغر البذرة، مع سواد اللون وكثرة الماء.⁵⁵

ونظرا لكثرة الأعناب بهراة فإنها كانت تجفف لتحول إلى زبيب، حيث تعددت أنواعه بخراسان ومن أبرزها الزبيب الطائفي⁵⁶ الذي يُعد من أجود أنواع الزبيب، يُنتج بكورة مالن بهراة ومنها يصدر إلى العراق وغيره من البلدان⁵⁷ وفي مدحه قيل:

وطائفي من الزبيب به تنقل الشرب حين تنتقل

كأنه في الإناء أوعية من السحاري ماؤها عسل⁵⁸

كذلك من أنواع الزبيب الكشمش (القشمش) والذي لا يوجد مثله بغير هراة،⁵⁹ يرتفع من بلدة كروخ،⁶⁰ وقيلت أشعار في مدحه أيضا.⁶¹ كما كانت ترتفع أنواع الزبيب الأخرى من مرو وغرج الشار.⁶²

لم يقتصر إنتاج الزبيب بخراسان على الأنواع الحسنة منه فقط، بل كانت هناك أنواع أخرى أقل جودة حيث أشار المقدسي إلى أنه كان يرتفع من هراة وبلخ العنجد،⁶³ وهو أحد الأنواع الرديئة،⁶⁴

- المشمش: كانت أشجاره تغرس في بشتفروش (من أعمال نيسابور)، ويذكر المقدسي أن غلته كانت ديناراً كل يوم.⁶⁵

- البطيخ: أفضل أنواعه بطيخ مرو الذي كان يجفف ويحمل إلى الآفاق،⁶⁶ ويُعرف هذا البطيخ بـكبر حجمه حيث ذكر الحميري أن وزن البطيخة الواحدة يكون ربع قنطار وأكثر، وأن رائحته لا تزول من اليد لأيام ولو غسلت بالغسول.⁶⁷

كان يؤخذ للمأمون من بطيخ مرو مقدار عشرة آلاف دينار وأكثر،⁶⁸ وحمل بطيخ هراة إلى الخلفاء العباسيين ببغداد لحلاوته،⁶⁹ كذلك عُرفت بلخ وخواف بإنتاجه،⁷⁰ أما باخرز⁷¹ فكان بما نوع مشهور يسمى "البطيخ الطويل".⁷²

- التفاح: عرفت هراة بإنتاجه، وفيها قيل:

هراة أرض خصبها واسع ونبتها التفاح والنرجس

ما أحد منها إلى غيرها يخرج إلا بعد ما يفلس.⁷³

وفي بلدة شست⁷⁴ كان ينمو التفاح الأبيض الكبير الذي لا يوجد بغيرها في خراسان.⁷⁵

- الحمضيات: تنتج آمل بكثرة بعض أنواع الحمضيات كالبرتقال، الليمون، النارنج، البوميلو (الشادوك)،⁷⁶ ويوجد الأترج ببلخ.⁷⁷

- الرمان: ينمو في خواف.⁷⁸

- الكمثري: يتوفر في مرو الشاهجان.⁷⁹

4- الجوزيات:

- **الفستق**: اشتهرت هراة بتصديره،⁸⁰ خاصة منها ناحية باذغيس حيث تكثر بها أشجاره،⁸¹ إضافة إلى ولوالج.⁸²
- **اللوز**: ينتج في مختلف نواحي بلخ⁸³ خاصة مدينتي كندرم⁸⁴ - من مدن الجوزجان- وولوالج،⁸⁵ وكذلك في آمل.⁸⁶
- **الجوز**: ينمو في بلخ،⁸⁷ وناحتيتها الجوزجان خاصة في كندرم⁸⁸ وسان،⁸⁹ وفي ولوالج،⁹⁰ وآمل.⁹¹

5- الورد:

تتوفر بكثرة في آمل حيث تستخدم لإنتاج العطور،⁹² ومن الأنواع الموجودة بخراسان ذكر الجغرافيون العرب النيلوفر⁹³ والبنفسج ببلخ،⁹⁴ والترحس بمرارة.⁹⁵

6- محاصيل أخرى:

- **النخيل**: أشار المستوفي إلى تواجدها بآمل.⁹⁶
- **القطن**: ينتج في نيسابور⁹⁷ ومرو.⁹⁸
- **قصب السكر**: يرتفع من بلخ.⁹⁹
- **الرياس**: اشتهرت نيسابور بكثرة الرياس فيها وجودته، خاصة في قرية مازل،¹⁰⁰ وكان عمرو بن الليث الصفار¹⁰¹ يقول: "أقاتل على بلدة حشيشها الرياس، وتراهما البقل، وحجرها الفيروزج".¹⁰²
- **العرعار**: تكثر أشجاره ببوشنج، ويستفاد من خشبه الذي يُحمل إلى سائر النواحي.¹⁰³
- **الشيخ**: يوجد في طوس دون غيرها من مدن خراسان.¹⁰⁴

خاتمة: من خلال ما سبق يمكن أن نخرج بالنتائج الآتية:

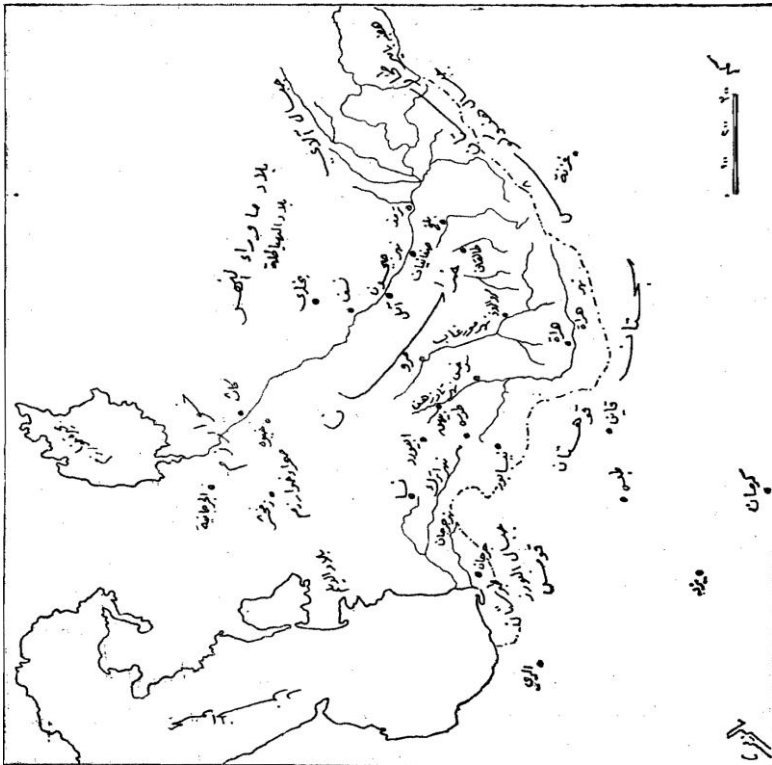
1- اشتهرت عدد من مدن خراسان بجودة محاصيلها كتفاح وأعناب هرة، وبطيخ مرو.

2- من خلال المحاصيل الواردة في البحث نستنتج الاهتمام الكبير الذي أولاه الخراسانيون للزراعة، خاصة مع توفر الشروط الملائمة، إضافة إلى دورها الكبير في تنشيط الحركة الاقتصادية بالإقليم، حيث أن عدداً من المزروعات كانت موجهة بالأساس لدعم الصناعة كالقطن مثلاً، كما أن كثيراً منها كان يوجه للتصدير داخل وخارج الإقليم وهو ما أسهم في تنشيط حركة التجارة.

3- رغم أن المصادر الجغرافية أوردت معلومات مهمة عن المحاصيل الزراعية وما يُصدر منها، إلا أنها لم تذكر طرق زراعتها وجنيها وأساليب تصديرها.

4- تعتبر كتابات الجغرافيين العرب من المصادر الأساسية للتاريخ الاقتصادي لخراسان، ويُعد المقدسي أهم الجغرافيين الذين تناولوا الجانب الاقتصادي في كتاباتهم عن الإقليم، خاصة فيما يتعلق بصادرات كل منطقة منه وما تشتهر به من محاصيل.

خريطة إقليم خراسان



شاکر محمود: خراسان، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، جامعة الإمام محمد بن سعود، السعودية، ع6، 1976م، ص511.

الهوامش:

¹ الحموي ياقوت: معجم البلدان، مج2، ط2، دار صادر، بيروت، 1995م، ص350؛ الدينوري أبو حنيفة أحمد: الأخبار الطوال، تح عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة، 1960م، ص3؛ ابن الفقيه الهمداني: كتاب البلدان، تح يوسف الهادي، عالم الكتب، بيروت، 1996م، ص601.

² الحموي: المصدر السابق، مج2، ص350؛ البكري أبو عبيد: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تح مصطفى السقا، ج2، ط3، عالم الكتب، بيروت، د ت،

- 489؛ الحميري عبد المنعم: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، 1980م، ص214.
- ³ لسترنج كي: **بلدان الخلافة الشرقية**، تر بشير فرنسيس- كوركيس عواد، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م، ص423.
- ⁴ في القسّم أُطلق على هذا النهر اسم OXUS في حين سماه العرب نهر جيحون، أما الآن فيطلق عليه نهر أموداريا. أنظر فاميري أرمينوس: **تاريخ بخارى**، تر أحمد محمود الساداتي، مكتبة تحضة الشرق، القاهرة، دت، ص22، الحاشية 1.
- ⁵ الاصلطخري أبو إسحاق إبراهيم: **المسالك والممالك**، تح محمد جابر عبد العال الحيني، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2004م، ص145؛ أبو القاسم محمد بن حوقل: **صورة الأرض**، دار ومكتبة الحياة، بيروت، 1996م، ص358؛ الحموي: المصدر السابق، مج2، ص350.
- ⁶ لسترنج كي: المرجع السابق، ص424.
- ⁷ سماها عدد من الجغرافيين إيرانشهر -أي مدينة إيران- أنظر: ابن الفقيه: المصدر السابق، ص615؛ المقدسي أبو عبد الله: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ص299.
- وضم آخرون إلى جانب نيسابور عددا من بلدان المشرق تحت هذا الاسم، فذكروا أن إيرانشهر "هي بلاد العراق وفارس والجنال وخراسان يجمعها كلها هذا الاسم" أنظر: البغدادي صفي الدين عبد المؤمن: **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**، تح علي محمد البجاوي، ج1، دار المعرفة، بيروت، 1954م، ص136.
- أما ياقوت الحموي فذكر بأن إيرانشهر اسم المنطقة ما بين نهر جيحون والقادسية. الحموي: المصدر السابق، مج5، ص331.
- ⁸ المقدسي: المصدر السابق، ص ص314-315.
- ⁹ اليعقوبي أحمد بن واضح: **البلدان**، تح محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص ص95-96. ابن الفقيه: المصدر السابق، ص615.
- ¹⁰ لسترنج كي: المرجع السابق، ص440.
- ¹¹ الحموي: المصدر السابق، مج5، ص113؛ البكري: المصدر السابق، ج4، ص1217.
- ¹² الدمشقي شمس الدين أبو عبد الله (شيخ الربوة): **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، ط2، السلسلة الجغرافية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1998م، ص295.
- ¹³ الحموي: المصدر السابق، مج2، ص351. ابن الفقيه: المصدر السابق، ص615.

- ¹⁴ الحموي: المصدر السابق، مج5، ص396.
- ¹⁵ الاصطخري: المصدر السابق، ص160؛ الشريف الإدريسي: *زهة المشتاق في اختراق الآفاق*، مج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م، ص ص 472-473؛ محمود أحمد محمد قمر: *خطط مدينة هراة الأفغانية في العصر الإسلامي من الفتح الإسلامي حتى نهاية الدولة التيمورية*، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المنيا، مصر، مج2، ع62، أكتوبر 2006م، ص109 فما بعدها بعدة صفحات.
- ¹⁶ لسترنج كي: المرجع السابق، ص426.
- ¹⁷ الاصطخري: المصدر السابق، ص160؛ الحموي: المصدر السابق، مج4، ص303.
- ¹⁸ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص605؛ المقدسي: المصدر السابق، ص294.
- ¹⁹ الاصطخري: المصدر السابق، ص158.
- ²⁰ عن هذا النهر أنظر لسترنج كي: المرجع السابق، ص ص 449-450.
- ²¹ أنظر المرجع نفسه، ص ص 439-440.
- ²² مرزبان: مصطلح فارسي يعني الرئيس في القوم، ويطلق أيضا كلقب على الفارس الشجاع من هو دون الملك في الرتبة. أنظر الخطيب مصطفى عبد الكريم: *معجم المصطلحات والألقاب التاريخية*، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996م، ص394.
- ²³ الجريب: وحدة لقياس الأرض كانت في أوائل العصور الوسطى تساوي 1592 متر مربع، وفي أواخر العصور الوسطى صار يساوي 957 متر مربع. أنظر فالتر هنتس: *المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المترى*، تر كايل العسيلي، منشورات الجامعة الأردنية، الأردن، 1970م، ص96.
- ²⁴ البُر هو الخنطة. أنظر ابن منظور: *لسان العرب*، ط3، ج4، دار صادر، بيروت، 1994م، ص55.
- ²⁵ البلاذري أحمد بن يحيى: *فتوح البلدان*، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م، ص392.
- ²⁶ ابن الجوزي جمال الدين: *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم*، تح محمد عبد القادر عطا-مصطفى عبد القادر عطا، ج17، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ص72.
- ²⁷ الاصطخري: المصدر السابق، ص149.
- ²⁸ الرستاق: لفظ فارسي معرب يطلق على كل موضع به مزارع وقرى. الحموي: المصدر السابق، مج1، ص38.
- ²⁹ المقدسي: المصدر السابق، ص ص 318-319.
- ³⁰ المصدر نفسه: ص ص 313، 324.

³¹ Hamd- Allah Mustawfi: **The Geographical part of the Nuzhat Al-Qulub**, translated By Le Strange, Leyden, 1919, p153.

³² ولولاج: من مدن بلخ. يعقوبي: المصدر السابق، ص117.

³³ المقدسي: المصدر السابق، ص324.

³⁴ نفسه.

³⁵ ابن منظور: المصدر السابق، ج7، ص320.

³⁶ المقدسي: المصدر السابق، ص324.

³⁷ نفسه.

³⁸ المصدر نفسه، ص318.

³⁹ الاصطخري: المصدر السابق، ص151؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص ص367-

368.

وماراباذ مدينة من أعمال هرة. المقدسي: المصدر السابق، ص298.

⁴⁰ الاصطخري: المصدر السابق، ص153؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص371؛

الإدرسي: المصدر السابق، مج1، ص480؛ الحموي: المصدر السابق، مج4، ص193.

⁴¹ قحطان عبد الستار الحديثي: دراسات في التنظيمات الاقتصادية لخراسان: أولاً:

الزراعة، مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، مج19، ع1، 1987م، ص84.

⁴² المقدسي: المصدر السابق، ص326.

⁴³ المصدر نفسه، ص ص318-319.

⁴⁴ المصدر نفسه: ص301.

⁴⁵ المصدر نفسه، ص ص317-318.

⁴⁶ Hamd- Allah Mustawfi: Op. cit, p152.

وخواف قصة كبيرة من أعمال نيسابور. أنظر الحموي: المصدر السابق، مج2، ص399.

⁴⁷ المقدسي: المصدر السابق، ص ص318، 324.

⁴⁸ كيف: مدينة بين بادغيس ومرو الروذ، فُتحت سنة 31هـ. الحموي: المصدر السابق،

مج4، ص ص497-498.

⁴⁹ المقدسي: المصدر السابق، ص ص299، 308، 318؛ الاصطخري: المصدر السابق،

ص152؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص369.

Hamd- Allah Mustawfi: Op. cit, p154, 156.

⁵⁰ المحاظ أبو عثمان عمرو بن بحر: التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة، تح حسن حسني عبد الوهاب التونسي، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1994م، ص29.

Hamd- Allah Mustawfi: Op. cit, p152.

⁵¹ المقدسي: المصدر السابق، ص304.

⁵² الحموي: المصدر السابق، مج5، ص397؛ القزويني زكريا بن محمد: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، د ت، ص ص 481-482.

⁵³ Hamd- Allah Mustawfi: Op. cit, p150.

⁵⁴ العمادي محمد حسن: خراسان في العصر الغزنوي، دار الكندي، الأردن، 1997م، ص129.

⁵⁵ صلاح سليم طابع أحمد: مدينة هراة دراسة سياسية وحضارية، دار الوفاء، الإسكندرية، 2007م، ص130.

⁵⁶ نسبة إلى مدينة الطائف بالحجاز حيث نقله العرب منها إلى هراة. أنظر آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر محمد عبد الهادي أبو ريدة، مج2، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، د ت، ص305؛ سهيلة مرعي مرزوق: السياسة الزراعية للدولة العربية في خراسان في القرن الأول الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة البصرة، 1988م، ص111.

⁵⁷ الاصطخري: المصدر السابق، ص151؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص367؛ المقدسي: المصدر السابق، ص324؛ مجهول: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، تح يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1999م، ص74؛ الإدريسي: المصدر السابق، مج1، ص472.

⁵⁸ ابن الوردي سراج الدين: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح أنور محمود الزناتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، 2008م، ص374.

⁵⁹ نفسه.

⁶⁰ الاصطخري: المصدر السابق، ص151؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص367؛ مجهول: المصدر السابق، ص74؛ الإدريسي: المصدر السابق، مج1، ص472؛ الحموي: المصدر السابق، مج4، ص458؛ البغدادي صفي الدين: المصدر السابق، ج3، ص1162.

⁶¹ مما قيل في مدح كشمش هراة: وقشمش كخرز ... منظم لم يثقب

- يَجْلَى به الكأس لما ... بينهما من نسب
يَحْظَى به الشارب في النادي ... ومن لم يشرب
كأنه أوعية ... يحملن ذوب العنب
أو لؤلؤ قد عل أغلاه ... بماء الذهب
خصت به هرة فاخصت ... بأعلى الرتب
أنظر الثعالبي: لطائف القلوب في المضاف والمنسوب، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار
المعارف، القاهرة، 1985م، ص541.
⁶² الاصطخري: المصدر السابق، ص ص 149، 153.
⁶³ المقدسي: المصدر السابق، ص324.
⁶⁴ ابن منظور: المصدر السابق، ج3، ص310.
⁶⁵ المقدسي: المصدر السابق، ص324.
⁶⁶ الاصطخري: المصدر السابق، ص149؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص365؛
الإدريسي: المصدر السابق، مج1، ص476.
وقد أشار المستوفي إلى جودة بطيخ سرخس -من مدن مرو- واعتبره من أحسن الأنواع
Hamd- Allah Mustawfi: Op. cit, p155.
⁶⁷ الحميري: المصدر السابق، ص533.
⁶⁸ نفسه.
⁶⁹ ابن الفقيه: المصدر السابق، ص ص 516-517.
⁷⁰ Hamd- Allah Mustawfi: Op. cit, p152.
⁷¹ كورة تقع بين نيسابور وهرات، قصبتها مدينة مالن. الحموي: المصدر السابق، مج1،
ص316.
⁷² Hamd- Allah Mustawfi: Op. cit, p151.
⁷³ الحموي: المصدر السابق، مج5، ص397؛ ابن الوردي: المصدر السابق، ص374.
⁷⁴ بلدة تقع على نهر هرات -هري رود- Hamd-Allah Mustawfi: Op. cit, p152.
⁷⁵ Idem.
⁷⁶ Ibid, p156.
⁷⁷ الاصطخري: المصدر السابق، ص157؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص376.
⁷⁸ Hamd- Allah Mustawfi: Op. cit, p152.

⁷⁹ Ibid, p154.

⁸⁰ المقدسي: المصدر السابق، ص324.

⁸¹ الحموي: المصدر السابق، مج1، ص318.

⁸² المقدسي: المصدر السابق، ص324.

⁸³ نفسه.

⁸⁴ ابن حوقل: المصدر السابق، ص370.

⁸⁵ المقدسي: المصدر السابق، ص324.

⁸⁶ Hamd- Allah Mustawfi: Op. cit, p156.

⁸⁷ المقدسي: المصدر السابق، ص324.

⁸⁸ ابن حوقل: المصدر السابق، ص370.

⁸⁹ الاضطخري: المصدر السابق، ص153.

⁹⁰ المقدسي: المصدر السابق، ص324.

⁹¹ Hamd- Allah Mustawfi: Op. cit, p156.

⁹² Idem.

⁹³ الاضطخري: المصدر السابق، ص157؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص376.

⁹⁴ ابن الوردي: المصدر السابق، ص374.

⁹⁵ الحموي: المصدر السابق، مج5، ص397؛ ابن الوردي: المصدر السابق، ص374.

⁹⁶ Hamd- Allah Mustawfi: Op. cit, p156.

⁹⁷ الاضطخري: المصدر السابق، ص146؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص363؛ الحميري:

المصدر السابق، ص588؛ إسحاق بن الحسين: آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة

في كل مكان، تح فهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، 1988م، ص72.

⁹⁸ الاضطخري: المصدر السابق، ص149؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص365؛ إسحاق

بن الحسين: المصدر السابق، ص75؛ المقدسي: المصدر السابق، ص324؛ مجهول: المصدر

السابق، ص75.

⁹⁹ الاضطخري: المصدر السابق، ص157؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص376.

¹⁰⁰ المقدسي: المصدر السابق، ص317.

¹⁰¹ عمرو بن الليث: ثاني حكام الدولة الصفارية (254-296هـ) تولى الحكم بعد وفاة

أخيه يعقوب بن الليث سنة 265هـ، وقتل عمرو في بغداد سنة 289هـ. أنظر ترجمته عند

-
- الذهبي شمس الدين محمد: سير أعلام النبلاء، تح شعيب الأرنؤوط وآخرين، ج12، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1983م، ص ص 516-517.
- ¹⁰² القزويني: المصدر السابق، ص 473؛ ابن الوردي: المصدر السابق، ص 373.
- ¹⁰³ الاصطخري: المصدر السابق، ص 151؛ ابن حوقل: المصدر السابق، ص 368.
- ¹⁰⁴ ابن الوردي: المصدر السابق، ص 373.

الحركة الانفصالية في نيجيريا (1967-1970م)

أ. عبد الكريم قرين - جامعة 08 ماي 1945م - قالة

ملخص:

إن السياسة البريطانية الاستعمارية في نيجيريا، كانت أساس الصراع الذي عانته هذه البلاد بعد الاستقلال، وفي إطار السياسة البريطانية برزت هوة واسعة بين أوضاع الإقليم الشمالي من ناحية، وأوضاع الإقليم الجنوبي من ناحية أخرى. ولعل أكثر المؤشرات دلالة على مدى تأثيرات التناقضات القبلية على البيئة الاجتماعية والسياسية في نيجيريا، هي الأسس القبلية لهذه الأزمة، والواقع أن هذه الاعتبارات القبلية والطبقية، كانت أحيانا تجتمع وفي تداخلها تمهد المناخ لسلسلة من الانقلابات العسكرية. بداية من عام 1966م، وظلت تتكرر في الحياة السياسية النيجيرية وكان آخرها الانقلاب الذي اغتيل فيه الجنرال مورطاله يوم 13 فيفيري 1976م، فهذه المسائل هي التي أصبحت لب الأزمة النيجيرية، وخاصة بعد اجتماع أيوري. أما مواقف بعض الدول والمنظمات العالمية والدولية والإقليمية، دوافع متنوعة، كما حدثت تغيرات وتذبذب في مواقف بعض الدول، وقد أيدت معظم الدول الإفريقية حكومة نيجيريا في موقفها من أوجوكو، فموضوع الانفصال بصفة عامة، موضوع كرهه عند أغلب الدول الإفريقية خصوصا تلك التي يهددها شبح الانفصال دائما، وهي كثيرة في القارة.

ABSTRACT:

The British colonial policy in Nigeria, was the basis of the conflict suffered by this country after independence, in the context of British politics emerged a wide gap between the Northern Territory conditions on one hand, and the status of the southern region on the other. Perhaps the most indicators signify the extent of tribal contradictions effects

on the social and political environment in Nigeria, are the foundations of this topic Tribal crisis, and the fact that these considerations tribal and class, sometimes they meet in overlapping pave the climate of a series of military coups. Beginning in 1966, and has been repeated in the Nigerian political life and the most recent coup in which Gen. Mortalh assassinated on 13 Veveri 1976, these are the issues that have become the core of the Nigerian crisis, especially after Iori meeting. The positions of some countries and international, regional and international organizations, a variety of motives, as there have been changes and the fluctuation in the positions of some countries, most African countries supported the Government of Nigeria in the position of Ojukwu, The subject of secession in general, distasteful subject when most African countries, especially those that are threatened by the specter of secession always, they are many in the continent.

مقدمة:

يعتبر النظام القبلي من العوامل المسؤولة إلى حد كبير على إضعاف القارة الإفريقية وتأخرها، وتسهيل استعمارها، والتي مازالت حتى اليوم تهدد كيان عدد من البلدان الإفريقية، وهو نظام يقسم البلاد الواحدة إلى مناطق تكاد كل منها تعني باستقلالها الذاتي قبل الوحدة القومية.

وعملت الدول الاستعمارية على الاستفادة من هذا النظام، بعد إخضاع الأمراء والزعماء القبليين التقليديين لسلطانها. وكانت النتيجة أن الأخيرين يجدون من مصلحتهم إبقاء الأوضاع القائمة، لأن تغييرها يضعف امتيازاتهم وسلطانهم. وتنشأ هوة بينهم وبين الطبقات المتعلمة بصفة خاصة، والتي أبعدت عمدا عن

الحكم، و الإبقاء على القبيلة تحت أي صورة تتعارض مع ما أعلنته الدول الاستعمارية في مؤتمر برلين عام 1884م، مثلا من ناحية واجبها في تمدن الشعوب الإفريقية، ذلك أن القبيلة مرحلة سابقة عن الحضارة ولا تتماشى معها، كما تتعارض مع الفلسفة الكامنة وراء نظام الوصايا الدولية من حيث الإعداد للحكم الذاتي والاستقلال، إذ من العسير بلوغ هذا الهدف في مجتمع تغلب عليه الانعزالية، ويفتقر للوحدة القومية⁽¹⁾.

وانطلاقا من هذا نجد أنفسنا أمام معالجة أزمة البيافرا، التي تجسد لنا بصورة واضحة، القبلية وما فعلت ب: نيجيريا.

1 . جذور أزمة البيافرا(1967- 1970م):

إن نظام الحكم الذي اقترحه بريطانيا لنيجيريا، وضع أساسا للصراع الذي عانته هذه البلاد بعد الاستقلال، فقد عملت بريطانيا على إعطاء الأقاليم الثلاثة سلطات واسعة، حتى أصبح كل منها يتمتع بالفردية والاستقلال⁽²⁾. وفي إطار السياسة البريطانية برزت هوة واسعة بين أوضاع الإقليم الشمالي من ناحية، وأوضاع الإقليم الجنوبي من ناحية أخرى. فيما ظل الإقليم الشمالي يعاني من التخلف الشديد، وسيطرة الإقطاع عليه، وانخفاض مستوى التعليم. تميز الجنوب بثرواته ودرجة أعلى في التطور الاقتصادي، وبانفتاحه على التأثيرات الثقافية الأوربية بحكم موقعه الجغرافي ودور الاستعمار، الذي حرص على تطوير الجنوب، وتخلف الشمال المسلم⁽³⁾. أدى هذا الوضع إلى اعتماد الإقليم الشمالي في الكثير من مواقفه العامة على عناصر من الجنوب القاطنين في الشمال، كما أدى هذا الوضع أيضا إلى وجود نوع من التوتر المزدوج تمثل بالنسبة للشماليين في الخوف من السيطرة الجنوبية الشاملة. وكذلك خوف الجنوبيين من سيطرة الشمال عليهم، رغم أنهم يمثلون القوة الاقتصادية والثقافية الأكثر تقدما.

وقد اعتمد الإقليم الشمالي على قوته العددية ليكون ذا وجود واسع في واقع السلطة بينما اعتمد الجنوب على قوته الاقتصادية وثروته البترولية، للحصول على قدر أوسع من السلطة في مواجهة النفوذ السياسي للشماليين⁽⁴⁾.

ولعل أكثر المؤثرات دلالة على مدى تأثيرات التناقضات القبلية على البيئة الاجتماعية والسياسية في نيجيريا، هي الأسس القبلية التي قامت على ثلاثة مجالات حيوية هي:

أ. الأحزاب السياسية:

قامت الأحزاب السياسية قبل الاستقلال وحتى صدور قرار حل الأحزاب في ماي 1966م، فكان حزب مؤتمر الشمال بقيادة أحمد بللو يمثل قبائل الهوسا والفولان، ولكنه كان يحرم على غير أهل الشمال العضوية فيه، فاعتبره خصومه حزبا للإقطاعيين والرجعيين في الشمال⁽⁵⁾. وكان حزب المجلس الوطني لمواطني نيجيريا بقيادة أزيكيو يمثل قبائل الإيو بالشرق. وكان حزب جماعة العمل بقيادة أولوو يمثل قبائل اليوروبا بالغرب النيجيري نتيجة للانقسام في لاغوس، وثار بين الفريقين عدااء طويل، ولقد تحول أزيكيو من الأفكار الوحدية والدعوة إلى وحدة نيجيريا، فأصبح يدعو للإقليمية والفيدرالية. ورغم ذلك لم يلتق مع خصمه أولوو في الدعوة إلى الإقليمية بسبب وجود خلافات فكرية. وتوالت عمليات التفتت والانقسام بين أبناء الإقليم الواحد مسلمين ومسيحيين، ووثنيين التي امتدت إلى الصراع على رئاسة الوزارة الفيدرالية، فأزيكيو يتولى رئاسة الشرق وأولوو يتولى رئاسة وزراء الغرب، وأحمد بللو رئاسة وزراء الشمال⁽⁶⁾.

لم تكن مسألة الخلاف قومية وحسب، وإنما هي دينية وطائفية، فأنصار الطرق الصوفية في الشمال انقسموا على أنفسهم، فأيدت الطريقة القادرية حزب شعب الشمال وانقسمت الطريقة التيجانية، فأيدت الأغلبية حزب شعب الشمال. وتجدر الإشارة إلى أن الاستعمار كان يرمي إلى إدماج الكامرون مع نيجيريا⁽⁷⁾.

نتج عن أزمة الغرب سنة 1962م، بسبب الخلاف حول الاشتراكية والحرب ضد الاستعمار والتحالف مع حزب مؤتمر الشمال. وانقسمت المعارضة في البرلمان الفيدرالي إلى مؤيدين ومعارضين. وقد نشب خلاف عام 1964م، حول تعداد السكان بنيجيريا، الذي له أهمية عظمى في توزيع الدوائر الانتخابية،

كما تكون تحالفان سمي الأول التحالف الوطني النيجيري، والثاني التحالف التقدمي المتحد. ثم أجريت انتخابات تكميلية عام 1965م، اشترك فيها التحالف التقدمي⁽⁸⁾.

ومهما يكن من أمر فإن الأحزاب السياسية، لم تمثل الإرادة الشعبية.

ب . الاقتصاد النيجيري:

يلاحظ أن الأقاليم كانت اقتصادياتها مستقلة، فلم تكن هنالك تبادل فيما بينهم، فقد اتجه كل إقليم لتنمية اقتصاده كوحدة مستقلة قائمة بذاتها، دون النظر للاقتصاد النيجيري ككل فمثلا كان الإقليم الشرقي يستورد القطن الأمريكي بدلا من أن يشتري هذه المادة الخام من الإقليم الشمالي، مما يشير الى أن المجال الاقتصادي لم ينجم من التركيبة القبلية، وهناك مؤثرات اجتماعية ترسخ في أعماق المجتمع النيجيري، فهناك الطبقات المسيطرة اقتصاديا والمتحالفة مع المصالح الأجنبية المتمثلة في البرجوازية الجنوبية، والإقطاعية الشمالية فضلا عن الفئات التي تمثلت في قطاعات الاستيراد والتصدير، كل هذه الفئات استفادت من الاكتشافات البترولية والثراء، الذي ترتب عليه. وهناك من ناحية أخرى طبقات الشعب النيجيري من فقراء وعاطلين وفلاحين وموظفين صغار وعمال، التي تعيش في مستوى معيشي منخفض للغاية، حيث ظل المجتمع النيجيري يمثل مزيجا من سيطرة الإقطاع في الشمال ونمو الرأسمالية الجنوبية، فضلا عن الاحتكارات الأجنبية⁽⁹⁾.

والواقع أن هذه الاعتبارات القبلية والطبقية، كانت أحيانا تجتمع وفي تداخلها تمهد المناخ لبعض الانقلابات العسكرية.

ج . الانقلابات العسكرية ب: نيجيريا:

شهدت نيجيريا سلسلة من الانقلابات السياسية بداية من عام 1966م، وظلت تتكرر في الحياة السياسية النيجيرية وكان آخرها الانقلاب الذي اغتيل فيه الجنرال مورطاله يوم 13 فيفيري 1976م⁽¹⁰⁾.

. الانقلاب الأول جانفي 1966م:

انتهى الصراع الطائفي والعنصري، وعدم التوازن بين الجماعات المتعارضة في نيجيريا، بقيام انقلاب عسكري في جانفي 1966م، ضد الحكام المسلمين، الذين يسيطرون على الحكومة الفيدرالية، و اغتيال رئيس الحكومة أبوبكر تفاوه، كما قتل رئيس وزراء الشمال أحمد بللو وهو زعيم المسلمين بنيجيريا مع عدد من حكام الشمال⁽¹¹⁾. وقاد الانقلاب الجنرال إيرونس القائد العام للجيش، الذي تولى رئاسة الحكومة الفيدرالية العسكرية وهو من قبائل الإيوو. فقام بإصدار عدة قرارات أهمها؛ قرار 7 جانفي 1967م، الذي يقضي بتركيز السلطة في المجلس العسكري الأعلى، وفي الحكومة الفيدرالية، التي يتبعها الجيش والشرطة، والحد من سلطة حكام الأقاليم، واقتصارها على إدارة الشؤون الداخلية⁽¹²⁾.

ولم يعترض على هذه القرارات وقتئذ حكام الأقاليم بما فيهم حاكم الإقليم الشرقي(بيافرا). وذلك باعتباره من أبناء الشرق، والاعتقاد أن هذه فرصتهم للسيطرة على جميع مقدرات الاتحاد، وخاصة الإقليم الشمالي⁽¹³⁾.

. الانقلاب الثاني أوت 1966م:

قاد الكولونيل جوون يعقوب انقلابا مضادا ضد حكومة إيرونيس، في 29 جويلية 1966م، منتقما لاغتيال زعمائها أعلن قيام حكومة عسكرية جديدة⁽¹⁴⁾. وهكذا أقرت الحكومة العسكرية الجديدة، بقاء الحكام العسكريين في الأقاليم الثلاثة، ونلاحظ أن رئيس الحكومة الجديدة والحكام العسكريين يحملون نفس الرتب، ومع ذلك ظهر خلاف في الرأي، ونطق باسم الاتجاه الأول الحاكم العسكري للإقليم الشرقي، والاتجاه الثاني رئيس الحكومة العسكرية الفيدرالية⁽¹⁵⁾.

يرى الاتجاه الأول أن ما حدث في بداية شهر أوت؛ هو انقلاب مضاد غير شرعي ضد الجنرال إيرونس، القائد الأعلى للقوات المسلحة، وعلى هذا لا يمكن الاعتراف بالجنرال جوون يعقوب للحكومة العسكرية الفيدرالية. وانه من المستحيل أن يعمل أفراد الإقليم الجنوبي وأفراد الإقليم الشمالي في جيش واحد بعد المذابح، التي شهدتها الفترة السابقة، وعانى منها فقط ضباط وجنود الإيوو في الجيش. كذلك شهدت البلاد في أكتوبر 1966م، مذابح شنيعة ضد أفراد قبائل

الإيبو المقيمين بالشمال، وهرب الكثير منهم إلى الشرق، وبهذا انهار آخر ما تبقى من أسس الوحدة الفيدرالية في البلاد، والحل الوحيد الممكن هو إنشاء اتحاد كونفدرالي من أربع دول مستقلة⁽¹⁶⁾.

ويعلن الاتجاه الثاني رفضه بإصرار فكرة الحكومة الكونفدرالية، سواء أكان هذا حلاً مؤقتاً أو حلاً دائماً، ويقترح إنشاء نظام فدرالي قوي على أساس دستور 1963م، مع تقسيم السلطة بين الحكومة الفيدرالية وحكومات الأقاليم، وتقسيم الموارد الاقتصادية بين الجنوب والشمال والشرق⁽¹⁷⁾.

وقد دعا الكولونيل يعقوب إلى عقد مؤتمر بـ: لاغوس في سبتمبر 1966م، الذي انتهى بإعلان تقرير تمهيدي الشكل الدستوري المقترح متضمناً بقاء نيجيريا كوحدة سياسية ذات حكومة فيدرالية محتفظة بالسلطة، على أن تحتفظ الحكومات الإقليمية بالسلطة فيما يتعلق بالجيش والشرطة، كما أوصى المؤتمر بإعادة تقسيم نيجيريا إلى 12 ولاية³ وعلى إثر ذلك تعرضت الحكومة الجديدة لمتاعب سياسية وعنصرية كبيرة، تمثلت في قيام اضطرابات بالإقليم الشمالي والشرقي أثناء الاحتفال بذكرى استقلال نيجيريا، ورفض حكام الشرق إنشاء ولايات جديدة، وامتنعوا عن حضور المؤتمر الذي دعا إليه الجنرال يعقوب، في أكتوبر 1966م، حيث حاولوا الاتصال بالدول الأجنبية خاصة الغربية للحصول على الأسلحة قصد الضغط على الحكومة الفيدرالية⁽¹⁸⁾.

وأما في الوصول إلى حل يرضي طرفي النزاع، حاول أنكرا رئيس دولة غانا بالوساطة إلى عقد مؤتمر أيورى بـ: غانا في جانفي 1967م، حضره رئيس الحكومة الفيدرالية العسكرية، وحكام الأقاليم، كما حضر جانب من الاجتماع الرئيس أنكرا، ومن أهم قرارات المؤتمر ما يلي:

- الاتفاق على إعادة تنظيم أجهزة الإدارة والجيش.

- إنشاء لجنة للنظر في مشاكل استعادة الأملاك، وإعادة توطين الأشخاص الذين تركوا أموالهم أثناء الأحداث الأخيرة واغلبهم من الإقليم الشرقي.

- تأييد حاكم الشرق للمجلس الأعلى، وعزمه عن إلغاء قراره الصادر بشأن ترحيل جميع الأفراد غير المنتمين لقبائل الإيبو بالإقليم الشرقي.

- الاتفاق على استئناف اللجنة الدستورية للنظر في مستقبل نيجيريا الدستوري، والعمل على عدم تكرار عملية سفك الدماء⁽¹⁹⁾.

وقد صاحب إعلان قرارات ذلك المؤتمر، انتشار شائعات قوية اجتاحت كل نيجيريا مفادها أن هنالك بعض العناصر المتطرفة في إقليم الشمال تعمل على عزل الرئيس يعقوب من الحكم، لعدم حزمه أمام عصيان حاكم الإقليم الشرقي واستنكرت التنازلات الكبيرة، التي سبق أن وافق عليها لقبائل الإيو، الأمر الذي شجع حاكم الإقليم الشرقي على التمادي بسياسته الانعزالية، التي كان أبرز معالمها رفضه اقتراح يعقوب من تقسيم البلاد إلى 12 ولاية، بالرغم من أنه كان قرارا يتماشى نسبيا مع متطلبات قبائل الإيو حيث أنه كان يهدف إلى إضعاف قبائل الهوسا الشماليين، بل ناد وأعلن حاكم الإقليم الشرقي عدم اعترافه بالرئيس يعقوب رئيسا للدولة. وسعى للاتصال بالدول الأجنبية خاصة الدول الغربية، لتزويده بالمؤونة والأسلحة، منها تأييدا لموقفه ورغبته في إحراج الحكومة الفيدرالية، وللحصول على المزيد من التنازلات لصالح الإقليم الشرقي، وطلب بتطبيق النظام الكونفدرالي، باعتباره أنسب النظم الدستورية في رأيه لحكم نيجيريا⁽²⁰⁾.

هذه المسائل هي التي أصبحت لب الأزمة النيجيرية، وخاصة بعد اجتماع أبوري.

2. الحرب الأهلية النيجيرية (1967-1970م):

أ. انفصال إقليم البيافرا:

نتيجة للانقلابات السابقة، سعى الرئيس يعقوب رئيس الدولة الفيدرالية إلى حل وسط، إذ أعلن استعداده، للاعتراف للسلطات المنشقة بأكبر قدر ممكن من الاستقلال الذاتي الداخلي، على شرط احترام سيادة الحكم المركزي في لاغوس، في المجالين الدبلوماسي والعسكري، وأن يعترفوا بوحدة البلاد⁽²¹⁾.

غير أن أوجوكو حاكم الإقليم الشرقي رفض تلك المقترحات، وعلى إثر ذلك قامت الحكومة الفيدرالية، لاتخاذ إجراءات وقائية، فأصدر مراسيم لإنشاء ولايات جديدة، اثنتين في الشرق بمنطقتي كلابار والأنهار الغنيتان بالبتول، وتحويل لاغوس إلى ولاية وتقسيم الشمال إلى عدة ولايات⁽²²⁾، وقوبل هذا الإجراء

برفض حاكم الإقليم الشرقي، فامتنع عن تنفيذ القرارات، بل أعلنت الجمعية الاستشارية للمقاطعة الشرقية في 30 ماي 1967م انفصال الإقليم الشرقي عن اتحاد نيجيريا، واستقلاله من جانب واحد تحت اسم جمهورية البيافرا المستقلة، واتخذت مدينة أنوجو عاصمة لها⁽²³⁾.

اتهم أوجوكو حكومة لاغوس أنها لم تحترم التزاماتها، وخاصة منها اتفاقيات أبوري وممارسة ضغط اقتصادي على المقاطعة الشرقية، وأعلن أن جميع العلاقات السياسية التي تربط المقاطعة الشرقية بالفيدرالية مقطوعة⁽²⁴⁾.

واتخذت عدة قرارات منها؛ أن الجمهورية الجديدة لها كل السلطات التي تتمتع بها أي دولة بما في ذلك إقامة علاقات دبلوماسية واتفاقيات دولية. وقد نتج عن هذا القرار إعلان حالة الطوارئ في كامل الولايات الاتحادية، وأن الجيش والبوليس قد سلموا كامل السلطات لمواجهة الشعب، كما صرح الجنرال يعقوب أن التدابير الاقتصادية المتخذة ضد نيجيريا الشرقية مازال معمولاً بها، واتهم الدول الأجنبية بالتحريض على قيام الحرب الأهلية بنيجيريا⁽²⁵⁾.

ب. أحداث حرب بيافرا (1967-1970م):

هاجم الجيش الفيدرالي، الإقليم المنشق، من الشمال في منتصف عام 1967م، وكان تجاه الزحف نحو مدينة أنوجو، كما قام الأسطول الفيدرالي بفرض حصار بحري من الجنوب ولكن في حركة معاكسة، وعبرت قوات البيافرا نهر النيجر، واستولت على إقليم الغرب الأوسط في أوت 1967، وسيطرت على عاصمته البنين، وأهم المدن فيه. واستولى الجيش الفيدرالي في أكتوبر 1967م، على أنوجو العاصمة، مما اضطر المتمردين إلى نقل العاصمة إلى أوبامياهايا، كما تقدمت القوات الفيدرالية في الجهة الجنوبية، واستولت على دلتا نهر النيجر وموانئ بورت هاركوت وكالابالا⁽²⁶⁾.

تمكن الجيش الفيدرالي عام 1968م من التوغل في قلب أراضي الإقليم الشرقي وطوق قوات البيافرا في دوائر عسكرية متتالية، وابتداء من شهر ماي تمكن من الاستيلاء على المدن الهامة، ثم استولى على العاصمة الجديدة للإقليم الشرقي، واستمر القتال طوال عام 1969م، حتى تم حصر المتمردين في منطقة

ضيقة وهي أورى العاصمة الثالثة للإقليم، وأخيرا تم الاستيلاء عليها، وانهمزام الانفصاليين سنة 1970م⁽²⁷⁾.

التاريخ	أهم الأحداث
30 ماي 1967م	أعلن الإقليم الشرقي، انفصاله عن نيجيريا تحت اسم جمهورية بيفرا المستقلة.
7 جويلية "	شرع الاتحاديون في إجراءات ضد الانفصاليين.
18 " "	حاصرت القوات الاتحادية مدينة أنوجو، أدى لهجرة السكان من المدينة.
2 أوت "	أصدرت الحكومة الانفصالية في البيفرا قرار بإيقاف نشاط شركة شال بريتش بترو ليويم.
11 " "	احتل الانفصاليون عاصمة الغرب الأوسط(البنين).
19 " "	شكلت حكومة لاغوس وزارة حرب.
5 سبتمبر "	قامت القوات الاتحادية بعمليات ضد الانفصاليين بطائرات تسلمتها من الدول الشرقية.
12 " "	هاجم الاتحاديون مطار أنوجو، مما أدى لتعطيله.
23 " "	استردت الحكومة الفيدرالية مدينة البنين.
26 " "	تم إعدام أربعة أفراد من حكومة البيفرا بتهمة التآمر ضد الحكومة.
30 أكتوبر "	استولت لاغوس على كلابارا من الانفصاليين بالبيفرا
9 نوفمبر "	طالب الدكتور أزيكيو بحق تقرير المصير للبيفريين.
4 ديسمبر "	وقع أول اشتباك جوي في منطقة كلابارا
30 جانفي 1968م	أصدرت بيفرا عملة مالية باسمها
28 فيفري "	سعى الانفصاليون دون جدوى لكي تنظر هيئة الأمم في قضيتهم
23 مارس "	استولت القوات الانفصالية على منطقة أونيا تنشاسا

2 أبريل "	أصبح تقسيم الجمهورية الاتحادية النيجيرية 12 ولاية نافذا
18 سبتمبر "	استولت القوات الاتحادية على أوجوتا
22 أكتوبر "	اقترح الزعيم أولوو تقسيم نيجيريا إلى 16 ولاية
20 نوفمبر "	تم تشغيل مصنع تكرير البترول في بورت هاركورت الذي كان قد توقف منذ أن دمته القوات الانفصالية سنة 1967م
31 " "	قطعت الحكومة الفدرالية حركة التمرد قامت بأديان
22 أبريل 1969م	استرجعت القوات الاتحادية منطقة أوماواهاي
26 " "	استرجعت القوات الانفصالية أويرى
23 جويلية "	استردت القوات الاتحادية أونيا تنشاسا
19 أوت "	قابل الدكتور أزيكيو الجنرال يعقوب في لاغوس للاتفاق على السلام
30 نوفمبر "	وقعت عدة اشتباكات بين المدنيين والعسكريين بجوار العاصمة لاغوس
11 جانفي 1970م	أعلنت الحكومة الاتحادية أن قواتها استولت على مدينة أويرى ودمرت مطار أولى الذي يربط ببيافرا بالعالم الخارجي كما طوقت الانفصالية في منطقة أوميهايا ووضعت بذلك حدا للحرب الأهلية التي استمرت عامين ونصف عام في البلاد
12 " "	طلب القائد الجديد من قواته تسليم سلاحهم من تلقاء أنفسهم للقوات الفدرالية النيجيرية
13 " "	أعلنت القيادة العسكرية للحكومة الفدرالية أن حوالي 6000 جندي من قوات البيافرا قد استسلموا عقب النداء الذي وجهه إليهم الجنرال الجديد أفيونيج
15 " "	انتهت الحرب الأهلية النيجيرية بعد أن وقع الجنرال أفيونيج قائد القوات الانفصالية واعتبر الإقليم الشرقي جزء لا يتجزأ من نيجيريا

أهم محطات الحرب الأهلية ب: نيجيريا(أزمة البيافرا)

عبد الملك عودة، هزيمة الانفصالية بنيجيريا، المصدر السابق، ص 107-

110 (بتصرف)

من خلال الجدول السابق لدراسة أهم محطات الحرب الأهلية بنيجيريا نجد ومن الوهلة الأولى، أن الصحف باشرت في تغطية كل مجريات الحرب الأهلية في نيجيريا ومواقف الدول الإفريقية والأجنبية. وحشد كل جانب في الحرب ما يستطيع من قوة عسكرية وتأييد دولي، فعند بداية القتال كان تعداد الجيش الفيدرالي حوالي 7000 رجل وعند نهاية الحرب وصل تعداد حوالى 180000 رجل، وكانت هناك ثمانية فرق تحارب في الإقليم الشرقي، وفي بعض التقديرات وصل تعداد القوات الفيدرالية حوالي 120000 رجل، بجوارهم أسطول بري وبحري كبير. وبالنسبة لقوات البيافرا فقد ارتفع تعدادها إلى 40000 رجل، وحاولت بيافرا تكوين سلاح جوي وبري استعملت بعض قطاعه، وبقي الآخر في بعض موانئ الدول الأوربية، لم تتمكن بيافرا من استلامه واستعماله قبل الاستسلام، والملاحظ أن كل جانب استقبل المعونات والخبرات العسكرية المتنوعة بأعداد وكميات كبيرة من مؤيديهم⁽²⁸⁾.

تصارع طرفي الحرب الأهلية، حول اكتساب الرأي العالمي، وللاستفادة من تنافس السياسات الدولية، التي وجدت في الحرب الأهلية مجالا لبناء نفوذها، أو تقويض نفوذ منافسيها، إلى حد أن بعض المراقبين توجسوا من اندلاع الحرب الباردة بين الدول الكبرى على أرض نيجيريا والقارة الإفريقية، ولتوضيح ذلك لا بد من الإشارة لبعض النقاط قبل الخوض في دراسة السياسات الدولية تجاه الحرب الأهلية منها:

- أفلحت البيافرا في البداية أن تكتسب مجال الدعاية والعاقات العامة في دول كثيرة بغرب أوروبا، وأمريكا الشمالية، وقام بهذا الدور عمال من رجال شركات البترول، ورجال بعض الكنائس ومن الصحفيين العاملين بالشركات الاحتكارية للقارة.

- كان محور دعاية البيافرا، هو التركيز على أن النزاع هو غزو إسلامي يقوم به شمال نيجيريا، ضد المسيحيين بالجنوب، ثم انتقل إلى التركيز أن شعب البيافرا يمثل قومية

يجب أن تتمتع بحق تقرير مصيرها، والانفصال بين الحكومة ونظام سياسي مستقل⁽²⁹⁾.

- التركيز على أن الحكومة الفيدرالية تقوم بشن حرب إبادة ضد الجنس البشري بالإقليم الشرقي. لكن الحكومة الفيدرالية واجهت الموقف في النصف الثاني من فترة الحرب أن تكتسبها، بعد الإجراءات الداخلية والدولية، مثل إصدار قانون تقسيم البلاد إلى 12 ولاية في ماي 1969م، لتقضي على إشاعات سيطرة الشمال، ومخاوف الجنوب⁽³⁰⁾.

- كانت خطة الجيش الفيدرالي، هي دفع قوة البيافرا إلى الداخل بعيدا عن الشواطئ مع قطع طرق الاتصال الجوي والبحري بالدول الأجنبية.

- نتيجة لموقف الحكومة الفيدرالية، حدث انشقاق في قيادات هامة من الشعب إلى جانب الحكومة الفيدرالية، مثل رئيس الجمهورية السابق أزيكيو وآخرون. ودعا الجميع إلى تسوية الموقف بالتفاوض على أساس بقاء وحدة نيجيريا الفيدرالية، مع رفض فكرة الانفصال.

- إن العقيدة والفكر العسكري، الذي سيطر على موقف الجانبين هو حرب الجيوش النظامية، وليس حرب العصابات، أو حرب التحرر الوطني. ومعنى هذا أن الانفصال لم يكن تعبيرا عن عقيدة ثورية، أو حركة تحرر وطني ضد الاستعمار، أو عن ثورة طبقات أو فئات مضطهدة تريد التحرر، وتبغي بناء مجتمع تقدمي⁽³¹⁾.

3. مواقف الدول الكبرى:

اتخذت بعض الدول والمنظمات العالمية والدولية والإقليمية، موافقا تجاه الحرب الأهلية بنيجيريا، وكانت الدوافع متنوعة، كما حدثت تغيرات وتذبذب في مواقف بعض الدول عندما طالت فترة النزاع العسكري والسياسي في داخل نيجيريا وخارجها ونذكر منها:

الموقف البريطاني:

وقفت بريطانيا موقف التأيد الرسمي للحكومة الفيدرالية ضد الحركة الانفصالية، وأمدتها بالمعونات العسكرية، الأمر الذي أثار عليها سخط حكام

البيافرا وتنديدها الرسمي. وتفسير موقف بريطانيا بسيط، فهي التي صنعت نيجيريا الاتحادية، كما أنها صاحبة الاستثمارات الضخمة للاقتصاد النيجيري، فهناك شركة شل النيجيرية، التي تملك معظم الآبار المنتجة في نيجيريا. التي من المفترض أن تصبح أكبر دولة منتجة للبتروول بعد ليبيا. وكذلك مجموعة شركات أوتيلفير، التي تحتكر ملكية الفول السوداني والكاكاو والتمر، فضلا عن أن نيجيريا مازالت رصيدا ضخما في تعدد الناطقين باللغة الإنجليزية، والمرتبطين بثقافتها، ضف إلى هذا ما قائلته الحكومة، بأن امتناعها عن تأييد الحكومة الفيدرالية معناه إفساح المجال للسياسة السوفياتية، التي أمدت نيجيريا بالأسلحة والمعونات طوال الحرب، وأيدتها في المجال الدولي باستمرار⁽³²⁾.

ويلاحظ أن السياسة الإنجليزية تمثلت في بداية النزاع بين الحكومة الفيدرالية وللإقليم الشرقي المنشق، بتزويد نيجيريا بأسلحة لا تكفي لتحقيق نصر سريع على القوات الانفصالية، غايتها من وراء ذلك هو أولا إضعاف مركز الحكومة الفيدرالية أمام ضريات الانفصاليين، الذي يتمسك قاداته تجاه الحكومة الفيدرالية، بضرورة تقديم تنازلات أكثر. والغاية الثانية التخفيف من تشدد الحكومة الاتحادية في متطلباتها إزاء بريطانيا⁽³³⁾.

بيد أن البريطانيين أساءوا تقدير سرعة ردود فعل الاتحاد السوفياتي، فقد استغلت موسكو هذا التساهل من جانب لندن في التصرف بإيجابية تجاه الأزمة، وعرض خدماته على لاغوس، التي أسرعت بالقبول، ومثل هذا القول ينطبق على مخاوف بريطانيا من نمو التأثير الفرنسي والأمريكي في نيجيريا⁽³⁴⁾.

. الموقف الفرنسي:

بداية من عام 1960م عام إفريقيا كما أطلق عليه، وفرنسا تحافظ على وجودها العسكري والثقافي والاقتصادي في إفريقيا الفرانكفونية، ففي عهد الرئيس ديغول توسعت السياسة الفرنسية في نشاطها الاقتصادي في باقي إفريقيا، كما دخلت في صراع خفي عنيف ضد التوسع الاقتصادي والثقافي الأمريكي، ضف إلى هذه الحزازات القديمة الموروثة، في نفسية السياسة الفرنسية ضد التضامن الأنجلوأمريكي، الذي وقف ضد فرنسا، في الشرق الأوسط والشرق الأقصى

وشمال إفريقيا منذ نهاية الح 2، وقد سال لعاب الرأسمالية الفرنسية من أجل الثروة البترولية الموجودة في الإقليم الشرقي (بيافرا)، والتي تعتبر احتكارا خاصا بالرأسمالية الإنجليزية، فاكتفت فرنسا رسميا بالمعونات التي تقدمها عن طريق ساحل العاج والغابون، وما تحصل عليه البيافرا من أسلحة فرنسية بصورة غير مباشرة⁽³⁵⁾. ولكن الموقف تغير عام 1968م، حيث أصدر مجلس الوزراء الفرنسي "... أن الحكومة الفرنسية تجد أن الدم والآلام التي يتحملها أهل البيافرا أكثر من عام، له الدليل على إرادتهم وتصميمهم في تأكيد ذاتهم كشعب..."⁽³⁶⁾. وترى بذلك أن النزاع والصراع الحالي يجب أن يحل على أساس مبدأ تقرير المصير. وفي سبتمبر 1968م أعلن الجنرال ديغول في مؤتمر صحفي أن فرنسا تساعد البيافرا في حدود إمكانياتها، كما عبر عن ألمه في تحول نيجيريا إلى نوع من الإتحاد الكونفدرالي، وأكد أن فرنسا لن تعلن اعترافها الدبلوماسي لجمهورية البيافرا، وقد تعددت الهيئات والجماعات الفرنسية، التي تقدم المساعدات المتنوعة للبيافرا، ويمكن التعمق في فهم الموقف إذا استعرضنا الاستثمارات الفرنسية في نيجيريا، وهي أقل النسب بالمقارنة بالاستثمارات الأنجلوساكسونية، ولكنها كانت مشجعة للرأسمالية الفرنسية⁽³⁷⁾.

. موقف الإتحاد السوفياتي:

يمكن فهم السياسة السوفياتية، تجاه هذا النزاع في ضوء الموقف العام السوفياتي تجاه المعسكر الغربي عامة والسياسة الأمريكية خاصة، وفي هذا السياق تنتهز المناسبات الدولية لإثبات نيتها ومواقفها الخاصة، بتأييد شعوب العالم الثالث وحكوماته ضد المحاولات الاستعمارية، لهدم النظم السياسية الاستعمارية، وتفتيت وحدة الحكومات الأفريقية في كفاحها ضد الاستعمار والفرقة العنصرية في القارة. ضف إلى ذلك نمو الصداقة السوفياتية النيجيرية إبان هذه الأزمة العنيفة، وبالمقابل فإن اعتماد الجيش الفيديرالي على الأسلحة السوفياتية، وثبوت فعاليتها في الحرب الأهلية، فتح الطريق أمام استمرار التعاون العسكري في ميادين صفقات السلاح والتدريب، ومثل هذا القول ينطبق على مواقف الدول الحليفة للإتحاد السوفياتي بشرق أوروبا، وكذلك الدول الصديقة التي أيدت موقف الحكومة الفيديرالية،

وأمدتها بكل أنواع المؤونة من خبزاء عسكريين ومدنيين⁽³⁸⁾. كما أيدت الصين الشعبية انفصال البيافرا تحت شعار أنه إذا كانت موسكو تؤيد نيجيريا الاتحادية، فينبغي على الماركسيين اللينيين، أن يؤيدوا البيافرا، وقد زدوا القوات الانفصالية ببعض الأسلحة⁽³⁹⁾.

. الموقف الأمريكي:

اتخذت أمريكا موقفا رسميا وآخر غير رسمي، وأثر في الموقفين المصالح الأمريكية الاستعمارية والإستراتيجية العسكرية العدوانية، التي تسير عليها اليوم أ دائما. أما الموقف الرسمي؛ فهو عدم المساندة للحكومة الفيدرالية في موقفها وسياساتها وفي نفس الوقت عدم الإعلان الصريح عن دعم ومساندة سياسة جمهورية البيافرا، ولكنها اكتفت بإصدار البيانات التي تحت فيها على وقف إراقة الدماء واللجوء إلى المفاوضات والاستعانة بجهود الدول الصديقة. إن البيانات الرسمية وتصريحات مسؤوليهم تحمل روح التعاطف مع موقف البيافرا، مثلما صرح به زوج نيكسون خلال معركة الرئاسة الأمريكية، بوجوب رفع الصوت عاليا ضد تحطيم شعب البيافرا، واستعمال سلاح التجويع ضدهم⁽⁴⁰⁾.

وتفسيرا لهذا الموقف يأتي من تفاهم موقف بريطانيا الاقتصادي بنيجيريا، وقد طلبت ثمن تأييدها للسياسة الأمريكية في الفيتنام، كان الثمن هو التأييد الأمريكي الرسمي لموقف بريطانيا على أساس أن بريطانيا تقوم على دور رجل البوليس في نيجيريا، الذي يحمي المصالح المشتركة في المنطقة.

أما الموقف غير الرسمي فهو انخياز كامل للبيافرا ضد الحكومة الفيدرالية، فقد نشطته هيئات دينية وثقافية، والمصالح الرأسمالية والاحتكارية الأمريكية في تأييد البيافرا بالمعونات المتنوعة، كما تم جمع التبرعات المالية لحسابها، وأسهمت الصحف ووسائل الإعلام الأمريكي في تأييد وجهة نظر الانفصاليين، والضغط على حكومتهم للتدخل الصريح في موقف التأييد للبيافرا على أساس أن الاتحاد السوفياتي يؤيد الحكومة الفيدرالية⁽⁴¹⁾.

وهناك بعض المواقف المختلفة لبعض الدول نذكر منها:

. موقف البرتغال وروديسيا وجنوب إفريقيا في دعم الانفصال:

أسرعت هذه الدول والتي تمارس التفرقة العنصرية إلى تأييد انفصال بيبافرا، وتهدف من ذلك إلى زرع روح التعصب والانفصال في كيان الدول الإفريقية المستقلة، ومن ثم تشتغل هذه الدول في صراعاتها الخاصة، وبذلك تنمي وجود الاستعمار الأوربي والنظم العنصرية في البيافرا وكذلك نشوء دولة إفريقية جديدة قد تكون أقل تشددا من الدول الأخرى، وسرعان ما أقيم الجسر الجوي عن طريق جزيرة ساوتومي البرتغالية، لنقل المعدات، لقوات أجوكو، كما أرسلت جنوب أفريقيا بعد ذلك الكثير من الأسلحة للبيافرا⁽⁴²⁾.

ومما تقدم يلاحظ أن المواقف تجاه هذه الحرب تتأرجح بين المؤيد والمعارض كل حسب مصالحه السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المنطقة.

. مواقف الدول الإفريقية:

التزمت الدول الأعضاء في منظمة الوحدة الإفريقية، بقرارات ومواقف المنظمة منذ عام 1963م، لكن في عام 1968م انشقت أربع دول عن هذا الاجتماع، واعترفت بدولة البيافرا، وهي تنزانيا، الغابون، ساحل العاج، زامبيا، ويحتاج موقف هذه الدول إلى تفسير فهما دولتان من الأنجلوفونية، ودولتان من الفرانكفونية، ولقد وقفت الغابون وساحل العاج منذ اليوم الأول موقف التأييد غير الرسمي، إذ كانت مركزا للإمدادات العسكرية إلى البيافرا. ولكن اعترافها الرسمي جاء متأخرا حتى أعلنت تنزانيا اعترافها، وبرر رئيسها نيرر موقفه بأن الدماء سالت لأكثر من عام ولم تتمكن الحكومة الفيدرالية من إخماد التمرد، كما أن شعب البيافرا أثبت قدرته ورغبته في إقامة دولته القومية الخاصة، لذلك دعا نيرر للاعتراف للبيافريين بحق تقرير مصيرهم، وسارت زامبيا وراء نفس التبرير⁽⁴³⁾.

فنجسد بالنسبة للدول الفرانكفونية أن مواقفها جاءت نتيجة لأفكار هفوت بوني رئيس ساحل العاج، وإتباعا للسياسة الفرنسية، المضادة للمواقف الأنجلوفونية في العالم الثالث فرئيس ساحل العاج منذ الخمسينيات ضد فكرة إقامة اتحادات إفريقية كما أنه كان يخشى من قيام وحدة فيدرالية كبيرة في غرب إفريقيا، تستقطب الدول الصغيرة الموجودة في المنطقة، ولهذا وقف باستمرار من قبل ضد أفكار نكروما وسيكوتوري، الخاصة بالدعوة للاتحادات الفيدرالية، وبهذا ظهرت

هذه الدول الفرانكفونية لعبة في يد فرنسا لتحقيق مآربها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في الإقليم الشرقي⁽⁴⁴⁾.

ومن المواقف المؤيدة للحكومة الفيدرالية، نجد الجزائر والجمهورية العربية المتحدة التي قدمت باتفاقيات، المعونة والتدريب وخبرات عسكرية برية وجوية⁽⁴⁵⁾.

وقد أيدت معظم الدول الإفريقية حكومة نيجيريا في موقفها من أوجوكو، وطريقة محاربتها لمشكلة الانفصال، فموضوع الانفصال بصفة عامة، موضوع كربه عند اغلب الدول الإفريقية خصوصا تلك التي يهددها شبح الانفصال دائما، وهي كثيرة في القارة⁽⁴⁶⁾.

4. دور منظمة الوحدة الإفريقية في حل أزمة البيافرا:

أ. الهيئات ذات الطابع الدولي:

تدخلت لحل الأزمة هيئات ذات طابع دولي، مثل الفاتيكان، والاتحادات، والجمعيات المسيحية، والكنائس، والصليب الأحمر. وقد وقفت جميعها بدون استثناء مع البيافرا وقدموا المعونات المادية والأغذية والمواد الطبيعية، وأسهموا في الدعاية لها. ويحتج هؤلاء بان الدوافع لموقفهم هي إنسانية بوجه عام، ضد القتل والإبادة، وهي دوافع أخوة دينية، للدفاع عن المسيحية في البيافرا ضد غزو الشمال النيجيري المسلم. ولقد قام البابا بمحاولة للوساطة بين طرفي الحرب في جويلية 1969م، أثناء زيارته لأوغندا، ولم تحقق سيئا يذكر⁽⁴⁷⁾.

ب. دور هيئة الأمم المتحدة:

منذ الوهلة الأولى لانفجار الحرب الأهلية بنيجيريا، ونشوب القتال بين الإقليم الشرقي والحكومة الفيدرالية، تركت الأمم المتحدة كلية محاولة للتسوية السلمية، للنزاع إلى أنشطة أجهزة منظمة الوحدة الإفريقية. وأعلن السكرتير العام للأمم المتحدة أمام مؤتمر القمة الخامس بالجزائر عام 1968م، أن منظمة الوحدة الإفريقية هي الجهاز الدولي صاحب الاختصاص الأصيل في العمل على إعادة استتباب السلام في نيجيريا، كما رأى أن الحل الأمثل للأزمة النيجيرية، إنما يكمن في تنفيذ توصيات اللجنة الاستشارية الخاصة بمشكلة الحرب في نيجيريا، والمنبثقة من منظمة الوحدة الإفريقية⁽⁴⁸⁾.

وعندما حاولت بعض الدول المؤيدة للانفصاليين في نيجيريا، أن تلت نظر الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى جريمة إبادة الجنس البشري التي ارتكبتها حكومة لاغوس في الإقليم، قامت تلك الحكومة بدعوة بعثة رسمية من المراقبين الدوليين أواخر سنة 1968م تكونت من ممثلين عن الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الإفريقية، التي زارت مناطق الصراع العسكري، ومواقع انسحاب القوات الانفصالية. رغم أن هيئة الأمم المتحدة لم تقم بأي نشاط سياسي لتسوية قضية البيافرا سلميا، إلا أن إسهامات سكرتيرها العام ووكالاتها المختصة، بدت واضحة في مواجهة الجوانب الإنسانية للمشكلة، ويتضح ذلك جليا في الإمدادات المدنية والمعونات والإسعافات المقدمة من طرف دول العالم، التي أشرف عليها مندوبو هذه المنظمة⁽⁴⁹⁾.

ج. دور منظمة الوحدة الإفريقية:

المبادئ الأساسية التي تقوم عليها المنظمات الدولية، العمل على فض ما قد يقع بين أعضائها من منازعات، بالطرق السلمية، أو ما قد ينشأ بين أقاليم دولة عضو فيها من اضطرابات مسلحة، نتيجة الخلافات السياسية أو الاجتماعية بين سكان أقاليم تلك الدولة. ومنظمة الوحدة الإفريقية، واحدة من هذه المنظمات الدولية ولا تختلف عنها في تحقيق هذه الأهداف.

بدأت منظمة الوحدة الإفريقية، التحرك الدبلوماسي الإفريقي نحو تسوية الأزمة النيجيرية، بنداء وجهه كينث كاوندا رئيس زامبيا يوم 24 جويلية 1967م، أي بعد مرور أقل من شهر على إعلان زعيم الحركة الانفصالية أجوكو، قيام جمهورية بيافرا المستقلة. دعا فيه الزعامات الإفريقية كلها إلى محاولة التوصل لحل سلمي للامزمة المخزنة فأرسلت الحكومة العسكرية الفيدرالية مبعوثا رسميا إلى دول شرق إفريقيا، للتأكيد على أن أي عرض للوساطة من جانب الدول الإفريقية، يجب أن يكون أساسه التسليم بسيطرة السلطات الفيدرالية على البلاد، كما يجب أن يكون عن أي محاولة للتفاوض مع الجنرال أجوكو⁽⁵⁰⁾.

واجتمع يوم 8 جويلية 1967م، في لوزاكا عاصمة زامبيا كل من الإمبراطور الإثيوبي هيلاسلاسي والرئيس التنزاني نيرر والرئيس الأوغندي أبوتي والرئيس جومو

كينياتا ورئيس زامبيا من أجل إيجاد وسيلة للتهديئة، إلا أن الحرب الأهلية كانت قد نشبت في 6 جويلية 1967م، وبذلك لم يكن في مقدورهم أكثر من توجيهه، نداء بإيقاف القتال وتسوية النزاع سلميا، الذي لم يجد آذانا صاغية، وبذلك فشلت المبادرات الفردية والجماعية خارج نطاق منظمة الوحدة الإفريقية⁽⁵¹⁾.

. **اجتماع كينشاسا:** لم تبدأ منظمة الوحدة الإفريقية مناقشة القضية صراحة إلا في المؤتمر الرابع بكينشاسا عاصمة الكونغو في منتصف سبتمبر 1967م، الذي أكد أن القضية مرتبطة بالشؤون الداخلية النيجيرية، وعرض خدماته على حكومة لاغوس لمساعدتها على إيجاد حل سلمي للنزاع، وشكل لجنة استشارية على أعلى مستوى، ضمت رؤساء ست دول إفريقية هم؛ هيلاسلاسي، هامامامي ديوري النيجيري، أحمدو أهيدوجو الكامروني، ويليم توبمان الليبيري، جوزيف موبوتو الكونغولي، جوزيف انكروك الغاني وقد ذهب اللجنة إلى لاغوس، وقد تخلفا اثنان من أعضائها عن الذهاب، وهما رئيس الكونغو ورئيس ليبيريا⁽⁵²⁾.

ومن مجهودات اللجنة السادسة، الوقوف على أسباب النزاع، والتوفيق بين الأطراف المتصارعة، فسافر أعضاء اللجنة إلى لاغوس يوم 21 سبتمبر 1967م، وذلك للتشاور مع الحكومة الفيدرالية، ولكن طلب حكومة نيجيريا رسميا، تأجيل الاجتماع إلى يوم 21 أكتوبر من نفس السنة، وذلك بهدف الوصول إلى إمكانية تشديد الغارات الجوية على الإقليم الشرقي، أملا في تقوية مركزها السياسي والعسكري في النزاع⁽⁵³⁾.

. **اجتماع لاغوس:** اجتمعت اللجنة في لاغوس، وقد حضر الاجتماع جميع المشاركين في اللجنة، ما عدا رئيس دولة ليبيريا ورئيس الكونغو كينشاسا، وقد أصدرت اللجنة في نهاية اجتماعها يوم 24 نوفمبر 1967م، بيانا أعلنت فيه أن أساس إعادة السلام في نيجيريا لا بد أن يستند إلى الأسس التالية:

. نبدأ الانفصال والمحافظة على وحدة الأراضي النيجيرية.

. قبول التقسيم الإداري الجديد لنيجيريا، كما أعلنت عليه الحكومة الفيدرالية.

وقد قامت اللجنة بتكليف رئيس دولة غانا، بمهمة إبلاغ حكام الإقليم بالبيان السابق وعلى إثر ذلك أعلنت الحكومة الفيدرالية قبول ما جاء في بيان اللجنة،

في حين كان رد حكام البيافرا، بالرفض لتلك الأسس، ومهاجمة أعمال اللجنة السداسية⁽⁵⁴⁾.

- **اجتماع نيامي:** بعد انقطاع دام ستة أشهر استأنفت اللجنة نشاطها الدبلوماسي، من 16 إلى 22 جويلية 1969، لتسوية الأزمة، وذلك لأسباب عدة منها:

- اتجاه طرفي النزاع للتفاوض في نطاق سكرتارية الكومنولث البريطاني، وكان من نتيجة نجاح المفاوضات التمهيدية في لندن، عقد مؤتمر كمبالا في 23 ماي 1968م، ولكن هذا المؤتمر لم يحرز أي تقدم لحل المشكلة، بسبب تمسك حكومة البيافرا بالانفصال.

- زيادة الشعور بعدم فعالية منظمة الوحدة الإفريقية في التدخل لحل المشكلات الإفريقية ضف إلى ذلك اعتراف بعض الدول الإفريقية لحكومة البيافرا، مثل ساحل العاج، تنزانيا غابون، زامبيا.

- نجاح دعاية الحكومة الانفصالية في الخروج بالمشكلة من نطاق الحيز الإقليمي، إلى النطاق الدولي.

هذا ما دفع باللجنة السداسية إلى أن تعود إلى محاولاتها الدبلوماسية، للتوفيق في النزاع⁽⁵⁵⁾.

وبدأت الجولة الثانية من اجتماعات اللجنة الاستشارية، في نيامي عاصمة النيجر، في الفترة ما بين 15 و 19 جويلية 1968م، ونجحت في هذه المرة أن تدعو أوجوكو لحضور جلساتها، كما أقنعت طرفي الحرب الأهلية، ببدء محادثات تمهيدية في أقرب وقت ممكن في أديس بابا تحت إشراف اللجنة ذاتها في مؤتمر موسع للسلام يرأسه الإمبراطور الإثيوبي هيلاسلاسي، وقد أدى اجتماع نيامي إلى الاتفاق حول جدول أعمال من ثلاث نقاط لمؤتمر أديس بابا وهي:

- الترتيبات الضرورية لإقامة تسوية دائمة للنزاع.

- تدابير إيقاف إطلاق النار بين طرفي النزاع.

- توصيل وسائل الإمدادات التمويلية والإسعافات للضحايا المدنيين، كما أصدرت اللجنة قرارا في ختام اجتماعها ركز على الجوانب الإنسانية وطالب حكومة

لاغوس بإقامة ممرات رحمة، وتأمين حركة أفراد بعثات الإسعاف لسكان المناطق المنكوبة⁽⁵⁶⁾.

. اجتماع أديس بابا: انعقد مؤتمر السلام في أديس بابا في أوت 1968م، بغية تكملة محادثات نيامي، تحت رئاسة الإمبراطور الإثيوبي وأجوكو، بينما تغيب يعقوب، وخلفه وزير الإعلام، الذي أعلن أن النقاش لا يجب أن يدور إلا في نطاق موضوع واحد، وهو إجراءات ضم ولايات الوسط الشرقي، وكانت هي المنطقة الوحيدة، التي مازالت تحت سيطرة الانفصاليين⁽⁵⁷⁾.

بذلت اللجنة الاستشارية الإفريقية جهودا كبيرة طيلة خمسة أسابيع من الاجتماعات المستمرة، بين طرفي النزاع، وأبدى كل طرف رأيه ومقترحه في سبيل إنهاء النزاع ويمكن تلخيص مقترحات الحكومة الفيدرالية فيما يلي:

. تخلي الطرف الآخر عن الانفصال ونزع سلاح المتمردين، وإنشاء قوة أجنبية من الهند وكندا وإثيوبيا، لسلامة أفراد قبائل الإيبو.

. إنشاء قوة بوليسية من أفراد قبائل الإيبو للإشراف على مناطقهم.

. العمل على إنشاء جهاز لاستدعاء القوات الفيدرالية في حالة حدوث أي اضطرابات.

. التمهيد لإصدار عفو شامل عن المتمردين، وإعادة الموظفين المنفصلين، لمصالح الفيدرالية، إلى أعمالهم على أن يتم ذلك للمفاوضات اللاحقة في حالة الموافقة المبدئية⁽⁵⁸⁾.

في حين كانت مقترحات الانفصاليين كالاتي:

. استقلال دولة البيافرا.

. منع الحصار الاقتصادي.

. انسحاب القوات الفيدرالية من الإقليم الشرقي.

. إجراء استفتاء في المناطق المتنازع عليها.

. الدعوة إلى هدنة لمدة خمس سنوات، تكون كمرحلة انتقالية لتهدئة الشعوب، تتحد بعدها العلاقات بين الطرفين.

ومن جهة أخرى كانت محادثات أديس بابا مواكبة للهجوم النهائي الشامل، الذي قامت به القوات الفيدرالية على ما تبقى من الأراضي في أيادي قوات الإقليم الشرقي⁽⁵⁹⁾.

- **اجتماع الجزائر:** أصبح من الواضح أن هزيمة البيافرا باتت وشيكة وقريبة، فانعقد مؤتمر القمة الخامس يوم 9 سبتمبر 1968م بالجزائر، وكانت مشكلة الحرب الأهلية بنيجيريا مدرجة في جدول أعماله، في صورة تقرير مقدم من الإمبراطور الإثيوبي بصفته رئيسا للجنة الاستشارية للمؤتمر، وحينها ظهر إجماع بين الزعماء الإفريقيين الحاضرين على أن الأولوية المطلقة، يجب أن تكون لحقن الدماء في إفريقيا⁽⁶⁰⁾، وصوت الجميع لصالح قرار يدعو الانفصاليين إلى التعاون مع السلطات الفيدرالية، من أجل إقرار السلام في نيجيريا، ويطلب من حكومة لاغوس أن تعلن عفوا شاملا عن البيافرين، وأن تتعاون مع المنظمة القارية لتأمين السلامة الشخصية لكل النيجيريين بلا تمييز⁽⁶¹⁾.

والملاحظ أن القرار الصادر من المؤتمر الخامس بالجزائر، أنه أغفل بعض التفاصيل الأساسية، والتي كانت لازمة من الناحية العلمية الواقعية، وذلك مثل تحديد أجل زمني لتنفيذ ما تضمنه القرار من أحكام، كما لم ينص على تكوين جهاز معين يتكفل بالإشراف على تدابير وقف إطلاق النار، وأخيرا لم يوضح قرار المؤتمر رغم المناقشات، التي دامت أسابيع في نطاقه حقيقة ملامح دور المنظمة في تسوية الأزمة النيجيرية، هل هي مجرد مساعي حميدة أو هي جهود تصل إلى حد الوساطة أو تتعداها إلى مرتبة التحقيق والتوفيق؟⁽⁶²⁾.

- **اجتماع منروفيا:** انعقد الاجتماع الثالث للجنة الاستشارية في منروفيا في الفترة الممتدة بين 17 إلى 20 أبريل 1969م وكانت فرص النجاح ضئيلة للغاية أمام اللجنة في أعمالها لتسوية الأزمة، فقد كانت القوات الفيدرالية لحكومة لاغوس مكتسحة لمدن إقليم البيافرا وأصبحت على ثقة من انتصارها العسكري، فرفض يعقوب الحضور لاجتماع منروفيا بينما انشغل أوجوكو بالدفاع عن عاصمته، وبهذا انقسمت اللجنة الإفريقية إلى قسمين يتولى كل منهما التباحث مع جانب من طرفي النزاع. فقام الرئيسان توماس وديوري بالاتصال بالحكومة الانفصالية،

بينما تفاوض هيلاسلاسي وموبوتو مع حكومة لاغوس وبالرغم من الجهود المبذولة والمحاولات التي قام بها كل من القسمين، فإنهم لم يستطيعوا تحقيق نجاح يذكر⁽⁶³⁾.

- اجتماع أديس بابا الثاني: احتلت مشكلة البيافرا أمام مؤتمر القمة الإفريقي السادس فيما بين 6 و10 سبتمبر 1969م، بدراسة ومناقشة تقرير اللجنة الاستشارية الذي قدمه الإمبراطور الإثيوبي، وقد تضمن تقرير اللجنة مختلف الجهود، التي قدمتها والتوصيات التي ارتأتها لتهدئة الموقف، ومقترحاتها بشأن إنهاء الحرب الأهلية، وإعادة السلام بالبلاد.

ومن الملاحظ أن الإطار العام، الذي كانت تدور حوله توصيات اللجنة، هو دعوة الأطراف المتنازعة إلى مفاوضات في إطار وحدة نيجيرية، مع الدعوة لوقف القتال، وقد حضر المؤتمر الرئيس الفيدرالي يعقوب جون، بينما أرسل أوجوكو وفدا يمثل حركته الانفصالية، الذي استندت أوجه اعتراضاته على القرار السابق ما يلي:

- ضرورة إيجاد صياغة مقبولة لدى الطرفين

- أن مضمون هذا القرار لم يخرج عن القرارات السابقة، والتي لم تحرز أي تقدم بدليل استمرار الحرب طيلة هذه السنوات.

- ضرورة وقف القتال قبل بدء المفاوضات⁽⁶⁴⁾.

ومن خلال تقرير اللجنة الاستشارية اصدر المؤتمر قرارا يتضمن إعلان تأثر رؤساء الدول والحكومات الإفريقية، باستمرار الحرب الأهلية بنيجيريا، ورضاهم التام عن أعمال اللجنة ومجهوداتها، وثقتهم الكامنة على إنجاح دعوة السلام بالبلاد، ومطالبة الأطراف المعنية في نيجيريا بوقف إطلاق النار والعودة للمفاوضات من أجل الحفاظ على وحدة البلاد⁽⁶⁵⁾.

5. نهاية الأزمة عسكريا:

كان من نتائج تمسك الإقليم الشرقي بالانفصال عن اتحاد نيجيريا أن جهودات اللجنة الاستشارية، المعروفة بلجنة السلام، لم تحرز أي تقدم في سبيل حل الأزمة، واستمر الصراع المسلح في حرب أهلية طيلة ثلاثين شهرا، وقد حشد

كل من الجانبين، كل ما استطاع من قوة عسكرية وتأييد دولي، وتطورت الأحداث في غير صالح قوات البيافرا، مما اضطر قائد القوات العسكرية للبيافرا، الإعلان عن وقف القتال في 11 جانفي 1970م. وإنهاء الخلاف مع الحكومة الاتحادية، ورفض الشعب فكرة إقامة حكومة بالمنفى، ووصل إلى لاغوس في 14 جانفي من نفس السنة، وفدا يمثل الإقليم المنشق، برئاسة جديدة يمثلها فيليب إيفيونج، الذي صرح بقوله لقد زالت بيافرا من الوجود ونحن نعتزف بسلطة حكومة نيجيريا الفيدرالية رسمياً⁽⁶⁶⁾.

وخلاصة القول أن الحرب الأهلية في نيجيريا، وما خلفته من دمار، مس الحجر و البشر، خاصة وسط الإقليم الشرقي. إلا أن هذه التجربة لعبت دور إيجابيا في توطيد العلاقة بين الأقاليم النيجيرية والتقليل من وزن القبيلة في الحياة السياسية النيجيرية ككل⁽⁶⁷⁾. وكانت عوناً على عودة الوئام و الانسجام بين أعضاء المجتمع الدولي الإفريقي وختام هذا المقال نطرح السؤال التالي هل الأحداث الأخيرة في نيجيريا اليوم بين المسلمين و المسيحيين مردها تاريخي.

التوثيق:

(1) راشد البراوي، مشكلات القارة الإفريقية السياسية والاقتصادية، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ط1، 1960م.

ص37، 38

(2) نفسه.

(3) إيناس ممدوح طه، "عودة الحكم المدني في نيجيريا"، مجلة السياسة الدولية، عدد58، 1979م، ص93.

(4) Philippe Lucas, "Nigeria: Lutte de classe ou conflit nationalitaire?", Revue Française de Science Politique, N4, 1971, pp888, 889. وينظر

"La Guerre se porte maintenant sur le pétrole au Nigeria", Journal Afrique nouvelle, N1114, 19-25 juin 1969, , p7.

- (5) علي عباس حبيب، الفيدرالية والانفصالية في إفريقيا" دراسات تحليلية عن أريتيريا والسودان بيفرا، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1999م، ص298.
- (6) إيناس ممدوح، المصدر السابق، ص93.
- (7) عبد الملك عودة، "الحرب الأهلية في نيجيريا"، مجلة السياسة الدولية، عدد10، 1967م، ص36.
- (8) Edouard Pellissier, "Le Problème des Minorités est l' une des cause de l' échec de la Fédération du Nigeria", Le Monde Diplomatique, N8, juin1967, p226.
- (9) إيناس ممدوح طه، المصدر السابق، ص93، 94. وينظر، "La guerre est imminente au Nigeria", journal Afrique Nouvelle, N1037, 22-28juin 1967, p6.
- (10) إيناس ممدوح طه، المصدر السابق، ص92، 93.
- (11) Edouard Pellissier, "Au Nigeria la cessation des hostilités suppose le reconnaissance par les IBOS du coup d' Etat du 29juil", Le Monde Diplomatique, 1968, p16، وينظر، Stephen Hugh-Jones, "Après les deux coups d' Etat de 1966? L' autorité du Gouvernement Central demeure contentée", Le Monde Diplomatique, 1967, p9.
- (12) "Nigeria Explosif", Journal Afrique Nouvelle, N1027, 13-19 avril, 1967, p3.
- (13) "1er Anniversaire du Soulèvement Militaire au Nigeria", Journal Afrique Nouvelle, N1015, 19-25janvier, 1967, p6.
- (14) عبد الملك عودة، "الحرب الأهلية..."، المصدر السابق، ص24.
- (15) إسماعيل حلمي محروس، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ج2، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، ط1، 2002م، ج2، ص83.
- (16) عبد الملك عودة، "الحرب الأهلية..."، المصدر السابق، ص24.
- (17) نفسه، ص25.

(18) Philippe Decraene "Le Nigeria Traverse une Période Très Critique pour son Unité", Le Monde Diplomatique, 1966, p6. وينظر، Z Denek Cervenka, **A History of The Nigerian War 1967-1970**, Ibadan, Nigeria, 1972, pp 24,25.

(19) عبد الملك عودة، الحرب الأهلية...، المصدر السابق، ص26، 27.

(20) عبد العزيز محمد سرحان، المنظمات الإقليمية والمتخصصة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1974م، ص60، 61.

(21) "Nigeria: Grande Inquiétudes", Journal Afrique Nouvelle, N1024, 23-29mai1969, p6. وينظر، Que se passera t il après le 31mars au Nigeria?, Journal Afrique Nouvelle, N1022, 9-15mars1967, p7. و "L'épreuve de Force est engagée entre le Nigeria", Journal Afrique Nouvelle, N1037, 6-12juill1967, p6.

(22) عبد العزيز محمد سرحان، المصدر السابق، ص63.

(23) "Espoir et Désespoir au Nigeria", Journal Africaine Nouvelle, N 1033, 25-31mai1967, p6.

(24) "نيجيريا الشرقية تعلن الانفصال النهائي"، جريدة الشعب، عدد1380، 31ماي1967م، ص1.

(25) "حكام نيجيريا الشرقية يعلنون الانفصال الكامل"، جريدة الشعب، عدد1379، 29ماي1967، ص5.

(26) عبد الملك عودة، "هزيمة الانفصالية في نيجيريا"، مجلة السياسة الدولية، عدد20، 1970م، ص107.

(27) نفسه.

(28) علي عباس حبيب، المرجع السابق، ص320، 321.

(29) عبد الملك عودة، "هزيمة الانفصالية..."، المصدر السابق، ص108، 109.

(30) Alain Renard, **Biafra Naissance d' une Nation**, Paris, 1969, pp145, 146.

(31) عبد الملك عودة، "هزيمة الانفصالية..."، المصدر السابق، ص108، 109.

- (32) نفسه، ص110، 111. وينظر،
 "Les Raisons de la visite du premier ministre Biafra au Nigeria", **Journal Afrique Nouvelle**, N1128, 20-26mars, 1969, p6. و "Après la visite de M, Wilson au Nigeria", **Journal Afrique Nouvelle**, N 1130, 3-9avril1969, p6.
- (33) عبد العزيز محمد سرحان، المصدر السابق، ص64.
- (34) عبد الملك عودة، "هزيمة الانفصالية..."، المصدر السابق، ص111.
- (35) "Des Parlementaire Français au Nigeria et au Biafra", **Journal Afrique Nouvelle**, N1128, 6-12 février, 1969, p7.
- (36) عبد الملك عودة، "هزيمة الانفصالية..."، المصدر السابق، ص111.
- (37) Rémy Boutet, **L' effroyable Guerre du Biafra**, France, 1992, pp116, 117.
- (38) علي عباس حبيب، المرجع السابق، ص321.
- (39) عبد العزيز محمد سرحان، المصدر السابق، ص64.
- (40) "L' Amérique augmentera l' aide au Biafra", **Journal Afrique Nouvelle**, N1117, 2-8janvier, 1969, p8.
- (41) Marc Aicardi de Saint-Paul, **La Politique Africaine des etats-Unis**, 2eme édition, Economica, paris, 1984. pp224, 225.
- (42) عبد العزيز محمد سرحان، المصدر السابق، ص65.
- (43) "La Tanzanie reconnait le Biafra", **Journal Afrique Nouvelle**, N1080, 18-24avril 1968, p6. وينظر، "La Presse Africaine et la Guerre au Nigeria", **Journal Afrique Nouvelle**, N 1085, 23 -29 mai, 1968, P2.
- (44) Philippe Decraene, "Nigeria, La Solution finale du probleme Biafra", **Le Mois Afrique**, N33, sept 1968, p3. وينظر، "Le Gabon menace d' intervenir au Nigeria", **Journal Afrique Nouvelle**, N 1111, 21-27novembre 1968, p7. و

"Nigeria Biafra et Unite Africaine", **Jornal Afrique Nouvelle**, N 1085, 23-29 mai 1968, p16.

(45) علي عباس حبيب، المرجع السابق، ص321.

(46) محمد فايق، عبد الناصر والثورة الإفريقية، دار الوحدة، بيروت، ط1، 1980م، ص16.

(47) "Nigeria L' eglise Face au Conflit", **Journal Afrique Nouvelle**, N 1124, 20-26 fevrier1969, p13. وينظر، "L' action de Paul 6 pour la paix au Nigeria depuis l' origine du Drame", **Journal Afrique Nouvelle**, N 1176, 19-25fevirir 1970, p12.

وعبد الملك عودة، "هزيمة الانفصالية..."، المصدر السابق، ص110.

(48) "Au conseil des ministers de l OUA réuni à Alger", **Journal Afrique Nouvelle**, N1101, 12-18 sept 1968, p3

وينظر علي رجب حبيب، المرجع السابق، ص342.

(49) بطرس غالي بطرس، **للاقات الدولية في إطار منظمة الوحدة الإفريقية**، مكتبة الأنجلومصرية، القاهرة، ط1، 1974م. ص340-342.

(50) نفسه، ص389.

(51) نفسه.

(52) "L' OUA: les Chefs d' Etat examinent les résolutions de leurs Ministres", **Journal Afrique Nouvelle**, N1049, 14-20sept, 1967, p3. وينظر، "le Biafra succombe le Nigeria triomphe", **Journal Afrique Nouvelle**, N 1051, 28sept 4oct1967, p7.

(53) "Nigeria, Pour quoi cette Impasse?", **Journal Afrique Nouvelle**, N 1058, 16-22 novembre 1967, p3.

(54) "Nigeria: enfin le Comite l' OUA s' est manifeste", **Journal Afrique Nouvelle**, N 1060, 30nov 6 dec1967, p6.

(55) "L' OUA, relève le défi au Nigeria", **Journal Afrique Nouvelle**, N 1094, 25-31juillet 1968, p6.

(56) بطرس غالي، إفريقيا وأزمة الحركة الوحدوية، مجلة السياسة الدولية، عدد 28 جانفي 1972م، ص 109، 110.

(57) "Les Négociations Nigéro-Biafraises piétinent a Addis-Abeba", **Journal Afrique Nouvelle**, N1097, 15- 21aout 1968, p6.

(58) "Le Problème Nigeria: Une dure épreuve pour l' OUA", **Journal Afrique Nouvelle**, N 1100, 5-11aout 1968, p3.

(59) "Les Chances d'une paix au Nigeria se trouvent maintenant a Addis-Abeba", **Journal Afrique Nouvelle**, N 1096, 8-14aout 1968, p3.

(60) "Au Conseil des Ministres de l' OUA réuni a Alger", **Journal Africaine Nouvelle**, N 1101, 12-18 septembre 1968, p3.

(61) "La Situation au Nigeria après la Conférence d' Alger", **Journal Afrique Nouvelle**, N 1103, 26sept 2oct 1968, p6.

(62) بطرس غالي، العلاقات...، المصدر السابق، ص 399. وينظر،

"Nouvelles proposition de Paix", **Journal Afrique Nouvelle**, N 1135, 8-14mai 1969, p7.

(63) عبد العزيز محمد سرحان، المصدر السابق، ص 73- 75.

(64) بطرس غالي، العلاقات...، المصدر السابق، ص 338، 339.

(65) إسماعيل حلمي محروس، المرجع السابق، ص 836.

(66) عبد العزيز محمد سرحان، المصدر السابق، ص 73، 74.

(67) إيناس ممدوح طه، المصدر السابق، ص 96.

عبد الحميد مهري، رابط الاتصالات بين حركتي التحرر الجزائرية والتونسية.

د أحمد مسعود سيد علي - قسم التاريخ - جامعة المسيلة

ملخص:

تتميز مسيرة عبد الحميد مهري النضالية بالثراء والتنوع، فهو كان المناضل الوطني في حركة انتصار الحريات الديمقراطية وممثلها في تونس، والقيادي في الثورة التحريرية والأمين العام لحزب جبهة التحرير، وقد قضى مهري شبابه وكهولته في النضال الوطني، فكان مسئول جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين بتونس، ورئيساً لاتحادية حركة الانتصار بتونس، وهو ما مكنه من ربط علاقات وثيقة مع قادة ومناضلي الحزب الدستوري الحر، تحدث عنها في مناسبات مختلفة مشيداً بأوصاف التضامن بين حركتي التحرر الجزائرية والتونسية، وبالعلاقات مع بعض المناضلين، كالطاهر قيقة وعزوز الرباعي ونور الدين بن محمود... إلخ، معتمدين في ذلك على كتابات الرجل، وعلى المعلومات التي جمعناها مشافهة منه، وشهادات رفاق دربه في النضال، وبعض الأدبيات المؤرخة لنضال هذه المرحلة. وقد تحمل مهري مسؤوليات حسام في تونس وهو رئيس جمعية الطلبة الجزائريين بالزيتونة وممثلاً لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، حيث نهض بنشاط كبير في ربط الاتصالات بين حركتي التحرر الجزائرية والتونسية، بعد أن استثمر كل الرصيد الذي حققته الأجيال السابقة لتدعيم عرى التواصل بين الشعبين، سواء ما خلفه التجار عبر الحدود الجزائرية التونسية خاصة الجنوب الشرقي والحركة الثقافية الدينية متجلية في الطرق الدينية وفروعها المتزامية بين البلدين، هذا التواصل انتهى ليس فحسب لتدعيم القضية الجزائرية في تونس على عهد عبد الحميد مهري بل ودعم نشاط الحزب الدستوري الحر، وتفعيل مشروع وحدة كفاح حركات التحرر المغاربية. وفي هذا المقال نحاول التعريف بهذه الشخصية النضالية وإبراز نشاطها في تونس ودورها في تعزيز عرى التواصل بين الشعبين واستثماره لربط العلاقات النضالية التونسية الجزائرية ضد الاستعمار الحديث.

ABSTRACT:

Abdelhamid Mehri's struggle march was characterized by the richness and diversity. He was a militant nationalist in the Movement for the Triumph of Democratic Liberties and its representative in Tunisia, the leader of the revolution, and the Secretary General of the Liberation Front Paryt. Mehri has spent his youth and adulthood in the national struggle, official Algerian Zatonien Students Association in Tunisia, and was President of the federal victory movement in Tunisia, which enabled him to link the close ties with the leaders and activists of liberal destour party, talked about on several occasions praised the bonds of solidarity between the rival Algerian and Tunisian liberation, and his relations with some militants, such as atahir Qiqh and Azzouz Rabbain and Noordin bin Mahmoud ... etc. Relying on the writings of the man, and the information we have collected from him verbally, and certificates of guys trained in the struggle, and some of the literature of the struggle of this stage, Mehri was carrying heavy responsibilities in Tunisia who is president of the Association of Algerian Zaytuna students and a representative of the Movement for the Triumph of Democratic Liberties. He made great activities in the communication link between the rival Algerian and Tunisian liberation, having invested all balance achieved by previous generations to strengthen the bonds of communication between the two peoples, both as traders left across the Algerian Tunisian border, especially the

southeast and cultural movement religious manifested in religious ways and their branches sprawling between the two countries. This communication is over, not only to strengthen the Algerian problem in Tunisia at the time of Abdelhamid Mehri and even support Activities of liberal destour party and also activate project unit struggle Maghreb liberation movements. In this article we are trying to promote the struggle of this personality and to highlight his activities in Tunisia and his role in strengthening the bonds of communication between the two peoples and invest to link the the Tunisian–Algerian struggle relations against modern colonialism

أولاً: عبد الحميد مهري مناضلاً في الحركة الوطنية:

نشأ مهري وتعلم في بيت علم ووطنية، وهو ما أسهم في تعليمه وتكوينه ليصبح شخصية وطنية بارزة، كان لها دور فاعل في الحركة الوطنية الاستقلالية، حيث عرفنا مهري مناضلاً في حزب الشعب، وقيادياً في جمعية الطلبة الجزائريين في تونس، وإطاراً في حركة انتصار للحرريات الديمقراطية، وفاعلاً في لجنة التحضير لاندلاع ثورة فاتح نوفمبر 1954، وهو ما سوف نفضل الحديث عنه.

1. عبد الحميد مهري النشأة والتكوين

عبد الحميد مهري شخصية مرموقة في نضال الحركة الوطنية وثورة التحرير وفي الحياة السياسية في عهد الاستقلال، ولد بالخروب قرب قسنطينة يوم 3 أبريل 1926 من أسرة محافظة، كان والده إماماً ومررباً مصلحاً انتقل من القل موطن أجداده إلى الخروب ووادي الزناتي، وذاع صيته في قلما وأحوازها بمواقفه الوطنية وجهوده التعليمية، وما لبث أن استقطب الأنظار إليه، فقد تحول إلى رجل له كلمته، تحف به هالة السياسي الزعيم، فكيف حدث ذلك ومن كان يقف وراء صقل مواهب الرجل وإظهاره بهذه الهالة والمكانة؟

إن الحديث عن المنبت وبيعة النشأة مهم في التعرف على شخصية مهري وعلى عوامل نبوغها، نشأ مهري في أحضان عائلة متوسطة الحال، متدينة ومنتشبة بالمقومات الوطنية، وملتزمة بالمقاومة التي نهضت بها نخب المجتمع الجزائري، غرست الأسرة في ذهنه وهو صبي يافع معنى الوطنية والتمسك بمقومات الشخصية الوطنية في وجه سياسة الغطرسة والتشويه الفرنسية، كان والده الشيخ عمار مهري من نخب مدينة قسنطينة المتعلمة، ولد بالحروش من أسرة نزحت من القل، ومضاربا الأصلية ترجع الى منطقة الدوسن ببسكرة، وهي من الأسر الشريفة التي زاد اشتغالها بالعلم في بركتها، درس الشيخ عمار مهري بمدينة قسنطينة منذ عام 1910، ثم انتقل الى الخروب حيث ولد مهري، وكان له نشاط علمي وسياسي، حيث أسهم في دعم حركة الأمير خالد وعثر في وثائقه على عريضة تنديد بقانون التجنيد الإجباري، رفعها أعيان الخروب وقد يكون عمار مهري من موقعها⁽¹⁾، وكان وطنيا مقاوما، حيث عارض بشدة مشروع "فيوليت" وندد بموقف المرشحين به⁽²⁾، واستقر في عام 1927 بوادي الزناتي مدرسا وإماما، استطاع أن يخلق بهذه البلدة الصغيرة حركة علمية ودينية ذائعة الصيت، وكان له الدور الأساسي في تكوين وتنشئة الابن عبد الحميد بشهادة من تعرفوا عن قرب على العائلة وبيئتها⁽³⁾.

درس عبد الحميد مهري في الكتاب، حيث تلقى مبادئ الدين واللغة العربية في حلقات المسجد الذي يؤمه والده وفي البيت، وقد اكتشف فيه والده مكونات ساهم في تفتيقها ورعايتها، وهو ما سمح للابن من حفظ القرآن الكريم والتفقه في العلوم الشرعية وامتلاك ناصية اللغة العربية، توفي الوالد عمار مهري عام 1933 وترك تلاميذ أوفياء لرسائله التعليمية والوطنية، كان منهم المناضل عبد الرحمان بن العقون الذي تبناه الشيخ عمار روحيا، وقد تحمل مسؤولية إكمال تعليم الابن مهري ورعاية شؤون الأسرة، كان فقدان الوالد وهو في سن السادسة من عمره فاجعة لعبد الحميد، دفعته للاستعداد لمواجهة الحياة الشاقة وتحمل المسؤولية في سن مبكر، واكتشف عبد الرحمان بن العقون قدرات الطفل

وإمكانياته فاجتهد في تكوينه وتثقيفه مما علمه الشيخ عمار من تجارب ومعارف، فكان فضله على عبد الحميد كبيرا، وهو ما حاول أحد رفاق عبد الحميد في حلقات الدرس توضيحه بالقول: "وقد بث عبد الرحمان العقون الذي كان مسلما عاملا في هذا الشاب، أي عبد الحميد من علمه وتواضعه ووطنيته الخير الكثير، كما سقاه من شعره ونثره وأدبياته النصيب الكبير، فكانت له توجيهات كبيرة"، ويضيف الشاهد قائلاً: "عندما كنا صغارا في حلقاته أنا ومهري الابن كنا نحفظ عليه، وكان عبد الحميد متأثرا بقوله: ما أخذ بالقوة لن يسترجع إلا بالقوة"، ويؤكد الشاهد أن كل ذلك كان من بركة الشيخ الوالد عمار مهري الذي أفاض بعلمه وأخلاقه على الشيخ ابن العقون⁽⁴⁾.

كما كان لأخيه الأكبر المولود مهري دور هام في تعليم وتلقين عبد الحميد مبادئ الوطنية، كان بدوره استخلف والده في التدريس بالمسجد الوحيد لقرية وادي الزناتي، وظل يتعهد مهري وينفق عليه لمواصلة تعليمه في تونس، فكان بمثابة الأب في تحمل المسؤولية، وهو ما تشير اليه الرسائل التي كان يبعث بها إليه في تونس، والتي أورد ابن العقون بعضها منها في مذكراته⁽⁵⁾.

ونشير الى أن لعبد الحميد أخ آخر يدعى عبدالرحمان، أصغر منه سنا، اقتفى اثره في التعليم، فدرس في الكتانية وفي تونس، وانتقل في عام 1958 للقاهرة، انخرط في العمل الوطني مع أخيه بوادي الزناتي، وانخرط في جبهة التحرير الوطني وهو طالب هندسة بالقاهرة⁽⁶⁾.

وقد كان لأربعة طلبة من تلاميذ الشيخ عمار مهري دور في إنشاء أول مدرسة حرة بوادي الزناتي، منهم المولود مهري وعبد الرحمان بن العقون، استطاعوا ان يتقربوا من الجمعية الطرقية لاستغلال خاتمها في فتح مدرسة للتعليم الحر سموها مدرسة "التهذيب"، فتحت أبوابها ودرس بها شيوخ كان لهم فضل في تكوين عبد الحميد مهري الذي التحق بصفوف المدرسة منذ افتتاحها، ومنهم الأستاذ طه بومدين القادم حينها من سطيف، والقاضي عيسى ابن مهدي عم الشهيد محمد

العربي ابن مهدي، وكان لهما فضل في استكمال مهري لحفظ القرآن الكريم عام 1943 وعمره ستة عشر سنة.

وقد كان لعيسى ابن مهدي . عم الشهيد العربي بن مهدي . تأثير بالغ على تكوين مهري العلمي والوطني، وصفه مهري بأنه قوي الشخصية ثائرا على الظلم والعبودية، "شخصية الشيخ عيسى بن مهدي كانت شخصية وسطا بين العصور التي تعاقبت في المقاومة الجزائرية. كان قاضيا خريج مدرسة قسنطينة ولكنه من الجيل الذي كان يتقن اللغة العربية وعلوم الدين مع القليل من اللغة الفرنسية وهو الجيل الذي شهد على تحويل المدرسة من المدارس المزوجة بالتدريج إلى أن غلبت اللغة الفرنسية على اللغة العربية. كان رحمه الله لا يتقن اللغة الفرنسية إلا قليلا. كان قوي الشخصية"⁽⁷⁾.

أتم مهري حفظ القرآن الكريم سنة 1943، وقدمه شيوخه لصلاة التراويح، وأقيمت له حفلة متواضعة، وبعدها جلس مهري لدراسة علوم اللغة والدين على يد الشيخ محمد العربي الصائغي، وكان قد أكمل دراسته بالزيتونة فاستقدمه عبد الرحمان بن العقون للتدريس بمدرسة التهذيب، كما درس مهري على يد الشيخ الرباني عمر بن أبي حفص الزموري، لقد كانت مدرسة التهذيب مدرسة نموذجية استقطب لها أفاضل المدرسين والعلماء، وهو ما أسهم في تكوين نخبة متعلمة ووطنية كان مهري واحدا من رجالها، وبفضل ما حصله من تعليم في المدرسة ادمج مهري عندما التحق بالزيتونة في السنة الرابعة مباشرة ليحصل بعد سنة على شهادة الأهلية، ثم التحق بالتعليم العالي ليحصل على شهادة التطويح بعد ثلاث سنوات⁽⁸⁾.

وهكذا يتجلى لنا أن عبد الحميد مهري نشأ في أسرة وبيئة وطنية، عرف منها مبادئ الوطنية، مثلما تلقى دروس الثقافة العربية والإسلامية بمدرسة التهذيب وبالزيتونة، وهو ما أسهم في نضج شخصيته وفي تكوينه الرزين، كما حرص مهري على تعلم اللغة الفرنسية، وذلك من خلال احتكاكه ببعض المدرسين والمثقفين أو من خلال الدروس التي كان يتطوع بها المثقفون في مدرسة

التهديب، وكان تعلمه لهذه اللغة واطلاعه على الثقافات الأوروبية قد ساعد في تكوينه العصري واطلاعه على الثقافات الأجنبية⁽⁹⁾.

2. نضاله في حزب الشعب:

لم يتعلم مهري من شيوخه وأولئك الذين احتك بهم العلوم والمعارف فحسب بل وكذلك مبادئ الوطنية، وكان للشيخ عبد الرحمان بن العقون الدور الرئيس في بلورة اتجاهه السياسي، فهو معلمه الأول الذي شرح له معاني الوطنية وعرفه بطبيعة المستعمر مؤكدا له دائما ان ما أخذ بالقوة لن يسترد الا بالقوة، وكان لنشاط خلية أحباب البيان بوادي الزناتي عام 1944 دور اندماج مهري في العمل السياسي، ثم دخل عبد الحميد مهري معترك النضال السياسي بقوة مع نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث شارك في التحضير لمظاهرات ماي 1945 بقريته وادي الزناتي، ولا نعرف ما إذا كان التحاقه بحزب الشعب كان قبل هذه الأحداث أو بعدها، وان كانت بعض الروايات تؤكد أن مهري وإخوته انخرطوا في خلية سرية لحزب الشعب مع نهاية الحرب العالمية الثانية، وكان من مهامها التحضير لمظاهرات الثامن ماي 1945⁽¹⁰⁾، وعن هذه الأحداث يتحدث عبد الرحمان بن العقون في مذكراته على حسن تنظيم المظاهرة بوادي الزناتي، والمشاركة الواسعة للسكان فيها وخاصة الشبان، وأن المولود مهري كان ممن خطبوا في المتظاهرين مطالباً بأن تكون المظاهرة سلمية وهادئة، وأنه شخصياً كان من منظمي التظاهرة، وقد تظنن مؤامرة استعمارية هدفت لدفع الناس الى رفع السلاح، وتم التدخل سريعا ليطلبوا منهم إخفاء الأسلحة، وقد وقف نائب عامل قسنطينة على الأمر وتقدم بالشكر لإمام البلدة المولود مهري على كلمته، وجهده في تهدئة الأمور، ولكن استفزازات الدرك والمستوطنين واعتقال المناضلين سبب اضطرابا وفوضى في البلدة، حيث اعتقل أغلب المناضلين ومنهم عبد الرحمان بن العقون وأحمد غضبان، وحاول غلاة المستوطنين أن يهجموا على الحي العربي، فاتصل مسغولي الحركة برئيس البلدية وعمر ابن حيبلس ليطلبوا اجتماعا مع عامل

العمالة، وهو الاجتماع الذي حضره المولود مهري ووضع حداً لمجزرة حقيقية كادت تتعرض لها وادي الزناتي⁽¹¹⁾.

عايش مهري الشاب هذه الأحداث عن قرب، حيث كان نشطاً ضمن خلية الحزب السرية التي نظمت المظاهرات، ومتأثراً بالاعتقالات التي طالت مناضلي وادي الزناتي، ومتألماً من حجم المؤامرة الاستعمارية المستهدفة للشعب الجزائري، والمؤكد أن مهري اهتمز لهذه المأساة والجرائم المرتكبة في حق الجزائريين، وازداد إصراراً على الانخراط في العمل الوطني مفضلاً التيار الاستقلالي لحزب الشعب على جمعية العلماء التي يتقاسم معها أفكارها، وقد تحدث أستاذه ابن العقون عن الدروس المستخلصة من الحوادث قائلاً: "وبالنسبة لمناضلي جيلي فإن أحداث ماي 1945 كانت نقطة انطلاق لإدراك جديد، ولقطيعة، وبالنسبة لإدراك الجديد فقد اتضح أنه من الضروري البحث عن وسائل فعالة لتحقيق الاستقلال وأخذة أخذاً بدل الاكتفاء بالمطالبة به، أما بالنسبة للقطيعة فنحن نبذل كل المفاهيم السابقة في الكفاح والتنظيم والتي كانت معهودة قبل الحرب العالمية الثانية..."⁽¹²⁾.

وأما عن الظروف التي انخرط فيها رسمياً في حركة الانتصار وبداية نشاطه العلني فقد كان بمناسبة مشاركة الحركة في الانتخابات التشريعية في نوفمبر 1946، وتسعفنا شهادة مهري في إحدى المناسبات في توضيح ذلك، حيث أورد مهري في معرض حديثه عن رفيق دربه في النضال محمد العربي دماغ العتروس الشهادة الآتية: "وأول حادث لقاء نضالي معه (دماغ العتروس) كان بعد حوادث ماي 1945، حينما قرر حزب الشعب الجزائري الخروج من النضال السري إلى النضال العلني والترشح للانتخابات، وكنا في منطقة وادي الزناتي على مقربة من مدينة قلمة وأحداث 8 ماي 1945 ما تزال حاضرة في الأذهان، وإذا بنا نتلقى مكالمة من الأخ الحواس بوقادوم والأخ محمد العربي في الوقت الذي كنا نعمل فيه في السر، طلباً منا الخروج للعمل العلني، وكنت أتصور أن كل ما يطلب منا هو تحضير الساحة العامة للخطباء، ولكن بعد افتتاح الاجتماع طلب مني أن أرتقي

المنصة وألقي خطبة، وكانت أول خطبة سياسية علنية ألقها في حياتي دون إعداد، ولا استعداد..."⁽¹³⁾.

كانت هذه بداية العمل النضالي العلني لمهري في حركة الانتصار، وكان ذلك بعد تأسيس الحركة في أكتوبر 1946، حيث أطلق سراح مصالي وتقرر الترشح للانتخابات التشريعية في نوفمبر 1946 وانتهاج سياسة النشاط العلني للحزب بدل النضال السري.

وقد استطاع مناضلو حزب الشعب في واد الزناتي أن يحققوا نجاحات معتبرة، حيث ترشح المناضل محمد بن تفتيقة، وفازت فيما بعد قائمة الحزب في الانتخابات البلدية لأول مرة، وكان ذلك انتصارا معنويا للحركة الاستقلالية التي امن مهري بنهجها، ويذكر أحمد الهادي طيروش رفيق مهري في الدراسة والنضال بوادي الزناتي أن مظاهرات ماي 1945 والانتخابات كانت الفرصة التي وجد طلاب مدرسة التهذيب أنفسهم يمرون عبرها للنضال السياسي، وأن مهري بالتزامه وحيوته ومقدرته كان المناضل البارز، حيث كان نشطا خلال الحملة وخطيبا مفوها في الحملة الانتخابيات، تعرفت عليه سكان وادي الزناتي عام 1946 بخطابه الحماسي الوطني الذي ابكى بعضهم⁽¹⁴⁾.

وقد أنشأت الحركة في عام 1947 "المنظمة الخاصة"، والتي اعتبرها مهري خطوة في الطريق الصحيح، حيث تجند عدد من شباب بلدته وادي زناتي في المنظمة ومنهم سليمان بركات مسئول المنظمة بوادي الزناتي الذي ارتبط اسمه بزيغود يوسف، اذ اعتقل معه عام وفر معه من سجن عنابة عام 1951⁽¹⁵⁾.

كان الحراك الوطني نشطا في قرية وادي الزناتي وقلمة عموما، حيث تتنافس الأحزاب والجمعيات الدينية في خدمة أهدافها وتحقيق مطامحها، كان مهري من القادة الأساسيين لحركة الانتصار، ارتبط بعلاقات وثيقة مع ممثلي جمعية العلماء الذين يلتقي مع توجههم فكريا وروحيا، ومع مسؤولي حزب البيان الجزائري زنات محمد العربي⁽¹⁶⁾.

ثانيا . مهري في تونس ودوره في ربط العلاقات بين حركتي التحرر الجزائرية والتونسية.

في عام 1947 التحق مهري بتونس لمواصلة دراسته، وذلك رفقة طلبة مدرسة التهذيب بوادي الزناتي، ومنهم محمد الصالح رحاب وعيساوي زيتون عبد اللطيف، والشهيد عمار اشطبي، ويبدو أن شيوخ المدرسة اتفقوا مع إدارة الزيتونة على إرسال بعثات المدرسة لاستكمال تعليمهم العالي، وكانوا ينفقون عليهم ويتعهدوهم بالزيارة⁽¹⁷⁾.

وفي تونس انخرط مهري في الحركة الطلابية وفي خلية حركة الانتصار للحريات الديمقراطية، كان من بين نشاطاتها الإشراف على الطلبة والمهاجرين وتنسيق العلاقة مع المناضلين الدستوريين.

1. دوره في قيادة الحركة الطلابية الجزائرية بتونس:

برز مهري منذ التحاقه بتونس مناضلا في الحركة الطلابية، وكانت هذه الحركة قد بدأت في الانقسام الى جناحين، جماعة البعثة الموالون لجمعية العلماء وجماعة الجمعية الموالون لحزب الشعب، وفي بداية عام 1949 جرت انتخابات لتجديد مكتب جمعية الطلبة الجزائريين بالزيتونة في ظل تنافس حاد بين الجناحين المتصارعين على القيادة، جناح موالي لجمعية العلماء رشح محمد الميلي على رأس قائمة، وجناح حزب الشعب رشح قائمة على رأسها عبد الحميد مهري ومحمد مرازقة، وأسفرت الانتخابات عن فوز الجناح الثاني، حيث انتخب عبد الحميد مهري رئيسا لهيئتها التنفيذية، وضمت الأعضاء الآتي أسمائهم: الطاهر حميدات، وصالح الصالح، وقاسم رزيق، ومبارك ماضي، وسليمان عباسن، ومحمد واعلي بالحامسة، والطيب خربوش ومحمد عيساوي⁽¹⁸⁾، وقد تحقق هذا النجاح على الرغم من الحملة الانتخابية التي نشطها وفد من جمعية العلماء برئاسة العربي التبسي، والذي يذكر محمد الصالح رحاب أنه كان صريحا في الدعوة لعدم التصويت على مهري ولكن هذا الأخير صنع المفاجأة وفاز الأول في

الانتخابات، وكل ذلك جاء بفضل نشاطه والمكانة التي أحرزها في قيادة جموع الطلبة خلال المظاهرات⁽¹⁹⁾.

لقد ارتبط مهري بعلاقات وثيقة مع الطلاب الزيتونيين، وكان له دور هام في ربط اتصال هؤلاء بالحزب، فآثر نفيه الى الجزائر اجتهد مهري في التأكيد على ارتباط الطلبة بالحزب، وذلك من خلال الاتصالات المباشرة وغير المباشرة، وفي هذا الإطار يذكر الطالب الزيتوني والمناضل الأمين بشيشي أنه نظمت زيارة لمسؤولي الطلبة الزيتونيين لزيارة مقر الحزب بالجزائر العاصمة سنة 1949، وذلك بالتنسيق مع المرحوم عبد الحميد مهري، وكان ضمن مجموع الطلبة مولود قاسم نايت بلقاسم، وبلقاسم هني، وعبد الحميد بوقمحة والشهيد مختار قليل، وعلي فالق، وحمرا.. وغيرهم، ويذكر أن هؤلاء جاؤوا لتمثيل مسرحية بعنوان "الوثائق بالله الحفصي"، بعد أن مثلوا في شرق البلاد مسرحية "طارق ابن زياد"، وأهم التقوا في مقر الحزب بمناضلين يقاسمونهم "الإيمان بالقيم، وبالثواب الوطنية"، وكان منهم محمد العربي دماغ العتروس وعبد الحميد مهري⁽²⁰⁾.

وتحدث أبو القاسم سعدالله عن مهري الطالب فقال أنه كان زعيما بالطبيعة، "رأيته ذات مرة في فاتح سنوات الخمسينيات من القرن الماضي يخطب في جمع من الطلبة الجزائريين بتونس، أيام نشوب الخلاف بين قادة حزب الشعب، وقد سرى الخلاف الى الأتباع، ومنهم طلبة الزيتونة الذين حشدهم الحزب ليكونوا من طلائعه، وكان سي مهري شابا طويل القامة نحيف الجسم ذرب اللسان شجاع القلب، كان قد أكمل دراسته في جامع الزيتونة ويعرف أوضاع الطلبة بتفاصيلها"⁽²¹⁾، وهذه الشهادة لأحد خصوم توجه مهري تؤكد على المكانة التي أحرزها مهري في الأوساط الطلابية، وقد فضل مهري أن يسند رئاسة اتحاد الطلبة لنائبه مراقة وتفرغ لتمثيل الحزب في تونس.

وهكذا فقد كان لمهري دور في تنظيم وتفعيل جمعية الطلبة الجزائريين، وترشيدها للقيام بدورها التعليمي والوطني، وبفضل رعايته وتنشيطه أخذت مكائنها في الحياة التونسية والجزائرية⁽²²⁾.

2. تمثله لحركة انتصار الحريات الديمقراطية في تونس:

لا نعرف الكثير عن تمثيلية حركة الانتصار بتونس، وما إذا كان مهري أول من تولى مسؤوليتها، وقد كان الشاذلي المكي الذي درس بالزيتونة مر على تونس في طريقه الى القاهرة عام 1946، وسعى لإبرام اتفاق تعاون مع الحزب الدستوري التونسي⁽²³⁾، وقد يكون اتفق على تعيين ممثل للحزب بتونس، حيث تشير المصادر الى ان مهري عين منذ عام 1949 منسقا للحزب بتونس، وهو ما يؤكد الطالب مولود قاسم بالقول أن مهري كان مسؤولا عن المكتب التنفيذي لاتحاد الطلبة كما كان مسؤولا سياسيا عن اتحادية الجزائريين لحركة انتصار الحريات الديمقراطية بتونس، وتشمل مسؤوليته تنظيم الطلبة، والتجار النشطين في مختلف المدن التونسية، ومنهم مصطفى القاسمي السطايفي، ومحمد دحماني من خنقة سيدي ناجي، والفلاحين الملاك، ومنهم مسعود المقراني، والموظفين والعمال ومنهم عبد الرحمان مضوي الخ⁽²⁴⁾، وقد ساعد هؤلاء على دعم النشاط السري لحركة الانتصار، وخاصة التاجر محمد دحماني الذي نظم رفقة مهري الزيارة التي قام بها بوضياف ومحمد عصماني، ومكنهم من الاتصال بمهري السلاح وبالقيادة الدستوريين⁽²⁵⁾.

ويجدر بنا أن نتساءل عن طبيعة المسؤولية التي تولاهها مهري، وهل يمكن مقارنتها بالفدرالية المسؤولة عن تنظيم الجزائريين بفرنسا؟، يبدو أن تونس بدأت تكتسي أهمية في استراتيجية الحزب، حيث لوحظ توافق عدد كبير من المسؤولين على تونس خلال الفترة 1948. 1952، ومنهم الأمين دباغين، أحمد بودة، أحمد مزغنة، حامد رواجية، محمد خيضر، والأمين بلهادي، الذين توقعوا بتونس في طريقهم الى المشرق العربي عام 1949⁽²⁶⁾، وأحمد ابن بلة وبوقادوم ودرودور في جانفي 1949 للالتقاء مع المناضلين التونسيين والتباحث مع الحزب الدستوري الحر خطة إنشاء جبهة كفاح مغاربية موحدة لكن صالح ابن يوسف تردد بشأن ذلك، ومع ذلك نجح ابن بلة في عقد علاقات مع بعض الدستوريين منهم شاذلي قلاله⁽²⁷⁾، وعاد ابن بلة مرارا الى تونس بتنسيق بين مزغنة وبوقبية

من اجل مساعدة التونسيين على إنشاء منظمة عسكرية في تونس تنسق عملها مع المنظمة العسكرية الجزائرية⁽²⁸⁾، ويذكر المناضل عبد القادر العمودي أن الحزبين الاستقلاليين في تونس والجزائر اتفقا على تنظيم اجتماعات مشتركة، وأن شخصيا كلف بالانتقال الى توزر للاجتماع مع وفد الحزب الدستوري وأنه اتفق معه على التعاون وعقد الاجتماعات دوريا⁽²⁹⁾.

ولا شك أن تونس بدأت تكتسي أهمية بالغة للحزب منذ عام 1949، خاصة في مجال ربط العلاقة مع الحزب الدستوري والاستفادة من خدمات الجالية الجزائرية، والبحث عن السلاح والتموين، حيث يشير مهري في شهادته أنه استقبل خلال هذه الفترة محمد بوضياف رفقة محمد عصامي، واللذين كانا في مهمة لنقل السلاح من ليبيا عبر تونس الى الجزائر⁽³⁰⁾.

وقد كانت اجتماعات هذه الهيئة تعقد بالمقر الرئيسي لجمعية الطلبة بالقرب من رحبة الغنم، وكذا بمدرسة الحبيبية التي تم استئجارها من أحد الخواص، وكانت للهيئة مشاركة في النشاط الطلابي والسياسي الذي عرفته تونس، ومنها المشاركة في إضراب الطلبة الزيتونيين ودعم لائحة مطالبهم، حيث تفيد الشهادات ان مهري ومرازة كانا يشاركان في اجتماعات الطلبة التونسيين⁽³¹⁾.

وقد وجد عبد الحميد مهري نفسه في بيئة ثقافية وسياسية جديدة، وتعرف هناك على بعض القادة الذين كانوا تحت لواء حزب الشعب، وشرع في تنظيم خلايا للحزب في تونس، وبعد النجاح الذي حالف هذه المبادرة بادر الحزب إلى اعتمادها كتجربة وعين مهري مسؤولا في تونس لتمثيل الحزب الشعب.

ولعل نجاح مهري ورفاقه في اقتحام صفوف الطلاب دفعهم لنقل التجربة الى أوساط الجالية الجزائرية في تونس، فأنشعوا خلايا أولى للحزب في مدينة تونس وبنزرت والمناطق الحدودية مع الجزائر مثل الكاف وجندوبة، وهكذا بنحوا في ربط الجالية الجزائرية في تونس بحركة الانتصار، وهو ما أسهم فيما بعد في قيامها بدور فاعل في تدعيم الثورة بعد اندلاعها سنة 1954⁽³²⁾.

وقد جند مهري خيرة العناصر الطلابية للدعوة لحركة الانتصار ونصرة المشروع الثوري، وأنشأ في البدء جمعية المناضل المدعو شفاطة السعيد خلية سرية، ضمت إليها فيما بعد قاسم مولود وقاسم رزيق وقاسم زور، وقد بادر مهري وهو مسؤول عن التنظيم في تونس للانتقال الى القاهرة، وبنفرد رفيقه في النضال رابح مشحود بالقول أنه أرسل الى العراق لدخول الكلية العسكرية، ولا نعرف الكثير عن هذه المبادرة، وعمن يقف ورائها، وإن كانت لم تكمل بالنجاح لأن مهري عاد لمسؤولياته بتونس⁽³³⁾، كما ربط مهري وجماعته الاتصال بين بعض المناضلين الليبيين وحركة الانتصار، ومنهم الهادي ابراهيم المشيرفي، الذي طلب من أحد الطلاب الليبيين تنظيم اتصال بمصالي في الجزائر عن طريق رفاقه من الطلبة الجزائريين بالزيتونة، وتم له ذلك عام 1948، وأثناء عودته الى طرابلس عبر تونس التقى بأعضاء جمعية الطلبة الجزائريين الذين احتفوا به، واستمر في اتصالاته بجمعية الطلبة الجزائريين كما تدل مراسلة أوردها في مذكراته⁽³⁴⁾.

3 . دوره في ربط العلاقة مع الحزب الدستوري والدعوة لمشروع وحدة المغرب العربي:

كان مهري رئيسا لاتحاد الطلبة الجزائريين وممثلا لحركة الانتصار بتونس، عمل على رعاية شؤون الجالية الجزائرية في تونس وعلى رعاية مشروع وحدة المغرب العربي، وقد كان لمناضلي وادي الزناتي وقائمة علاقة بالمناضلين التونسيين استغلها مهري في توطيد علاقته بأوساط الدستوريين، فقد ذكر أستاذه عبد الرحمان بن العقون أنه كانت تربطه علاقة صداقة مع نور الدين بن محمود مدير جريدة الأسبوع، وكانت الجريدة تعمل للدعوة الى العمل المغربي المشترك، وأنها نشرت له مقالا يلح فيه على ضرورة الوحدة بين الأحزاب المغاربية⁽³⁵⁾.

كما يذكر رفيق دربه محمد الصالح رحاب أن مهري ما لبث بعد أن التحق بالزيتونة أن صنع له مكانة، حيث كان بفضل مواقفه الراديكالية وخطابه الحاد يلفت الأنظار ويجمع حوله الطلاب، كما أنه كان يقدم باسم الطلاب الجزائريين للخطابة في التجمعات التي يعقدها طلبة الزيتونة التونسيين والحزب الدستوري

الحر، وكان يوصل رسالة الطالب الجزائري ويقف متحدًا باسم حزب الشعب، ويبحث بذلك في الطلاب الجزائريين حماسة وأملًا في خوض معركة النضال ببلدهم والمطالبة باستقلاله، وقد ربط مهري من خلال هذه التجمعات علاقة وطيدة من الزعماء الطلابيين والسياسيين في تونس، ومنهم عزوز الرباعين والظاهر قيقة⁽³⁶⁾. وكانت تونس في بداية خمسينيات القرن الماضي تمر بظروف عصيبة، يميزها تصاعد المد الوطني المطالب بالاستقلال والصدام مع الحماية الفرنسية الذي تأجج اثر اغتيال فرحات حشاد، وقد عول القادة الدستوريون على إسماع صوت تونس في الخارج وفي الأمم المتحدة، واعتمدوا على المساعدة الثمينة التي يمكن ان يقدمها مهري ورفاقه في نقل الوثائق والمنشورات الى الرأي العام الدولي عبر الجزائر، وفي هذا الإطار يذكر علي كافي الطالب الزيتوني أن جماعة مسؤولي حزب الشعب بتونس كلفوه بنقل وثائق الحزب الدستوري الى ممثلهم بالأمم المتحدة عبر الجزائر، وأنه أنجز المهمة على أحسن ما يرام على الرغم من خطورتها، ولكن الشرطة الفرنسية انتبهت الى تحركه، "وكانت شرطة الحدود تراقب تنقلات الأشخاص الى جانب رصد تحركات المناضلين النشطاء من حزبنا، وفي مقدمتهم عبد الحميد مهري الى جانب قاسم رزيق، ثم جاء قرار إبعادي من تونس متزامنا مع قرار إبعادهما"⁽³⁷⁾، وتؤكد شهادة الطالب أحمد الهادي طيروش هذه الرواية، حيث يذكر أن كافي تطوع لأداء المهمة بعد أن رتبت الأمور وحضرت في اجتماع ضم مهري وكافي وطيروش وعمار اشطايبي⁽³⁸⁾.

وقد سمح نشاط عبد الحميد مهري في تونس إلى أن يؤسس لعلاقات وثيقة بين الحزب الدستوري التونسي وحزب الشعب الجزائري، كما سمح له ذلك أن يحمل صورة مفصلة نسبيًا عن إمكانيات تطور كفاح الشعب التونسي، فهو كان يعلم أن الرئيس بورقيبة كان أعد قبل اشتداد الأزمة مع سلطات الحماية بعض التشكيلات الصغيرة وهياها للقيام بتنفيذ برنامج محدد من أعمال "التخريب والعنف" والمقاومة المسلحة، ولكنه كان ينظر إلى العمل المسلح كعنصر مساعد في عملية كان للعمل السياسي المكانة الأولى فيها، وكان يعتقد أن ثلاثة

أشهر من هذا النشاط " التخريبي " تكفي لإخراج القضية التونسية من نطاق الثنائي الفرنسي التونسي إلى نطاق أوسع تتكفل به عناصر وقوى خارجية أخرى ، ترجح موازين المعركة لفائدة الشعب التونسي⁽³⁹⁾.

وتعرف مهري بفضل علاقاته وملاحظاته على أسرار الحزب والأطراف الفاعلة، فقد عرف بان بداية المقاومة المسلحة لم تكن بمبادرة الحزب وإنما خاضها الشباب الذين استعدوا للعمل المسلح، متأثرين في ذلك بأفكار الأمير عبد الكريم الخطاطي⁽⁴⁰⁾، وأن الحزب سارع لاحتوائهم، وقد استمر نشاط مهري في تونس إلى غاية ترحيله من طرف السلطات الفرنسية إلى الجزائر سنة 1952، وذلك بسبب خطورة النشاطات التي كان يقوم بها هناك⁽⁴¹⁾.

وعندما عاد الى الجزائر ظل وفيما لفكرة العمل المغاربي المشترك، وقد أدى في هذه الفترة خدمات تنسيقية للعمل المسلح على المستوى المغاربي بحكم علاقاته مع المناضلين التونسيين، إذ قدم لبوضياف مبعوثي محمد ابن عبد الكريم الخطاطي لتهيئة اندلاع الثورة بالأقطار المغاربية الثلاث⁽⁴²⁾، كما كان من مشجعي طروحات صحيفة المنار التي فتحت نقاشا حول وحدة الأحزاب الوطنية والمغاربية، وكان لمهري تأثير واضح على قيادة الحزب وجماعة بوضياف في تبني العمل المغاربي المشترك خيارا استراتيجيا لإنجاح المشروع الوطني⁽⁴³⁾.

ثالثا . دور مهري في دعم نشاط ثوربو المنظمة الخاصة والتحصير للثورة.

في تونس تعرض مهري لملاحقة الشرطة الفرنسية، وكان يضطر أحيانا لدخول أرض الوطن، ففي خريف سنة 1949 يتحدث مهري أنه اضطر للعودة للوطن، حيث أسند له الحزب رئاسة دائرة حزبية بولاية سطيف، وتعرف على مسؤول الولاية عبان رمضان، والذي عرفه بمسؤوله بوضياف المكلف بعمالة قسنطينة، وشاركهما في تنصيب خلايا المنظمة الخاصة، و نقل مهري الى ولاية قسنطينة، ثم عاد بعد فترة زمنية قصيرة إلى تونس ليواصل مهامه النضالية الى غاية طرده من قبل السلطات الفرنسية عام 1952⁽⁴⁴⁾.

ويتحدث سعد الله عن عودة مهري الى تونس عام 1953، وهو أمر غير معروف، حيث يسود الاعتقاد أن مهري طرد من تونس وكان ممنوعا من دخولها ثانية، وقد أرسل الحزب عدة بعثات الى تونس خلال هذه الفترة لكننا لا نعرف عنها تفاصيل ضافية، ويذهب سعد الله الى أن مهري جاء في مهمة لتوعية الطلبة وشرح أوضاع الحزب التي لم تكن مطمئنة مع بداية ظهور الانقسام في قيادته،" جاء هذه المرة الى تونس للقيام بمهمة تقي الحزب شر غوائلها، فشرح لهم ما حدث على مستوى القادة، وهدأ من روعهم وطمأن قلوبهم وجمع كلمتهم على سواء، ولكن مشاعر الشباب ظلت فائرة متدققة ومتعطشة لمعرفة المزيد مما جرى في باطن الأمر⁽⁴⁵⁾".

واثر عودته الى الجزائر استقر في إدارة الحزب بالعاصمة وكان له دور فاعل في التحضير لمشروع العمل الثوري، وعلى الرغم من طابع السرية الذي ميز التحضير للمشروع إلا أن الشهادات التي أدلى بها بوضياف وابن خدة ومهري غيرهم تسعف في توضيح خطوات هذه المرحلة الحاسمة، وعلى ضوءها يمكن التعرف على دور مهري الذي كان مقربا من رموز مرحلة التحضير للثورة، وخاصة بوضياف وابن بوالعيد، فقد استطاع عبد الحميد مهري نسج علاقات مع بعض الشخصيات الهامة مثل محمد بوضياف، الذي عرفه على ابن بوالعيد، ونشأت بين هؤلاء الثلاثة علاقة حميمة استغلّت في توجيه المناضلين والحزب لخدمة المشروع الثوري⁽⁴⁶⁾.

ويتذكر مهري أن نواة الجماعة الثورية التي شكلت من هذا الثلاثي والتي يعود إليها الفضل في تفجير الثورة تبلورت إثر لقاءات مختلفة في ربيع عام 1952، أي اثر عودته مباشرة من تونس، حيث كان بوضياف يستفسره دائما عن ظروف وعوامل تبلور العمل المسلح في تونس ويبحث عما يجب فعله للاقتداء بالتجربة التونسية، وكانت الخلاصات المتوصل إليها تتمثل في أن حزب حركة الانتصار عاجز عن مواكبة المرحلة وأن مناضلي القاعدة يتطلعون لخوض المعركة المسلحة، ويتوجب أخذ المبادرة والتخطيط للمشروع الثوري بواسطة إعادة بحث المنظمة

الخاصة المحلة، وإقناع كوادرها بتحمل المسؤولية⁽⁴⁷⁾، وضييف مهري أنه اتخذت خطوات عملية لتحضير مشروع الثورة، حيث كلف ابن بو العيد بإعادة تنشيط خلايا المنظمة الخاصة، وتولى ديدوش وابن عبدالمالك المهمة ذاتها في عمالي الجزائر ووهران على التوالي، ونهض بوضياف بمهمة التنسيق بين مختلف الجهات، وعندما شعر بمشكلة التموين وقرر الالتحاق بفرنسا استخلف مهري للقيام بمهمة التنسيق⁽⁴⁸⁾.

وكان مهري الى جانب نشاطه السري هذا قد عين عام 1953 عضوا في اللجنة المركزية للحزب، وكان له نشاط كبير في إدارة الحزب بالعاصمة، ففي إطار حديث ابن يوسف بن خدة عن تزويد ابن بو العيد بمبلغ مالي للتغطية عن حادث انفجار مخزن الذخيرة بباتنة أوضح أن مهري كان وقتها من أخلص أصدقاء ابن بو العيد⁽⁴⁹⁾، وقد ذكر مهري أن ابن بو العيد جاءه في أحد الأيام ليعلمه بوقوع انفجار في مخزون السلاح، وأنه يحتاج الى مبلغ من المال للتغطية عن الواقعة، فقام بمساعدته في تحصيل المبلغ المالي من الأمين العام للحزب ابن خدة⁽⁵⁰⁾.

وفي ماي 1953 ربط مهري الاتصال بين بوضياف ومبعوثي الأمير محمد بن عبدالكريم الخطابي، وقد أرسلهما المناضل التونسي الطاهر قيقة إليه ليساعدهما، وقد طلبا منه إيصالهما الى مرزونة بهدف التباحث معه حول مشروع ثورة مغاربية منسقة، وكان مرزونة قد تباحث مع بورقيبة في باريس حول سبل تنسيق العمل المشترك، واستطاع مهري أن يعرف مرادهما الحقيقي الذي لا يمكن أن يجدها لدى مرزونة وإنما لدى الجماعة التي تسعى لتحضير للثورة حقيقة، فجمعهما ببوضياف، وتم التباحث معهما في سبل إنجاح المشروع، وإعطائهما صورة مشجعة عن استعداد الجبهة الجزائرية للقيام بالمعركة في إطارها المغاربي، وضربا موعدا للقاء اثر عودتهما من اتصالات المغرب التي كانت للغرض ذاته⁽⁵¹⁾.

وقد ذكر بوضياف في شهادته أن مهري المعارض لسياسة الحزب . والذي كان يلتقيه باستمرار باعتباره عضوا في الخلية التي تحضر للثورة . أعلمه بوصول الضابطين المرسلين من القاهرة، وأنه تباحثا معهما ثم وجههما الى اللقاء

مزغنة ولحول وذلك بحضور مهري الذي كان يقوم بمهمة الترجمة لأنه مغرب، وأن رد الحزب كان سلبيا⁽⁵²⁾،

وأكد أحد الضابطين وهو محمد حمادي العزيز في مذكراته أنه تم إجراء اللقاء مع محمد بوضياف الذي كان يعرفه باسمه المستعار وهو "رشيد القسنطيني"، حيث التقى به في مقهى شعبي في حي باب الواد، ودار النقاش فيما بينهم حول مسائل وطنية عامة، وأبلغه بوضياف على أن الجزائر مستعدة للثورة إذا ما كان المغرب مستعدا لها، وهو ما شجعه على المضي في مسعاه⁽⁵³⁾.

واصل المغربيين طريقهما إلى المغرب بعد أن تواعد الطرفان على اللقاء في طريق عودتهما وهذا ما حدث، بحيث أنهما عادا وأخبرا عبد الحميد مهري أنهما استطاعا رغم الصعوبات أن يضعوا لبنات العمل المسلح في المغرب، وأنه يمكن أن تكون بوادره في خريف سنة 1953⁽⁵⁴⁾.

لقد تابع مهري تطور المشروع الثوري عن كثب وأسهم فيه، حيث كان الى جانب نشاطه السري مع جماعة بوضياف يدفع بالمناضلين وإدارة الحزب نحو احتضان المشروع، وفي هذا الإطار كان دوره بارزا في تحضير عدد من المناضلين لتقبل المشروع الثوري الذي كان يحضر خارج الحزب، وكان يهيء القاعدة للاحتضان مشروع الاتحاد والعمل الثوري، وخاصة من خلال دعم محمود بوزونو في دعوته لوحدة الأحزاب الوطنية والمغربية من خلال صفحات جريدة "المنار"، والتي حرر فيها مهري عددا من المقالات التي تندرج في السياق ذاته، كما كان من موجهي صحيفة الحزب "صوت الجزائر"⁽⁵⁵⁾.

لقد عايش مهري أزمة الحزب التي انفجرت علانية في فيفري 1954، وبصفته عضوا في اللجنة المركزية كان منشغلا بالأزمة وانعكاساتها على المشروع الثوري، وكان يرى أن الانسداد السياسي للحزب سوف يساعد على اقتراب موعد تفجير الثورة، وكان بوضياف وديدوش قد عادا من فرنسا اثر اتفاقهما مع محساس وابن بلة على المضي في تحضير المشروع الثوري، ورأى بوضياف أن يؤسس مع بعض القادة المركزيين اللجنة الثورية للوحدة والعمل،

معتبراً أنّها سوف تساعد في تحقيق أهداف الجماعة الثورية لتجسيد مشروعهم⁽⁵⁶⁾، ويذكر مهري أن بوضياف جاء يوماً وأخبره أن محمد دخلي المدعو سي البشير اقترح عليه أن يتخذوا إجراءات لحفظ وحدة الحزب في القاعدة، وأن يشكلوا لجنة خاصة تتكون مناصفة بين الموظفين الدائمين للحزب وأعضاء المنظمة الخاصة وطلب رأيه في ذلك، فأبدى له مهري تحفظه لأنه كان يخشى ألا يحصل انسجام بين الطرفين، وبالفعل شكّلت اللجنة الثورية للوحدة والعمل من عضوين من أعضاء المنظمة الخاصة هما بوضياف وابن بوالعبد، وعضوين من اللجنة المركزية هما دخلي وبوشبوبة، حققت اللجنة نتائج مهمة، كان منها إجراء استشارة موسعة حول موضوع العمل المسلح بين جماعة مصالي والمركزيين، وقد تكفل مهري بإجراء اللقاء مع حول وابن خدة، لكن من دون التوصل إلى نتيجة كما يذكر، والأمر ذاته حصل مع جماعة مصالي⁽⁵⁷⁾، وسرعان ما ظهرت الخلافات التي كان يخشى منها عبد الحميد مهري خاصة عندما عرف البشير دخلي بأن لبوضياف هياكل وقنوات اتصال خاصة، وأنّها كانت موجودة قبل إنشاء اللجنة الثورية للوحدة والعمل، ف وقعت مشادات بين الرجلين كان قد حكى بوضياف لمهري تفاصيلها، وكانت هذه الحادثة التي وقعت أواسط شهر ماي 1954 السبب في نهاية اللجنة الثورية للوحدة والعمل⁽⁵⁸⁾، وهذه القطيعة دفعت بوضياف للتفكير في إنشاء منظمة مستقلة لتحضير العمل المسلح.

وقد أكد السيد عبد الحميد مهري أن كل من اللجنة الثورية للوحدة والعمل وأنصار مصالي كانوا يناقشون مشروع البدء في الكفاح المسلح، لكن من دون وضوح وعزيمة صارمة، وقد حضر في أواسط أكتوبر نقاشاً من هذا القبيل داخل اللجنة المركزية للحزب، ووحدها لجنة الستة قطعت أشواطاً في إنجاز مشروع الثورة بعيداً عن الطرفين المتنازعين لسلطة الحزب⁽⁵⁹⁾، واثراً اجتماع 23 أكتوبر 1954 الذي رتب لاندلاع الثورة التقى مهري ببوضياف، أبلغه مهري بتحضيرات اللجنة المركزية وإرسالها ليزيد وحول إلى القاهرة، فأبلغه بوضياف أنّهما لن يعودا إلى الجزائر، وأنهم حددوا تاريخ اندلاع الثورة في نهاية الشهر، وطلب منه

الاستعداد لمرافقته الى القاهرة، لكن مهري ولأسباب غامضة أعرب له عن رغبته في البقاء بالجزائر، وهو أمر أغضب بوضياف بعض الشيء وحاطب مهري قائلا: " عرضت عليك هذا الأمر لأنك صديق ولأنك تعرف أشياء كثيرة"، وذكر مهري أنه عندما إلتقاه بوضياف في القاهرة بداية 1956 بادره بالقول: "أرأيت في النهاية كيف قررت الخروج"⁽⁶⁰⁾.

تبدوا هذه الشهادة مهمة، فهي تكشف على أن مهري كان مطلعاً على موعد تفجير الثورة، ويحظى بمكانة هامة لدى مفجري الثورة وبوضياف خصوصا، كما يبدو موقف مهري من عرض بوضياف مبهما، هل كان ذلك يعني عدم دعمه للمشروع أم رغبة شخصية منه في ممارسة مهامه الثورية داخل الوطن؟، يظل الأمر غامضا، ومع ذلك فإن مهري على ضوء ما أوردناه كان له حضور فاعل في إعداد مشروع الثورة الى جانب بوضياف المهندس الحقيقي للمشروع وابن بالعيد المدعم الرئيسي للمشروع، وهو ما يعطي مهري مكانة في تاريخ الثورة لطالما سكتت عنها الأدبيات المؤرخة لتبلور مشروع الثورة.

الهوامش:

- ¹ لم يوضح تلميذه عبدالرحمان بن العقون هذا الأمر، انظر عبدالرحمان بن العقون: الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1982، ج1، ص 39 40
- ² عبدالرحمان ابن العقون: المصدر نفسه، ج1، ص 453.
- ³ شهادة رفيق مهري منذ الصبي الشيخ محمد الصالح رحاب، صوت الأحرار، عدد يوم 31 مارس 2012.
- ⁴ شهادة محمد الصالح رحاب. المصدر نفسه
- ⁵ عبدالرحمان ابن العقون: مذكراتي، نفس المصدر السابق، ص.....
- ⁶ انظر شهادته المسجلة من قبل محمد عباس، محمد عباس: دروب الاستقلال، فصول من .. ملحة التحرير، دار هومة، الجزائر، 2012، ص 515 517.

- 7 شهادة مهري حول الشهيد العربي بن مهدي، مجلة المصادر ، عدد 13، (2006)، ص328
- 8 شهادة رفيق دربه محمد الصالح رحاب، المصدر السابق.
- 9 المصدر نفسه.
- 10
- 11 عبدالرحمان بن العقون: المصدر السابق، ج1، ص. ص 324 333.
- 12 عبدالرحمان بن العقون: المصدر نفسه، ص 334
- 13 محمد العربي دماغ العتروس، خصال ونضال، ندوة فكرية نظمها المجلس الاسلامي الاعلى للغة العربية، منشورات المجلس، الجزائر، 2009، ص21 25.
- 14 شهادة أحمد الهادي طيروش، صوت الأحرار، عدد خاص بعبد الحميد مهري، مارس 2012، ص 15.
- 15 شهادة عبدالرحمان مهري، محمد عباس: المصدر السابق، ص 517.
- 16 عبدالرحمان بن العقون: المصدر السابق، ج1، ص 460.
- 17 شهادة ، عبدالرحمان بن العقون: المصدر السابق، ج3، ص 358.
- 18 شهادة لاحد الطلاب انذاك بتونس مولود قاسم نايت بلقاسم، انظر بن نعمان أحمد: مولود قاسم نايت بلقاسم، ط2، دار الامة، الجزائر، 1997، ص 19
- 19 شهادة محمد الصالح رحاب، المصدر السابق.
- 20 شهادة الامين بشيشي، محمد العربي دماغ العتروس، خصال ونضال، ندوة فكرية نظمها المجلس الاسلامي الاعلى للغة العربية، منشورات المجلس، الجزائر، 2009، ص 13. 14
- 21 ابو القاسم سعدالله: الغائب الحاضر: الأستاذ مهري ، جريدة الشروق، يومية جزائرية مستقلة، عدد يوم 10 أفريل 2012، ص 13
- 22 محمد الصالح الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1983، ص 140
- 23 شهادة الشاذلي محمد عباس، محمد عباس، نداء الحق، دار هومة، الجزائر، ص 14 وما بعدها.
- 24 شهادة لاحد الطلاب انذاك بتونس مولود قاسم نايت بلقاسم، انظر بن نعمان أحمد: المرجع السابق، ص 19
- 25 عبدالرحمان بن العقون: المصدر السابق، ص 31 ، و شهادة ايت احمد

Ait Ahmed Hocine, mémoires d un combattant, l esprit de l indépendance 1942 _ 1952, ed, bouchene, Alger, 1990, p

163

²⁶ أحمد بن نعمان: المرجع السابق، ص 19

²⁷ انظر محمد حربي: جبهة التحرير الوطني الأسطورة والواقع، ترجمة كميل داغر، ط1 مؤسسة

الأبحاث العربية - دار الكلمة للنشر، بيروت، 1983، ص. ص، 58. 59.

²⁸ التقى أول مرة في فيفري 1950 بمبعوثي بورقيبة لاستقباله في الحدود بلحسين جرادة

والعيساوي، انظر شهادة مفصلة بلحسين جرادة سجلها العلاني، عبدالحמיד العلاني: لم

يناموا على الذل، شهادات شفوية لعدد من المناضلين والمقاومين من تونس والقبروان والساحل،

شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، تونس، 2006، ص 127. 128

²⁹ شهادة عبدالقادر لعمودي، مجلة المصادر، يصدرها المركز و د ب ح ث 1954، العدد

4، 2001، ص 199

³⁰ عبدالحמיד مهري: جيش التحرير المغاربي 1948_1955، ملتقى نظمته مؤسسة محمد

بوضياف، الجزائر، 11_12 ماي 2001، منشورات مؤسسة بوضياف، الجزائر، 2004، ص

28، وشهادة محمد عصامي، محمد عباس: خصوصيات تاريخية، دار هومة، الجزائر، 2010،

ص 235

³¹ شهادة الطالب والمناضل محمد حمارة، مقابلة شخصية، أدرار 2005

³² شهادة عبد الحميد مهري حوار في ، الجزائر العاصمة، 7 أوت 2005.

³³ شهادة رابح مشحود في ندوة تكريمية للفقيد مهري بقسنطينة، جريدة البلاد، عدد 2

جانفي 2013.

³⁴ الهادي ابراهيم المشيرقي: قصتي مع ثورة المليون... شهيد، دار الامة، الجزائر، 2000، ص

49. 45

³⁵ عبدالرحمان بن العقون: المصدر السابق، ج2، ص 461.

³⁶ شهادة محمد الصالح رحاب، المصدر السابق.

³⁷ علي كافي: مذكرات الرئيس علي كافي من المناضل السياسي إلى القائد العسكري 1946.

1962، ط2، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2012، ص. ص 34. 35

³⁸ شهادة أحمد الهادي طيروش، صوت الأحرار، عدد خاص بعبدالحמיד مهري، مارس

2012، ص 15

³⁹ عبد الحميد مهري: أحداث مهدت للفتح نوفمبر 1954، مجلة الأصالة، تصدرها وزارة التعليم الاصيلي والشؤون الدينية، الجزائر، السنة 3، ع 22 (أكتوبر - ديسمبر 1974)، ص 11.

⁴⁰ محمد بن عبد الكريم الخطابي زعيم الحركة الوطنية المغربية، وبطل حرب الريف، وأثناء مروره ببور سعيد بمصر عام 1947 أطلق سراحه، وطلب اللجوء السياسي من الحكومة المصرية التي وافقت، اتخذ من القاهرة مركز نشاطه الجديد بالدعوة إلى تحرير شمال إفريقيا، وقد ترأس "لجنة تحرير المغرب العربي"، وكان باستمرار يخطط لانجاح المشروع الثوري.

⁴¹ عبد الحميد مهري: جيش التحرير المغاربي 1948 - 1955، مصدر سابق، ص 12، وشهادته في حوار، سبق ذكره

⁴² شهادة عبد الحميد مهري: جيش التحرير المغاربي 1948 - 1955، المصدر السابق، ص ص: 29، 33.

⁴³ شهادته للباحث، مقابلة شخصية، سبق ذكرها.

⁴⁴ شهادة مهري في معرض حديثه عن بوضياف، مهري: جيش التحرير المغاربي 1948 -

1955، مصدر سابق، ص ص 27، 28.

⁴⁵ ابو القاسم سعدالله: المصدر السابق،

⁴⁶ شهادة عبد الحميد مهري: المصدر نفسه، ص 27.

⁴⁷ عبد الحميد مهري: أحداث مهدت لفتح نوفمبر 1954، الأصالة، مصدر سابق، ص ص 11، 14، وشهادة بوضياف، محمد بوضياف: التحضير لأول نوفمبر 1954، عناية

وتفقد عيسى بوضياف، دار النعمان، الجزائر، 2011، ص ص 31، 32.

⁴⁸ عبد الحميد مهري: المصدر نفسه، ص ص 14، 17.

⁴⁹ ابن يوسف بن خدة: جذور أول نوفمبر 1954، دار هومة، الجزائر، 2010، ص 247

⁵⁰ عبد الحميد مهري: المصدر نفسه، ص ص 17، 18.

⁵¹ عبد الحميد مهري: المصدر نفسه، ص ص 16، 17.

⁵² شهادة بوضياف، محمد بوضياف: المصدر السابق، ص 31

⁵³ محمد حمادي العزيز: جيوش تحرير المغرب العربي، هكذا كانت القصة في البداية، منشورات المؤسسة السامية لقدماء المقاومين واعضاء جيش التحرير، الرباط، 2004، ص

45.

⁵⁴ محمد حمادي العزيز: المصدر نفسه، ص 58.

⁵⁵ شهادته عبد الحميد مهري للباحث، سبق ذكرها.

- ⁵⁶ شهادة بوضياف، محمد بوضياف: المصدر السابق، ص. ص 43.44.
- ⁵⁷ شهادة عبد الحميد مهري في تقلم كتاب كشيده، عيسى كشيده: مهندسو الثورة، تر موسى أشرشور، منشورات الشهاب، باتنة، 2003، ص 19
- ⁵⁸ المصدر نفسه، ص. ص 34 ، 35.
- ⁵⁹ المصدر نفسه، ص، 21 و بوحوش عمار: التاريخ السياسي للجزائر من البداية إلى غاية 1962 ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1997 ، ص 340.
- ⁶⁰ عيسى كشيده: المصدر السابق، ص. ص 21 22

ملاحح حول التجارة الخارجية للجزائر خلال الفترة الاستعمارية من القرن

التاسع عشر¹

د.رضوان شافو

أ.عمر لمقدم

قسم العلوم الانسانية - جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

الملخص:

لعبت التجارة الخارجية دورا هاما في سيطرة فرنسا على ثروات الجزائر و جعلها في خدمة الاقتصاد الفرنسي، كما ساهم تطور كل من النظام الجمركي و المواصلات في استحواذ فرنسا على أغلب تجارة الجزائر الخارجية، و تبين بنية الصادرات و الواردات الجزائرية و أسعارها مدى الاستغلال الرأسمالي في الجزائر و السياسة التجارية الفرنسية التي جعلت من الجزائر سوق للصناعة الفرنسية و مصدرا للتزود بالمنتجات الزراعية و المواد الأولية الضرورية للصناعة الفرنسية.

Résumé:

Le commerce extérieur a joué un rôle important dans le contrôle des richesses de l'Algérie et les rendre au service de l'économie française, grâce à l'évolution du système douanier et le transport, la France a eu la plupart du commerce extérieur de l'Algérie, et les structures des exportations et les importations algériennes et leurs prix ont montré le degré de l'exploitation du capitalisme français en Algérie et la politique commerciale française qui a fait le marché algérien pour l'industrie française et

¹ هذه الدراسة انجزت بالنسيق والتباحث بين الاستاذ عمر لمقدم (طالب دكتوراه lmd)، والاستاذ

une source pour la fourniture de produits agricoles et les matières premières nécessaires pour l'industrie française.

مقدمة:

كان احتلال فرنسا للجزائر قد تم بفعل جملة من الدوافع التي يحتل الجانب الاقتصادي فيها مكانة هامة، و نظرا للتنافس الشديد الذي كان بين القوى الاستعمارية، و الذي احتد نتيجة التطور الذي عرفته الرأسمالية خصوصا خلال القرن التاسع عشر، فقد حفز هذا الحركة الاستعمارية الحديثة التي كان من أولى نتائجها الاستعمار الفرنسي للجزائر سنة 1830، و بالنظر للطبيعة الاستيطانية التي ميزت الاستعمار الفرنسي، فقد سعت الإدارة الفرنسية لربط الجزائر بفرنسا اقتصاديا بفعل الحاجة الملحة للرساميل الفرنسية في هذه المرحلة، و قد كان الاستيطان ضروريا لتأمين السيطرة على ثروات الجزائر، بالنظر للقطاع الاقتصادي الأوربي الناتج عنه والذي يعد ركيزة التوغل الرأسمالي الفرنسي في الجزائر، لارتباطه مباشرة بالاقتصاد الفرنسي حيث تمثل التجارة الخارجية أحد مظاهره، وفي هذا العمل سنتناول تطور التجارة الخارجية بين الجزائر و فرنسا خلال فترة الاحتلال من القرن التاسع، مع التركيز على فترة حكم الجمهورية الثالثة، وهنا سنطرح إشكالية البحث كما يلي: ما هي أبرز تطورات التجارة الخارجية للجزائر لاسيما مع فرنسا أثناء الفترة الاستعمارية الفرنسية من القرن التاسع عشر؟

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على عدة مناهج استوجب استخدامها بهدف الاجابة على الاشكال الرئيس في هذه الدراسة ، والخروج بعدة نتائج حول وضع التجارة الخارجية خلال الحقبة الاستعمارية، وهي كالآتي:

- المنهج التاريخي: واعتمدناه في دراسة واسترجاع الاحداث والوقائع التاريخية الماضية بهدف تفسيرها وتحليلها من اجل التوصل الى حقائق

قد تساعدنا حاضرا ومستقبلا في فهم القطاع الاقتصادي وتطور

التجارة الخارجية بالجزائر

- **المنهج الوصفي:** تم استخدامه في وصف مختلف الاحداث والوقائع

التاريخية وصفا موضوعيا دقيقا ومنتظما

- **المنهج الاحصائي:** تم استخدامه في البيانات الرقمية ومقارنتها مع

بعضها البعض من خلال تفسير وتحليل النسب والارقام عن طريق

جداول توضح صادرات وواردات الجزائر، بالإضافة الى اهم المنتجات

الزراعية.

- **منهج تحليل المحتوى:** تم استخدامه في تحليل مضمون الدراسة تحليلا

موضوعيا للأحداث والوقائع والبيانات وعلاقتها الارتباطية فيما بينها.

و بخصوص خطة الدراسة فقد حاولنا تسليط الضوء على عدة نقاط تتمثل

في: لمحة حول ظاهرة الاستيطان الفرنسي في الجزائر، التجارة الخارجية العامة

للجزائر، تجارة الجزائر مع فرنسا و مكانتها مقارنة بباقي المستعمرات، بنية

صادرات و واردات الجزائر وتطورها، دور المواصلات، و ذلك من خلال الاعتماد

على مصادر ومراجع، أهمها سلسلة الحوليات الإحصائية لفرنسا، سلسلة عروض

الوضعية العامة للجزائر المقدمة من طرف الحكام العامون للجزائر، وكتاب تكون

التخلف في الجزائر لعبد اللطيف بن أشنهو.

1- لمحة حول الاستيطان و نشأة القطاع الاقتصادي الأوربي:

أدركت الإدارة الاستعمارية الفرنسية منذ البدايات الأولى لاحتلال الجزائر أن

الاحتلال العسكري لوحده لن يكون كافيا للسيطرة على مقدرات مستعمرتها

المتوسطية الجديدة، و بناء على ذلك فقد عمدت إلى انتهاج سياسة استيطانية

اقتزنت بالتوسع الاستعماري العسكري، أساسها الاستحواذ على الأراضي بما

يتيح إحلال فئة سكانية غريبة على حساب السكان الأصليين، و قد اتضحت النوايا الاستيطانية في مرحلة مبكرة من عمر الاحتلال الفرنسي، فمرسوم 8 سبتمبر 1830 قضى بأن ممتلكات الداوي و البايات و الأتراك قد أصبحت تابعة لأملاك الدولة⁽¹⁾، و جاء قرار 22 جويلية 1834 القاضي باعتبار الجزائر أرضا فرنسية وفق ما خلصت إليه اللجنة الإفريقية⁽²⁾، ليعطي مبررا قويا للاستيطان باعتبار أن الجزائر ملك لفرنسا و يمكنها التصرف فيها كما تشاء.

و أفصح المارشال بيجو Bugeaud عن رغبة الإدارة الاستعمارية في الحصول على أراضي الجزائريين خلال تصريحه في غرفة النواب يوم 14 ماي 1840 حيث قال: "يجب أن يقيم المستوطنون في كل مكان توجد فيه المياه الصالحة والأراضي الخصبة، دون الاستفسار عن أصحابها"⁽³⁾

كما أصدر بيجو قرارا في 18 أفريل 1841، يتعلق بشروط الاستفادة من الأراضي الزراعية و كيفية إنشاء مراكز جديدة للاستيطان إذ تم إنشاء 17 مركزا استيطانيا سنة 1842، و 14 سنة 1843 و 17 مركزا سنة 1844⁽⁴⁾،

و منحت إدارة الاحتلال الفرصة للشركات للمساهمة في العملية الاستيطانية، ففي سنة 1845 منحت مؤسسة Union Agricole 3000 هكتار بمنطقة سيق، في إطار امتياز يهدف إلى توطين 300 عائلة أوروبية بتوفير الأراضي الزراعية، المرافق و المعدات الزراعية⁽⁵⁾.

ففي سنة 1839 بلغ عدد الأوربيين المدنيين 25 ألفا منهم 41,5 % فرنسيون، و تشجعا للهجرة الأوربية والاستقرار بالجزائر تخلى المارشال بيجو عن سياسة الاستيطان العسكري و توجه نحو الاستيطان المدني حيث أصدر قرارا في 12 أفريل 1841 يقضي بأن كل فرنسي يملك من 1200 إلى 15000 فرنك يمكنه الحصول قطعة أرض مساحتها من 4 إلى 12 هكتار و مسكنا، و هو ما

حث على التوجه إلى الجزائر، إذ في سنة 1843 فقط وصل 14137 مهاجرا⁽⁶⁾، يمثل الفرنسيون 85 % منهم.

و صدر مرسومان اثنان في 1844 و 1846 يهدفان إلى مصادرة الأراضي غير المزروعة تحت غطاء عدم توفرها على وثائق تثبت ملكيتها، و كان لهذين المرسومين أثرا كبيرا في بروز مهاجرين نوعيين يتمثلون في فئة كبار الملاك الرأسماليين وكذلك صغار الملاك المستوطنين، حيث تلعب هاتان الفئتان دورا في استحداث المركز الاستيطانية⁽⁷⁾، و ارتفع عدد المستوطنين من 27204 سنة 1841 إلى 112607 سنة 1850⁽⁸⁾، كما تواصل نزع الأراضي حيث يقدر ما تم انتزاعه بين 1840 و 1850 بـ 2703000 هكتار⁽⁹⁾.

و تميز عهد الجمهورية الثانية برفع تحدي إسكان 200 ألف مستوطن بالجزائر و رصدت لذلك مبلغ 50 مليون فرنك، و قد لجأت الحكومة إلى هذا الحل الاستيطاني لمعالجة مشكلة عمال المصانع الفرنسيين لاسيما بالعاصمة باريس، الذين قاموا بثورة سنة 1848 ضد الحكومة و سياساتها التي تسببت في بطالتهم، و لم تجد الحكومة الفرنسية من حل لهؤلاء سوى تهجيرهم إلى الجزائر⁽¹⁰⁾، و منح كل من يرغب في الرحيل منحة مالية⁽¹¹⁾، و بلغ مجموع المهجرين الفرنسيين بعد أربع سنوات نحو 80 ألفا استقر منهم 15 ألفا فقط⁽¹²⁾.

أما عهد نابليون الثالث (1852-1870) فقد عرف استفحال التوغل الرأسمالي الفرنسي من خلال فتح الباب للاستيطان الحر و الاعتماد على الشراء لانتقال الملكية، و هو ما ساهم في دخول أصحاب رؤوس الأموال و الشركات الفرنسية بقوة و تملكها للأراضي و تحريك الاستثمار، وهي السياسة التي لم تلق القبول لدى المستوطنين لأنها تسببت في حرمانهم من امتيازات أقرتها لهم الدولة الفرنسية⁽¹³⁾، و على ذلك فهجرة المستوطنين وبناء المستوطنات لم تتوقف بل

كانت محل عناية الحاكم العام راندون Randon (1852-1858) حيث تم استحداث 56 مستوطنة بين سنتي 1853 و 1856 فقط⁽¹⁴⁾، كما عرف عهد نابليون الثالث صدور السيناتوس كونسيلت في 22 أبريل 1863 الذي نص على ملكية القبائل للأراضي التي تستغلها بشكل دائم، و هدف هذا المرسوم إلى تفكيك الوحدة الاجتماعية وأحدث نظاما جديدا أساسه الدوار و ليس القبيلة، و تم توزيع أفراد القبيلة على هذه الدواوير و هو ما يعني إزالة الوحدة القبلية من خلال الملكيات الفردية⁽¹⁵⁾.

أما في عهد الجمهورية الثالثة ابتداء من سنة 1870، فقد عادت من جديد سياسة الاستيطان الرسمي برعاية الدولة الفرنسية، كما حل النظام المدني في الجزائر و الذي كان في صالح المستوطنين، فبعد هزيمة فرنسا على يد البروسيين والتي نتج عنها إلحاق مقاطعتي الألزاس و اللورين بألمانيا، تم إصدار قانون 21 جوان 1871 والذي قضى بتحويل سكان هاتين المقاطعتين إلى الجزائر و تم منحهم 100 ألف هكتار⁽¹⁶⁾، فقد شهدت سنة 1874 مجيء 877 عائلة من سكان الألزاس و اللورين، وشهدت هذه المرحلة عودة المنح المجاني للأراضي و هو ما شكل معاناة كبيرة للجزائريين⁽¹⁷⁾، وكانت عمليات المصادرة التي أعقبت ثورة المقراني سنة 1871 واسعة جدا، حيث بلغ ما تم مصادرته 204933 هكتارا، بل خصص نحو 6 ملايين فرنك من الغرامات المفروضة على القبائل عقب هذه الثورة لصالح مهجري الألزاس واللورين⁽¹⁸⁾.

و بلغ ما تم توزيعه من أراضي على الأوربيين بين سنتي 1871 و 1881 فقط نحو 400 ألف هكتار⁽¹⁹⁾، و خلال سنتي 1872 و 1873 فقط تم استحداث 84 مركزا استيطانيا⁽²⁰⁾.

و فيما يلي جدول يلخص تطور حركة الاستيطان في الجزائر منذ الاحتلال حتى 1930

السنة	مراكز أنشئت أو وسعت	المساحة المستولى عليها (هكتار)	تزايد عدد الأوربيين
-1830 1850	126	115000	65437
-1851 1860	85	250000	130322
-1861 1870	21	116000	129898
-1871 1880	264	401099	195418
-1881 1890	107	176000	267672
-1891 1900	103	120079	364257
-1901 1920	199	200000	633149
-1921 1930	67	270081	933269
المجموع	972	1648677	-

المصدر: عبد العزيز وطبان، الاقتصاد الجزائري ماضيه و حاضره 1830-1985، منظمة العمل العربية: المعهد العربي للثقافة العمالية و بحوث العمل بالجزائر، ص 23.

من خلال ما سبق يمكن القول أن الاستيطان هو جوهر المد الاستعماري الفرنسي في الجزائر، و التوسع الاستيطاني قد انعكس اقتصاديا في ظهور القطاع الاقتصادي الأوروبي الحديث، الذي تمتع بكل أشكال الدعم و الرعاية الرسمية بهدف توطيد الوجود الفرنسي، و قد ارتبط هذا القطاع مباشرة باقتصاد الميتروبول، و يتضح هذا الارتباط من خلال حجم المبادلات التجارية بين الجزائر و فرنسا و تطورها و طبيعة المواد المتبادلة بينهما، فمما القطاع الاقتصادي الأوروبي الحديث و توجهه لخدمة اقتصاد الوطن الأم كان يمثل هدفا أساسيا للإدارة الاستعمارية، و الذي كان يتم على حساب القطاع التقليدي الذي كان يتعرض للتقويض لكنه يساهم أيضا في التجارة الخارجية.

التجارة الخارجية العامة للجزائر:

تبعاً لما تمت الإشارة إليه، فالتجارة الخارجية تعد مؤشراً صادقا و معبرا عن مدى الارتباط بين فرنسا و مستعمرتها الجديدة (الجزائر)، و عن مدى الأهمية و الحيز الذي صار يشغله اقتصاد هذه المستعمرة ضمن الاقتصاد الفرنسي.

و هو ما تثبته الإحصائيات المتوفرة التي تبين حجم المبادلات التجارية، فبعد سنة واحدة من الاحتلال (1831)، كان حجم التجارة الخارجية الكلي للجزائر استيرادا و تصديرا يقدر بـ 7.983.600 فرنك، لتضاعف بأكثر من أربع مرات بعد ست سنوات فقط لتصل نحو 36.601.937 فرنك⁽²¹⁾، ليصبح في بدايات العهد الحكم المدني سنة 1871 يقدر بـ 306.703.517 فرنك⁽²²⁾، أي تضاعف بأكثر من 38 مرة في ظرف أربعة عقود، و ما يعطي فكرة عن التطور السريع لحجم التجارة الخارجية للجزائر أن قيمتها سنة 1871 تمثل تقريبا ضعف ما كان موجودا قبل 10 سنوات فقط (سنة 1861) أين كانت تقدر بـ 165.694.215 فرنك⁽²³⁾، و أصبح حجم التجارة الخارجية الكلية

للجزائر سنة 1881 يقدر بـ 483.837.263 فرنك، و تمثل ثلاثة أضعاف ما كان موجودا سنة 1861.

و ازدادت التجارة الخارجية تأكيدا للارتباط بين فرنسا والجزائر، فالإحصاءات تشير إلى مدى تطور التجارة الخارجية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، لاسيما خلال فترة الجمهورية الفرنسية الثالثة المتميزة بتعاطفها مع المستوطنين و تشجيعها للاستيطان، مما انعكس على القطاع الاقتصادي الأوربي حيث عرف تطورا و دعما ممكنه من لعب دور كبير في تفعيل الحركة الاقتصادية بين الميتروبول و الجزائر و التي تجسدها التجارة الخارجية.

فحجم التجارة الخارجية للجزائر عموما في سنة 1877 بلغ ما قيمته 350.191.139 فرنك⁽²⁴⁾، و في نهاية القرن التاسع عشر واصل حجم التجارة الخارجية ارتفاعه ليصل سنة 1899 ما قيمته 666.262.503 فرنك⁽²⁵⁾.

يظهر من خلال الجدول التالي تطور التجارة الخارجية للجزائر في عهد الجمهورية الثالثة خلال القرن التاسع عشر:

السنة	الواردات	الصادرات	التجارة الخارجية الكلية
1872	197044977	164603634	361648611
1880	303434641	168835136	472263777
1884	289810891	175897889	465708780
1889	249206337	251647397	500853734
1894	265134026	265713285	530847311
1899	319847503	346415000	666262503

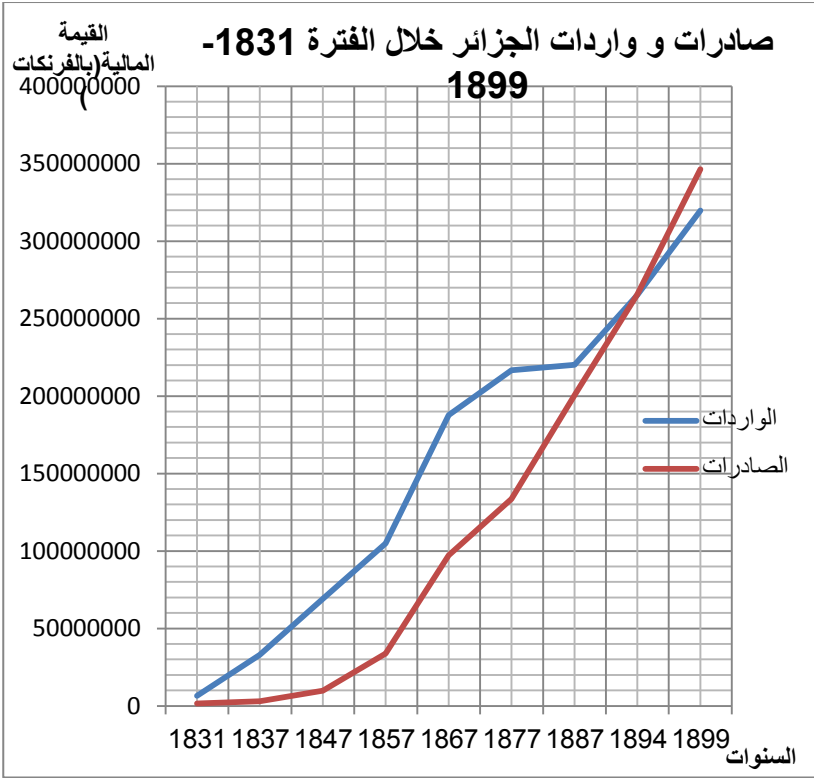
الوحدة: الفرنك الفرنسي

المصدر: جدول منجز من معطيات المصادر التالية:

statistiques générales de l'Algérie 1882-1884,
Exposé de la situation de l'Algérie 1895, Exposé
de la situation de l'Algérie 1901, Annuaire
statistique de la France 1875

يتضح من الجدول أنه في سنة 1872 كان حجم التجارة الخارجية العامة يقدر بـ 361648611 فرنك، وهي ضعف قيمتها قبل عشر سنوات فقط، أما في نهاية القرن التاسع عشر فقد بلغت قيمة التجارة الخارجية للجزائر 666262503 فرنك، أي بزيادة 84,22% عن قيمتها سنة 1872.

كما نلاحظ أن عهد الجمهورية الثالثة خلال القرن التاسع عشر ميزه ارتفاع محسوس لقيمة الصادرات الجزائرية مقارنة بما كان قبل 1870، بل وصلت قيمة الصادرات إلى حد تجاوز قيمة الواردات، و ذلك ابتداء من 1894 حيث تجاوزتها بقيمة طفيفة، في حين أنه في سنة 1899 اتسع الفرق إذ وصل إلى 26567497 فرنك، و هو ما يعني أن الجزائر المستعمرة صارت تنتج أكثر مما تستهلك من الناحية الاقتصادية بتحقيقها فائضا في الميزان التجاري (أنظر الشكل البياني أدناه).



المصدر:

إن التطور في التجارة الخارجية يمكن تفسيره بالنشاط الكبير للقطاع الاقتصادي الأوربي بالجزائر، و الذي يعود بدوره التسارع الشديد في الحركة الاستيطانية لاسيما في مرحلة ما بعد سنة 1870 حتى نهاية القرن التاسع عشر، و من ذلك زيادة المراكز الاستيطانية و توسعها، زيادة مساحات الأراضي المنزوعة من الجزائريين، تطور أعداد المهاجرين الأوربيين إلى الجزائر وخصوصا مهاجري الألزاس واللورين بعد الحرب السبعينية، و هو ما حفز الحركة الإنتاجية و تنوعها، كما ساهم تطور شبكة المواصلات، كالطرق و السكك الحديدية و حركة الملاحة التجارية. و يضاف إلى العوامل السابقة عامل الاستقرار النسبي الذي عرفته الجزائر عموما في مرحلة ما بعد ثورة 1871 مقارنة بالعقود الأولى للاستعمار، و

هو الاستقرار الذي سهل التوسع الاستيطاني و الاستعماري مما سمح بزيادة قدرات القطاع الاقتصادي الأوربي الموجه بالأساس لخدمة الاقتصاد الفرنسي الميتروبولي جارفا معه ما تبقى من القطاع الاقتصادي التقليدي الجزائري المعاشي بالدرجة الأولى.

التجارة الخارجية مع فرنسا:

إن تطور التجارة الخارجية للجزائر المشار إليه سابقا رافقه تطور نصيب فرنسا من هذه التجارة، و ذلك لكونها الدولة المستعمرة، و هو ما تؤكد الإحصاءات الرسمية، فال مجموع العام للقيم المالية للمبادلات التجارية للجزائر مع فرنسا في الفترة الممتدة من سنة 1830 إلى 1861 يقدر بـ 2935600000 فرنك، موزعة بين 2492800000 فرنك كقيمة لواردات الجزائر من فرنسا و 442800000 فرنك قيمة صادرات الجزائر نحوها⁽²⁶⁾، و في هذه المرحلة نلاحظ أن مجموع واردات الجزائر من فرنسا يقارب 6 أضعاف صادراتها نحوها، و تجدر الإشارة إلى أن التطور في التجارة الخارجية كان خصوصا بعد 1851، أين صدر قانون المماثلة الجمركية بين الجزائر و فرنسا في 11 جانفي 1851، و هو ما أعطى للمبادلات التجارية بينهما دفعة قوية، فمثلا كان حجم التجارة الخارجية بينهما سنة 1851 يقدر بـ 116000000 فرنك، ليصبح بعد 10 سنوات فقط (1861) يقدر بـ 219300000 فرنك⁽²⁷⁾، أي أنها ارتفعت بمقدار الضعف تقريبا، و يعود ارتفاع قيمة التجارة الخارجية عموما إلى ارتفاع حجم صادرات الجزائر إلى فرنسا وذلك يرجع بالأساس إلى تأثير قانون 11 جانفي 1851 المشار إليه آنفا و الذي بموجبه أصبحت الصادرات الجزائرية نحو فرنسا لا تفرض عليها رسوم جمركية⁽²⁸⁾، رغم ذلك و خلال هذه المرحلة حافظت واردات الجزائر من فرنسا على ارتفاع قيمتها مقارنة بالصادرات، و ذلك

يعود إلى تزايد أعداد الجنود الفرنسيين و المهاجرين الأوربيين بالجزائر، الذين كانوا يستهلكون المنتجات المستوردة بشكل كبير، بالإضافة إلى ذلك فالنظام الجمركي الذي بدأ منذ 1835 كان لا يفرض رسوما على ما يستورد إلى الجزائر من فرنسا (29).

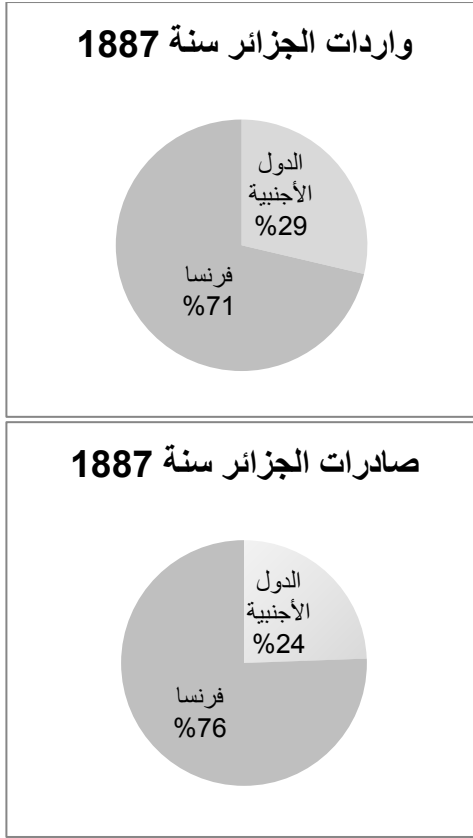
كما أن ضعف الصادرات الجزائرية يعود إلى كون مصدرها الرئيسي لا يزال القطاع الاقتصادي التقليدي الجزائري المعاشي بالأساس و المنهك بفعل الحروب و هجرة السكان بسبب السياسات الاستعمارية المحففة، فضلا عن وجود رسوم جمركية كانت تفرض على السلع الجزائرية المصدرة إلى فرنسا قبل 1851 (30). بالإضافة إلى كون المناطق التي وصلها النفوذ الفرنسي كانت محدودة في هذه المرحلة، و هو ما أدى إلى قلة التعامل مع الفرنسيين تجاريا (31)، كما لا يمكن إغفال عامل ضعف شبكة المواصلات في الجزائر و الذي أثر بشكل بالغ في إضعاف صادرات الجزائر، حيث أن السكة الحديدية مثلا لم يبدأ برنامج إنشاؤها إلا في سنة 1857 (32).

و جاء عهد الإدارة المدنية ابتداء من سنة 1870، ليعرف انتعاش المبادلات التجارية بين الجزائر و فرنسا، ففي سنة 1875 كانت واردات الجزائر الكلية تقدر بـ 192358420 فرنك، منها ما قيمته 160167742 فرنك من فرنسا فقط (33)، أي ما نسبته 82,26%، وسيطرت فرنسا أيضا على معظم صادرات الجزائر، فمن مجموع الصادرات الكلي المقدّر بـ 143932422 فرنك، نجد أن ما قيمته 99288252 فرنك كان نحو فرنسا وحدها، أي ما نسبته 68,98%.

و في نهاية القرن التاسع عشر (سنة 1899)، كانت نسبة واردات الجزائر من فرنسا تقدر بـ 81% من مجموع الواردات الكلية و المقدّر بـ 319847503

فرنك، في حين كانت نسبة الصادرات الجزائرية إلى فرنسا تقدر أيضا بـ 81% من مجموع الصادرات المقدر بـ 346415000 فرنك⁽³⁴⁾، و هو ما يعني سيطرة فرنسية على معظم التجارة الخارجية للجزائر المستعمرة.

و يفسر ارتفاع قيمة واردات الجزائر بنمو القطاع الاقتصادي الأوروبي و تزايد استهلاكه للواردات الفرنسية خصوصا⁽³⁵⁾، كما أن حركية المبادلات التجارية بين الجزائر و فرنسا قد تطورت في مرحلة ما بعد 1870، و يبدو أن القانون الذي صدر في 19 ماي 1866 و الذي نص على حرية الملاحة التجارية بين الجزائر و فرنسا و أيضا القانون الصادر في 17 جويلية 1866 القاضي بتطبيق الاتحاد الجمركي بين الجزائر و فرنسا والتسامح مع الواردات الأجنبية قد كان لهما الأثر البالغ في تطور و استحواذ فرنسا على التجارة الخارجية للجزائر، والشكلان التاليان يبينان حجم التجارة الخارجية للجزائر مع فرنسا و الدول الأجنبية لسنة 1887.



المصدر: الشكل منجز وفق إحصاءات *Annuaire de l'économie politique*, 1890, P. 547.

مكانة الجزائر التجارية مقارنة بباقي المستعمرات الفرنسية:

في مقابل كون فرنسا تستحوذ على معظم تجارة الجزائر الخارجية تصديرا و استيرادا، فالجزائر المستعمرة تمثل بدورها رقما صعبا في مجموع المستعمرات الفرنسية، إذ تستحوذ الجزائر على أغلب المبادلات التجارية لفرنسا مع مستعمراتها، ففي سنة 1894، كانت مستوردات فرنسا من مستعمراتها ككل تقدر بـ 395086975 فرنك، منها 207657978 فرنك قيمة مستورداتها من الجزائر فقط⁽³⁶⁾، و هي تقدر بنسبة 52,56 %، أما عن صادرات فرنسا

نحو مستعمراتها فقد استحوذت الجزائر على معظمها، فمن مجموع الصادرات المقدر بـ 321412037 فرنك، كان نصيب الجزائر يقدر بـ 199319483 فرنك⁽³⁷⁾، و هو ما نسبته 62.01%.

بنية الصادرات و الواردات الجزائرية:

إن التطور السريع الذي عرفته المبادلات التجارية بين الجزائر و فرنسا يعود بالدرجة الأولى إلى تطور القطاع الاقتصادي الأوربي باعتباره صار عنصرا منتجا أساسيا نظرا لما حظي به من دعم الإدارة الاستعمارية، خاصة بعد 1870، أين عرف الإنتاج تطورا من حيث الكم و النوع بدخول منتجات جديدة على الساحة الاقتصادية الجزائرية، كالكروم التي عرفت زراعتها ازدهارا كبيرا في الجزائر بعد أن أهلكت آفة الفيلوكسيرا محاصيل الكروم في فرنسا خلال سبعينات القرن التاسع عشر، و قد صرح مبعوث الحكومة الفرنسية للمستوطنين في الجزائر: "خلال عشر سنوات لن تكون هناك كرمة في أوروبا، إن بلدكم هو الذي يتوجب عليه تعويض العجز، هو الذي يتوجب عليه أن يرد لفرنسا المليارات التي ستخسرها..."⁽³⁸⁾.

ففي سنة 1867 كانت قيمة الواردات الكلية للجزائر تقدر بـ 187677007 فرنك، و يبين الجدول التالي أهم المنتجات المستوردة إلى

الجزائر سنة 1867.

القيمة المالية	الكمية (كغ)	المادة
720845	1020779	جبن (جميع الأنواع)
5156905	14734015	طحين (جميع الأنواع)
7259503	6049586	سكر مكرر
3696574	2310359	قهوة

2901558	9945545	حديد مصنع
1822003	3036671	صابون و عطور
10103004	423714 هكتولتر	خمور
54586811	/	منسوجات
13182700	/	جلود مصنعة

المصدر:

gouvernement général civil de l'Algérie, Statistique générale de l'Algérie. 1867-1872, Imprimerie nationale, Paris. P 330.

وفيما يلي جدول بأهم المنتجات المصدرة من الجزائر سنة 1867، وكانت

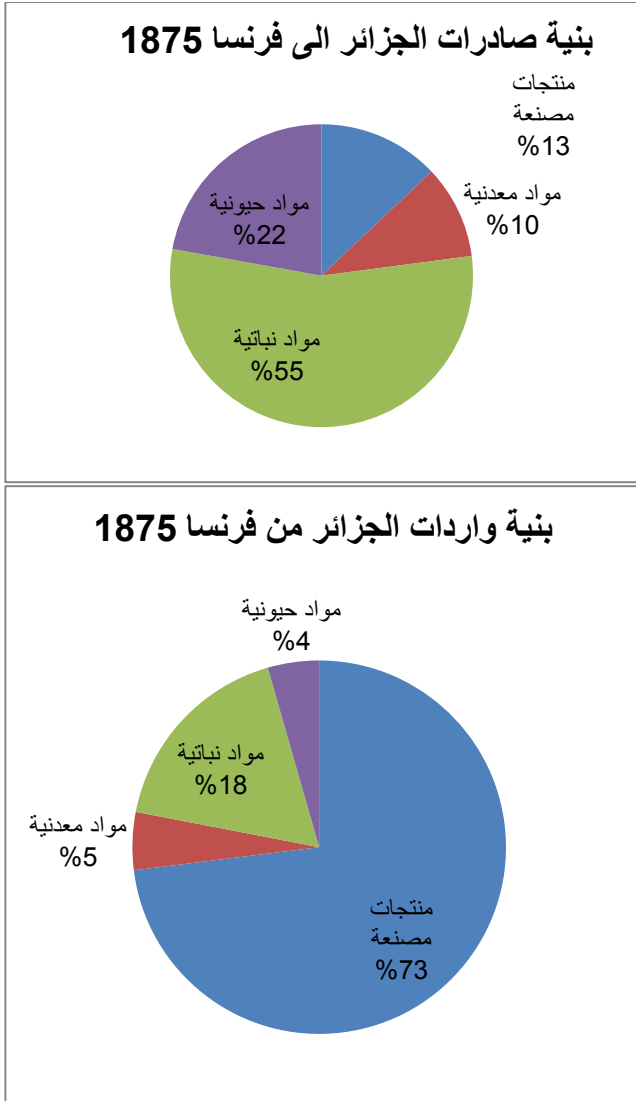
قيمتها الكلية تقدر بـ 97161983 فرنك

القيمة المالية	الكمية	المادة
11313628	317092 (رأس)	حيوانات حية
25118504	6270626 كلغ	صوف
1725808	70148 قنطار	الحبوب
5568443	3275555 كلغ	زيت زيتون
9288630	1660348 قنطار	معادن (حديد، نحاس، رصاص)
24980	839 هكتولتر	خمور (جميع الأنواع)

المصدر:

gouvernement général civil de l'Algérie, **Statistique générale de l'Algérie. 1867-1872**, Imprimerie nationale, Paris, P 332.

من خلال الإحصاءات يتضح ثبات ميزة تفوق واردات الجزائر على صادراتها، و التي كانت في معظمها مع فرنسا، وتتجلى أيضا ميزة استغلال الثروات الجزائرية لصالح الاقتصاد الفرنسي من خلال الحصول على المنتجات الزراعية و المواد الأولية و جعل الجزائر سوق لتصريف المنتجات الفرنسية لاسيما المصنعة منها، و هو ما تؤكد الإحصاءات الرسمية لسنة 1875 مثلا، حيث كانت بنية صادرات و واردات الجزائر مع فرنسا كما هو مبين في الشكلين التاليين:



المصدر: الشكل منجز وفق إحصاءات Annuaire statistique de la France, 1875 , PP 558-559

و في نهاية القرن التاسع عشر وبعد التطورات الحاصلة في الجزائر لاسيما في شقها الاقتصادي، كانت قيمة الواردات الكلية للجزائر لسنة تقدر بـ

319847503 فرنك، حيث تشير الإحصاءات الرسمية إلى أن أغلبها كان منتجات مصنعة و موجهة للاستهلاك المباشر و أغلبها ذات مصدر فرنسي. جدول بأهم المنتجات المصدرة من الجزائر نحو فرنسا سنة 1899.

المادة	المصدر إلى فرنسا	قيمتها المالية (فرنك)	الكمية المصدرة الكلية	قيمتها المالية (فرنك)	نسبة المصدر إلى فرنسا
حيوانا ت حية	10744 09 رأس	2485408 3	10818 00 رأس	2393341 8	96,2 % 9
صوف	57860 29 كلغ	1094779 8	59337 66 كلغ	1067522 3	97,5 % 1
الحبوب	22125 61 قنطار	4380296 7	23729 40 قنطار	4080120 8	93,1 % 4
زيت زيتون	30253 75 كلغ	1720643	31992 57 كلغ	1633702	94,9 % 4
معادن (حديد، نحاس، صا ص)	56246 0 قنطار	9986625	67077 86 قنطار	1317490	13,1 % 9
خمور (جميع الأنواع)	46762 04 هكتولتر	1320548 49	47160 43 هكتولتر	1309315 62	99,1 % 4
الفوسفا ت	75471 2 قنطار	1202766 7	26728 15 قنطار	3396204	28,2 % 3

المصدر: exposé de la situation générale de l'Algérie,

1901, P. 388 (بتصرف)

يتضح من الجدول السابق، فقد عرفت المنتجات الجزائرية المصدرة في نهاية القرن التاسع عشر زيادة كمية و نوعية حيث وصلت قيمتها الإجمالية إلى 346415000 فرنك، فصادرات الحيوانات الحية وصلت في سنة 1899 إلى 1081800 رأس، وهو يمثل أكثر من ثلاثة أضعاف ما صدر سنة 1867، و يمثل ما صدر منها إلى فرنسا نسبة 96,29 %، كما عرفت صادرات الحبوب ارتفاعا كبيرا، فمن 70148 قنطار سنة 1867، ارتفعت إلى 2372940 قنطار سنة 1899، أي أنها تضاعفت 31 مرة، و كانت نسبة كمية الحبوب المصدرة إلى فرنسا فقط تقدر بـ 93,14 %، غير أن صادرات الخمر تعد أهم تطورات التجارة الخارجية للجزائر و لاسيما مع فرنسا في نهايات القرن الـ 19 م، إذ أنها لم تكن تدرج أصلا في الإحصاءات الرسمية للمنتجات المصدرة حتى سنة 1861 على الأقل⁽³⁹⁾، في حين أن إجمالي ما تم تصديره منها سنة 1867 كان ضئيلا جدا، حيث لم يتجاوز 839 هكتولتر، بقيمة مالية 24980 فرنك فقط، ليصل سنة 1899 إلى 4716043 هكتولتر، أي أنها تضاعفت بـ 5621 مرة، وبلغت القيمة المالية لها 132054849 فرنك، وقد استحوذت فرنسا على نسبة 99,14 % من الخمر المصدرة، بل إن القيمة المالية للخمر المصدرة مثلت 38,12 % من إجمالي الصادرات الجزائرية عموما، و هو ما يعني أن الكروم صارت تمثل جزء هاما من الاقتصاد الجزائري الموجه لخدمة الاقتصاد الفرنسي و الرأسمالية الفرنسية، و يشير المؤرخ آجرون إلى أن زراعة الكروم قد أنقذت المستوطنين في سنوات 1895 إلى 1897، بسبب سوء محاصيل

الحبوب، فالجزائر التي لم تصدر سوى ما قيمته 51884000 فرنك من الخمر سنة 1893، تمكنت من تحقيق 135 مليون فرنك سنة 1897⁽⁴⁰⁾.

و عموما تبين الإحصاءات الرسمية غلبة المنتجات الزراعية على صادرات الجزائر، فمجموع صادرات الحبوب و الخمر و الماشية فقط يمثل 69,96% من مجموع الصادرات نحو فرنسا لسنة 1899، و هذا يفسر بسعي الإدارة الاستعمارية إلى تكريس الصفة الزراعية للجزائر من خلال دعم الاستيطان الزراعي الذي كانت نتيجته ظهور قطاع اقتصادي أوروبي أساسه النشاط الزراعي مرتبط مباشرة بالميتروبول، وتجدد الإشارة إلى أن فرنسا امتازت باحتفاظها بالاهتمامات الزراعية بشكل أكبر من أي دولة أوروبية أخرى⁽⁴¹⁾.

يمثل الاهتمام بالزراعة ضرورة للرأسمالية الفرنسية، لأنها وجدت في الجزائر مناخا ملائما لتنمية استثماراتها، و للإشارة فقد كانت مرحلة القرن التاسع عشر و لاسيما النصف الثاني منه مرحلة مرور الرأسمالية الأوروبية عموما و الفرنسية خصوصا بطور تميز بتراكم رؤوس الأموال و أصبحت الاستثمارات ذات فائدة ضعيفة، و هو ما دفع إلى توظيف الأموال في المستعمرات و منها الجزائر و هو ما يفسر بروز الزراعات الصناعية بشكل كبير خاصة الكروم، التي أصبحت مصدر ربح كبير للمستثمرين الرأسماليين سواء أفرادا أو مؤسسات مالية، حيث بلغت صادرات الخمر نسبة 34,59% من مجموع الصادرات الجزائرية نحو فرنسا سنة 1893، و ارتفعت إلى 46,81% سنة 1899⁽⁴²⁾.

جدول بأهم المنتجات المستوردة من فرنسا إلى الجزائر سنة 1899.

المادة	الكمية المستوردة من فرنسا (كلغ)	القيمة المالية (فرنك)	الكمية المستوردة الكلية (كلغ)	القيمة المالية (فرنك)	نسبة المستورد من فرنسا
آلات	4672727	5713736	6470437	7995645	71,46

%					ميكانيكية
98,76 %	12362852	49662855	12210305	49413773	أثاث و مصنوعات خشبية
94,58 %	10961957	13793943	10368161	13332492	أدوات و مصنوعات معدنية
96,75 %	6005315	7002407	5810210	6929205	ورق، ورق مقوى و كتب
93,87 %	9821347	1455964	9219678	1406034	جلود جاهزة
77,48 %	3293431	21107068	2551846	19282639	مواد كيميائية
96,41 %	42628267	12038726	41098353	11669117	منسوجات قطنية
78,44 %	8292617	903784	6504828	608760	منسوجات صوفية
99,52 %	3336920	1165337	3321182	1160576	مواد بناء

المصدر: exposé de la situation générale de l'Algérie,

1901, P. 386 (بتصرف)

أما مستوردات الجزائر فقد كانت عرفت هي الأخرى في نهاية القرن التاسع تطورا في الكم والنوع، إذ بلغت قيمتها الإجمالية إلى 319847503 فرنك و تبين لنا أن أغلب المنتجات هي منتجات مصنعة جاهزة للاستعمال كالورق والمنسوجات أو تدخل في خدمة و تسهيل التوسع الاستعماري و تشجيع الحركة الاستيطانية في الجزائر، كمعاد البناء والأدوات و المصنوعات الخشبية و المعدنية، و

كما يبدو فمصدرها الرئيسي هو الصناعة الفرنسية، و يمكن أن نستنتج من هذه الأرقام سعي الإدارة لإبقاء الجزائر بصفة زراعية و الحيلولة دون قيام صناعات ذات أهمية فيها، ويندرج ضمن المخطط الرأسمالي الهادف لجعل الجزائر مجالا حيويا للصناعة الفرنسية و سوقا لتصريف منتجاتها.

أسعار المنتجات المصدرة و المستوردة بين الجزائر و فرنسا:

تعد أسعار المواد المتبادلة بين الجزائر و فرنسا مؤشرا مهما على أهمية المستعمرة و ارتباط الظاهرة الاستعمارية بالتطور الذي عرفته الرأسمالية الفرنسية لاسيما خلال فترة الربع الأخير من القرن 19 م، و تظهر المعطيات الإحصائية ارتفاع أسعار المنتجات المستوردة إلى الجزائر و خاصة ما يأتي من فرنسا في مقابل انخفاض أسعار المواد المصدرة من الجزائر، ففي سنة 1876 كانت القيمة 1,19 فرنك هي ثمن 1 كيلوغرام من السكر المكرر المستورد إلى الجزائر في حين أن 1,59 فرنك هو ثمن 1 قنطار من الحديد المصدر⁽⁴³⁾.

و في نهايات القرن 19 م (سنة 1899)، كانت قيمة الحديد المصدر إلى فرنسا تقدر بـ 1 فرنك/القنطار، في حين أن الحديد المصنع المستورد منها يقدر متوسط قيمته 18,81 فرنك/القنطار، أما الجلود الغير مصنعة المصدرة إلى فرنسا فمتوسط قيمتها 392,33 فرنك/القنطار، في حين أن الجلود المصنعة المستوردة من فرنسا تقدر قيمتها بـ 1458,29 فرنك/القنطار، بل إن الجلود المصنعة و المصدرة من الجزائر قيمتها 1288,37 فرنك/القنطار و هي أقل من قيمة الجلود المصنعة المستوردة من فرنسا، أما الحبوب (مطحونة و غير مطحونة) المصدرة إلى فرنسا، فمتوسط قيمتها هو 18,44 فرنك/القنطار، في حين أن ذات المنتج المستورد منها تبلغ قيمته بـ 29,64 فرنك/القنطار، كما عرفت الخمر نفس النسق ، إذ أن قيمة المصدر منها إلى فرنسا تقدر بـ 27,99

فرنك/هكتولتر، و هي قيمة أقل بكثير من القيمة الخمور المستوردة من فرنسا و التي تقدر بـ 132,07 فرنك/ هكتولتر.

إن المعطيات السابقة تشير بوضوح إلى انخفاض أسعار المنتجات و المواد المصدرة من الجزائر و التي هي في الغالب مواد أولية أو منتجات زراعية، في مقابل ارتفاع أسعار المنتجات المستوردة و التي تسود فيها المنتجات المصنعة، و على اعتبار أن فرنسا تستحوذ على معظم المبادلات التجارية للجزائر، تتأكد هنا النظرة الاستعمارية الرأسمالية التي ميزت الإدارة الفرنسية تجاه الجزائر مستعمرتها المتوسطة الهامة و التي جعلت منها مجالا حيويا لصالح الاقتصاد و الصناعة الفرنسية، حيث شهد القرن التاسع عشر لاسيما النصف الثاني منه تطورا حتمية تصدير رأس المال إلى المستعمرات، إذ وصلت الرأسمالية إلى درجة التشبع و لم يعد الاستثمار يجلب فائدة في البلدان الأصلية، و هو ما شكل دافعا للبحث عن المستعمرات للاستثمار و تصريف المنتجات المصنعة و جلب المواد الضرورية للصناعات، و هي الظروف التي أدت إلى تنافس كبير بين القوى الاستعمارية الأوروبية.

المواصلات و أهميتها للتجارة الخارجية للجزائر:

المواصلات البرية: كانت سنة 1850 بداية الأشغال الكبرى في الجزائر⁽⁴⁴⁾، و كانت شبكات الطرق و السكك الحديدية من أهم المشاريع الضرورية تفعيل حركة الاستيطان و التجارة الخارجية، و هدف إنشاء شبكة الطرق و السكك إلى تسهيل التنقل و ربط مناطق الاستيطان و الإنتاج بالأسواق و موانئ التصدير، ففي سنة 1875 بلغت طول شبكة الطرقات الوطنية فقط حوالي 1707,3 كلم، و طول شبكة الطرق الإقليمية 1590,7 كلم، أما الطرق الريفية فبلغت 3906 كلم، و لأهميتها فقد خصص لمشاريع الطرق في مقاطعة الجزائر مبلغ

1,2 مليون فرنك من مجموع الميزانية المقدر بـ 3,7 مليون فرنك⁽⁴⁵⁾، و فيما يلي جدول بتطور طول شبكة الطرق بجميع أنواعها (الوطنية، الولائية و الريفية):

السنة	1875	1881	1884	1887
طول شبكة الطرق (كلم)	7267	10580	12752	13812

المصدر: *Annaires statistiques de la France des années 1875, 1881, 1884, 1887*

أما السكك الحديدية فقد بدأ إنشاؤها في بموجب مرسوم إمبراطوري مؤرخ في 8 أبريل 1857، الذي نص على أن تنشأ في الجزائر شبكة سكك حديدية عبر العمالات الثلاث، و نص المرسوم أيضا على أنه يجب أن تكون خطوط السكة موازية للساحل وتصل بين الموانئ و المناطق الداخلية⁽⁴⁶⁾، كالخط الرابط بين الجزائر و قسنطينة مرورا بسطيف، والخط الرابط بين قسنطينة وسكيكدة الممتد على مسافة 87 كلم، و أشرف الماريشال راندون Randon على انطلاق الأشغال لإنجاز الخط الحديدي الرابط بين الجزائر و البلدية⁽⁴⁷⁾.

و الجدول التالي يبين تطور شبكة السكك الحديدية قيد الاستغلال

السنة	1875	1878	1881	1884	1887	1890	1893
طول السكك الحديدية (كلم)	513	679	1367	1707	2100	2810	2905

المصدر: جدول منجز حسب احصاءات الحوليات التالية:

Annaires statistiques de la France des années 1875, 1885, 1887-1889, 1890-1893.

أهمية الملاحة التجارية:

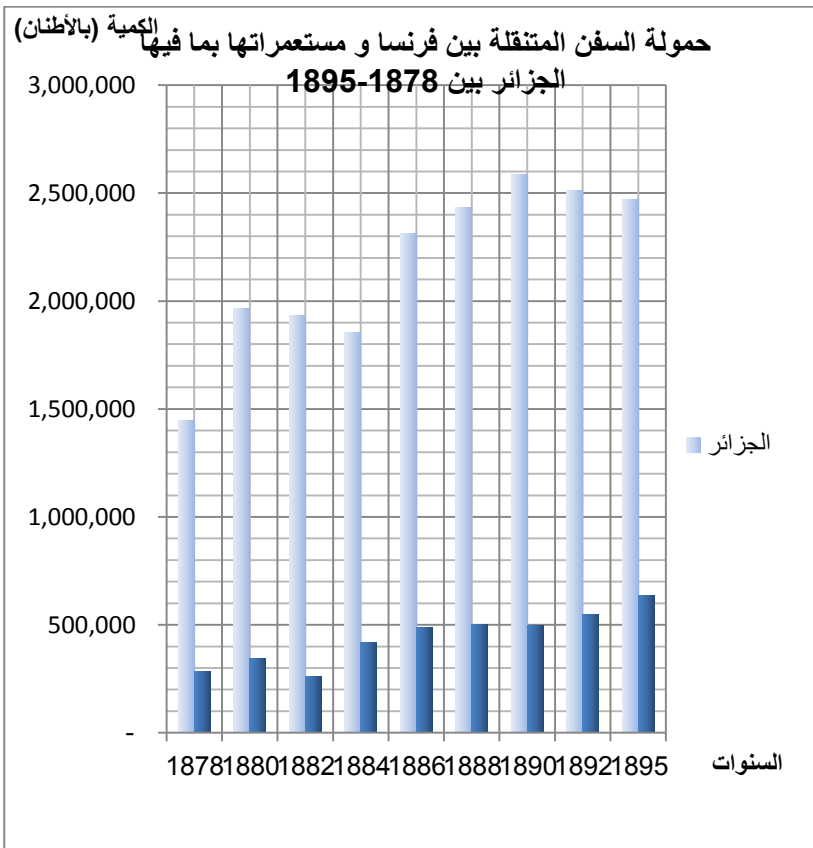
لقد كان من عوامل تطور التجارة الخارجية للجزائر لاسيما مع فرنسا، تحسن حركة الملاحة البحرية التجارية، حيث أن الأمر المؤرخ في 11 نوفمبر 1835 جعلها في صالح البحرية الفرنسية فقط، ثم سمح للبحرية التجارية غير الفرنسية بمزاولة النقل البحري بين الجزائر و فرنسا، وبموجب الأمر المؤرخ في 23 فيفري 1837، و هو الأمر الذي لم يستسغه الفرنسيون وبعد احتجاجهم عاد الاحتكار الملاحي لصالح البحرية الفرنسية بناء على الأمر الصادر بتاريخ 7 ديسمبر 1841، غير أن القانون 19 ماي 1866 سمح مجددا بالملاحة التجارية للسفن غير الفرنسية و هي عوامل ساعدت على توغل الاستعمار وتسارع الحركة الاستيطانية، كما عاود قانون 2 أبريل 1889 تكريس الاحتكار الملاحي لصالح البحرية الفرنسية.

و من هنا تتأكد أهمية النقل البحري في تطوير التجارة الخارجية بين الجزائر و فرنسا، فمثلا بلغ عدد السفن الداخلة والخارجة من موانئ الجزائر سنة 1852 ما يربو عن 2313 سفينة، و نقل عليها حمولة تقدر بـ 205819 طن. و الجدول التالي يبين تطور أعداد السفن الفرنسية و الأجنبية الداخلة و الخارجة من الموانئ الجزائرية (1882-1887).

1887	1886	1885	1884	1883	1882		
2231	2001	1822	1423	1629	1714	فرنسا	الدخول
2529	2961	2563	2156	3112	3755	الدول الأجنبية	
4760	4962	4385	3579	4741	5469	المجموع	
2036	1780	1800	1317	1467	1443	فرنسا	الخروج
2700	3167	2627	2229	3220	3977	الدول الأجنبية	
4736	4947	4427	3546	4696	5420	المجموع	

المصدر: جدول منجز على ضوء احصاءات: la Annuaire statistique de France 1885-1887 و statistiques générales de l'Algérie 1882-1884

و تتضح من الإحصاءات سيطرة البحرية التجارية الفرنسية و احتكارها لمعظم الملاحة التجارية مع الجزائر، و هذا ما يدل على سعي الإدارة الفرنسية إلى السيطرة على مقدرات الجزائر التي أثبتت أهميتها الاقتصادية بالمقارنة مع باقي المستعمرات الفرنسية، وهو ما يتأكد من خلال الشكل التالي يبين حمولة السفن التي تنقلت بين فرنسا و مستعمراتها بما فيها الجزائر في الفترة بين 1878-1895



الشكل البياني منجز على ضوء إحصاءات:

Ministère de l'agriculture et du commerce, Service de la statistique générale de France, Annuaire statistique de la France, 1895-1896, Imprimerie nationale, Paris, p 600.

خاتمة:

على ضوء العناصر الواردة في المقال، يمكننا أن نخلص إلى النتائج التالية:

- مثل الاستيطان الحجر الأساس لاستعمار الجزائر و استغلال ثرواتها.
- سعت الإدارة الاستعمارية لجعل اقتصاد الجزائر و ثروتها في خدمة الاقتصاد الفرنسي.

- لعبت التجارة الخارجية دورا هاما في تحويل خيرات الجزائر لصالح الرأسمالية الفرنسية، حيث تم توظيف النظام الجمركي وتطويره لهذه الغاية.

- مارست الإدارة الاستعمارية سياسة ازدواجية، حيث دعمت القطاع الاقتصادي الأوربي الذي كان إنتاجه موجهها بشكل كبير نحو الأسواق الخارجية و خصوصا الفرنسية، في حين عمدت إلى تدهور القطاع الاقتصادي التقليدي الجزائري الذي رغم مشاركته في الصادرات و التي تعد معتبرة لكنها خضعت لانتهازية التجار الفرنسيين.

- يتضح تغلب المنتجات الزراعية و المواد الأولية في بنية الصادرات في حين مثلت المنتجات المصنعة أغلب الواردات، وهو ما يؤكد أن الإدارة الاستعمارية عمدت إبقاء الجزائر بطابع زراعي عدم تصنيعها حتى لا تنافس الصناعة الفرنسية.

- على اعتبار أن النقل هو عصب الاقتصاد، و لتحفيز حركة المبادلات التجارية للجزائر لاسيما مع فرنسا فقد سعت الإدارة الاستعمارية إلى تطوير المواصلات البرية و البحرية.

-تنوع ثروات الجزائر و قربها الجغرافي من فرنسا، جعلها تحت أهمية كبرى بين المستعمرات الفرنسية و كما أصبحت فرنسا أهم شريك تجاري للجزائر بما يؤكد النظرة الاستغلالية لها.

الهوامش:

- (1) جيلالي صاري، تجريد الفلاحين من أراضيهم 1830-1962، تر: قندوز عباد فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2010، ص 15.
- (2) عدة بن داهاة، الاستيطان و الصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، ج 1، طبعة خاصة بوزارة المجاهدين، الجزائر، 2008، ص 305.
- (3) صالح عباد، الجزائر بين فرنسا و المستوطنين 1830-1930، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دت، ص 15.
- (4) عدة بن داهاة، المرجع السابق، ص ص 46-47.
- (5) نفس المرجع، ص 48.
- (6) صالح عباد، المرجع السابق، ص 15.
- (7) حياة فنون، "الاستيطان الفرنسي و مصادرة أراضي الجزائريين خلال القرن التاسع عشر"، مجلة المصادر، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، العدد 24، الجزائر، السداسي الثاني 2011، ص 19.
- (8) جيلالي صاري، المرجع السابق، ص 26.
- (9) عبد الملك خلف التميمي، أضواء على المغرب العربي: رؤية عربية مشرقية، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2011، ص 21.
- (10) المرجع نفسه، ص 19.
- (11) حياة فنون، المرجع السابق، ص 19.
- (12) أضواء، المرجع السابق، ص 20.
- (13) المرجع نفسه، ص ص 22-23.
- (14) صالح عباد، المرجع السابق، ص 35.

- (15) حياة فنون، المرجع السابق، ص ص 21-22.
- (16) جيلالي صاري، المرجع السابق، ص 57.
- (17) أبو القاسم سعد الله، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج 2، ط 3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005، ص 108.
- (18) ناصر الدين سعيدوني، منطلقات و آفاق، ط 2، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009، ص 29.
- (19) المرجع نفسه، ص 30.
- (20) نادية زروق، سياسة الجمهورية الفرنسية الثالثة في الجزائر 1870-1900، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2014، ص 137.

Annuaire de l'économie politique et de la statistique , (21)

Guillaumin ET C. Editeurs, Paris, 1890, P. 646.

Gouvernement général civil de l'Algérie, statistiques (22)
générales de l'Algérie 1882-1884, impr. de l'association
ouvrière, P. Fontana & C^e Alger, P. 210

Ibid. (23)

Annuaire de (24)

l'économie politique 1890,op-cit, P. 646.

Exposé de la situation de l'Algérie par M. le (25)

Gouverneur général, Mustapha Vve Giralt imprimeur du
gouvernement général, 1901, P. 387.

Sans auteur, enquête sur le commerce et la (26)

navigation de l'Algérie, typographie Bastide, Alger, 1863,
P 19.

. Ibid (27)

- (28) عبد الرحمان رزاقى، تجارة الجزائر الخارجية (صادرات الجزائر فيما بين الحربين العالميتين)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص 30.
- (29) المرجع نفسه.
- (30) المرجع نفسه، ص ص 29-30.
- (31) المرجع نفسه.
- (32) عبد اللطيف بن أشنهو، تكون التخلف في الجزائر محاولة لدراسة حدود التنمية الرأس مالية في الجزائر بين عامي 1830-1962، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 105.
- (33) Ministère de l'agriculture et du commerce, Service de la statistique générale de France, Annuaire statistique de la France 1875, Imprimerie nationale, Paris, P. 646
- (34) exposé de la situation générale de l'Algérie 1901, op-cit, P. 210
- (35) عبد الرحمان رزاقى، المرجع السابق، ص 30.
- (36) Ministère de l'agriculture et du commerce, Service de la statistique générale de France, Annuaire statistique de la France, 1895-1896, Imprimerie nationale, Paris,, PP. 432-433.
- (37) Ibid
- (38) عبد اللطيف بن أشنهو، المرجع السابق، ص 129.
- (39) Enquête de commerce et de navigation 1863, op-cit, P. 22
- (40) شارل رويبر أجرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ج 2، تر: محمد حمداوي و ابراهيم صحراوي، دار الأمة للطباعة والنشر و التوزيع، الجزائر، 2013، ص 178.

(41) جون كينيث جالبريت، تاريخ الفكر الاقتصادي: الماضي صورة الحاضر، تر: أحمد فؤاد بليغ، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للفنون و الثقافة و الآداب، العدد 261، الكويت، سبتمبر 2000، ص 59.

(42) Ministère de l'agriculture et du commerce, Service de la statistique générale de France, Annuaire statistique de la France, 1892-1893-1894, Imprimerie nationale, Paris, PP. 316-317

(43)

Gouvernement général civil de l'Algérie, état actuel de Cie, Alger, l'Algérie, Imprimerie administrative Gojosso et 1877, PP. 138-141

(44) عبد اللطيف بن أشنهو، المرجع السابق، ص 104.

(45) المرجع نفسه، ص 105.

(46) Gouvernement général de l'Algérie, état actuel de l'Algérie 1862, Imprimerie impériale, Paris, ,P. 67

Ibid. (47)

(48) عبد الرحمان رزافي، المرجع السابق، ص ص 16-17.

مكتبات ولكنها خاصة جداً .. !!

د . يسري عبد الغني عبد الله

باحث وخبير في التراث الثقافي - مصر

الملخص:

هذه النوعية من المكتبات أنشأها العلماء والأدباء وأهل الفكر لاستعمالهم الخاص ، وهذا النوع من المكتبات كان كثيراً جداً ، بل يمكن القول أنه كان واسع الانتشار في أرجاء المعمورة الإسلامية .

وفي الواقع أنه كان من العسير أن نجد عالماً أو أديباً أو مفكراً أو رجلاً يشتغل بالتأليف والإبداع والتحقيق دون أن يكون له مكتبة خاصة به ، يرجع إليها في دراساته واطلاعاته وكتاباته ، وبالطبع كانت هذه المكتبات عزيزة على قلب صاحبها ، يضحى بالغالي والنفيس من أجلها .

وفي هذه السطور سنقوم معاً باختيار عدد قليل من هذه النوعية من المكتبات ، التي نتحدث عنها من منطلق كونها مكتبات الخاصة كان لها دوراً تعليمياً واضحاً ، ثم آلت إلى أن تكون مكتبات عامة مفتوحة الأبواب للباحثين والدارسين والقراء دون قيد أو شرط .

وفي رأينا المتواضع أن المكتبة التي تفيد الناس وتفتح أبوابها لهم في كل وقت ، دون شروط أو قيود ، هي المكتبة الجديرة بالكلام والحديث ، فعندما تجلس الكتب عن الناس ، وفي مقدور صاحبها أن يفيدهم بما فذلك فعل مشين لا يليق بمحب الكتب ، العارف بدورها في التحضر والثقافة .

في هذا البحث نتحول في مجموعة من المكتبات الخاصة ، مكتبة الفتح بن خاقان ، مكتبة حنين بن إسحاق ، مكتبة ابن الخشاب البغدادي وقضية سرقة الكتب ، مكتبة الموفق بن المطران ، مكتبة القفطي التي اتخذها بديلاً عن الزواج ، مكتبة ابن فاتك وغيره الزوجة من الكتب ، مكتبة إفرايم الرقان وهل اشتراها الأفضل

بن بدر الجمالي الذي أغلق دار الحكمة الفاطمية ، مكتبة العماد الأصفهاني التي كونها بالمجان فلعلنا نوفق ..

ABSTRACT

This quality of libraries established by scientists, writers and intellectuals for their own use, and this kind of libraries was very much, but we can say that it was widespread throughout the Islamic world.

In fact, it was difficult to find a scientist or a man of letters or a thinker or a man runs authorship, creativity and investigation without having its own library, due to in his studies and writings, and of course these libraries dear to the heart of the person, sacrifice precious for her.

In these lines we will together choose a few of these types of libraries, we're talking about in terms of being a private libraries have had a clear educational role, and then led to public libraries should be open doors for researchers, scholars and readers unconditionally.

In our humble opinion that the library that benefit people and open their doors to them all the time, without conditions or restrictions, is worthy to speak and modern library, when trapping books about people, and affordable owner that benefits them out it is a shameful act which is not befitting love books, known role in urbanization and culture.

In this research, we travel in a group of private libraries, Conquest Ben Hakan library, nostalgia ibn Ishaq library, the son of Al Khashab al-Baghdadi, a library and a case of theft of books, library conciliator Ben Bishop, Alagafiti Library has taken a substitute for marriages, son die and jealous wife of library books, library Ephraim Alozkan Is bought best bin Badr al-Jamali, who closed the Dar al-Hikma Fatimid, Gen. Isfahani library that being free of charge Let us reconcile ..

توطئة :

هذه النوعية من المكتبات أنشأها العلماء والأدباء وأهل الفكر لاستعمالهم الخاص ، وهذا النوع من المكتبات كان كثيراً جداً ، بل يمكن القول أنه كان واسع الانتشار في أرجاء المعمورة الإسلامية .

وفي الواقع أنه كان من العسير أن نجد عالماً أو أديباً أو مفكراً أو رجلاً يشتغل بالتأليف والإبداع والتحقيق دون أن يكون له مكتبة خاصة به ، يرجع إليها في دراساته واطلاعاته وكتاباته ، وبالطبع كانت هذه المكتبات عزيزة على قلب صاحبها ، يضحى بالغالي والنفيس من أجلها .

وفي هذه السطور سنقوم معاً باختيار عدد قليل من هذه النوعية من المكتبات ، التي نتحدث عنها من منطلق كونها مكتبات الخاصة كان لها دوراً تعليمياً واضحاً ، ثم آلت إلى أن تكون مكتبات عامة مفتوحة الأبواب للباحثين والدارسين والقراء دون قيد أو شرط .

وفي رأينا المتواضع أن المكتبة التي تفيدها الناس وتفتح أبوابها لهم في كل وقت ، دون شروط أو قيود ، هي المكتبة الجديرة بالكلام والحديث ، فعندما تجلس الكتب عن الناس ، وفي مقدور صاحبها أن يفيدهم بما فذلك فعل مشين لا يليق بمحب الكتب ، العارف بدورها في التحضر والثقافة .

مكتبة الفتح بن خاقان :

الفتح بن خاقان هو وزير المتوكل على الله الخليفة العباسي ، وقد قتل معه في مدينة سامراء (سُر من رأى) سنة 247 هـ ، وكان الفتح رجلاً محباً للعلم والعلماء ، واسع الاطلاع ، عالماً ، مولعاً بالقراءة والبحث ، حتى قيل : إنه كان يحضر مجالسة المتوكل العباسي ، فإذا أراد أن يقوم للوضوء أخرج كتاباً فلا يزال

يطالعه في ممره وعوده للمتوضأ ، فإذا وصل إلى الحضرة الخليفة (مجلس الخليفة) أعاده حيث كان . (1)

ومن الطبيعي جداً أن يكون لهذا الرجل المثقف مكتبة ضخمة ثرية ، فهو رجل حباه الله بالمال الوفير ، والرغبة الحميمة في الاطلاع والمعرفة ، وقد عهد الفتح بمهمة تكوين هذه المكتبة إلى رجل من خيرة رجال العصر علماً وفكراً وأدباً ، ألا وهو / علي بن يحيى بن أبي المنصور المنجم (الفلكي) .

وكما يقول ابن النديم في كتابه (الفهرست) فإن المنجم اتصل بالفتح بن خاقان ، وعمل له خزانة حكمة (أي مكتبة) ، نقل إليها من مكتبته ، ومما استكتبه الفتح ، أكثر مما اشتملت عليه خزانة حكمة قط . (2)

أما الكتب التي استكتبها الوزير / الفتح بن خاقان فقد كانت من الكثرة بمكان ، كتبها اعظم رجال الفكر والأدب في ذلك الوقت ، وفي مقدمتهم شيخنا الموسوعي / الجاحظ ، فيقال : إنه ألف للفتح كتاب : (التاج في أخلاق الملوك) المنسوب للجاحظ ، وكتاب : (مناقب الأتراك وعمامة جند الخلافة) ، كما ألف له محمد بن الحارث التغلبي ، ومحمد بن حبيب كتباً قيمة أخرى ، ضاعت أصولها فلم تصل إلى أيدينا .

وقد حق لابن النديم ، أن يصف هذه الخزانة بأنها لم يُر أعظم منها

كثرة وحسناً . (3)

مكتبة حنين بن إسحاق :

يحدثنا ابن أبي أصيبعة في كتابه الشهير (عيون الأنباء) عن حنين بن إسحاق ، فنعرف أنه كان من أبرز الأطباء والمترجمين في عهد الخليفة / المأمون العباسي (الفتى الذهبي للحضارة الإسلامية) ، وكان أعلم أهل زمانه باللغة اليونانية والسريانية والفارسية ، إلى حد كبير لم يصل إليه أحد من النقلة الذين كانوا على أيامه ، مع براعة فائقة لا توصف في اللغة العربية ، ومداومة لا تنقطع في الاشتغال بالعلم والترجمة ، حتى صار من جملة المتميزين فيها ، وظل يشغل بالعلم والعلوم حتى وفاته سنة 264 هـ (4)

ويصفه القفطي صاحب (أخبار الحكماء) بأنه كان فصيحاً ، لسناً ، بارعاً ، شاعراً ، وكان شيخه في اللغة العربية / الخليل بن أحمد الفراهيدي ، صاحب معجم (العين) ، وواضع علم العروض (موسيقا الشعر) ، وقد نقل حنين بن إسحاق كتباً عديدة إلى اللغة العربية ، وكل جل اهتمامه كان ينصب على كتب الحكمة والطب . (5)

ولعل ذلك ما جعل مكتبة العالم المترجم / حنين بن إسحاق الخاصة الضخمة ، تتميز بثروة وفيرة جداً من كتب الطب بجمع ألوانه وأنواعه وأشكاله ، وبعدد غزير من المؤلفات المكتوبة باللغات الأربع التي كان يجيدها قراءة وكتابة ونقصد بها : اليونانية ، والسريانية ، والفارسية والعربية .

وكان حنين بن إسحاق من هواة الكتب ، يجمعها ، ويقراً فيها بعمق وتمعن وتمحيص ، ويقال أنه سافر إلى أقصى بلاد الروم لطلب الكتب .

وقد عد ابن النديم في (الفهرست) جملة كبيرة جداً من الكتب ، ذكر أنها مؤلفات حنين بن إسحاق . (6)

وهذه الكتب التي عدها ابن النديم لحنين بن إسحاق يمكن أن تشكل وحدها مكتبة ضخمة عظيمة الشأن ، فما بالنا إذا أضيفت لها المراجع والمصادر التي اعتمد عليها حنين بن إسحاق في تأليف كتبه !!

مكتبة ابن الخشاب البغدادي :

يحدثنا ياقوت الحموي في كتابه (معجم الأديباء) عن ابن الخشاب المتوفى سنة 567 هـ ، فنعرف أنه عبد الله بن أحمد الخشاب البغدادي ، كان أدرى الناس بكلام العرب ، وأعرفهم بعلوم شتى من النحو واللغة والتفسير والنسب ، كما أن له مؤلفات غزيرة ، وكتب مفيدة بما فكر جيد . (7)

وكان ابن الخشاب إذا كتب كتاباً يشتري بالمئين ، ويتنافس عليه المتنافسون من أهل العلم ، ولعل ذلك أكبر دليل على مدى شهرته ، وثقة الناس في علمه .

كان ابن الخشاب ثقة في رواية الحديث النبوي الشريف ، صدوقاً نبيلاً في حخته وكلامه ، إلا أنه . والعهد على ياقوت الحموي . لم يكن في أخلاقه كذلك ، والسبب أنه جمع كتباً كثيرة جداً ، ولكنه لم يتحرى الطريق القويم السوي في جمعها ، فقد امتلك حب الكتب عليه نفسه (أقطار نفسه) ، وشغف بها وبجمعها شغفاً كبيراً لا حدود له .

ثم كان في الوقت نفسه بخيلاً لا يحب أن يدفع الكثير من المال ثمناً لها ، وعلى هذا تنكب سواء السبيل ، فكان يمتال لجمعها ، فإذا استعار من أحد كتاباً وطالبه به ، قال : دخل بيت الكتب فلا أقدر عليه (أي لا أقدر على العثور عليه) .. !!

وإذا حضر سوق الكتب شراء كتاب غافل الناس ، وقطع منه ورقة ، وقال بصوت مسموع : إنه مقطوع ، لينصرف المشترون عنه ، فيأخذه بثمان بخس !!

إلا أنه في خاتمة حياته أوقف كتبه على أهل العلم ، فجزاه الله خيراً ، وغفر له ولنا .

محاولة للتوضيح :

إن كلام ياقوت الحموي عن ابن الخشاب البغدادي يمكن لنا أن نحلله فنخرج بعدة أمور نراها على درجة كبيرة من الأهمية :

الأمر الأول : يعتبر ياقوت ابن الخشاب البغدادي رجل حاد عن جادة الصواب أو عن الطريق السوي ، لأنه جمع العديد من الكتب التي شغف بها أو تملك أقطار نفسه ، وجمع الكتب وحبها ، والحرص على امتلاكها وعدم التفريط فيها تحت أي ظرف من الظروف ، أمر حضاري رائع ، ولكن بشرط أن نلتزم في ذلك بالأخلاق والقيم التي تمليها علينا مبادئ العلم وأخلاقياته .

فلا يصح بأي حال من الأحوال ألا ندفع ثمن الكتب التي اشتريناها أو حصلنا عليها ، ولا نبخس الناس أشياءهم ، ولا يصح أن نعطيهم أقل من

حقهم المقرر أو المتفق عليه ، كما لا يصح أن نختال عليهم من أجل الوصول إلى أخذ ما نريد ، فكل هذا لا يليق بأهل العلم ومحبيه .

ومن الجدير بمحبي الكتب والقراءة والعلم أن يكونوا في طليعة العارفين بآداب البيع والشراء ، وأن يكونوا أكثر الناس تحلياً بالأدب الرفيع والسلوك القويم .

الأمر الثاني: نعرف من كلام ياقوت أن ابن الخشاب كان لا يعرف آداب الاستعارة وأخلاقها ، فكان إذا استعار من أحد كتاباً وطلبه منه ، قال : إن الكتاب دخل بيت الكتب فلا أقدر عليه !! ، وهذا لا يصح من رجل أحب العلم ، وحرص على الكتب ، وغني عن البيان أن أديبات استعارة الكتب من الأمور المهمة التي أعطتها الحضارة العربية الإسلامية كل الاهتمام ، وتكلم فيها العديد من العلماء والمفكرين ، وقد كتبنا عدة مقالات في هذا الموضوع ، نشرنا بعضها في مجلة (أحوال المعرفة) التي تصدر عن مكتبة الملك عبد العزيز العامة ، وفي غيرها من المجالات التي تهتم بالمكتبات والمعلومات .

ولعل موقف ابن الخشاب يذكرنا بهؤلاء الذين يتظرفون أو يستظرفون فيقولون : إن السرقة حرام إلا في الكتب فهي حلال !! ، ونقول لهم : إن السرقة هي السرقة ، ومن الأولى بنا أن نكون أمناء في تعاملاتنا مع العلم والكتب ، وهذا ما تعلمناه من الحضارة العربية الإسلامية على مدى تاريخها الطويل .

الأمر الثالث: يدخل البعض إلى المكتبات العامة ، ويكون في حاجة إلى باب أو فصل من كتاب ، أو لوحة أو شكل توضيحي ، فيغافل المشرفين على المكتبة ، ويقوم بنزع ما يريد ، ويفاجأ المشرفون على المكتبة أثناء مراجعتهم لهذه الكتب أو إذا إطلع عليها قارئ آخر ، بهذا السلوك المشين ، والكتاب مثل الكائن الحي ، فكيف تسول لنا أنفسنا ببيت جزء من هذا الكائن ؟ !

ومهما كانت المبررات التي يسوقها هؤلاء كتوفير الوقت أو الجهد ، أو أن الكتاب في المكتبة ملك عام ، فإن هذه تراها فارغة يجب أن يتنزه عنها كل محب أو متعامل مع الكتب .

أقول هذا ونحن نستمع إلى ياقوت الحموي الذي يحدثنا عن ابن الخشاب البغدادي الذي كان يحضر أسواق بيع وشراء الكتب ، وسرعان ما يغافل الناس في السوق ويقطع من الكتاب الذي يريده ورقة ، ويقول بصوت يسمعه الناس : إنه مقطوع ! ، وبالتالي ينصرف عنه الناس ، فيأخذ ابن الخشاب بثمن بخس .

وبالطبع نلح هنا على أن هذا لا يليق ولا يصح من أهل العلم ، ولا يصح من باب أولى من رجل كان من علماء اللغة العربية ، والحديث النبوي المطهر .

ويبدو أن (ياقوت) تعرض لموقف معين مع ابن الخشاب ، فيقول كان يعمل معظم حياته بالنسخ وبيع وشراء الكتب ، أي أنه كان (كاتباً) محنكاً ، أضف إلى ذلك كونه مؤلفاً موسوعياً بارعاً ، ولا يعرف الأمور التي كان يفعلها ابن الخشاب إلا (كاتب) ضليع مثل شيخنا / ياقوت الحموي .

الذي يهمننا هنا رغم عدم إقرارنا أو رضانا عن تصرفات ابن الخشاب البغدادي بأي شكل من الأشكال ، فإن الرجل أوقف في نهاية حياته مكتبته العامرة بما لذ وطاب من المصنفات والمؤلفات على أهل العلم ، أي حولها من مكتبة خاصة جداً إلى مكتبة عامة ، فلعل هذا السلوك الحضاري الراقي منه ، والذي يهدف إلى خدمة أهل العلم وطلابه ، لعل هذا السلوك يغفر له سيئاته مع الكتب وأصحابها .

مكتبة الموفق بن المطران :

في الجزء الثاني من كتابه (عيون الأنبياء) يحدثنا ابن أبي أصيبعة عن : الموفق بن مطران المتوفى سنة 587 هـ ، فنعرف أنه : موفق بن المطران الدمشقي ، عرفه الناس بمجدة ذهنه ، وفصاحة لسانه ، وكثرة اشتغاله بالعلم .

(8)

ولابن المطران تصانيف كثيرة تدل على فضله ونبله في صناعة الطب ، فقد خدم بطبه وعلمه الملك الناصر / صلاح الدين الأيوبي ، وحظي في أيامه بالمقام الرفيع ، كما كان رفيع المنزلة عند صلاح الدين ، عظيم الجاه . وكانت له همة عالية في تحصيل الكتب وجمعها ، حتى أنه مات وفي خزانة كتبه من الكتب الطبية وغيرها ما يناهز عشرة آلاف مجلد ، هذا بالإضافة إلى ما استنسخه .

وكان الموفق بن المطران صاحب عناية فائقة بالغة في استنساخ الكتب وتحريرها ، وكان في خدمته ثلاثة نساخ يكتبون له أبداً (بصفة دائمة) ، يعطيهم المرتبات ، ويقدم لهم الطعام والشراب والمأوى .

وكتب ابن المطران بخط يده كتباً عديدة ، وقد اطلع عليها ابن أبي أصيبعة أو اطلع على عدد منها ، وقال أنها كانت في نهاية حسن الخط ، والحجة ، والإعراب .

وعرف عن ابن المطران كثرة المطالعة للكتب ، فهو لا يفتر من ذلك في أكثر أوقاته ، بل أن كل أوقات فراغه من العمل يقضيها في القراءة والاطلاع . كما أن معظم الكتب التي كانت في مكتبته صححها بنفسه ، وأتقن تحريرها ، وعليها خطه بذلك ، كما أنه كان يضيف عليها بعض التعليقات أو الحواشي المفيدة .

وعرف عنه كرم النفس ، ولطالما وهب لتلامذته الكتب المفيدة المهمة تشجيعاً لهم على العلم والمعرفة والتحصيل .

كما كان عنده أولوف من المجلدات الصغيرة (كتيبات) فكان أبداً لا يفارق في كمه مجلداً يطالعه على باب دار السلطان أو أين توجه ، ولعل هذا يذكرنا بالوزير العباسي / الفتح بن خاقان الذي كان يضع هو الآخر في كمه كتباً لا يزال يطالعه في ممره وعوده للمتوضأ ، فإذا وصل إلى مجلس الخليفة أعاد الكتيب إلى كمه حيث كان .

ابن المطران رجل عالم فاضل ، احترم الكتاب فأجله التاريخ ، ما أحرانا أن نقتدي بابن المطران وبمثله !! ، فالأمم التي تحترم العلم والكتب ، أمم يحترمها التاريخ ، ويسجل دورها الثقافي والعلمي بأحرف من نور .

ولنقارن بين الطبيب العالم الموفق بن المطران المتوفى سنة 587 هـ ، وعبد الله ابن أحمد الخشاب البغدادي المتوفى سنة 567 هـ ، نلاحظ أن ابن الخشاب الذي سبق وأن تكلمنا عن مكتبته الخاصة مصاب بما يسمى في علم النفس الحديث بمرض (البليوماتيا) أي الهوس بجمع الكتب ، ومن الممكن القول بأنه مصاباً أيضاً بما يسمى مرض (البليوكليتيا) أي مرض سرقة الكتب ، وتلك محاولة للاجتهاد من جانبنا ، والله أعلم بالعباد .

أما الموفق بن المطران فقد كان الرجل يفهم معنى الكتاب ، ومعنى الكتب ، وكيفية احترامها ، وآداب التعامل معها .

مكتبة القفطي :

ندخل الآن إلى مكتبة جمال الدين القفطي الخاصة ، والقفطي هو الوزير القاضي / جمال الدين أبو الحسن ، المولود في صعيد مصر ، في مدينة قفط حيث نسب إليها ، والمقيم بجلب السورية ، والذي أجاد علوم اللغة العربية وبخاصة اللغة والنحو ، كما كان بارعاً في علوم القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، وعلوم الأصول ، والمنطق ، والفلك ، والهندسة ، والتاريخ .

كانت وفاته سنة 646 هـ = 1248 م ، وهو من علماء القرن السابع الهجري ، وصاحب كتاب (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) ، والذي طبع لأول مرة في مدينة (ليبيك) سنة 1320 هـ .

جمع جمال الدين القفطي من الكتب ما لا يوصف ، وجاءت له من الآفاق طمعاً في كرمه وسخائه ، وكان لا يجب من دنياه سوى الكتب ، فأوقف عليها نفسه ، ورفض أن يتزوج حتى لا يشغله الأهل والأولاد عنها .

والقفطي لم يتزوج مثله في ذلك مثل : الزمخشري ، والطبري ، وأبو حيان التوحيدي ، وأبو العلاء المعري ، وعباس محمود العقاد ... وغيرهم ..

وقد علل القفطي عدم زواجه بكي لا يحول ذلك بينه وبين التصنيف والقراءة والعلم ، وإن كان ذلك يخالف سنة الحياة وطبيعتها وفي نفس الوقت تعاليم الإسلام التي كان يعيها القفطي وغيره ، والله تعالى أعلم وأدرى بالأحوال والسرائر .

على كل حال فقد أوصى جمال الدين القفطي في نهاية حياته بمكتبته كاملة للملك الناصر صاحب حلب السورية ، فمن وجهة نظره الخاصة أنه الوحيد الذي يقدر قيمة العلم والكتب ... !!

ويقال أن مكتبة القفطي كانت تساوي في ذلك الوقت أكثر من خمسين ألف دينار !! ، وللقفطي حكايات ونوادير عديدة تؤكد لنا عشقه الشديد وحبه الكبير للكتب التي جعلها خير رفيق ، وفضلها على الزوجة والأولاد .

قول على قول :

إن إهداء العالم اللغوي / جمال الدين القفطي مكتبته كاملة لحاكم حلب السورية ، أو أنه أوقفها عليه ، يذكرنا بقصة وردت عن عبد القادر البغدادي زعيم اللغويين في القرن العاشر الهجري ، وصاحب خزانة الأدب ، هذه القصة موجزها : إن الشهاب الخفاجي المتوفى سنة 1069 هـ ، وأستاذ عبد القادر البغدادي أوصى بامتلاك تلميذه عبد القادر لمكتبته بعد وفاته (9) وكان للشهاب الخفاجي خزانة كتب حافلة بأعظم ما ادخره علماء القرون المتأخرة لما احتوت عليه من نفائس دواوين العرب ، ومجاميع الشعر العربي الأصيل ، وتعليقات أئمة اللغة العربية عليها ، فلما انتقل الشهاب الخفاجي إلى رحاب ربه راضياً مرضياً ، تملك البغدادي هذه المكتبة العامرة ، وضم عليها على مر الأيام كتباً أخرى عظيمة ، وإذا اطلع القارئ على خزانة الأدب للبغدادي سيرى من أسماء المؤلفات التي وقف البغدادي عليها ما يقضي بالعجب العجائب !! .

في زمن الحب الحقيقي للعلم والمعرفة ، في زمن نقي تقني لا يعرف المادية الزائلة الزائفة ، لا يعرف الأحقاد والضغائن ، لا يعرف تردي القيم

الإنسانية النبيلة ، في زمن عرف حقاً وصدقاً معنى الأستاذية ومعنى طلب العلم ، كان الأستاذ إذا توسم في تلميذه الخير المرتضى ، والموهبة والكفاءة التي قد تأتي ثمارها فتنفع الناس ، كان الأستاذ لا يتردد في أن يهدي تلميذه ثروته كلها ، وثروة العالم الحقيقية ليست في الأموال التي يودعها المصارف ، إنما في مكتبته التي هي رأسماله الحقيقي ، التي يستفيد منها في مشروعاته العلمية ، لأنها خير زاد حقيقي ، وهذا ما فعله الشيخ / الشهاب الخفاجي مع تلميذه النجيب / عبد القادر البغدادي .

وفي زماننا هذا نسمع ونقرأ عن أمور يندى له جبين المرء ، أمور لا تمت بأي صلة إلى قيم وأخلاقيات ومبادئ العلم والمعرفة ، فنسمع عن ابن العالم (فلان) ، وشقيق العلامة (علان) ، وابنة المفكر (س) ، وزوجة الباحث أو الأديب (ص) وقد باعوا مكتبته لثري من المكان الفلاني ، أو لغني من المكان العلاني ، أو لتاجر للكتب من أجل مبالغ زائلة فانية من المال .

وقد يكون بعضهم صاحب عقل متفتح وقناعة ، فيهدي كتبهم للدولة ، وهذا شيء جميل طيب محمود ، بشرط أن يضمن الاستفادة الناس بها ، واستفادة أهل العلم ومحبي الفكر والثقافة منها استفادة حقيقية ، أما أن تسلم للدولة فتسرق وتتهب وتبدد وتباع كما رأينا وشاهدنا بعيوننا في بعض الدول العربية ، فذلك أمر مشين مرفوض ، لا تجب أي حجج حتى لو قيل أن الفقر وسوء الأحوال الاقتصادية هو السبب !! .

مكتبة ابن فاتك :

ابن فاتك توفي في نهاية القرن الخامس الهجري ، وهو الأمير أبو الوفا المبشر بن فاتك ، من أعيان أمراء مصر ، وأفاضل علمائها ، أجاد في علوم الهيئة ، والعلوم الرياضية والفلسفية ، كما أنه مارس واشتغل بالطب ، ولازم الطبيب الشهير / علي بن رضوان ، وعرف عن المبشر حبه الشديد للكتب ، وغزارة كتاباته وتصانيفه . (10)

ويحكى لنا ابن أبي أصيبعة أنه وجد في مكتبة المبشر بن فاتك العديد من تصانيف المتقدمين بخط يده ، وكان المبشر قد اقتنى كتباً كثيرة جداً على مر الأيام ، وبعضها قد تغير لونه ، أو لون أوراقه ، بسبب غرق أصابه (أصاب الكتب) .

الغيرة من الكتب :

يحدثنا الشيخ / سيد الدين المنطقي عن سبب هذا الغرق (الكتبي) ، أن الأمير / المبشر بن فاتك كان محباً عاشقاً للقراءة والاطلاع والعلم ، وكان محباً لتحصيل العلوم والمعارف ، لا متعة له إلا في قراءة الكتب ، وفي خزانة كتبه أي في مكتبته العظيمة كان يقضي جل وقته ، يجلس فيها ولا يفارقها أبداً ، وكانت له زوجة فاضلة ، ولكن داخلها غيرة كبيرة من الكتب ومن المكتبة ، من المطالعة والكتابة التي لا ينفك عنها زوجها ، فلما توفي الأمير المبشر تخلصت هي وجواربها إلى خزائن كتبه ، وفي قلبها من الكتب لوعة لا حدود لها ، لأنه كان يشتغل بها أغلب وقته منصرفاً عنها ، فجعلت تندبه ، وفي أثناء ذلك ترمي الكتب في بركة ماء كبيرة وسط الدار هي وجواربها ، ثم أخرجت الكتب بعد ذلك من الماء ، وقد غرق أكثرها ، فهذا هو سبب تغير لون ورقها .

إذن شيخنا / ابن أبي أصيبعة رأى هذه الكتب وعرفها بعد وفاة الأمير المبشر ، أي بعد ما فعلته الزوجة بها .

ويبدو أن الزوجة أصيبت بحالة هستيرية بعد وفاة الزوج نجم عنها ما فعلته بالكتب ، وفاتها أن الفاضل حقاً من أحب الكتب واحترمها ، من احترم وجل ما يحبه الزوج ، والزوج كان يحب الكتب في حياته ، فلما لا تحترمها في مماته ؟ ! ، ويبدو أنها كانت تغير جداً من الكتب التي تأخذ زوجها منها في حياته ، ولكنها باستطاعتها أن تغرق كتب الزوج وهو حي يرزق ، فظلت تكبت هذه الرغبة المدمرة بداخلها إلى أن نفذتها على الفور بمجرد وفاة الزوج .

إن تاريخ الحضارة العربية الإسلامية يحفل بأسماء سيدات فضليات احترمن العلم والمعرفة ، وكتب التاريخ أسمائهن بحروف من نور جزاءً وفاقاً لما

قدم من فكر جاد نفع الإنسانية قاطبة ، ولكن ماذا نقول فلكل قاعدة استثناء . !!

مكتبة إفرائيم الزفان :

إفرائيم الزفان ، طبيب مصري مشهور ، كانت وفاته سنة 500 هـ ، خدم الخلفاء ، ونال منهم أعظم العطايا ، قرأ علوم الطب على الطبيب النابغة / أبي الحسن علي بن رضوان ، فكان من أفضل طلابه ، وكانت له الهمة العليا في تحصيل الكتب ، وفي استنساخها حتى كانت لديه العديد من خزائن الكتب التي تضم كتب الطب وغيرها من كتب المعارف والعلوم المختلفة . (11)

وينقل لنا ابن أبي أصيبعة في كتابه (عيون الأنباء) عن والده أن رجل من العراق كان قد أتى إلى الديار المصرية كي يشتري كتباً ويتوجه بها إلى العراق ، وأنه اجتمع مع الطبيب المصري / إفرائيم الزفان ، واتفق الحال فيما بينهما أن باعه إفرائيم من الكتب التي عنده عشرة آلاف مجلد .

ويقال إن ذلك كان على أيام الوزير الفاطمي / الأفضل بن بدر الجمال الذي يعرف بأمر الجيوش ، سمع الأفضل بهذه القصة فقرر ضرورة أن تبقى تلك الكتب في الديار المصرية ، ولا يمكن نقلها إلى موضع آخر ، فبعث إلى إفرائيم من عنده بجملة المال الذي كان قد اتفق عليه بين إفرائيم الزفان والتاجر العراقي ، ونقل الكتب إلى خزنة الأفضل ، وكتبت عليها ألقابه .

ويؤكد لنا ابن أبي أصيبعة أنه رأى كتباً كثيرة من هذه المجموعة ، وقد كتب عليها اسم إفرائيم ، وبجوارها ألقاب الوزير الأفضل الفاطمي .

وخلف إفرائيم من الكتب ما يزيد عن عشرين ألف مجلداً ، أي أنه ترك مكتبة ضخمة ، بذل الجهد الكبير في جمع كتبها ، وقد عرف عن الرجل حب الكتب واحترامها .

مجرد تساؤلات :

في عهد الأفضل بن بدر الجمالي تم إغلاق دار الحكمة التي أسسها الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي ، لتكون بمثابة مؤسسة أو أكاديمية علمية على

أعلى مستوى ، وليس مجرد مكتبة عامة يستفيد منها الناس ، محتزياً بذلك خطوات الخليفة العباسي / المأمون الذي أنشأ وطور بيت الحكمة ليكون بمثابة منارة علمية وفكرية جعلته بحق الفتى الذهبي للحضارة الإسلامية .

لم نقرأ عن أي إنجاز علمي أو أي اهتمام بالكتب والمكتبات من جانب الأفضل ، فكيف يسعى بكل ماله وجهده لوقف الصفقة التي تمت بين إفرائيم الطبيب المصري والتاجر العراقي ؟ !

ثم هل من اليسير جداً على رجل أحب العلم والمعرفة مثل إفرائيم الزفان ، الذي وصف بأنه صاحب همة عالية في تحصيل الكتب ، هل من السهل عليه في أن يفرط في عشرة آلاف مجلد كاملة ، وإذا عرفنا أن مكتبته كانت تضم حوالي عشرين ألف مجلد ، معنى ذلك أنه باع نصف مكتبته بالتمام والكمال !! ، فهل هذا من العقل والمنطق ؟

لقد تولى الأفضل بن بدر الجمالي الوزارة سنة 487 هـ ، أي بعد وفاة والده بدر الجمالي ، وتوفي مغتالاً سنة 515 هـ ، بينما توفي إفرائيم الزفان 500 هـ ، وعليه فإننا نشك في هذه القصة ، إلا إذا كان إفرائيم أراد أن يتخلص من مكتبته لضائقة مالية شديدة مرت به مثلاً ، أو لسوء الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية في تلك الفترة من تاريخ مصر ، أو أنه قرر أن يغادر البلاد لضغط سياسي أو عقائدي معين تعرض له .

كل ذلك من الجائز ، ولكن من المؤكد لنا أنه من الصعب على عالم جليل مثل إفرائيم أن يفرط بهذه السهولة المطلقة في مكتبته القيمة . !!

وقد يقول قائل إن الأفضل الجمالي اشترى هذه المجلدات من قبل الشهرة وحب الفخامة والعظمة والتباهي ، لذا وضع ألقابه عليها ، وهذا مؤكد دون شك إن كانت هذه الصفقة قد تمت بالفعل !! ؟ .

ولماذا نستبعد أصلاً استيلاء الأفضل الجمالي على مكتبة إفرائيم بطريقة أو بأخرى ، على كل حال فلنضع في الاعتبار إن أبي إصبيعة يحكي عن والده

هذه القصة ، وهو لم يشاهدها بنفسه ، ومن هنا يكون احتمال الشك فيها قائماً... والله تعالى أعلم .

مكتبة العماد الأصفهاني :

العماد الأصفهاني الذي نقصده هو صاحب كتاب (تاريخ آل سلجوق) ، والذي نشر لأول مرة سنة 1889م ، وصاحب كتاب (الفتح القسي في الفتح القدسي) ، والذي طبع في لندن (لندبرج) سنة 1888 م ، أي أنه غير ابن العماد عبد الحي بن أحمد بن محمد ، المعروف بابن العماد ، المؤرخ الكبير ، وصاحب كتاب (شذرات الذهب في أخبار من ذهب) ، والمتوفى في مكة المكرمة عام 1089 هـ .

عماد الدين الأصفهاني كان مولده في أصفهان سنة 519 هـ = 1125 م ، وينتمي إلى أسرة ولي كثير من أفرادها وظائف مهمة في الدولة السلجوقية ، وفي حكومة الخلافة العباسية ، درس الفقه والحديث على أساتذة المدرسة النظامية ببغداد ، كما برع في نظم الشعر وصناعة الكتابة ، وتقلب في بعض الوظائف في حكومة الخلافة العباسية ، ثم انتقل إلى دمشق السورية بعد اضطراب الأمور في بغداد ، فعمل مدرساً في المدرسة النورية ، فداع صيته ودخل في خدمة نور الدين زنكي ، ثم ابنه الصالح .

ولم يلبث أن دخل في خدمة صلاح الدين الأيوبي بإشارة من القاضي الفاضل سنة 570 هـ = 1175 م ، فلم ينقطع عن مصاحبة الناصر صلاح الدين حتى إذا مات 589 هـ = 1193 م ، اختلفت أحوال الأديب والكاتب والمؤرخ / عماد الدين الأصفهاني ، فلزم بيته ، وتفرغ للتأليف والتصنيف ، حتى وفاه أجله بدمشق سنة 597 هـ = 1200 م .

خص الكاتب / العماد الأصفهاني صلاح الدين بكتابين من مجموع مؤلفاته التي يبلغ عددها 11 كتاباً ، وهما كتاب (البرق الشامي) وكتاب (الفتح القسي) ، وأشهرهما كتاب (الفتح القسي) ، الذي استهله بوصف الاستعدادات لمعركة حطين التي دارت سنة 1187 م ، وانتهى فيه إلى وفاة

صلاح الدين ، وتقسيم دولته سنة 1193 م ، فتناول بذلك نفس الفترة التي تناولها المؤرخ / أبو شامة في كتابه (الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية) .

هذه المقدمة أردنا أن نؤكد بها على أن عماد الدين الأصفهاني كان من الأدباء والمؤرخين المشهود لهم بالمقدرة والكفاءة ، كما أنه كان من محبي الكتب وعشاقها ، ومن الساعين بكل الجهد إلى اقتنائها والاستفادة منها ، ها هو أبو شامة في كتابه (الروضتين) ينقل لنا عن العماد الأصفهاني فيقول: كان لبيع الكتب في القصر (مقر الحكم الأيوبي أيام عماد الدين الأصفهاني وأبي شامة ، ومقر حكم الفاطميين سابقاً) ، إثر سقوط الدولة الفاطمية ، كل أسبوع يومان ، وهي تباع بأرخص الأثمان ، وقد كانت في القصر مرتبة البيوت ، مقسمة الرفوف ، مفهسة ، فأراد دللوا الكتب أن يشتروها بثمن بخس ، فخذعوا بها الوزير / بهاء الدين قراقوش متولي القصر والمشرف على عملية بيع الكتب ، فأشاروا عليه بإخراج الكتب من الرفوف لتهويتها ونفضها مما يكون قد لحق بها من أتربة .

فاستجاب لهم ، وتسبب عن ذلك أن اختلطت الكتب واضطربت ، فأصبحت تجد كتب الطب مع كتب التفسير ، كما توزعت أجزاء المؤلف الواحد فلا تكاد تعثر عليها جميعاً .

وقد نتج عن هذا أن أصبحت الكتب تسام بالدون ، وتباع بالهوان ، والدلالون يجمعونها ويرتبوها في الخارج ، وبالطبع يحملونها بعد ذلك لبيعها بأغلى الأسعار !! (12)

وعندما رأى عماد الدين الأصفهاني الأمر هكذا ، حضر إلى مقر القصر ، حيث يبيع الكتب ، واشترى كما اشتروا ، فلما عرف السلطان (صلاح الدين الأيوبي) ما ابتاعه ، وكان بمغين (أو بمائتين) ، أنعم عليه بها ، وأبرأ ذمته من ثمنها ، ثم وهب له أيضاً من خزانة القصر ما اختار من كتبها . (13)

ويحكى عماد الدين الأصفهاني أيضاً : أنه دخل على صلاح الدين الأيوبي ذات يوم ، وبين يديه مجلدات كثيرة انتقيت له من مكتبة القصر ، وهو ينظر في بعضها ، ويسط يده لقبضها ، وكان العماد قد طلب كتباً عينها لأخذها من مكتبة القصر ، فقال صلاح الدين للعماد : وهل في هذه شيء منها ؟ ، فقال العماد : كلها !! ، فوهبها له كلها ، وأخرجها العماد من عند السلطان بحمال . (14)

وهكذا تكونت مكتبة عظيمة بالجمان للمؤرخ والأديب / عماد الدين الأصفهاني ، من هذه الهبات السخية جداً ، بالإضافة إلى ما كان عنده من كتب ووثائق خاصة به .

تأملات في الرواية الأصفهانية :

بقراءة كلام عماد الدين الأصفهاني الذي رواه المؤرخ / أبو شامة ، يتضح لنا عدة أمور نحب أن نقف أمامها :

1 . موقف صلاح الدين الأيوبي من الكتب والمكتبات ، موقف عجيب وغريب ، حيث باعها بأرخص الأثمان وأبخسها ، بل أنه يعطيها بالجمان ، وبأكبر كمية ممكنة لمن يعرفه ، وهذا ما فعله مع العماد الأصفهاني الذي خرج من حضرة صلاح الدين بكتب لا يقدر على حملها إلا حمال قوي خبير مدرب ، أما كان من الأوفق أن يتركها كما هي أو يزيد عليها كي تكون زاداً ثقافياً للقراء وأهل العلم ، يطلع عليها من أراد ؟ ، و ما المانع في أن يحولها إلى مكتبات عامة لصالح الناس وفائدتهم ؟ ! ، وهذا كان معروفاً ومتبعاً على أيامه بل قبل أيامه ، ولو فعل ذلك لأضيفت مكرمة إلى مكارمه ، وعرف بحق أنه محب للفكر والعلم مهما اختلف مع توجهه .

2 . لقد دخل العماد الأصفهاني على صلاح الدين وبين يديه مجلدات كثيرة انتقيت له من مكتبة القصر ، أي أنه كان يقرأ فيها ، وكان الأصفهاني قد طلب كتباً معينة له ، ويسأله صلاح الدين : هل في هذه الكتب شيء منها ؟ ، إذن قد يفهم القارئ من هذا الكلام أن صلاح الدين لا يعرف الكتب التي أمامه

بالتحديد ، ثم بسهولة شديدة وغريبة يعطيها كلها للأصفهاني دون أن يقرأ منها أي شيء !! .

3 . التاجر هو التاجر في أي زمان وأي مكان ، الذي يهمله في بيعه وشرائه أن يكسب فقط لا غير ، ويبدو أن تجار الكتب في مطلع الدولة الأيوبية كانوا لا يتسمون بالصدق والأمانة ، فرغم أن الكتب كانت تباع في مقر الحكم الأيوبي بثمان زهيد ، فهم يدبرون الحيلة ليخدعوا الوزير / بماء الدين قراقوش طالبين منه أن يأمر بخروج الكتب للتهوية ونفض التراب عنها ، والذي نعرفه كباحثين ودارسين في المكتبات العربية والإسلامية ، أن المكتبات كانت تلتزم في اختيار أماكنها بضرورة التهوية حرصًا على الكتب ، في نفس الوقت الذي كان فيه عدد كبير من العمال أو الفراشين المعينين في كل مكتبة وظيفتهم تنظيف الكتب من أي تراب قد يعلق بها .

المهم أن التجار أصحاب الذمم الخزية خدعوا قراقوش ذلك المهندس الذكي المتمكن من فن الإدارة والذي عرف عنه الحسم والحزم وبالذات عندما تولى الإشراف على بناء قلعة صلاح الدين الشهيرة ، كانت النتيجة اختلاط الكتب واضطرابها ، وتوزعها ، فنجم عن ذلك أن أصبحت الكتب تباع بأرخص الأسعار ، في الوقت الذي كان التجار يجمعونها ويرتبونها خارج القصر لبيعها بأعلى الأسعار ، وهم بالطبع في غاية السعادة بهذا الكسب المادي الذي لم يكن على بالهم أو خاطرهم ! .

4 . هكذا محب العلم في كل زمان وكل مكان ، فعماد الدين الأصفهاني بمجرد أن سمع ببيع الكتب سارع إلى القصر كي ينهل من هذه الثروة الغير منتظرة بالثمن الذي يشترى به التجار ، ولكن طاقة القدر فتحت له ، وحصل على مكتبة كاملة بالجان !!

5 . نخلص من كلام الأصفهاني أن الكتب في المكتبات الفاطمية كانت مرتبة تمام الترتيب ، مقسمة على الرفوف ، منسقة ، مبوبة ، مفهرسة ، وهذا أكبر دليل على اهتمام الفاطميين بالكتب والمكتبات ، ورعايتهم لها ، ومعرفتهم بفنون

الفهرسة ، والتصنيف ، والتقسيم ، والترتيب ، وكيفية تنسيق الكتب على أكمل وجه .

6 . إذا كان الحاكم بأمر اله الفاطمي شخصية غامضة وغريبة ، لم تتمكن الدراسات والأبحاث حتى الآن من إنصافها وفق منهج علمي سليم ، فإن دوره في خدمة العلم والكتب والمكتبات كان معروفًا وقد أشاد به من كتب عن عصره إشادة كبيرة ، ويكفي انه مؤسس دار الحكمة منارة حوار الحضارات وتعدد الثقافات .

7 . في الدولة الأيوبية شخصية يجب أن نعطيها حقها ألا وهي الوزير / بهاء الدين قراقوش الذي كتب عنه ابن ممتي كتابه الشهير (الفاشوش في حكم قراقوش) ، ونعرف من التاريخ أن قراقوش كان بارعًا في علم الهندسة والإدارة ، وكان هو الوزير المسئول عن بناء قلعة صلاح الدين الأيوبي ، يضرب بيد من حديد على يد هؤلاء الذين يهملون أو يستهترون أو ينفلتون أثناء أداء العمل ، أو يغشون في مواد البناء ، ويقال أنه كان عبقرية في التصميم والبناء ، ويبدو أن بعض المقاولين أصحاب الضمائر الميتة أو غير المتزمين الذين كان يوكل لهم العمل في بناء القلعة هم أول من أطلق الشائعات التي تتهم قراقوش بالظلم والاستبداد والقسوة والتعسف ، وحبكوا حوله الأساطير والشائعات ، بل أنه أضحى في التراث الشعبي ملكًا أو حاكمًا ظالمًا متجبرًا ، والحقيقة غير ذلك على الإطلاق ، فقد خدم الرجل الدولة الأيوبية بكل التفاني والإخلاص .

وبهاء الدين قراقوش لا نرى له أدنى علاقة بمسألة بيع وشراء الكتب فليس من المستبعد أن تنطلي عليه خدعة تجار الكتب عندما طلبوا منه أن يخرج الكتب كلها من الرفوف ، وهو في بيع الكتب ينفذ رغبة صلاح الدين وليست رغبته هو .

وختامًا نقول : إن العماد الأصفهاني الذي خدم من قبل نور الدين زنكي ، ثم رافق الناصر / صلاح الدين الأيوبي في جميع حملاته ، وكتب مؤلفًا مهمًا أرخ فيه لفتح بيت المقدس الشريف أسماه (الفتح القسي) ، يعد من أوثق ما

يصور هذا الفتح الكبير ، والعماد الأصفهاني يعد من الرجال الذين أخلصوا في خدمة صلاح الدين مثله في ذلك مثل قراقوش (معناها الغراب الأسود) ، والأديب الكاتب / القاضي الفاضل ، والشاعر الرحالة السياسي / أسامه بن منقذ .

والله ولي التوفيق ،،،

الأسانيد والهوامش

1. ابن طباطبا العلوي ، الفخري ، القاهرة ، 1923 ، ص 3
2. ابن النديم ، الفهرست ، القاهرة ، 1348 هـ ، ص 205
3. ابن النديم ، الفهرست ، المرجع السابق ، ص 169
4. ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، نشرة أوجست ميللر ، 1884 ، 1 / 186.
5. القفطي ، إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، ليبسك ، هولندا ، 1320 هـ ، ص 174
6. ابن النديم ، الفهرست ، مرجع سابق ، ص 410
7. ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، نشرة مرجليوث ، لندن ، بدون تاريخ ، 4 / 286 . 287 ، وكذلك 12 / 49
8. ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، مرجع سابق ، 2 / 175 . 179 .
9. أسماء أبو بكر محمد ، عبد القادر البغدادي : زعيم اللغويين في القرن العاشر الهجري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 55 .
10. ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، مرجع سابق ، 2 / 98 . 99
11. ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، مرجع سابق ، 2 / 105
12. أبو شامة ، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ، القاهرة ، 1287 هـ . 1288 هـ ، 1 / 268 .
13. أبو شامة ، نفس المرجع السابق ، 1 / 267 .
14. أبو شامة ، نفس المرجع السابق ، 1 / 269 .

غزوة قبائل تافيلالت على القوات الفرنسية

في تومبوكتو خلال: 1904/1905

د. محمد تلوزت بن علا - فاس - المغرب

ملخص : نجم عن الاحتلال الفرنسي للجزائر ردود فعل قوية في المغرب خاصة عند القبائل المتاخمة للحدود المغربية الجزائرية لمواجهة الاستعماري الفرنسي، منها قبائل قبائل تافيلالت وتحديد قبيلتا: ذوي منيع و أولاد جرير، اللتان لهما امتداد في البلدين، حيث دخلتا في مناوشات مع القوات الفرنسية بعد احتلالها لوهرا و شرعت في التوسع إلى الواحات الشرقية ، الذين بدأوا يغيرون على القوات الفرنسية أينما وجدت حتى في السودان الغربي. و خلال 1904/1905 نظم ذوي منيع و أولاد جرير حركة- غزوة على القوات الفرنسية في تومبوكتو لمباغتتها و النيل منها.

فمن هم ذوي منيع و أولاد جرير؟ ومن تزعم هذه الغزوة؟ و ماهي النتائج التي ترتبت عنها؟

Resumé

L'occupation Française d'Algérie en 1830, à causé une réactions fortes chez la Makhzen -marocain, comme chez la population, tout tournait autour de la lutte contre l'agresseur et maintenir les moudjahidine comme Abdelkader et Bouamama . Et après le refuge du dernier au Maroc , la résistance a continué dans le Tafilalt les régions Est du Sud-Est, c'est les tribus qui ont les laideurs de la résistance et surtout les tribus de la frontière Marocain-algérienne et Tafilalt et les Oasis Sud-ouest .

Parmi les tribus résistantes on trouvé les Daoui-Mania et Oulade-Djerir, qui ont lancés une attaque *Rezzou* En 1904/1905 parti du Tafilalet contre les forces coloniales françaises à Tombouctou. D'ou vient les Daoui-Mania et les Oulade Djerir?.Comment on a organisé cette Harka ? Et quelle sont ces conséquences ?

1. التعريف بقبيلتي ذوي منيع.

تستوطن قبائل أولاد جرير و ذوي منيع¹ مجالا شاسعا مشتركا متجاورا، فقبيلة ذوي منيع من أهم قبائل شرق و جنوب شرق المغرب قبيلة عظيمة، و لقبها يعبر عنها تحمل اسمين زكدو و ذوي منيع، وهما اسمان مرادفان للقوة و العدد الكثير، فذوي منيع مصطلح يعبر عن نفسه، و يعني القبيلة المنيعة و الحصينة المدافعة، أما زكدو فهو لفظ مشتق من زغد، و نزغد وَزَعَدَ السَّقَاءَ : عَصَرَهُ حَتَّى يُجْرِحَ الزُّبْدَ مِنْ فَمِهِ وَقَدْ ضَاقَ بِهِ . و تنطق في الصحراء نركد و معناها الكثرة ككثرة النمل.²

يمتد موطن ذوي منيع في الفترة المدروسة بين الحدود المغربية الجزائرية الحالية من منطقة تافيلالت إلى بفكيك، و سميت مجالها الترابي الذي تستوطنه ب؟ "بلاد الموكحلا" أي بلاد البندقية وهي قبيلة شبه رحل. تنتقل بين أعالي واد كبير تارة ثم سافلته تارة أخرى، يضم فكيك و توات و كورارة و بني مزاب و تافيلالت بحثا عن المراعي، و تنظم قوافل سنوية للتجارة، تنطلق من تافيلالت إلى مشارف تلمسان لبيع سلعها، و يكثر بعض أفرادها بغيرهم لأصحاب القوافل.³ يرتبط ذوي منيع بعلاقات تجارية مع أهالي تافيلالت و فكيك و القبائل المجاورة، تباع لها الشعير و الجلود التي تأتي بها من تافالالت و تقتني منها حاجاتها من التمر، و تصعد شمالا إلى مشارف و هران و تلمسان، وأهم مراكزها سنة 1881 كانت هي: بني

كومي و زوسفانة و القنادسة و بني عباس و سكيلى. تنقسم إلى أربعة فروع: أولاد بلقيز، و أولاد بوحنان، وأولاد سليمان، و أولاد بن ممار. لتبيان قوتها فهي كانت بإمكانها تجييش سنة 1881 زهاء ألف فارس و ألفين من المشاة، من أشهر معاركها ضد القوات الفرنسية الراسخة في ذاكرة الضباط الفرنسيين، معركة 1870 ضد الجنرال ويمبفون Wimpffen.⁴ و في مطلع القرن العشرين تودد الجنرال ليوطي و هو في جنوب و هران كثيرا لشييوخها لاستمالتهم و منحهم الأمان.

اقترح ليوطي سنة 1903 على حكومة بلاده بمنح الأمان لقبيلتي ذوي منيع و أولاد جرير لاستقطابهما إلى جانبه و تحويلهما إلى حاشية حقيقية تحميه من التهديدات التي تأتي من تافيلالت⁵... وإنشاء فرق عسكرية أهلية (كوم Goums) من بين المجموعات التي أعلنت خضوعها للفرنسيين، لأن أكثر منافعم تقع حول واد كبير و مع مناطق نفوذ فرنسا.

2. التعريف بقبيلة أولاد جرير.

هي قبيلة عربية من حميان إحدى القبائل التي أسست الأسرة الحاكمة بني زيان في تلمسان⁶، و هم رحل كذوي منيع، استقرت في مجال يمتد من تافيلالت إلى تخوم الجزائر منذ حوالي 1285، هذا المجال تتحكم فيه ذوي منيع منذ القديم، و بحكم قلة عددها تخلت عن أسلوب مواجهة خصومها، و لجأت إلى بعض الأماكن الصعبة للاستيطان فيه كالأماكن الجبلية في غرب فكيك. و دخلت في وئام مع ذوي منيع و أصبحت من حلفائها في الدفاع و الهجوم ضد بعض القبائل الخصوم مثل: بني جيل و أولاد سيدي الشيخ. من فروعها العساسة و المفالحة، ارتبطت بالمخزن المغربي و منذ سنة 1893 كان السلطان يعين قائدا على كل منهما، و يجمعان الإعمار و الوظائف المخزنية و يحملانها إلى فاس أو وجدة.

ينتمي أولاد جرير روحيا إلى زاوية القنادسة حيث يحتكمون لمقدمها و يقدمون له "الزيارات و الهبات"، كما كان لزاوية بوعمامة أتباع في قبيلة أولاد جرير. أما قوتها العسكرية فكانت ضعيفة، ففي سنة 1881 كان بإمكانها فقط توفير حوالي ستين فارسا⁷.

اكتسبت قبيلتنا ذوي منيع و أولاد جرير أهمية كبرى من خلال دورهما في مجاهدة التسرب الفرنسي في الجنوب الشرقي للمغرب، و صراعهما المرير مع القوات الفرنسية في مجال رعوي خصب يمتد من واد كبير غربا من تافيلالت إلى واد زوسفانة شرقا بالجزائر حاليا⁸، كما جلب هذا المجال الاستراتيجي لهما الكثير من المشاكل و عاشت في صراع دائم مع القبائل الأخرى المنافسة و مع القوات الفرنسية عند وصولها للمنطقة و زحف قواتها نحو جنوب الجزائر للاتصال بالسودان الغربي، فهذا المجال و إلى توات يتحكم في شبكة من المسالك الطرقية التي ترتبط جنوبا بتومبوكتو⁹ و مع تافيلالت، و ، سيعجل باصطدامها مع ذوي منيع و أولاد جرير لأنها ستدخل إلى مجالها التجاري الحيوي، فتافيلالت تحديدا تتحكم عبر واد كبير في المسالك التجارية التالية:¹⁰

- إلى تافيلالت .
- إلى قصر الحجوي و قصر على واد زلمو Zelmou.
- إلى القنادسة و بشار.
- إلى واد زوسفانة وصولا إلى فكيك و عين الصفرة.
- إلى بني كومي.
- إلى إيكلي و قصور الساورة.

إن هذا المثلث الممتد من تافيلالت إلى توات ثم تومبوكتو، مجال التجارة الصحراوية، استهوى الأوروبيين قديما، فمنذ القرن الخامس عشر الميلادي تطلعوا للسيطرة على تجارة الصحراء في و مع إفريقيا بدءا بالبرتغاليين ثم

الأسبان ثم الهولنديين و الفرنسيين و الانجليز، عبر إقامة مراكز للتجارة على الساحل الغربي لإفريقيا مجلوبين بسراب التبر و سحر تومبوكتو. و بعد احتلال الجزائر سعى الفرنسيون لتحقيق هذا الحلم و فتح طرق التجارة بين البحر الأبيض المتوسط و بلاد السودان و مزاحمة الأهالي حول هذه التجارة العجيبة. و منذ 1860 شرعت سلطات فرنسا في الجزائر في اتخاذ سلسلة من التدابير و الإجراءات للتوسع جنوبا، فتوجه العقيد كولونيو Colonieu مع النقيب بوران Burin إلى توات مع قافلة جزائرية من الأهالي للتعرف إن كانت تلك الواحات ترغب في السلع الفرنسية و التي تصل إليها من طرابلس و المغرب¹¹. غير أن السكان رفضوا التعامل معها مادام فيها فرنسيون، و طرد المبعوثون الجزائريون الذين بعثوا إلى قصر تيمي Timmi وسط التهديد بالقتل¹². و تنشأ من هذه اللحظة عداة للفرنسيين الذين اعتبروهم مهددين لمصالحهم التجارية في هذا المجال الذي ندرسه مجالا¹³. و يصرح بذلك الضباط الفرنسيين مثل : دو لامرنيير و لأكروا و كذا المستكشفين الأوربيين، يعتبرون أن هذه المنطقة من أكثر الأماكن التي تكن العداة للفرنسيين في شمال إفريقيا، و قد ساهمت الزاوية السنوسية و الطريقة الدرقاوية بنفوذها الروحي في بلورة هذا الشعور لدى السكان. و أهم المناوشات بين هذه القبائل و القوات الفرنسية هي:¹⁴

- 1859 هاجمت قبائل مهاية Mshaia و الانجاد Angad و بني يزناسن Beni Snassen القوات الفرنسية في مدينة مغنية، بعد إرسال جزء منها إلى إيطاليا.
- هجوم قبائل نمور بقيادة محمد بن عبد الله على القوات الفرنسية في الواحات الشرقية.
- 1870 هاجم بنو كيل Beni-Guil و أولاد حريز و ذوي منيع القوات الفرنسية جنوب وهران، و عقبه احتلت القوات الفرنسية عين الشعير.

- 1900 هاجمت قبائل من تافيلالت القوات الفرنسية على الحدود المغربية، ثم كررت هجومها سنة 1901 للسيطرة على تميمون، ثم هاجمت واحتي أدرار و تاغيت.
- 1903 هجوم لآخر على القوات الفرنسية في واحة كورارة.

و تعززت المقاومة بين القبائل ضد الغزاة الفرنسيين في هذا المجال تحديدا منذ 1883، حيث لجأ و عاد محمد بن العربي المعروف ببوعمامة إلى فكيك و استقر في قصر الحمام الفوقاني مسقط رأسه و شيد به زاوية تعرف بزاوية بوعمامة التي لا تبعد سوى ب 25 كلم عن الحامية الفرنسية وراء الحدود، و هو ينتمي إلى قبيلة أولاد سيدي الشيخ الذين كانوا من خدام سلطان فاس كما يعرف بذلك ألبير نوبي¹⁵. و اتصل بقبيلتي ذوي منيع و أولاد جرير لمواجهة الفرنسيين¹⁶.

3. أسباب توجيه الغزوة ضد القوات الفرنسية المحتملة لتومبوكتو.

● تافيلالت و الجهاد و فرنسا.

انطلقت هذه الغزوة و تم الإعداد لها في تافيلالت، لهذا فدواعي هذه الغزوة سترتبط بأوضاع هذه المنطقة، فسياسيا كانت تافيلالت تتمتع بمكانة متميز في النظام الإداري للدولة المغربية، فهي مهد الدولة العلوية، و مر منها في تدبير شؤونها عدد مهم من رجالات الدولة، فأقام فيها السلطان مولاي عبد الرحمان مدة طويلة قبل توليه الحكم، و يمثل المخزن فيها أفراد من الأسرة الحاكمة، يتمتعون بسلطة تكاد تكون مستقلة عن الحكم المركزي، في سنة 1905 كان خليفة السلطان هو مولاي رشيد، وكان للشرفاء "دور في تدبير الأمور الدنيوية مع السكان و كان منهم التجار الذين احتلقت مصالحهم مع مصالح الرعية، لاسيما في النجارة. و مما لاشك فيه أن تجارة تافيلالت التي تستفيد منها كثير من العائلات قد تضررت بالإحداث الجديدة في الجزائر التي احتلت سنة 1830 ثم تومبوكتو

سنة 1893 ، فتأفيلت موقع استراتيجي في التجارة الداخلية للمغرب و تجارة القوافل مع السودان، فقوافلها تأتي إلى فاس لبيع بضائعها من التمر و تعود بالمنتجات من فاس المغربية أو المستوردة من أوروبا، و توزعها شرقا نحو الجزائر و جنوبا نحو السودان حيث ترتبط به بواسطة مسلكين . وبحكم قربها و ارتباطها بشرق المغرب بدأت تتأثر بالتسرب الفرنسي فيه. فمصالحا مع هذه المناطق قد تراجعت، و بدأ العداء لفرنسا يستشري بين الناس، فهذا المولى الرشيد يعقد اجتماعا مع أعيان المنطقة و أعيان البربر و يخبرهم أن مولاي عبد العزيز مصمم على تقديم عرض للحكومة الفرنسية بشأن توترات الصحراء و أنه إذا لم يتلق منها ردا مقبولا فانه سيعلن الجهاد عليها

17

و لم تعدم السلطات الفرنسية بالجزائر من القيام بأعمال استفزازية تجاه القبائل على الحدود الجزائرية، حيث شرعت منذ 1870 في إرسال حملات لغزوها: مثل حملة غزو واد كبير سنة 1870¹⁸، و أحدثت في غشت 1904 تغييرات إدارية لبعض الدوائر الترابية بالجزائر، فنقلت المركز الإداري من تاغيت إلى تاغده (كولومب - Colomb) و قسمت وألحقت قبائل رحل من ذوي منيع و أولاد جرير بسلطة حاكمها بعد إنشاء حامية عسكرية فيها¹⁹. كما شرعت في شق مسلك طريقي يربط بين بني ونيف و فكيك و قد عارضها بقوة عامل فكيك السيد محمد بن المجذوب²⁰.

ومن مصائب و جرائم الاستعمار في حق قبائل المغرب ما يلي: ففي رسالة²¹ من جوناك حاكم الجزائر إلى وزير شؤون خارجية فرنسا يخبره فيها أن الوزير رينيو M. Regnault وهو في طنجة في طريقه إلى فاس في غشت 1906 أكد له أن فرنسا ستتمسك بإلحاق ذوي منيع و أولاد جرير بنفوذها في الجزائر، وأن غالبية أفرادها آثروا العيش في الجزائر سنة 1902 بحضور لجنة رسم الحدود و بحضور محمد الجباص ممثل المخزن و

ممثل للسلطان عن بني ونيف، و أن لجوء عدد من العائلات بجيامها إلى المغرب لا يبرر التخلص من فرض السلطة الفرنسية عليهم، و أن الرحل الذين ينزلون بجيامهم في حمادة كير يجب اعتبارهم رعايا جزائريين و ليسوا مغاربة، وعلى المخزن تطبيق البند الخامس من بروتوكول 1901 و أن يبعدهم من الحدود أي من كيرو و تافيلالت، و أن وجودهم هناك يشكل خطرا على القبائل الخاضعة لفرنسا و سببا للفوضى. و خلص إلى أن فرنسا بعد هذا ستتصرف بكل حرية سواء قبل السلطان الاقتراحات المقدمة إليه أو عبر عن عجزه في ذلك، كما سيبرر ذلك التدابير المتخذة لمنع القبائل الخاضعة لفرنسا من المتاجرة مع تافيلالت. و مرد هذا الموقف ليس حبا في هذه القبائل و إنما الموارد الهائلة التي تتوفر عليها هاتين القبيلتين من رؤوس المواشي، فتعتبران أكبر مزود للمراكز الفرنسية على الحدود، عبر مركز بني ونيف الذي أقامته بالقرب من فكيك لاستقطاب القبائل، و احدث به مخازن حرة للبضائع و مستودعات 22. فخلال سنة 1904 زودت القبائل المذكورة بني ونيف بحوالي عشرين ألف من الضأن و خمسة عشرة ألف من الإبل وجهت لمراكز القوات الفرنسية²³.

تبرز لنا هذه الوثيقة السياسة الفرنسية في تافيلالت الهادفة إلى تطويقها و خنقها تجاريا و تفكيكها بشريا، و سيدافع عن هذه السياسة بشراسة ليوطي منذ تعيينه كقائد في وهران من خلال مواقفه و مراسلاته مع الحكومة الفرنسي، فعنوان كتابه في الموضوع هو نحو المغرب: Vers le Maroc، و هو يكشف لنا عن أطماع فرنسا في المغرب و في تافيلالت تحديدا، فما رد فعل ذوي منيع و أولاد جرير و تافيلالت من ذلك؟.

• دور بوعمامة.

يشير ليوطي بإصبع الاتهام في الوقوف وراء تنظيم غزوة تافيلالت على القوات الفرنسية إلى شخصية بوعمامة السابق الذكر، ففي رسالة بعث

بها إلى قيادته بتاريخ 24 يونيو 1904، يعترف فيها انه يواجه مشكلة كبيرة تؤرقه في الجنوب (جنوب وهران) حيث تهدده تافيلالت فيه مما جعله بين السندان و المطرقة²⁴. حيث يواصل بوعمامة تجييش إتباعه جنوب وجدة، مما يشكل خطرا على الفرنسيين في الجهة الأخرى من الحدود ليوطي يجد نفسه لأول مرة مقيدا بالبند الرابع من معاهدة مغنية و الاتفاق الودي الفرنسي الانجليزي، فلا يستطيع مهاجمته لأنه داخل حدود الدولة الشريفة. و يتابع ليوطي و صفه للأوضاع على الشكل التالي: « أنا في وهران منذ ثمانية أيام لأتبع عن قرب تشكيل قوة عسكرية أعدها قرب رأس العين Ras el Ain، لأن بوعمامة نزل بالقرب منا، جنوب وجدة حيث لايمكننا الذهاب لمهاجمته بسبب غموض الحدود المغربية، و أصبح هناك خطيرا جدا. إنه يشكل نواة جذب للتمرد.... و يؤثر في جميع القبائل، و يبحث عن ردود فعل مخلة منا بشأن الحدود لمهاجمتنا. و من الضروري وضع فرقة عسكرية متحركة تراقبه و تمنع أن يتقوى و يطفح علينا و يتجاوز الحدود، و يستميل القبائل التي خضعت لنا مثل بني مطهر. إن بوعمامة لا يجراً أن يهاجم قواتنا دون ذريعة، فهو يستغل ضدنا الاتفاق الودي الفرنسي الانجليزي و أصبح خطيرا جدا. أعني بشكل تام خطورته على تفكيك و جودنا على الحدود.»²⁵

مما لاشك فيه أن بوعمامة كان له تأثير كبير في قبيلتي ذوي منيع و أولاد جرير و لهما مكانة كبيرة في قلبه، فهاتين القبيلتين هما من آوت أتباعه من قبيلتي غزناية Rezaina و أولاد داوود Oulad Daoud الذين بطش و أذلتهم القوات الفرنسية حينما سيطرت على معاقل مقاومة بوعمامة في الجزائر، ففروا و لجأوا إلى ذوي منيع في تافيلالت واحتضنهم²⁶. و من المستبعد أن يشارك ذوي منيع و أولاد جرير في هذه غزوة 1905/1904 دون استشارته، و أن بوعمامة و عيا منه بخطورة الأوضاع على الحدود المغربية الجزائرية كان في وضع " وقف إطلاق النار" و

غزوة تومبوكتو تشكل له أحسن فرصة لمهاجمة القوات الفرنسية خارج مجال سيادة الدولة المغربية فلا يجرحها، و ينال من فرنسا هناك في السودان الغربي، و يتجنب غضب المخزن المغربي و إثارته. لاسيما و أن المغرب في هذه الفترة تعرض لضغوطات فرنسية لإتمام رسم الحدود المغربية الجزائرية، و تشكلت لجنة شرعت في يناير 1902 في انجاز عملها في عين المكان قصد تعيين نقط الحدود، غير أنها واجهت صعوبات كبيرة كلما تقدمت جنوبا في اتجاه فكيك بسبب امتناع القبائل التعاون معها وتهديد ذوي منيع بالهجوم عليها مما أجبرها على وقف عملها، و وقع الوزير محمد الجباص و الوزير الفرنسي كوشميز Cauchemez اتفاقا في مدينة الجزائر لإتمام معاهدة 1844 و 1845 غير أنه لم ينشر علنيا²⁷.

• دور زين العابدين الكونتي .

يصرح بول مارتي Paul Marty وهو رئيس المكتب العربي في إدارة الجزائر في مؤلفه "دراسات حول الإسلام و القبائل في السودان" أن الذي قاد هذه الغزوة هو أبدين²⁸، فمن هي هذه الشخصية، و كيف ارتبطت بهذه الغزوة؟.

هو زين العابدين ابن سيدي محمد الشيخ الكونتي ولد حوالي 1848 في موسا بانكو قرب تومبوكتو، عكس ماتقول الوثائق الجزائرية انه ولد في زاوية كونتا في توات، غير أنه عاش فيها زمنا، و درس في كونتا بالأزواد. ما بين 1875 و 1885 ، عاش دهرا من الزمان بمعية أعمامه زين العابدين نتيني بن البكاي سونغا و زين العابدين بن الشيخ سيدي البكاي في كونتا Kounta. ثم حج بيت الحرام حيث طالت مدة غيابه، وعرج على الزاوية السنوسية الأم في جربوده Djaraboud و و يضيف عليه البعض البركة التي تلقاها من الشيخ محمد المهدي زعيم هذه

الزاوية... غير أن أهله ينكرون ذلك لأنه على الطريقة القادرية. يصفه بول ماري أنه من اشد أعداء فرنسا²⁹.

تنقل بين عدة أماكن ليسقر سنة 1890 في منطقة الهكار، ومنها توجه شمالا إلى تيدشرت Tidchart ثم توات غير بعيد عن موطن أجداده منذ ثلاثة قرون، وفي هذه الأماكن ربط علاقات وطيدة مع شيوخها، وشارك أهلها عدة غارات على القبائل و سلب القوافل، غير أن عداءه الشديد للفرنسيين ستحوله من زعيم سلب إلى ولي ديني يدعو إلى جهاد الغزاة الفرنسيين و من يواليهم من القبائل، و بدأ صيته ينتشر منذ 1892، و توسع مجال نفوذه بدعوته الناس إلى التوحد ضد الفرنسيين، فتشكلت لديه قوة من المحاربين دائمة من الإلتباع. و أعلن الجهاد ضد فرنسا بعد احتلال قواتها لتومبوكتو و شرع في توجيه غاراته على حامياتها.

أدى توغل القوات الفرنسية هذا في الصحراء و تحكمها في هذه الجهات بزین العابدين إلى التوجه إلى الشمال الغربي ليتصل بذوي منيع و أولاد جرير الذين استقبلوه بحفاوة و شكلوا عصبته، كما قدم إليه في تافيلالت شيوخ من جهات تومبوكتو لتجديد الصلة به، و بدأ ولداه بابا سيدي لامين و سيدي حاما يقودان الغارات التي يعدها من تافيلالت على الفرنسيين في الواحات التي احتلوها. و في سنة 1904 كانت له اليد الطولى في تنظيم الغزوة بمعية ذوي منيع و أولاد جرير على تومبوكتو قادها رجاله الذين لايمكنهم فعل شيء دون علمه.³⁰ و تدخل هذه الغزوة ضمن مشروعه في مهاجمة القوات الفرنسية في حوض النيجر الأوسط، كما ساهم منذ فترة في عصيان (مملكة) سوكتو Sokoto التي قام بها الطوارق.³¹ إن فزين العابدين كان له نفوذ عظيم يمتد من تافيلالت إلى توات و توبوكتو و حوض النيجر، و دليل ذلك هذا الموقف الذي عبر عنه العقيد كلوب Le colonel Klobb ، احد الضباط الفرنسيين في تومبوكتو ، التي غادرها سنة 1899 «الموت هو وحده الذي سيخلصنا

منه»³²، و بهذا فاحتلال تومبوكتو لم يمض فقط أهل السودان الغربي و إنما أثر في الأوضاع العامة من تافيلالت إلى توات و تومبوكتو فهذا المجال كان جسما بشريا واحدا.

4. تجميع و تنظيم الغزوة/الحركة في تافيلالت .

لاتسعفنا الوثائق التي بين أيدينا من تحديد الجهة التي دعت بشكل مباشر لتنظيم هذه الغزوة بفعل السرية التي تميزت بها، فالمعلومات تشير إلى أن مناد (براح) طاف في القبائل يعلن النفير لهذه الغزوة، فاستجاب ذوي منيع المقيمين في تافيلالت بسرعة للنداء ، وقدم أولاد جرير كل وسائل التنقل و النقل، و حصل كل فرد من مفالحة على جمل بعهدة اقتسام الغنيمة.

تجمعت الحركة ابتداء من منتصف غشت 1904 في أوديكة Oudika مركز موجود واد الداورة بعد إلتقاء نهر غريس و زيز. و وضعت خطة لسير قافلة الغزوة، و قسمت إلى مجموعتين/ حركتين حسب مسارهما: حركة الغرب و حركة الشرق³³.

● حركة الغرب.

ضمت هذه المجموعة حوالي 300 محارب يمتطون 300 جمل، ثلثهم من ذوي منيع من أولاد بوغانان، و الثلث الأخر من أولاد بلكيز -Ouled Belguiz يقودهم بعض أفراد من الساحل كمرشيدين مثل بويأ أحمد. هذه الحركة التي انطلقت في البداية بيوم واحد، أوهمت أنها تخرج لمهاجمة مواشي قبائل الساحل التي تنزل في الغرب، ثم ستمر عبر تاوديني Taoudeni³⁴.

● حركة الشرق.

بعد يوم عن انطلاقة المجموعة الأولى تحركت هذه الحركة و غادرت أوديكة كان هدفها الظاهري مهاجمة قبائل الساحل النازلة في الجهة الشرقية ستمر عبر اماتليت Amatlit ، و ضمت هذه الحركة 400 محارب يمتطون الجمال نصفهم من ذوي منبع، إضافة إلى أفراد من أولاد بوعنان و أولاد بلقيز، أما النصف الثاني يتكون من أولاد جرير و المفالحة و بني محمد و بربر و متطوعون آخرون، و بعد أيام من المسير تم اختيار زعيم هذه الحركة ليقودها و هو محمد بن مبارك من أولاد جرير المفالحة منشق عن مجموعة أولاد الهواربي. و تركبت من مائة و خمسين محاربا و عشرين من أهل الساحل و ثلاثون نفرا آخر متطوعون.

استغرق سير هذه الغزوة/الحركة سبعة أشهر، من شهر غشت سنة 1904 إلى شهر فبراير من سنة 1905، سارت حركة الشرق خلال النهار، باستثناء مسيرة واحدة خلال الليل بعد تاودني لأنها تحتاج إلى الماء و أرادت مضاعفة السير، كانت الحركة تنطلق باكرا ثم تتوقف منتصف النهار، ثم تخصص بقية النهار الاستراحة و للكنص للاقتصاد في المؤن فكل فرد يحمل معه فقط حزمة من التمر و قليلا من الطحين و القديد أي ما يكفي لتموين شخص لمدة شهرين أو ثلاثة. أما التزود بالماء فكل واحد يختار عدد القرب لتخزين ما يكفي. كانت القافلة تتوقف يوما واحدا كل ثلاثة أيام في المتوسط للاستراحة و التزود بحاجاتها الضرورية إلى أن وصلت إلى عرق إكيدل Iguild. خلال الليل تخيم الحركة بوضع أمتعتها بشكل دائري و كل محارب ينام فوق أمتعته و ينصبون الخيام و في الوسط و يعقلون جمالهم فيه لحراستها، و كل واحد يجب عليه أن يجرس مكانه، و كان رأي شيخ الحركة نافذا، لكن في القرارات الحاسمة قد يستشير هيئة الأربعين وهي عبارة عن مجلس يمثل فيه كل ممثل عشرة أفراد في الحركة. و يعقد لمعاقبة بعض المخالفين و أو طردهم من القافلة أو حتى إعدامهم.

عند مرور القافلة بأحد القصور كانت ترسل إليه مبعوثا للتزود بحاجاتها دون دخوله، أما أسلحتها فكانت متنوعة من صنف بنادق نوع 1874 و 1883 و 1892، يحملها الحراس دائما.

لم يكن المهاجمون على علم دقيق بمهدف الحركة، كانت القافلة تسير بشكل مستقيم نحو "بحر" النيجر بمعدل 20 إلى 25 كيلومتر في اليوم تتحكم فيها منابع الماء. عند مرورها بالقرب من تاودني تزودت منها بحاجاتها، وبعد اثنتي عشر مرحلة منها جنوبا توقفت القافلة في قصر أراوان Araouan وهي زاوية يسكنها الزنوج و بعض البربر من أيت خباش لهم مخازن بيع الملح.

عند خروجها من أراوان انخرت شرقا طيلة ثلاث مراحل، و توقفت بقصر بوجبيهة حوالي 90 كيلومتر إلى الجنوب الشرقي للقصر السالف، و هو يقع في خط مرور القوافل، به مخزن لبيع الملح. و بعد مسيرة خمسة عشر يوما وصلت إلى أدغال تبعد بثلاثين كيلومتر عن نهر النيجر و قرية من تومبوكتو، و عندها أخبر مرشدو القافلة من السواحل أنهم وصلوا إلى بلاد إخوانهم من ارض تابعة لنفوذ تومبوكتو، و أنهم لن يقوموا بأي فعل قد يعاقبون عليه فيها.

قرر شيخ القافلة حينها أن ينعرج نحو الغرب و يمر عبر ارض البرابش Berabech و أرسل دليلا إلى شيخ قبيلته ليطمئنه، و يطلب منه أن يسمح له بالمرور في بلاده للتوجه أكثر نحو الغرب. و في المساء فر احد العبيد و ذهب ليخبر السلطات الفرنسية في تومبوكتو بالحركة. ثم وجه شيخ القافلة نائبا عنه إلى قبيلة أولاد دحمان للأمن، و ضرب معسكره له، ثم وجه البعير للارتواء من مياه النهر و بقي معه ثمانين محاربا فقط. في هذه الإثناء تلقت قبائل أولاد دحمان أمرا من سلطات تومبوكتو بمهاجمة معسكر الحركة و جرت مناوشات بين أهل تافيلالت و السكان عند النهر استمرت

إلى الليل. و فقد المهاجمون عددا من جملهم. ثم جرت معركة مع القوات الفرنسية التي وصلت تعزيزاتها، و بسرعة من الاستيلاء على المعسكر حيث باغتت القوات الفرنسية المجموعة التي ذهبت للنهر مع الجمال، فالتقاتلت القوات الفرنسية كانت على علم بالحركة و ترصدت حركاتها. انتهت المعركة بعشرين قتيل من المفالحة و أربعين من ذوي منيع، كما استشهد شيخ القافلة في القتال محمد بن مبارك. ثم انسحب المهاجمون وسط الفوضى و عادوا أدراجهم نحو تاودني حيث فقدوا أكثر من ثلثي جملهم و توقفوا فيها مدة و ساعدهم سكانها للرجوع لأهاليهم. عندها اجتمعت مع حركة الغرب التي وصلت متأخرة، و شكلنا قافلة واحدة و رجعت أدراجها إلى موطنها، و عادت إلى تافيلالت عند منتصف شهر فبراير من سنة 1905. و قد انفصلت عنها مجموعة ضمت خمسين محاربا كلهم من أولاد جرير لعدم رضاها على نتيجة الغزوة و اتجهت نحو الساقية الحمراء للاستقرار فيها بشكل كلي.

5. نتائج الغزوة في التخطيط الاستعماري الفرنسي.

دفعت هذه الغزوة القوات الفرنسية إلى وضع خطة لتحركها في المجال الصحراوي من الجنوب الجزائري إلى مالي ثم جنوب المغرب، حيث تكررت هذه الهجومات مثلا من بامبة Bamba و بوروم Bourroum ، و بدأت تنظم دوريات استطلاعية للمناطق المحادية للحاميات و مراكز القوات الفرنسية، في شكل سرايات تتكون من ضباط فرنسيين و خيالة سودانيين مدعمة بمدافع و عززت قواتها في توبوكتو . كما و وضعت خطة للسيطرة على نقط و منابع المياه في هذه المسالك لمنع المحاربين من التحرك عبرها.

لم تتوقف مقاومة عز الدين عند هذه الغزوة و إنما نجده يوجه غزوة أخرى سنة 1907 لتوادني و هاجم القوافل التي تتعامل مع مناطق النفوذ

الفرنسي، و حاولت سلطات الجزائر تحقيق السلام معه. و في سنة 1909 قام بغزة جديدة 1909 مستعينا فيها بأولاد جرير و ذوي منيع و تشكلت الغزوة من جديد في تافيلالت في غشت تم انطلقت نحو حنق أكبيدي بدورها انقسمت إلى شطرين هاجمت الشطر الأول تكنة واد النون في الغرب و الشطر الثاني برئاسة ولداه بابا احمد و سيدي لامين توجهت جنوبا للهجوم على القوات الفرنسية في تاودني و انتهت بمقتل 16 جنديا فرنسا من بينهم قائد الفرقة الفرنسية.³⁵

خاتمة:

عند احتلال القوات الفرنسية للجزائر و توسعها في جنوبها، ولجت إلى فضاء جغرافي صحراوي، يتحكم بحكم شبه ذاتي له خصوصياته التنظيمي ويتركب من فسيفساء بشري قبلي يتحكم التاريخ في روابطه. لم تعمل هذه القوات على السيطرة فقط على هذا المجال، بل سعت إلى إعادة تنظيمه في كيانات للتحكم أكثر فيه، بفصل و تقسيم القبائل و ترحيلها و إبعادها عن مواطنها، فاحتلال توات و تومبوكتو لا يعني لقبائل هذا المجال خضوعها لقوة أجنبية جبارة، و هي التي ألقت أن تعيش جامحة. و كان طبيعيا أن تقف جميع هذه القبائل و عن تباينت مواقفها ضد هؤلاء الغزاة المدججين بأحدث وسائل الغلبة و القهر. فناصرت قبائل تافيلالت جميع القبائل التي استغاثت بها، و هاجمت الأعداء عند سيطرتهم على مجال تحركها و تهديده لمصالحها.

لم تكن غزوة تافيلالت للقوات الفرنسية عملا طائشا عدوانيا بل هو عمل تمليه العادات و القيم القبلية، و تبرز امتداد علاقات تافيلالت و ارتباطها البشري و الروحي بهذه الأماكن، و باركتها جميع الفئات و رحبت بها الزوايا لاسيما الطريقة القادرية التي رأت في القوات الفرنسية تسيطر على أماكن ترتبط بها روحيا، و تمت و تحركت فوق مجال سيادة الدولة المغربي التاريخي،

لم تخرج لسبي و الغنيمة، فالوثائق لا تذكر على الإطلاق أنها هاجمت قبيلة ما و استولت على أموالها عكس باقي الغزوات الأخرى، لحسن تنظيمها و دقة هدفها، لهذا لم تكن هذه الغزوة هي الأخير لتافيلات في صراعها مع الغزاة، و تحتاج هذه الغزوات إلى مزيد من الدراسة .

1 - De La Marinière et N . Lacroix , 1896 «Document pour servir à l'étude du Nord Ouest Africain». Gouvernement Générale d'Algérie , Service des Affaires Indigènes.2, p. 544 à 695.

2 - Le lieutenant Colonel Dumas , 1945Le Sahara Algérien», Paris, p270.

3 - De La Martinère et N. Lacroix, , 1896, «Document pour servir à l'étude du Nord Ouest Africain». Gouvernement General de l'Algérie, T2, Imprimerie L.,Danel , Lille, p. 270

4 - F. Gurgeot, 1881, «Situation politique de l'Algérie» , Paris, p. 67.

5 - Lyautey, « Vers le Maroc. Lettres du Sud-Oranais 1903-1906». Librairie Armand Colin ,Paris, p.16.

6 - H.M.P De La Martinère et N. Lacroix, «Document pour ...», Op.cit, p.576.

7 -- F. Gurgeot, 1881, «Situation politique de l'Algérie » , Paris, p

8- لمزيد من المعلومات حول هاتين القبيلتين و مجالهما، انظر:

- De La Martinère et N. Lacroix, «Document....,Op.cit p.p544 à 695.

9 -De Colomb (Lieutenant Colonel) , 1860 «,Notice sur les oasis du Sahara». In Revue Algérienne et Coloniale, juillet , p.31.

10 - De La Martinère et N. «Lacroix, Document...»T2, Op.cit p.563.

11 - Henri Schirmer, 1893, «Le Sahara. Librairie Hachette», Paris, p.380.

12 - Ibid., p.380.

13 - Ibid., p.580.

- 14- Capitaine Girard, «Etude sur le Maroc . Librairie R. Chapelot , Paris, p.88 et 89.
- 15 - Albert Noyer, 1901«,Questions Coloniales ; Les Oulade-Sidi- Cheikh et Bouamama». Imprimerie Gaston Lamaury, p.6.
- 16 - Albert Noyer, « Les Ouled-Sidi- Cheikh», Op.cit, p.9.
- 17 - lettre du M Jonnart(Gouverneur général de l'Algérie) à M. Delcassé (ministre des affaires étrangères Français), Alger,24janvier 1905 , In Documents Diplomatiques- Affaire du Maroc 1901-1905 , Paris ,p.193 et 194.
- 18 - A chille Fillias, 1880«,L'expédition de L' Oued Guir 1870», Alger, p. 3 à 32.
- 19 - --, «Modification dans l'organisation de circonscriptions territoriales du sud de l'Algérie». In Revue du Cercle Militaire , 17 décembre 1904, p.638.
- 20 - lettre du M Jonnart(Gouverneur général de l'Algérie) à M. Léon Bourgeois (ministre des affaires étrangères Français), Alger,7 avril 1906 , In Documents Diplomatiques- Affaire du Maroc 1906-1907 , Paris ,p.8 et 9.
- 21 - lettre du M Jonnart(Gouverneur général de l'Algérie) à M. Léon Bourgeois (ministre des affaires étrangères Français), Alger,7 avril 1906 , In Documents Diplomatiques- Affaire du Maroc 1906-1907 , Paris ,p.40 à 42..
- 22 - Henri Faucher et Jean Du Taillis, 1904,«Les Entrepôts Franc. In Les intérêt Economiques de la France Coloniale » (Rapport). Paris, p.251 et 252.
- 23 - -- , « Renseignements Economiques», In Revue Questions Diplomatiques et coloniales. 9 année, 1905, p. 459.
- 24 - Lyautey, «Vers le Maroc. Lettres du Sud-Oranais 1903-1906». Librairie Armand Colin ,Paris, p.75.
- 25 - Ibid., p.76.

- 26 - E. Graulle (Commandant), 1881 «Insurrection de Bou-Amama» . Paris avril 1905, p.101
- 27- انظر نص هذا الاتفاق في .
Revue Archives Diplomatique. Paris,. n°4, avril 1903, p.6 à - 10.
- 28 -Paul Marty, «Etudes sur L'Islam et les tribus du Soudan». In Revue du Monde Musulmans, volume 37, 1918-1919,p.100.
- 29 -Ibid. p. 100.
- 30 -- Paul Marty, «Etudes sur L'Islam et les tribus du Soudan», Op.cit.,p..106
- 31 - Ibid.,p.107
- 32 - Ibid.,p113..
- 33 - L. Mercier (officier interprète),Harka des Doui-Mania et Ouled-Djerir vers le Sahel, Colomb-Bechar, février 1905, In Renseignement Coloniaux Supplément au Bulletin du comite de l'Afrique française, de juillet 1905.p, 265 à 267.
- 34 Ibid.,p.106.
- 35 - Paul Marty, « Etudes sur L'Islam et les tribus du Soudan...», Op.cit p107.

استراتيجية جبهة التحرير الوطني في مناطق أقصى الجنوب الجزائري و علاقتها بالدعم الافريقي للثورة الجزائرية 1956-1962

أ.كديده محمد مبارك- قسم العلوم الانسانية - المركز الجامعي تامنغست

الملخص :

يتحدث البحث عن الاستراتيجية التي تبنتها جبهة التحرير للتوغل في أقصى الجنوب خاص مع تركيز الاحتلال الفرنسي على هذه الرقعة الجغرافية من الجزائر و التي أظهرت فيها عدة مشاريع حاولت تحقيقها ، كما تبرز الورقة العلمية أهمها في منطقة أقصى الجنوب و التي حاول فيها الاحتلال ثلاث مرات و يتعلق الأمر بمنطقة الهقار التي يسلط البحث عليها الضوء كأمموزج ، و قد أفضلت هذه المشاريع بعد ادراك الثورة الجزائرية لخطورة مشاريع الاحتلال الفرنسي من جهة و اضطلاعها بمخاتق و خصوصيات المنطقة التي ستمكنها من استغلالها الاستغلال الأمثل لصالح الثورة الجزائرية و خاصة بعد سنة 1956م ، خاصة بعد أن اضطرت الثورة الجزائرية لتفعيل جبهة الجنوبية لصد مشاريع الاحتلال و استغلال حدودها الجنوبية في المعركة و الاستفادة من الدعم الافريقي القادم من جنوب الجزائر سواء من العمق الافريقي أو من الدول المجاورة و تجسيد ذلك ميدانيا على مراحل بداية من سنة 1960م ، خاصة أن المعركة اشتدت بين الطرفين على كافة الأصعدة العسكرية منها و السياسية و الدبلوماسية و الاعلامية و كل المجالات التي كان لأحد الطرفين استغلالها لصالحه ، مع إدراك جبهة التحرير الوطني الجزائرية ضرورة مواجهة الاستراتيجية الفرنسية و ذلك من خلال استغلال الامكانيات المحلية في أقصى الجنوب و الإمكانيات الافريقية بكل أبعادها لتجسيد البعد الافريقي للثورة الجزائرية من خلال انشاء المنطقة الجنوبية الصحراوية.

ABSTRACT:

the research is about the adopted strategy by the FLN for penetrate into the far south specially the focusing of the French occupation on this geographical area of Algeria, and in which several French projects appeared tried to achieve. Also, the scientific paper highlights the most important projects of the French occupation in the far south, where the occupation tried three times in Hoggar region and this research sheds some light on this region as an example. These French projects failed after the realization of the algerian revolution of its dangerousness, and carrying out the realities and privacies of the region which will enable for an optimal exploitation for the benefit of the algerian revolution particular after 1956 and especially when the algerian revolution forced to activate the southern front in order to resist the projects of the occupation. In addition, the algerian revolution used its southern borders in the battle and took advantage of the african support either from the south of Algeria or from neighboring countries, and applying all that on stages starting from 1960; especially the battle raged between the two fronts at all levels military, political, diplomatic, and media and all fields where one of the parties exploited in favor. Furthermore, the FLN awariness of the necessity to force the French strategy through the local use of possibilities in the far south and the african potential in all dimensions to reflect the african dimension for the Algerian revolution through the establishment of the southern region.

تعنى الأمم بتاريخها بأما عناية و تبذل قصارى جهدها لكتابتها و جمع كل ما له علاقة بها من كتب و وثائق في مختلف أنحاء العالم ، و رغم ان الجزائر مرت بمرحلتين كتابة تاريخ وطني و مرحلة تكوين مدرستها التاريخية ، و مزال جزء من تاريخها بحاجة الى مزيد من البحث و هو تاريخ ثورتها ذات الصيت العالمي ، و قد ساعد الجزائر وجود مجموعة من المخابر و التخصصات في مختلف الجامعات الجزائرية على الانتقال نحو الكتابة الدقيقة و المتخصصة في مختلف مواضيع تاريخها و من بينها مواضيع تاريخ الثورة الجزائرية ، و ظلت المواضيع التي تخص الحيز الجغرافي الصحراوي من الجزائر ما يزال يحتوي على مواضيع لم يتم البحث فيها و مواضيع لم يتم التفصيل فيها و مواضيع بحاجة إلى دراسات أعمق و رغم أن الأسباب الموضوعية قائمة من أبرزها قلة المادة العلمية في بعض المواضيع و عدم وجود بعضها في الأخرى ، و اخترت أن أتحدث في أسطر هذه الورقة العلمية البسيطة عن استراتيجية جبهة التحرير الوطني في مناطق أقصى الجنوب الجزائري و علاقتها بالدعم الافريقي للثورة الجزائرية 1956-1962 كونها - أي مناطق أقصى الجنوب الجزائري- تشكل مناطق التماس بين الجزائر و بين جوارها الجزائر الافريقي .

أولاً: استراتيجية الاحتلال الفرنسي في الصحراء الجزائرية :

لم يدع الاحتلال الفرنسي في الجزائر مكانا للحظ فقد كانت له مجموعة من الأهداف و هي المبرر الحقيقي لوجهة النظر الفرنسية بخصوص الصحراء الجزائرية ، و من خلاله أدركت أن سلطات الاحتلال الفرنسي قد حسبت و بكل دقة طموحاتها في الصحراء الجزائرية على وجه الخصوص و التي تمثل جزءا من طموحاتها الإفريقية¹ ، و من أجل ذلك قام بوضع مجموعة من المشاريع لتسيير في هذا المنحى منها :

أ- المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية: من خلال العنوان قد تتضح طبيعة هذا التنظيم أو المشروع إن صح التعبير، و لم تكن-أي المنظمة المشتركة- تقتصر

فقط على الطابع الإقتصادي الذي يهدف لإستغلال الثروات الطبيعية بل يتعداها إلى أكثر من ذلك و المقصود هنا هي تلك الخطوات الفرنسية ذات الطابع الإقتصادي البحت الذي أشارت إليه جريدة المجاهد بعنوان «مشاريع إستعمارية في الصحراء»²

أ- بل إن هذه المشاريع وضعت اللبنة الأولى في طريق مشروع فصل الصحراء فعلى سبيل المثال لا الحصر مكتب البحوث المنجمية ،ومكتب التفتيش عن البترول و المكتب الصناعي الإفريقي و هذا ما يعني بداية تغيير الإحتلال الفرنسي مناهجه من الإستعمار القديم إلى المناهج الحديثة أو بعبارة أوضح إلى الشكل الجديد الذي يتمسك بالجوهر و هو الثروة الإقتصادية في البلاد والتثبث بها مهما كان الثمن³ ، و التي بات الأفارقة يدركون حقيقته و أهدافه أكثر من ذي قبل⁴ ، و كان لها هدف بعيد المدى من شأنه حماية قوة الإقتصاد الفرنسي وتشكيل مناطق نفوذ تساهم بقوة في معركتها -أي فرنسا- للإستحواذ على السوق العالمية مع بريطانيا و أمريكا⁵ ، و من خلال هذا كله يتضح لنا أن سلطات الإحتلال تبدي إهتماما كبير بالصحراء و ترغب في تنميتها بل إنها حقيقة بداية المناورات الفرنسية بشأن الصحراء الجزائرية فقد وضعت هذه المنظمة لتشارك فيها مع مناطق عدة من دول إفريقية مجاورة منها موريتانيا و النيجر و تشاد⁶ و الحقيقة عبرت عنها المجاهد في عددها المائة(100) ميرزا الهدف الحقيقي :«...على إلتقاء سيادات إفريقية متعددة في منطقة يحاول الإستعمار جعلها أداة فصل بدل أن تكون أداة وصل بين الأقطار سينشأ عنه من الخلافات و المشاكل بين البلاد الإفريقية ما يسد في وجهها نهائيا طريق الوحدة الصحيحة و التعاون المثمر لرفع مستواها الإقتصادي و الإجتماعي...»⁷ ، صحيح هذا الكلام منقول عن جريدة المجاهد لسان حال جبهة التحرير الوطني و الذي يمثل رأي احد طرفي الصراع و لكن من وجهة

نظري -إن صحت- هو تحليل واقعي للوضع من جهة ، ويزر ذكاء الإستراتيجية الفرنسية و خطورتها من جهة أخرى.

و هذا ما يؤدي في نهاية الأمر إلى الحاجة لفرنسا للحفاظ على الإستقرار أو بروزها كطرف وحيد بإمكانه إيجاد الحلول النافعة للجميع و بالتالي فإنه و من الطبيعي أن تلائم هذه الحلول مع مصالحها و هو ما سيزر سياسات أخرى لا تشذ عن هذه القاعدة -قاعدة المناورة- و تهدف هذه المنظمة إلى إستغلال موارد الصحراء بصيغة قانونية و سياسة تضمن إستمرار تدفق هذه الموارد⁸ و عموما هذه التحركات الفرنسية لا تشذ عن إستراتيجية الدول الرأس مالية التي طورت من أسلوبها في التعامل مع مثل هذه الأوضاع بشكل يضمن إستمرار علاقات التبعية الإقتصادية⁹ ، و قد كانت المنظمة تضم هيكلا بشريا منظما و متسلسلا ، و الدليل الآخر على هذه السياسة هو التركيبة الجغرافي و المكون في جزئه المركزي من الصحراء الجزائرية مضاف إليه قطع من صحاري الدول المجاورة حيث تضم المناطق الواقعة إداريا ضمن البلديات المختلطة و الملحقات و البلديات الأهلية للأغواط و الحلفة و الوادي و ورقلة و توفرت و تيديكلت و آجر و الحفار في الجزء الشرقي و البيض و الساورة و تندوف و توات في الجزء الغربي، يضاف إليها مناطق و أقاليم تومبكتو و غاو تاهو و أغاديس و بيلما و بوركو و إبندي و تبستي من خارج الجزائر¹⁰.

ب- وزارة الصحراء: هي وزارة مستحدثة و كما يدل إسمها فإنها تعنى بشؤون الصحراء و كل التطورات المتعلقة بها و تمثل أو تجسد تطورا للإستراتيجية الفرنسية و كما سبق تعريفها فإن هذه الوزارة أنشأت بقرار من مجلس الوزراء الفرنسي في جوان 1957¹¹ و على رأسها وزير حيث كان أول من قام بهذه المهمة هو ماكس لوجان و هذا الإجراء يمثل خطوة في طريق تحقيق الخطة الفرنسية الهادفة لفصل الصحراء إذ يعتبر هذا الوزير سكان الصحراء مواطنين فرنسيين¹² ، و منه فإنها لا تعتبر قطعة من الجزائر بل قطعة من الأراضي الفرنسية

مادام يشرف على شؤونها وزير خاص في الحكومة الفرنسية¹³ مما يسهل تحقيق العديد من طموحات إدارة الإحتلال الفرنسي المستقبلية و خاصة الاقتصادية منها¹⁴، و الملاحظ أن هذه الوزارة كانت محاطة بزخم كبير من المساعدات التقنية و الفنية و المالية مصدرها الوزارات المعنية السالف ذكرها في مختلف المجالات موزعة على الهيكله المبينة آنفا إلا أن هذه الوزارة لم تتمكن من العناية بالبرامج التي وضعتها كما تدعي بل لأنها لم تشذ عن بقية مؤسسات الإحتلال الفرنسي، فعلى سبيل المثال لا الحصر قطاع الشبيبة و الرياضة الذي تدعي العناية به لم تحرك فيه ساكنا لأنه كان سيشكل نوعا من الحركية و الإحتكاك الذي ينجم عنه و عي في أوساط الشباب بل على العكس كانت تمنع هكذا نشاطات في الصحراء¹⁵، فأين ما إدّعت من إهتمام بالشؤون الصحراوية كافة؟ و ما إدعاه وزير الصحراء في تقريره؟، و الملاحظ هيمنة الشأن الإقتصادي على هذه الوزارة و الذي يدفعا للتساؤل عن مصادر تمويل هذه الوزارة؟

ج- مشروع الجمهورية الصحراوية: لم تكن المشاريع السابقة سوى جس للنبض و محاولة من سلطات الإحتلال الفرنسي وضع أرضية تبني عليها مشروعها الحقيقي المؤدي إلى فصل الصحراء وقد تمثل هذا المشروع في محاولة إنشاء جمهورية صحراوية في مشروع آخر أشتمل ، اعتمد الإحتلال الفرنسي على شخصية حمزة بوبكر الذي كلف بعرض مشروع إقامة الجمهورية الصحراوية¹⁶، و وفرت له كل الإمكانيات التي تساعده على القيام بعمله إذ أول ما قام به أن شرع في الترويج لفكرة الشخصية و الهوية الصحراوية المتميزة و بتواطؤ منه ظهر أناس يقولون أنهم صحراويون و ليسوا جزائريين¹⁷، و قد قام الإحتلال الفرنسي بإثارة أطماع هذا الرجل بأن توليه إمارة هذه المملكة ترأس الجمهورية الصحراوية¹⁸، و قد قام بجولات سريعة للحصول على تأييد و دعم من أعيان المناطق الصحراوية¹⁹، إذ قام بزيارة إلى منطقة الهقار و إجتماع بأعيانها دون الخروج بنتيجة تذكر²⁰، و قام حتى بزيارة إلى النيجر برفقة "ماكس لوجان" في 04 ديسمبر 1961 لم يتمكن

خلالها من إقناعها الرئيس النيجيري "حماني ديوري" بمساعدته على قيام الجمهورية الصحراوية بعد إدعائه أنه ممثل الصحراويين²¹.

و لم يستطع إفتكاك موافقة الأعيان حتى بعد جمعهم في خريف 1960 في جلسة مغلقة في ورقلة حضرها النواب المسلمون و النصارى في المجلس العمالي حيث كانت آراء النواب تحمل الرفض ضمنا و تبعد عنهم المسؤولية و مثال تلك الردود ما قاله "الشيخ بيوض" في رده على إستشارات "حمزة بوبكر" حول موضوع فصل الصحراء بعد ما عرض عليهم ما جرى بينه وبين "دوغول" من مشاورات: «...إن فرنسا لم تكن تستشيرنا يوم فصلت أجزاء من الشمال...فهي تصل وتفصل و تتحكم كما تريد، بل أكثر من هذا كنا نطلب أشياء من حقنا و نرفع أصواتنا فلا تسمعنا حتى في تطبيق قوانين سنتها هي...فإذا أرادت فرنسا أن تستشير فلستتشر صاحب الحق و هو الشعب الجزائري كله...لا أنت أيها الرئيس ، و لا أنا، و لا أحد من النواب يملك أكثر من بطاقة إستفتاء يلقيها في الصندوق يوم الإستفتاء...»²² ، و فشل حتى في اللقاءات التي حاول فيها جمع الأعيان بمساعدة من الشرطة الفرنسية التي أرغمتهم على حضور إجتماع أفريل 1961 حضرته أربع و خمسون (54) و لم يخرج هذا الإجتماع بالنتيجة التي كان يرجوها حمزة بوبكر و الإدارة الفرنسية و نفس الشيء يقال عن لقاء سانت أوجان²³.

و قد قام هذا الرجل أي -حمزة بوبكر- بنشاطات كثيفة من أجل بلوغ هدفه و هدف إدارة الإحتلال الفرنسي و التي لم يكبحها سوى تهديدات جبهة التحرير له و لمن يحضرون إجتماعاته²⁴ ثم إن إدارة الإحتلال الفرنسي بدأت تقتنع بفشل دعاية الهوية الصحراوية التي لم تلقى رواجاً و لا إقتناعاً بها و بالتالي فإنها ستسلم بجزائرية الصحراء²⁵.

ثانيا: إستراتيجية ثورة التحرير الجزائرية في الصحراء بعد مؤتمر الصومام:

بعد سنة 1956 تغيرت أمور عديدة في ثورة التحرير و ازدادت تنظيما و خاصة بعد مؤتمر الصومام المنعقد في 20 أوت 1956 ، و بطبيعة الحال تغيرت الاستراتيجية المنتهجة في هذا الحيز الجغرافي و أيضا نفس الشيء يمكن أن يقال عن الأهداف المبتغاة من هذه الاستراتيجية الجديدة فبعد أن مدت خلايا جبهة التحرير إلى غاية تامنغست اتضحت الاستراتيجية ، ففي المجال السياسي عملت على تحقيق مقاطعة الشعب للإدارة الفرنسية وهذا من شأنه إضعاف و إفشال مخططات الإحتلال المبنية على أساس عزل الشعب عن الثورة و ذلك بتشكيل تنظيمات سرية داخل المدن و القرى و المداشر تعمل على حل النزاعات و التكفل بمختلف المشاكل التي كانت تظهر على الساحة المحلية من حين لآخر²⁶ ، و تدعيم الإتصال بالشعب و نشر اليقظة و التوعية و دعوته إلى الاستقالة من كافة هياكل الإدارة الإستعمارية و التعبير عن دعمهم للثورة و جبهة التحرير الوطني²⁷ ، بالاعتماد على طرق منها عدة منها المناشير و كذلك بالإعتماد على مجاهدين لهم قدرات سياسية و بإمكانهم القيام بالدعاية²⁸ ، كما تمت دعوة المواطنين إلى مقاطعة الانتخابات و النشاطات السياسية التي تقيمها سلطات الإحتلال الفرنسي²⁹ .

كما عملت على تحذير الشركات البترولية الأجنبية و أبلغت الحكومة المؤقتة يقضي بإبلاغ هذه دولها بعدم جدوى الصفقات المبرمة مع الحكومة الفرنسية سنة 1959 كونها لا تملك حق عقد إي صفقة تخص إستغلال الثروات الجزائرية³⁰ ، و من جهة أخرى العمل على إبراز تضامن الشعب مع ثورة التحرير و الدعاية له أمام العالم و مثال ذلك إتخاذ يوم 05 جويلية 1961 يوما وطنيا ضد سياسة التقسيم و الذي اعترفت الصحافة الفرنسية و الدولية بنجاحه رغم ما تم حشده من قوات كبيرة لكسر الإضراب العام و الشامل و خرج الشعب في مظاهرات ضد التقسيم في كل من بسكرة و الجلفة و الأغواط و في غرداية عام 1960 و في مدينة توقرت سنة 1961 و في ورقلة 1962³¹ .

أما على الصعيد العسكري فقد اختلفت الإستراتيجية العسكرية التي اختلفت عن تلك المنتهجة في المرحلة الأولى ما بين سنتي 1954 و 1956م حيث شملت التنظيم العسكري المناطق الصحراوية التي لم يتمكن من أن يضع فيها خلاياه في المرحلة السابقة و تم نشر الثورة في الصحراء رغم الصعوبات خاصة في الجزء الشرقي الذي وضعت مناطقه تحت قيادة الولاية السادسة المنشأة فقط بعد مؤتمر الصومام الذي أعاد الإعتبار لمناطق كانت خارج حسابات مفجري الثورة التحريرية لعدة أسباب³² ، و بهذا تكون الثورة قد حققت هدف الشمولية رغم أنها لم تتمكن من جمع كل المسؤولين و الممثلين في هذا المؤتمر التاريخي إلا أنها تمكنت من وضع أرضية تمكنها من إعادة الإعتبار لهذه المناطق و الميكانيزمات الأساسية³³ ، و من أجل سياسة أخرى في المناطق الجنوبية البعيدة تم إنشاء منطقة خامسة مشكلة من غرداية و متليلي و ورقلة و تامنغست و تطيرها لتصبح مناطق إنطلاق و هو ما يسمح بالتوغل جنوبا لإستقطاب وجهاء و أعيان القبائل و تجنيدهم لخدمة الثورة و إطفاء نار الفتن التي كان يشهها المحتل الفرنسي من حين لآخر ، و وضع الولاية في حالة إستنفار قصوى بتكثيف العمليات الفدائية و نصب الكمائن و إستهداف مراكز العدو³⁴ و مد شبكات الثورة التحريرية إلى غاية مناطق أقصى الجنوب³⁵ .

أما الجهة الغربية من الصحراء فكانت تابعة للولاية الخامسة التي كانت مساحتها هي الأخرى شاسعة و التي تمتد من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى الحدود المالية جنوبا و يحدها شرقا كل من الولاية الرابعة و الولاية السادسة و غربا الحدود المغربية و الموريتانية و لم تكن كل مناطقها صحراوية كما هو الشأن بالنسبة للولاية السادسة و تضم المناطق الصحراوية التالية: البيض، النعامة، بشار ، تندوف، أدرار حيث يمكن القول عن الولاية الخامسة أنها كانت تضم ثمانية مناطق و كانت المناطق الصحراوية ممثلة في ثلاثة نواحي هي كلومب بشار، عين الصفراء، البيض وأفلو³⁶ .

و قد تأخر الجزء الصحراوي في الإنطلاقة فإذا كان الجزء الشرقي من الصحراء لم يعرف التنظيم الثوري إلى غاية سنة 1956 فإن الجزء الغربي كذلك رغم كونه مصنف جغرافيا ضمن حدود الولاية الخامسة قبل هذه السنة و قبل مؤتمر الصومام فإنه و بمجرد وصول التنظيم الثوري إلى الأبيض سيدي الشيخ و غرداية حتى قام سكان بعض المناطق الصحراوية الغربية بالإتصال بمحمد جغابة في أواخر 1956 و هو المكلف من طرف الولاية السادسة بنشر التنظيم الثوري في أعماق الصحراء³⁷ .

كما كان المسعى الأساس و الرئيس هو محاربة الإستراتيجية العسكرية الفرنسية التي تهدف إلى إبقاء الصحراء الجزائرية أرضا هادئة دون أن تتضمن ميادين للحرب ، و كانت لا ترغب أبدا في قيام جيش التحرير و لا تواجهها بها³⁸ ، و لم توفق في ذلك حيث قامت جبهة التحرير بوضع خطة لمد الثورة جنوبا إلى غاية مناطق أقصى الجنوب³⁹ و لما شددت قوات الإحتلال الفرنسي على الصحراء و كتفت من مواجهها العسكري كان رد فعل الثورة أن أقدمت على إجراء آخر من شأنه إثبات تواجد جيش التحرير الوطني بالصحراء و ذلك بإنشاء منطقة أقصى الجنوب سنة 1960⁴⁰ إنطلاقا من الحدود المالية دخل مجندوها التراب الجزائري بعد إتمام تدريبهم و جاهزيتهم⁴¹ .

و كإجراء فعال قامت الثورة الجزائرية بتجنيد عدد كبير من الشباب و في شتى المجالات مثقفين و أدلاء و ميكانيكيين لإستخدامهم في زرع الألغام و تنظيم مكاتب سرية هدفها جمع المعلومات عن قوات الإحتلال و الشركات البترولية و الجالية الأوروبية و المناوئين للثورة و رصد تحركاتهم و مخططاتهم و إبلاغها للمجاهدين⁴² ، و قد كان المجندون في جيش التحرير الوطني رغم صعوبة الظروف يدفعون الإشتراكات دوريا و هو ما من شأنه أن يدعم الجيش بمبالغ مالية و حاجيات من ألبسة و أغذية و أدوية و ذخيرة⁴³ ، و إستهداف المنشآت البترولية التي لم يخفي دوغول رغبته في إستغلالها و إستغلال البنى التحتية التي أنشأها في

الصحراء الجزائرية⁴⁴ فقد عمل جيش التحرير على إستهداف مصالح هذه الشركات المتواجدة بمناطق الصحراء وخاصة البترولية منها⁴⁵، و توسيع رقعة المعارك العسكرية للقضاء على الهدوء الذي تحاول سلطات الإحتلال الفرنسي رسمه على المناطق الصحراوية فقد بلغت التي قام بها جيش التحرير المناطق البعيدة كعين صالح و تمنراست و تميمون و أدرار⁴⁶ أمام الرغبة الفرنسية في السيطرة على كامل الصحراء و لكنها لم تتمكن من تحقيق ذلك رغم ما جندته من إمكانيات ووسائل⁴⁷.

منه نستنتج أنه كانت للثورة الجزائرية إستراتيجية خاصة بالحيز الجغرافي الصحراوي و مختلفة لإختلاف الظروف و الأهداف فيه عن بقية أنحاء الوطن، و قد طورت الثورة من هذه الإستراتيجية مع تطور هياكلها و تنظيماتها و أيضا مع تطوير الإحتلال لإستراتيجيته في الصحراء و منه فإنها كيفت إستراتيجيتها وفق هذا كله و لكنها بعد سنة 1956م أصبحت أكثر شمولية و ختاما لا يمكن القول أن الواحد منا يمكنه إستيفاء الموضوع حقه في هذه الأسطر المعدودة على تواضعها إلا أنه يمكنه الإسهام في كتابة تاريخنا الذي يعد واجبا على كل الجزائريين

**ثالثا: مشاريع الإحتلال الهادفة للفصل في أقصى الجنوب منطقة هقار
أنموذج:**

إن الإحتلال الفرنسي درس و بعناية تركيبة المجتمع الجزائري فهو يعرف كل مميزاته و حتى عادات الأسر الجزائرية و علاقاتها⁴⁸، و فيما يخص نظام المجتمع فإن للإحتلال الفرنسي في الجزائر تجربة طويلة مع النظام القبلي منذ فترة المقاومة و فترة دخول الإحتلال و الذي يعيش التوارق وفقه إذ يرتكز هذا النظام على طاعة الزعيم و الذي يسمى عندهم "أمنوكل" و الذي يمثل السلطة التقليدية و لا تخضع قراراته للنقاش قبل أن تتمكن سلطات الإحتلال من إخضاعها و لكنها حافظت على هيكلها⁴⁹، و لما إندلعت الثورة التحريرية و إمتدت إلى كامل أنحاء

الوطن و تفتنت لمحاولات الإحتلال الفرنسي إغراء أعيان القبائل فوفقت في وجه هذه المحاولات⁵⁰ ، أما عن تفتن الثورة للأمر و كيفية التعامل معه يقول "جغابة محمد⁵¹": «...لا يمكن لأي شخص أو تنظيم أن يعمل في الجنوب بغير إتصال مع التوارق و موافقتهم و مساندتهم له و هو ما فعلناه منذ البداية...»⁵² و أقر جغابة الذي كان مكلفا بالتنجيد من قبل الولاية السادسة أنه ما إن إقتنع أخموك باي⁵³ حتى تبعه كل توارق الهقار⁵⁴ و هذا ما يؤكد ما سبق قوله عن السلطة التي يتمتع بها الأموكال في نظام قبائل التوارق و الذي يقول عنه جغابة الذي عمل على نشر خلايا جبهة التحرير الوطني في أقصى الجنوب إنطلاقا من المنبوعة أنه لمس فيه تأييدا واضحا للجبهة⁵⁵ و هو ما اقرته سلطات الإحتلال التي لم تحف إنزعاجها من إنتشار الثورة في الصحراء⁵⁶ رغم صعوبة الوضع⁵⁷ إذ يقول محمد الشريف مساعدي أنها كانت معركة إثبات وجود في ظل سعي الإحتلال الفرنسي للإحتفاظ بالصحراء و خاصة مطلع الستينات بإدعائها أن هناك مناطق لم تتمكن جبهة التحرير من التواجد بها⁵⁸ ، و بالتركيز على الأعيان من قبل جبهة التحرير و توعيتهم بحقيقة الإدعاءات الفرنسية⁵⁹ التي تمهد إلى التفريق بين الجزائريين بكل الطرق حتى يسهل عليهم تحقيق الأهداف المنشودة و المبنية على نجاح فكرة التقسيم و بتر الجزء الجنوبي من الجزائر⁶⁰ ، فإن سلطات الإحتلال الفرنسي عملت على جعل هؤلاء الأعيان أداة أساسية لتحقيق مشروع الفصل و ذلك بإتصال بالتوارق و عرضت عليهم فكرة إنشاء دولة مستقلة و تضم توارق الجزائر (هقار، أزجر) و توارق كل من مالي و النيجر و تشاد⁶¹ و قبل أن يشرع الفرنسيون في تنفيذ فكرتهم تلك كانوا يعملون على إحداث قطيعة بين عناصر الأمة و خاصة بين شمالها و جنوبها و لما أدركت تغلغل الثورة في أقصى الجنوب عندما القت القبض على مجموعة من ثوار في منطقة الهقار شعرت بخطورة الوضع و ضرورة الإسراع في تنفيذ المخطط و قاموا بجمع سكان المنطقة ، و قام جنرال يسمى "مسمير" بإلقاء كلمة أمام الحشد مشوها من خلالها صورة المجاهدين من جهة و مادحا فرنسا من جهة أخرى، و مركزا

على الوعود و الإغراءات و الحياة المميزة التي سيعرفها سكان الصحراء في المستقبل طبعاً تحت إدارة الإحتلال الفرنسي⁶² ، و قد كانت تخشى أي إتصال بين السكان و الثورة و كانت تحيط مناطق التوارق بعزلة كبيرة فإذا ما سمعت بثوار في المنطقة إلا و جندت كامل إمكانياتها للحيلولة دون إتصالهم بالسكان⁶³ ، و عندما تلقي القبض عليهم كانت تسجنهم خارج المنطقة أي تبعدهم مع إنزال العقوبة بهم⁶⁴ ، و حتى بعد نشأة الجبهة الجنوبية كان من الصعب على السكان الإلتحاق بها بسهولة بسبب الإجراءات الفرنسية المشددة على حركة الأشخاص لمراقبة تحركاتهم و إتصالاتهم⁶⁵ .

(أ) - محاولة سنة 1959 في تامنغست: كانت المحاولة الأولى سنة 1959 حين أرسل الجنرال "دوغول" القائد لوي و هو عسكري برتبة عقيد و الذي كان مجنناً من قبل في تامنغست و يحسن لغة التوارق إلى "باي أمخوك" محملاً برسالة مكتوبة و سلمها له شخصياً و سلمها باي لأحد أقربائه⁶⁶ الذين كانوا يدرسون في المدرسة الفرنسية ليتزوجها له و إستغرق الأمر ثلاثة أيام و حين أتم ذلك سلمها لباي النسختين الفرنسية (الأصلية) و العربية (المترجمة) بعد أن إطلع على مضمونها⁶⁷ .

و ليت هذه الوثائق كانت موجودة اليوم بين أيدي المؤرخين و المختصين لكانت وثيقة تاريخية مهمة في تاريخ الجزائر المعاصر و أهم الوثائق التي تؤرخ للمحاولات الفرنسية الهادفة لتجزئة الجزائر و تفتيتها إلى كيانات صغيرة و لكن شاهد عيان نقل لنا مضمون هذه الرسالة إذ يروي أن "دوغول" عرض في هذه الرسالة على باي إستقلالاً داخلياً بمنح لتوارق الهقار و آجر و مالي و نيجر و يكون هذا الإستقلال تحت الإطار الفرنسي فكان رد باي شفويّاً على مبعوث "دوغول" بأن قال له: «...إن هذه القبائل كانت فيما بينها حروب قبل مجيء فرنسا ونحن لا ننفصل عن الجزائر...»⁶⁸ .

(ب)- محاولة سنة 1960 في تامنغست: أما المحاولة الثانية فكانت سنة 1960 حين قام الوزير الأول الفرنسي "ميشل دوبري" بزيارة إلى منطقة تامنغست بأمر من الرئيس الفرنسي دوغول بغية طرح المشروع الفرنسي شخصيا و الوقوف على نجاحه⁶⁹، و جاء إلى تامنغست و معه مجموعة من توارق مالي و النيجر و تشاد⁷⁰ و إجتمعوا مع باي في نزل تينهان وسط المدينة حاليا لمدة أسبوع كامل و عرض عليه فكرة تنصيبه سلطانا على دولة إسلامية تجمع كل توارق إفريقيا و تمتد من قارة لغدر إلى جانت إلى إليزي مروراً بورقلة إلى الأغواط و قال له "دوبري": «...و بهذا يبقى الجزائريون هناك و أنتم هنا...» فكان رد باي الرفض قائلاً: «...أنا جزائري ينالني ما ينال باقي الجزائريين...»⁷¹.

(ج)- محاولة سنة 1961 باريس: أما المحاولة الثالثة فكانت سنة 1961 حيث أرسلت فرنسا طائرة لجلب باي هذه المرة إلى باريس التي إستقبله فيها "دوغول" شخصيا و أقام هو و مرافقيه في نزل الأمريكان حول الوفد المرافق له هناك إختلاف حول عددهم و شح مصادر المعلومة إلا أن الجمع حوله هو مرافقة مترجمه الحاج بليل له و كان هذا في 14 جويلية 1961، و في اليوم التالي إجتمع "باي" و "دوبري" و أبلغه خلال هذا اللقاء عن عرض "دوغول" الذي يقضي بمنحه ملكا واسعا مع مبالغ مالية تتعهد فرنسا بدفعها له كل فصل و لكن باي رفض العرض مرة أخرى رد عليه قائلاً: «...ربما قد لا أطلب إستقلال الجزائر و لكن الذي أطلبه هو عدم الإستقلال عن الجزائر...».

و بهذا يتأكد الاصرار الفرنسي على إنجاح مشروعه رغم رفض "باي" المتكرر و الصريح، أم أن ردوده كانت تحتاج إلى توضيح كما فعل في المرة الأخيرة؟، و لماذا لبي دعوة "دوغول" أصلا ما دام يرفض الأفكار و المشاريع الفرنسية أساسا؟ كل هذه الأسئلة لم أجد لها أجوبة و لازلت موضع بحث فالمؤكد أن "دوغول" كان يناور من أجل الحصول على أكبر قدر ممكن من المكاسب بعد تأكده من عدم إمكانية الإستمرار في إستعمال القوة لوحدها للحفاظ على الجزائر، و

الحقيقة أن هذا الرجل مثل موقفا في غاية الشجاعة في فترة كان يملك فيها الإحتلال الفرنسي يملك كل إمكانيات التأثير لكن هذا الرجل (باي) لم يتأثر بالضغط الفرنسي و لا بالأجواء التي خلقها الإحتلال و محاولات الإغراء التي لم تجعله يتخلى عن تمسكه الجوهر الحقيقي⁷²

– إستراتيجية التجنيد في المنطقة الجنوبية الصحراوية مناطق هقار أنموذج:

بعد كل ما قام به الإحتلال الفرنسي من سياسات واضحة الدلالات و الأهداف في الصحراء الجزائرية و كما لاحظنا لم تكن الثورة الجزائرية بالغافلة عن ما كان يقوم به الإحتلال الفرنسي و على مختلف الأصعدة و كانت لها تحركاتها الآنف ذكرها و خاصة مناطق أقصى الجنوب و نظرا لشساعة مساحة الجزائر لم تتمكن كل من الولايتين السادسة و الخامسة رغم ما بذلتاه من جهود من تحقيق إستراتيجية الثورة الجزائرية بأكملها فبعد دهم هاتين الولايتين بتنظيم آخر إنطلاقا من المناطق الحدودية تشكل متنفسا للثورة و تدعم جباهاتها و خاصة الجنوبية التي تشكل غوص للجزائر في عمقها الإفريقي .

و منذ إنشاء الجبهة الجنوبية التي كانت تعمل إنطلاقا من الحدود المالية و النيجيرية حتى تمكن الجزائريين من المتواجدين في تلك المناطق من خدمة الثورة و الإنضمام إليها و المشاركة في معركة التحرير فقد كان صوت الثورة ذائعا و كان الكثير من الشباب في مناطق أقصى الجنوب تواقا لسماع أخبارها و توجس إمكانيات الإتصال و الإلتحاق بما رغم ما كان يفرضه الإحتلال من رقابة على مناطقهم⁷³ .

و قد كانت الاستراتيجية التي وضعت لهذه الجبهة الجديدة التي تصنفها بعض المراجع التاريخية أو تشري إليها على أساس أنها مجرد جبهة لإدخال السلاح حتى أنهم أطلقوا عليها جبهة المالي نسبة إلى دولة مالي الشقيقة التي انطلقت منها اللبنة الأولى لهذه الجبهة ، و لكن المتصفح لمجموعة من وثائقها و انطلقا

من التسمية الحقيقية الواردة فيها " المنطقة الجنوبية الصحراوية " ، و انطلاقا من مجموعة المواضيع الواردة فيها يجد الباحث مجموعة من الأدوار تتخطى مجرد مهمة المرء⁷⁴ ، بل و يمكن العودة إلى مصادر من كانوا حاضرين على الميدان و بعض من كانوا على علم بأهداف و الخطوات المرحلية للمنطقة الجنوبية الصحراوية سيدرك عدة أمور منها أن الثورة فعلا وجدت السبيل الأمثل للانتقال من الدعم و السند الأفريقي في المنابر السياسية و الدبلوماسية على أهميتها إلى النجاعة و المشاركة الفعلية في معركة تحرير الجزائر و تضافر الجهود الأفريقية⁷⁵ .

و في المقابل كانت هذه الرغبة تتوافق مع رغبة قيادات المنطقة المستحدثة حيث كانت تعمل على إنشاء شبكات للتجنيد للإلتحاق بالجهة للتدريب على العمليات العسكرية و قد كانت تحتاج إلى رجال على قدر من الوعي السياسي و بإمكانهم القيام بمهمة التجنيد و التأطير و التوعية و نقل رسالة الثورة الجزائرية إلى الشعب و هذا ما توفر آن ذاك في مولاي أحمد برادعي الذي سبق لقوات الاحتلال أن إعتقلته من قبل و ذاق مرارة الإعتقال في سجن السركاجي بالعاصمة⁷⁶ .

و قد وجدت الثورة ضالتها في هذا الرجل للإعتماد عليه في منطقة هقار حيث إستطاع ان يكون في مستوى المهمة و الثقة الممنوحة له حيث كان يجند الراغبين و يؤدون اليمين ثم يلحق هؤلاء بمعاقل الثورة في الحدود المالية ليتلقى التدريب و التعليمات اللازمة و كان برادعي يعتمد ايضا على مجموعة من المناضلين منهم على سبيل المثال لا الحصر باحبي مولود الذي كان مكلفا بالتجنيد في تامنغست و تأدية اليمين و جمع الإشتراكات⁷⁷ ، و تطوين خلايا سرية لجهة التحرير تكفل لها الدعم الشعبي و تضطلع بعدة مهام⁷⁸ .

و نظرا للأهمية و الفرصة التي كان يراها السكان في هذه المناطق و رغبتهم في اللتحاق بجهات القتال إلا أن الثورة في هذه المنطقة أثبتت أنها منظمة و تلتزم بالتعليمات الصارمة للثورة الجزائرية ، و مثال ذلك أن بعض المجندين التحقوا

بمعادل التدريب و لم يكن لهم كفاءة جسدية كاملة أعادتهم القيادة إلى تامنغست و طلبت التكفل بهم و نقلت مهامهم⁷⁹ ، كما سهل فتح هذه الجبهة على الثورة الجزائرية استقبال المساعدات القادمة الجنوب و مكنها من استغلال الجزائريين المتواجدين بمهذه الجهات أو الذين يمكنهم المساعدة و المساهمة في معركة التحرير بأي وجه من الأوجه⁸⁰

ان الحديث في موضوع المنطقة الجنوبية الصحراوية لا يمكن ان يتم بمعزل عن الحديث عن استراتيجية الاحتلال الفرنسي في الصحراء الجزائرية و مقارنتها بنظيرتها لدى جبهة التحرير الوطني و التي تميزت بإختلاف عبر المراحل فلم تكن نفسها قبل سنة 1956م و لا نفسها بعد سنة 1960م تبعا للظروف و السياسات و التطورات التي عرفتها المعركة بين الطرفين على مختلف الأصعدة و أهمية الموضوع تجعل من الصعب حصره في هذه الأسطر المحدودة إلا أنه بالإمكان تسليط الضوء على بعض الجوانب و طرح بعض الاشكاليات التي ما تزال بحاجة إلى مزيد من البحث و التحليل .

الهوامش :

1 - إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى و شواطئها، م.و.ك، الجزائر، 1984، ص381.

2 - المجاهد، عدد98، الصادر في 19 جوان 1961.

3 - نفسه

⁴ - Ahmed Sékou Touré , **L'Afrique et la révolution** , imprimé en Suisse, s.d, T13, p25-27.

5 - فرانز فانون، من أجل إفريقيا، ترجمة محمد الميلي، ش.و.ن.إ.ت، الجزائر، 1980، ط2، ص125.

6 - عبد السلام بوشارب، الهقار أمجاد و أنجاد، م.و.إ.ن.إ، الجزائر، 1995، ص141.

7 - المجاهد، عدد100، الصاد في 17 جويلية 1961، ص10.

8 - Mohammed Bedjaoui, **La révolution algérienne et le droit**, Edition A-I-J-D, Bruxelles, 1961, p240.

9 - محمود عبد الفضيل، النفط و المشكلات المعاصرة للتنمية، عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص11.

10- بن عمر الحاج موسى، بترول الصحراء بين حسابات الثروة في فرنسا و رهانات الثورة في الجزائر، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008، ص123.

11 - المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر، فصل الصحراء في السياسة الاستعمارية الفرنسية، منشورات المركز، الجزائر د.ت، ص49.

12 - م.و.د.ب.ح.و.ث.أ.ن، نفس المرجع، تقرير ماكس لوجان، ص102-103.

13 - نفسه، ص102-103

¹⁴ - Charles De Gaulle, **Extraits pour l'avenir**, Edition Berger-Levrault et Librairie Plon, Paris, 1973, p115-116.

- 15 - الزاهي صالح ، حاوره الباحث بتاريخ 10 فيفري 2011 ، بتامنغست .
- 16 عمار ملاح ، محطات حاسمة في ثورة أول نوفمبر 1954 ، دار الهدى ، الجزائر ، 2004 ، ص 215 .
- 17 محمد عباس ، نصر بلا ثمن - الثورة الجزائرية 1954-1962 ، دار القصة ، الجزائر ، ص 350 .
- 18 - نفسه ، ص 811 .
- 19 - محمد الامين بلغيث ، تاريخ الجزائر المعاصر ، دار ابن كثير ، لبنان ، دار البلاغ ، الجزائر ، 2001 ، ص 204
- 20 - شناني ، المصدر السابق .
- 21 - يوسف بن بكير ، تاريخ بني مزاب ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، 2007 ، ص 217 .
- 22 - ابراهيم بيوض ، أعمال في الثورة ، جمعية التراث القرارة ، غرداية ، ص 35-36 .
- 23 - عبد الحميد نجاح ، منطقة ورقلة و توقرت من مقاومة الاحتلال الفرنسي إلى الاستقلال ، الأمل للطباعة ، الجزائر ، 2003 ، ص 226-227 .
- 24 - عباس ، المرجع السابق ، ص 814 .
- 25 - Henry Allegue, **La guerre d'Algerie**, Edition temps actuel, Paris, 1999, p352.
- 26 - وثائق المنطقة الجنوبية الصحراوية - وثائق بحوزة عائلة برادعي مولاي أحمد

- 27 - المركز الوطني، المرجع السابق، ص63-64 ، ص92-93
- 28 - شهادة عبد الرحمان شنوفي (ضابط الولاية السادسة) ، جزء الشهادات
المركز الوطني ، المرجع السابق ، ص327-328.
- 29 - المركز الوطني ، المرجع السابق ، ص92 - 93
- 30 - نجاح ، المرجع السابق ، ص229.
- 31 - الهادي درواز ، الولاية السادسة تنظيم ووقائع ، دار هومة ،
الجزائر، 2004، ص136-137.
- 32 - بورقعة، المصدر السابق، ص14.
- 33 - مبروك بالحسين، المراسلات بين الداخل والخارج (الجزائر-القاهرة)
1954-1956، دار القصة، الجزائر، 2007، ص73.
- 34 - درواز، المصدر السابق، ص59
- 35 - الحاج سعيدان التومي، سكان تيديكلت القدماء و الإتكال على
النفس، دار هومة ، 2005، ص212-213.
- 36 - المجاهد، عدد 41 الصادر في 59/06/01
- 37 - تواتي دحمان و آخرون ، الثورة الجزائرية في أقاليم توات ، منشورات جمعية
مولاي سليمان بن علي لحماية مآثر الثورة التحريرية ، الجزائر ، 2004، ص30-
31.
- 38 - شهادة لحبيب جراية (ضابط الولاية السادسة) ، المركز الوطني ، المرجع
السابق، ص365.
- 39 - شهادة عبد الغني عقي (ضابط الولاية الخامسة) ، نفسه، ص332-333.

- 40 - المركز الوطني ، المرجع السابق ،ص64.
- 41 - دفتر التجنيد لصاحبه باحبي مولود الذي كان مكلفا بالتجنيد و جمع التبرعات سرىا خلال فترة الثورة التحريرية بمنطقة تمنراست
- 42 - Charles De Gaulle ,**Mémoires d'espoir**-(**Le Renouveau1958-1962**), Librairie Plon ,Paris,1970,p130
- 43 - شهادة لحبيب جراية، في جزء الشهادات المركز الوطني المرجع السابق، ص364.
- 44 المركز الوطني ، المرجع نفسه ،ص269-270.
- 45 - شهادة محمد جبريط (ضابط الولاية الخامسة)، ص325 و شهادة عبد الغني عقبي ،نفس المرجع،ص232.
- 46 - شهادة محمد جبريط (ضابط الولاية الخامسة)، ص325 و شهادة عبد الغني عقبي ،نفس المرجع،ص232.
- 47 - شهادة الطاهر لعجال(ضابط الولاية الخامسة) ،نفس المرجع،ص338.
- 48 - Frantz Fanon, **Sociologie d'une révolution**, Librairie François Maspero ,Pais ,1982 ,p83-106.
- 49 - حسن مرموري ، التوارق بين السلطة التقليدية و الإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين ،المجلس الأعلى للغة العربية ،الجزائر،2010،ص49،ص411-412.
- 50 - درواز، العقيد محمد شعباني الأمل و الألم، الصدر السابق ،ص65-66.

51 - جغابة محمد: ولد بتاريخ 05 نوفمبر 1935 بولاية بسكرة وتلقى بها تعليمه الأول، وتحصل على شهادة البكالوريا و تخرج من جامعة الجزائر بشهادة ليسانس في الحقوق ، إنضم إلى الثورة منذ وتلقى بها تعليمه الأول، وتحصل على شهادة البكالوريا و تخرج من جامعة الجزائر بشهادة ليسانس في الحقوق ، إنضم إلى الثورة منذ إنطلاقتها و منحت له رتبة ضابط و عمره عشرين سنة 1955 عمل بالمنطقة الأولى و تم إلقاء القبض عليه و سجن في سجن مشرية و سجن بورزق و بعد إطلاق سراحه إنضم إلى قيادة الولاية السادسة أين ساهم في تنظيم و نشر الثورة للمزيد أنظر، وزارة المجاهدين، المرجع السابق، ص320.

52 - محمد جغابة ، حوار مع الذات و مع الغير - تحديات الفضاء الفسيح و الأزمنة المفتوحة ، دار هومة ، الجزائر ، 2007، ص165-171.

53 - أخموك باي: هو ابن أمنوكال العاشر و كان طموحا لخلافته، وكان باي معتزا جدا بدوره و سلطته و عرف كيف يحيط نفسه بمستشارين نهرة و أدكيا و الذين كانوا يجالسونه دائما خلال فترة حكمه ، و إنتخب بعد الإستقلال نائبا بالمجلس الشعبي الوطني ،و عين أيضا نائبا لرئيس الجمعية الوطنية الجزائرية سنة 1963 و توفي سنة 1975، أنظر مرموري، المرجع السابق، ص202-203.

54 - شهادة محمد جغابة، عد إلى بوشارب، المرجع السابق، ص132

55 - نفسه، ص132.

56 - يوسف مناصرية ، «بعض الوثائق الفرنسية حوا نشاط الثورة التحريرية في الجنوب الجزائري» ، مجلة المصادر، العدد الخامس ، 2001، ص54-62.

57 - جبريط، المصدر السابق، ص327.

58 - شهادة محمد الشريف مساعدي ، عد إلى بوشارب، المرجع

السابق، ص133.

59 - درواز، المصدر السابق، ص 66.

60 - شناني، المصدر السابق.

61 - بوشارب، المرجع السابق، ص 142

62 - نفسه ، ص 142.

63 - أسكيو أمغير ، حاوره كديده محمد مبارك بتاريخ 13 أبريل 2011 بتامنغست إذ يذكر هذا المجاهد كيف جندت قوات الإحتلال الفرنسي سنة 1960 الآليات و الطائرات للقبض على ثلاثة مجاهدين فقط و الذين كانوا فارين في منطقة شاسعة و مكشوفة لم كان يشتغل في ورشات التجارب النووية في اينكر هو و مجموعة من شباب المنطقة لإعدادها للتجارب.

64 - بوشارب، المرجع السابق، ص 142.

65 - يذكر "أسكيو أمغير" أنه كان متشوقا كالكثيرين من الشباب لأخبار الثورة و يحاولون الإتصال بها و هو شخصيا لما سمع بتواجد التنظيم في الحدود المالية الجزائرية إنتقل إلى غاية المنطقة الحدودية غي قزام و لم يتمكن من المرور أو إحتراق الحدود لعدم إمتلاكه رخصة مرور التي كانت تمنحها سلطات الإحتلال الفرنسي بعد معرفة الشخص الذي ستنقل إليه و معرفة كل المعلومات الخاصة به و تمنحاً لمدة وجيزة أطولها لا تتعدى الثلاثة أشهر، وبدل المرور أُعيد إلى مدينة تامنغست لعدم توفره على الرخصة ولا على شروطها، أسكيو، المصدر السابق.

66 - شناني، المصدر السابق

67 - نفسه.

68 - شناني، المصدر السابق.

69 - نفسه.

70 - درواز، الولاية السادسة تنظيم ووقائع، المرجع السابق، ص 133.

71 - بوشارب، المرجع السابق، ص143.

72 - محمد مبارك كديده ، الصحراء الجزائرية بين مخططات الفصل
الجديدة و طاولة المفاوضات النهائية ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2013، ص
75-70

73 - شهادة أسكيو أمغير .

74 - وثائق المنطقة الجنوبية الصحراوية

75 - فانون ، المصدر السابق ، ص 183-198

76 - وثيقة برادعي بسجن سركاجي ، بطاقة المناضل .

77 - دفتر التجنيد باحي مولود.

78 - وثائق الجبهة الجنوبية بحوزة عائلة برادعي مولاي أحمد .

79 - نفسه .

80 - شهادة الشناني ، المصدر السابق .

المؤرخ أبو العباس أحمد الغبريني (644 - 704 هـ / 1246 - 1304 م)
 وكتابه عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية
 أ.السعيد عقبة - قسم العلوم الانسانية - جامعة الشهيد حمه لخضر -
 الوادي

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على القيمة التاريخية لكتاب «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية»، لأبي العباس أحمد الغبريني، هذا الكتاب الذي يعد مصدراً مهماً ومادة علمية زاخرة للإنتاج العلمي والأدبي لبجاية خلال القرن 07 هـ/13 م، فهو يقدم لنا صورة واضحة وصادقة عن الأوضاع الثقافية والعلمية لحاضرة بجاية، واستقطاب العلماء من مختلف الحواضر العلمية المغربية والأندلسية وحتى المشرقية.

ABSTRACT:

This study intends to shed light on the historical value of «*Unwan ad-diraya fi man urifa min al ulama fi al mia as-sabia bi Bijaya*», a book considered as an abundant gist for scientific and literary production in Bejaia during the thirteenth Century (AD), the seventh Century of the Hidjra.

This book provides a clear and factual depiction of the scientific and cultural conditions in metropolitan Bejaia, and of the attraction of scientists from the different

Maghreb, Andalusian and even Mideast scientific metropolises.

مقدمة:

عرفت حاضرة بجاية في العصر الوسيط حظاً وافراً من الدراسات المختلفة في المجالات السياسية والاقتصادية والفكرية، فبيّنت هذه الدراسات والأبحاث مكانة بجاية ومركزها الهام في حوض البحر المتوسط، ويُعدُّ كتاب «عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية» من أهم المصادر التي أرتحت للحركة الفكرية بهذه الحاضرة في القرن 07هـ/13م، حيث قام «الغبريني» بتوثيق النشاط الفكري للعلماء والفقهاء والأدباء في هذا الكتاب الذي يُعتبر صفحة مشرقة من التاريخ الحضاري للمغرب الأوسط في العصر الوسيط.

وتحاول هذه الدراسة التعريف بالمؤرخ «الغبريني» (ت704هـ/1304م) وبكتابه «عنوان الدراية»، حيث قمنا بتسليط الضوء على شخصية المؤلف وأهم مراحل حياته، ثم التطرق للتعريف بهذا المصدر.

01- التعريف بالمؤرخ «الغبريني»:

أ- مولده ونشأته:

هو أبو العباس أحمد بن محمد الغبريني⁽¹⁾ نسبة إلى بني غبرين أو بني "غبري" من القبائل البربرية في المغرب⁽²⁾، ولد ببجاية في تاريخ لم يضبطه أصحاب الطبقات أو من كتبوا سيرته الذاتية، ولم يحدده أحد من مترجميه سوى رابح بونار في تحقيقه «للعنوان»⁽³⁾ وعادل نويهض⁽⁴⁾ حيث ذكرا أن الغبريني ولد سنة (644هـ/1246م).

أحاط الغموض بأسرة الغبريني فلم تذكر المصادر المتداولة شيئاً عن أصله ونسبه، بل كان هناك اختلاف حتى في اسم والده كما رأينا، إلا أن الغبريني عاش في بيئة علمية توارثت العلم ونبغ منها عدد من الأعلام منهم أبو النجم هلال بن يونس علي الغبريني (ت القرن 07هـ/13م)⁽⁵⁾، ومن أفراد أسرته نجد العالم أبو القاسم أحمد بن أحمد الغبريني (ت بعد سنة 770هـ/1368م)⁽⁶⁾، وابنه

أحمد بن أحمد بن أحمد أبو سعيد الغبريني⁽⁷⁾ الذي كان بارعاً في العلوم الشرعية، ومن أفراد قبيلته نجد أبو مهدي عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني التونسي⁽⁸⁾.

كان أبو العباس الغبريني شديداً حازماً منذ صغره مجتهداً في طلب العلم وتحصيله، يصفه ابن قنفذ القسنطيني "بالفقيه المحدث الجليل الشهير الفاضل"⁽⁹⁾.

ويقول عنه النباهي في المرقبة العليا "كان في حكمه شديداً، مهيباً"⁽¹⁰⁾، ويصفه محمد بن مخلوف "بالعالم النحرير، والمؤلف الشهير، الفقيه المطمع الخبير"⁽¹¹⁾.

ب- ثقافته وشيوخه:

أجمعت المصادر على الإشادة بالغبريني فتحدثت عن اتساع علمه وتنوع ثقافته وإتقانه لمؤلفاته⁽¹²⁾، وبدأ الغبريني تعليمه كعادة أهل المغرب⁽¹³⁾ بحفظ القرآن الكريم حفظاً ورعاً⁽¹⁴⁾، ودراسةً لمبادئ العلوم الشرعية والأدبية⁽¹⁵⁾.

وبعد أن تقدم الغبريني في تحصيله العلمي بدأ يحضر الحلقات العلمية في العديد من المساجد، كالمسجد الأعظم ببجاية⁽¹⁶⁾ وجامع الزيتونة بتونس⁽¹⁷⁾.

ويذكر الغبريني أنه درس علوم الدراية ويقصد بها علم الفقه وعلم الأصولين أصول الدين وأصول الفقه، وعلوم اللغة العربية وعلم التصوف وعلم المنطق⁽¹⁸⁾.

أما علوم الرواية⁽¹⁹⁾ فأزاد بها علوم التفسير وعلوم الحديث وعلوم الفقه وعلوم اللغة العربية، والتصوف⁽²⁰⁾، حيث كان الغبريني يمثل موسوعة علمية شاملة، فيإطلاء على المؤلفات التي درسها الغبريني نجده درس العديد من هذه المؤلفات في شتى المجالات الدينية واللغوية والصوفية والفلسفية⁽²¹⁾.

وتلقى الغبريني معرفته العلمية عن طريق كوكبة كبيرة من الشيوخ و العلماء
ترجم لأغلبهم في كتابه عنوان الدراية حيث كان جل هؤلاء فقهاء وأدباء
وصوفية، وسنعرض سريعا لأهم شيوخه الذين نهل من علومهم:

1- الشيخ أبو محمد عبد العزيز القيسي (ت القرن 07هـ/13م):

قرأ عليه وحضر مجلسه وسمع عليه موطأ الإمام مالك ومختصر ابن أبي زيد
القيرواني والمدونة⁽²²⁾.

2- الفقيه أبو العباس أحمد بن خالد المالقي (ت 660هـ/1261م):

قرأ عليه المستصفي للغزالي، والإرشاد وعلم المنطق والطب⁽²³⁾.

3- الشيخ أبو عبد الله التميمي (ت القرن 07هـ/13م):

قرأ عليه علوم اللغة العربية، وقال عنه " لازمته المدة الطويلة وما رأيت في علم
العربية مثله ، وانتفعت به ما لم أنتفع بغيره، وقرأت عليه النحو واللغة والأدب
والتصريف"⁽²⁴⁾.

4- الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الحق بن ربيع (ت القرن 07هـ/13م):

استفاد منه في البحث والتكرار، ويرجع إليه سنده في التصوف عن أبيه عن
الشيخ أبي مدين شعيب⁽²⁵⁾، كما درس عليه بعض علوم الرواية⁽²⁶⁾.

5- الشيخ أبو جعفر أحمد بن محمد الصدفي (ت القرن 07هـ/13م) استفاد

منه وحده بكتاب "أحكام القرآن" للطبري⁽²⁷⁾، كما استفاد منه في علم الحديث
النبوي الشريف.

6- الشيخ أبو عبد الله محمد بن صالح الأنصاري (ت القرن 07هـ/13م):

تعلق به الغبريني كثيرا، وتعلمذ على يديه ودرس عليه عدة علوم كالعلوم الشرعية واللغوية واستفاد منه خاصة في علم الحديث النبوي الشريف، حيث أخذ عنه موطأ الإمام مالك⁽²⁸⁾.

7- الشيخ الأديب أبو عبد الله محمد بن ميمون التميمي القلعي(ت القرن 07هـ/13م):سمع عنه علوم اللغة العربية وحديثه بكتاب سيبويه وكتاب الجمل للزجاجي، وكتاب ديوان الحماسة لأبي تمام⁽²⁹⁾.

8- الشيخ الفقيه أبو جعفر أحمد بن محمد(ت القرن 07هـ/13م): سمع عنه في التصوف، وحديثه بكتاب قوت القلوب لأبي طالب محمد بن علي المكي⁽³⁰⁾.

لا شك في أن هؤلاء الأعلام ليسوا كل شيوخته وإنما هم عينة من علماء بجاية الذين درس عليهم واستفاد من علومهم.

هـ- محنته ووفاته:

لما تولى أبو البقاء خالد إمارة بجاية بعد أبيه زكريا سنة (700هـ/1300م)، حاول أن يقارب بين تونس وبجاية المهديتين بخطر بني مرين⁽³¹⁾، وفعلا قام بعدة محاولات في هذا المجال لكن البعض من حاشيته وأعوانه كانوا لا يرغبون في هذا التقارب، وبعث أبو البقاء بوفد إلى تونس للتصالح مع ابن عمه أبي عصيدة صاحب تونس وكان هذا الوفد يتكون من أبي زكرياء الحفصي ومن الشيخ أبي العباس الغبريني(ت704هـ/1304م)⁽³²⁾، وقد قام هذا الوفد بتأدية مهمته بتونس وعاد إلى بجاية، ولكن أثناء هذه المدة عملت الوشايات مفعولها في صاحب بجاية من قبل حاشيته ورجاله الذين لم يكن في صالحهم التقارب والمصالحة بين الحاضرتين تونس وبجاية⁽³³⁾.

وكان المقصود من كل هذه الوشايات الغبريني، حيث لفقت هذه الحاشية تقما باطلة ضده وقدموها للسلطان أبي البقاء خالد وتمثلت هذه التهم في:

- 1- تواطؤ الغبريني مع البلاط الحفصي في تونس ضد أبي البقاء في بجاية.
- 2- تخطيط الغبريني للثورة ضد الأمير أبي البقاء بالتواطؤ مع أبي عصيدة أمير المملكة الحفصية بتونس.
- 3- قامت هذه الحاشية بتذكير الأمير أبي البقاء بما حصل لأبيه زكرياء وجدده أبي إسحاق في بجاية، واتهموا الغبريني بأنه هو الذي دبر المكيدة وأغرى قبيلته بني غبرين بالقبض على أبي إسحاق، حيث قتل بأمر الدعي ابن أبي عمارة سنة (682هـ/1283م)⁽³⁴⁾.
- كل هذه الوشائيات والتهم جعلت الأمير أبي البقاء يقتنع بما دبر ضد الغبريني، فأمر باعتقاله سنة (704هـ/1304م) ثم أمر بقتله في سجنه في السنة نفسها⁽³⁵⁾.

02- «عنوان الدراية»، دراسة الكتاب:

أ- التعريف بالكتاب :

يعتبر كتاب "عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" أثراً علمياً يكشف لنا عن ملامح الازدهار الفكري والعلمي الذي كانت تتميز به بجاية في القرن السابع الهجري/13م⁽³⁶⁾.

وكان اختيار الغبريني لعنوان كتابه "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"⁽³⁷⁾ اختياراً موفقاً، فالعنوان يعبر بدقة عن المادة العلمية التي يحتوي عليها هذا المصدر.

أما الباعث على تأليفه فقد أشار إليه المؤلف حيث قال: "وإني قد رأيت أن أذكر في هذا التقييد من عرف من العلماء ببجاية في هذه المائة السابعة التي نحن في بقية العشر الذي هو خاتمتها ختمها الله بالخيرات، وجعل ما بعدها مبدأ

للمسرات ،أذكر منهم من اشتهر ذكره ونبل قدره، وظهرت جلالته ، وعرفت مرتبته في العلم ومكانته" (38).

وتتجلى قيمة الكتاب في مجموعة التراجم التي ذكرها الغبريني والتي تعطينا صورة واضحة وجلية لما كانت عليه بجاية من حركة علمية وفكرية وأدبية واسعة، ويبين في كثير من المواضع العلاقات المختلفة التي تنشأ بين أهل العلم بعضهم ببعض.

ويحتوي الكتاب على بعض الرسائل الإخوانية والسلطانية وغيرها، كما يعطينا نظرة شاملة عن الحركة الأدبية في هذا العصر، ومن ثمة فإنه لا غنى للباحث في الأدب المغربي في هذا العصر من الرجوع إلى عنوان الدراية، واستغلال مادته الأدبية (39).

أما قيمته العلمية فهي أشمل لأن الحياة العلمية والفكرية من حيث حركة التعليم والتأليف وكيفية سير الدروس ومناهج التعليم وطرق التدريس، والمقررات هي محور الكتاب بالإضافة إلى حديثه عن أماكن التدريس كالمساجد والكتاتيب والزوايا والحلقات العلمية وعن نشاط الورّاقين (40).

وتتجلى قيمته العلمية أيضا من حيث التنوع الذي نجده من خلال التراجم حيث تنوعت هذه التراجم بين اتجاهات فكرية وعلمية عديدة من فقه وتفسير وحديث وتصوف وأدب.

وإذا تحولنا بين تراجم «العنوان» نجد أن الغبريني قد وفق في ترتيب التراجم وجمعها حيث لم يقتصر على الترجمة للعلماء البجائيين، بل تعداه إلى العلماء الوافدين على هذه الحاضرة مثل الأندلسيين والمشاركة، حيث ترجم ل: 109 شخصية علمية وفكرية جاءت على النحو الآتي :

1- تراجم البجائيين والجزائريين، وعددهم: 65 علما.

2- تراجم العلماء الأندلسيين الذين هاجروا إلى بجاية، وعددهم: 36 عالماً.

3- تراجم العلماء المشاركة الوافدين على بجاية، وعددهم: 08⁽⁴¹⁾.

ويمكن أن نصنفهم كالتالي:

• العلوم الدينية: وعددهم 52 عالماً.

• التصوف: وعددهم 19 عالماً.

• اللغة العربية وآدابها: وعددهم 22 عالماً.

• التاريخ: وعددهم 05 علماء.

• المنطق: وعددهم 06 علماء.

• الطب والصيدلة: وعددهم 04 علماء.

• العلوم العديدة: وعددهم عالم واحد 01⁽⁴²⁾.

وختم الغبريني كتابه بفريدة قلما نجدها في كتب التراجم أو الطبقات، فذكر في آخر «عنوانه» برنامج مشيخته، حيث أعطانا صورة واضحة عن المؤلفات التي كانت معتمدة في كل علم من العلوم، وفي هذا يقول الغبريني: "وإني أردت لما أتيت على ذكر ماشرطت ذكره من علماء هذه المائة السابعة ومن أنصاف إليهم فيمن كان في آخر المائة السادسة... رأيت أن أذكر بعد ذلك طريق استفادتي مما استفدته ووجه تلقي ماتلقيته من العلم ورويته، لينتفع بذلك من له إرب وليجده منظوما كيف يريد من له عليه بحث وطلب"⁽⁴³⁾.

ب- منهج الغبريني في كتابه عنوان الدراية :

تمتع الغبريني بدرجة كبيرة من الحس التاريخي، والإدراك الشديد الواعي لما يقدمه ويعرضه أثناء ترجمته لعلماء المائة السابعة بحماية.

ويبدأ المؤلف بذكر صاحب الترجمة في رأس موضوعه اسمه وكنيته وصفته، كما يذكر في بعض الأحيان نسبه ويتحقق من ذلك، ثم يصف حاله متعرضاً لما عرف عنه من عناية بعلم أو أدب أو فقه، ويختتم الترجمة بنبذة من شعر المترجم له إن كان شاعراً، ونماذجاً من حكم أو أقوال المترجم له إن وجد ذلك، ويتعرض الغبريني في بعض التراجم إلى رحلة صاحبها إن كان من الوافدين على بجاية أو من الأندلسيين الذين استقروا بها⁽⁴⁴⁾.

وقد رتب الغبريني تراجمه، فمعظم من ذكرهم في كتابه العنوان من العلماء الذين اشتهروا في علم من العلوم، ومنهم من تقلد الكتابة والوزارة، وبعضهم تولى القضاء والإمامة.

ونجد أن الغبريني أخذ في مقدمة كتابه عهداً بان لا يذكر في تراجمه ما يشير إلى القدرح فيهم، بل يذكر ما امتازوا به من فضائل، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "ومازلت انقد على من يذكر أهل العلم ثم يغمز في شأنهم، ويشير إلى القادح، فلا أريد إلا الخير ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۗ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾"⁽⁴⁵⁾.

واستعمل الغبريني في كتابه العنوان أسلوباً تميز بالقوة حيث كانت لغته سلسلة يسهل على القارئ فهمها، وعمد إلى الاستشهاد بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الشريفة والآيات الشعرية للتدليل على صحة أقواله في بعض الأحيان فهو يورد استشهاده دائماً في المكان المناسب، ومثال ذلك عندما ترجم لأبي زكرياء بن أبي علي الزواوي (ت 611هـ/1214م)، ذكر أن الشيخ قبل وفاته وعظ الناس وبين لهم ما أعدده الله سبحانه وتعالى من سعة رحمته وأضعاف حسناته للمتقين والتجاوز عن السيئات⁽⁴⁶⁾، فاستشهد الغبريني في هذا المقام بقوله تعالى ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾⁽⁴⁷⁾.

وكثرة استشهاده بالسنة النبوية ملاحظ في كتاب «العنوان» ومثال ذلك: عند حديثه عن التوحيد في ترجمة أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم السجلماسي (ت القرن 07هـ/13م)⁽⁴⁸⁾، استشهد الغبريني ببعض الأحاديث الشريفة كقوله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم و أموالهم إلا بحقتها، وحساجم على الله»⁽⁴⁹⁾ وقوله ﷺ «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»⁽⁵⁰⁾.

واستعمل الغبريني في عرضه لمعظم تراجمه أسلوباً تميز بالإيجاز والاختصار والتركيز، وابتعد عن السرد والاستطراد وذكر التفاصيل حيث اقتصر على ذكر الأحداث المهمة في حياة العلماء وأهم إنجازاتهم العلمية والفكرية.

ولم يخرج الغبريني عن خطه الكتاب، وهو الترجمة لعلماء المائة السابعة ببجاية بالرغم من ترجمته لبعض علماء المائة السادسة كأبي مدين شعيب (ت 594هـ/1197م)⁽⁵¹⁾، وأبي علي المسيلي (ت آخر القرن السادس هـ/12م)، وأبي عبد الحق البجائي الاشبيلي (ت 582هـ/1186م) وغيرهم، ولا يعتبر هذا خروجاً عن الخطة لأنه أشار في مقدمة كتابه إلى هذا الأمر وذلك لقرب هؤلاء بالمائة السابعة⁽⁵²⁾.

ج - مصادر كتاب عنوان الدراية:

توضح لنا مصادر الغبريني التي اعتمد عليها مدى ما تمتع به هذا المؤرخ من عمق وحس تاريخي، حيث تأثر بمنهج من تتلمذ عليهم من علماء الحديث، فساعده هذا المنهج على ذكر جميع مصادره في كل خبر نقله أو سمعه، وأهم ما اتصف به من حيث استخدام المصادر أنه حرص على تنوعها مما جعل من كتاب «عنوان الدراية»⁽⁵³⁾ مزيجاً من المعارف والأخبار وهذا التنوع أخذ أشكالا متعددة تتضح فيما يلي:

• أولاً: اعتمد الغبريني في نقل معلوماته وأخباره عن شيوخ ذوي تخصصات متنوعة لهم منزلة كبيرة في مجال التعليم والتأليف فنجد من بين شيوخه: الفقهاء

المحدثين والمؤرخين والصوفية والمفسرين، وغيرهم وهذا دليل على تنوع الأخبار التي تلقاها وأدرجها في كتاب «العنوان».

• **ثانياً:** أخذ الغبريني أغلب معلوماته عن شيوخ بجائين بحكم أن الكتاب يتناول الترجمة لعلماء بجاية محل إقامته حيث أخذ عن مجموعة كبيرة من علمائها كأبي العباس أحمد بن محمد العماز الأنصاري البلسي (ت693هـ/1293م)⁽⁵⁴⁾، حيث قال عنه الغبريني "رأيت بهجاية ولقيت به رأيت أيضاً بتونس رؤية جيدة واستفدت من أخلاقه ومن الاطلاع على أحكامه بحضوري مجلسه ما انتفعت به كثيراً"⁽⁵⁵⁾.

وكمعاوية الزواوي وهو من خدام الشيخ أبي الفضل قاسم بن محمد القرشي (ت662هـ/1263م)⁽⁵⁶⁾ حيث اعتمد عليه عند الترجمة لهذا الأخير قال الغبريني: "ذكر معاوية الزواوي وهو من خدامه قال جئت يوماً لأراه فلما وقفت عند باب الزاوية، أصابني هيبة وسمعت كلاماً بداخلها..."⁽⁵⁷⁾.

• **ثالثاً:** استقى الغبريني معلوماته أيضاً عن طريق الاطلاع على السجلات الرسمية في الدواوين، فيقول مثلاً عند حديثه عن تولى أبي تميم ميمون بن خلفون البردوي⁽⁵⁸⁾ للقضاء بجاية "وولي أبو تميم المذكور قضاء بجاية مدة قليلة، وقد رأيت التسجيل عليه في بعض كتب القضاء الكائنة بمودع بجاية حرسها الله"⁽⁵⁹⁾.

• **رابعاً:** اعتمد الغبريني أيضاً في توثيق معلوماته على الوثائق⁽⁶⁰⁾ التي احتفظ بها أهلها، فيقول عند حديثه عن أبي زكرياء يحيى بن علي المهدي (ت القرن 13هـ/13م)، والفقير أبو محمد عبد الحق (ت القرن 07هـ/13م): "...وما يوجد من وثائقهما وكتبهما يدل على تحصيلهما وفضلهما"⁽⁶¹⁾، وكحديثه عن أبي محمد عبد الحق الاشيلي (ت582هـ/1186م)⁽⁶²⁾ حيث قال: "جلس للوثيقة والشهادة وولي قضاء بجاية مدة قليلة، ولم يشتهر ذلك من أمره، ولا اطلعت على ذلك إلا من رسوم وجدتها مسجلاً عليه فيها"⁽⁶³⁾، وعند حديثه عن وفاة الشيخ أبي زكرياء الزواوي (ت611هـ/1214م)⁽⁶⁴⁾ يقول الغبريني: "لقد رأيت فضلاً فيه ذكر وفاته بخط الشيخ المقرئ أبي العباس بن الخراط، وأنا أذكره بنصه..."⁽⁶⁵⁾.

ويقول عن أبي محمد عبد الحق الأزدي الاشبيلي(ت 628 هـ/1230م): "ورأيت له برنامجا ذكر فيه شيوخه و مقروءاته من الكتب يشتمل على مائتين كتابا واثنين وعشرين كتابا كلها مسندة إلى مؤلفيها ..."(66).

ويقول عند حديثه عن الشيخ أبي الخطاب بن دحية الكلبي "ورأيت من كلامه كثيرا في رسائل ومحادثات..."(67).

• **خامسا:** حصل الغبريني على معلوماته أيضا عن طريق المشاهدة، فعند كلامه عن شيخه أبي محمد عبد الحق بن ربيع الأنصاري (ت 675هـ/1276م) سجل مشاهدته لخطه بقوله: "كان ابن مقلة زمانه، له خطوط جميلة وهو في كل واحد منها ابن مقلة زمانه، كان يكتب الشرقي والغربي على فنون من ريجاني وتحساني، وديواني وغير ذلك من أنواعه..."(68).

ويشير إلى مشاهدته بقوله: "شاهدت" أو "شاهدتها"، كقوله عند الحديث عن شيخه أبي العباس أحمد بن عيسى الغماري(ت682هـ/1283م) (69): "حضرت دروسه وشاهدتها"(70)، أو كوصفه لشيخه أبي القاسم بن زيتون(ت 691هـ/1291م) (71)، حيث قال عنه: "وكان من أجمل الناس منظرا"(72)، وكقوله عن أبي بكر محمد بن سليمان الزهري البلنسي(ت 655هـ/1257م) (73): "ورأيت له خطباً في عقود النكاح حسنة... وجميع ما طالعت من الكتب التي يوجد عليها خطه في غاية الجودة، وقد رأيت له هذا في فنون كثيرة من الفقه والحديث والأدب واللغة"(74).

• **سادسا:** أخذ الغبريني مادة كتابه «العنوان» أيضا عن طريق الإطلاع على الكتب والمدونات التي صنفها أصحابها، كقوله مثلا: "ورأيت في فهرست أبي عبد الله محمد بن عبد الحق التلمساني..."(75)، وكحديثه عن أبي علي حسن بن علي بن محمد المسييلي(ت آخر القرن 06 هـ/12م): "...له التذكرة في أصول علوم الدين، وهو كتاب حسن طالعته، وكررت النظر فيه، فرأيت من أجلّ الموضوعات في هذا الفن..."(76).

وكقوله عن شيخه أبي زكرياء يحيى بن محجوبة القرشي السطيفي (ت677هـ/1278م) ⁽⁷⁷⁾ "ورأيت له تأليفا حسنا في شرح أسماء الله الحسنى" ⁽⁷⁸⁾.

وكوصفه لتأليف «الوافي» في علم الفرائض للشيخ أبي الحسن علي الحرالي التجيبي ⁽⁷⁹⁾، حيث قال عنه: "ما رأيت مثله في ذلك الفن لأنه أعطى الفرائض مفصلة معللة بأخصر بيان" ⁽⁸⁰⁾.

• **سابعا:** أخذ الغبريني مادته العلمية أيضا عن طريق الاستعانة ببقايا النقوش الأثرية، كالكتابات على القبور حيث استفاد منها في تحديد تواريخ وفيات بعض علماء بجاية، كقوله مثلا عند حديثه عن الشيخ أبي محمد عبد الحق الأشبيلي (510-582هـ/1116-1186م) ⁽⁸¹⁾، "وكان تاريخ وفاته مكتوبا في رخامة عند قبره" ⁽⁸²⁾.

وكذكره لتاريخ وفاة شيخه أبي محمد عبد الحق بن ربيع بن أحمد الأنصاري (ت675هـ/1276م) ⁽⁸³⁾ حيث قال: "توفي رحمه الله في الثامن والعشرين لربيع الأول من عام خمسة وسبعين وستمائة ودفن في خارج باب المرسى،... وتاريخ وفاته في رخامة وضعت لحدا على قبره" ⁽⁸⁴⁾.

• **ثامنا:** اعتمد الغبريني في نقل مروياته كذلك عن طريق المشافهة والسماع على أشهر شيوخ عصره، واستعمل الألفاظ والمصطلحات الدالة على ذلك فكان يسبق اسم محدثه بقوله: "سمعت عن الفقيه... " ⁽⁸⁵⁾، أو يقول: "أخبرني غير واحد" ⁽⁸⁶⁾، وتمثل الروايات التي أخذها الغبريني عن طريق المشافهة والسماع معظم مصادر الكتاب.

وقد حرص الغبريني في رواية أخباره في كتابه عنوان الدراية على اتباع طريقة المحدثين في ذكر أسانيد الروايات، حيث استعمل الإسناد بطرق مختلفة، جاءت على النحو الآتي:

01- استعمل الغبريني المسند الموصول، كقوله: "أخبرني الشيخ أبو محمد عبد الحق بن ربيع عن الفقيه أبي الزهر ربيع... " ⁽⁸⁷⁾.

أو كقوله: "حدثنا أبو العباس بن خضر عن الخطيب أبي بكر بن سيد الناس عن أبي العباس ابن مقدم عن الحافظ أبي بكر بن العربي..."⁽⁸⁸⁾.

02- استعمل الغبريني أحيانا المسند المقطوع، فكان يورد اسم الشيخ الذي أخذ عنه دون ذكر سلسلة إسناده كقوله: "أخبرنا شيخنا أبو محمد عبد الحق عمن أخبره أن الشيخ أبا علي المسيلي كان يأتي إلى الجامع الأعظم في الثلث الأخير من الليل للتهجد"⁽⁸⁹⁾، أو كقوله: "أخبرني شيخنا الفقيه أبو محمد عبد العزيز..."⁽⁹⁰⁾.

03- استعمل الغبريني الإسناد إلى مجاهيل، فكان يسند أخباره ومروياته إلى رواة سمع منهم دون ذكر أسمائهم، كقوله: "أخبرني بعض الأصحاب أن بعض الطلبة وقع بينهم نزاع في بعض الأحاديث المروية عن النبي ﷺ"⁽⁹¹⁾، أو كقوله: "أخبرني بعض من وثقت بهم"⁽⁹²⁾، أو "ما سمعت عن غير واحد ممن أثق به..."⁽⁹³⁾.

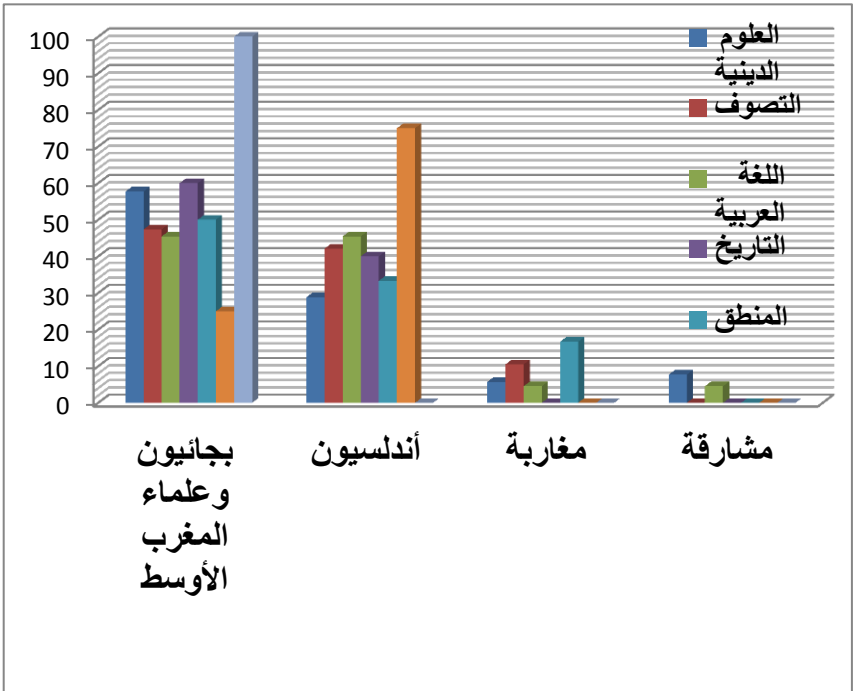
04- بالرغم من أن الغبريني حرص على توثيق أغلب رواياته وذلك بذكر الرواة في سلسلة الإسناد، إلا أن بعض الروايات وردت لديه في كتاب «العنوان» بدون إسناد، حيث يسبقها بكلمة "يقال" أو "ذكر لي"، كقوله: "ويقال أنها بعثت بما إلى ابن الفكون" (ت القرن 07هـ/13م)⁽⁹⁴⁾، أو كقوله عند حديثه عن الشيخ أبي محمد عطية الله بن منصور الزواوي (ت القرن 07هـ/13م): "وذكر لي أن اسمه الذي يسمى به لم يكن عطية الله..."⁽⁹⁵⁾.

الخاتمة:

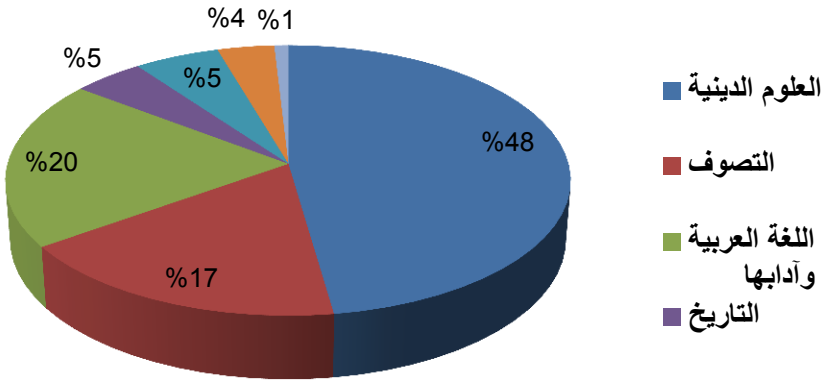
يتضح مما سبق أن كتاب «عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية»، لأبي العباس أحمد الغبريني (ت 704هـ/1304م) يعتبر أهم مصدر أُرِجَ للحياة الفكرية والعلمية ببجاية خلال القرن 07هـ/13م، حيث كشف فيه مؤلفه ما كان خافياً من تاريخ هذه الحاضرة في الجوانب العلمية والفكرية، فكانت من أبرز حواضر المغرب الإسلامي في العصر الوسيط.

الملاحق:

الملحق(01): العلماء الذين ترجم لهم الغربيون ونسب تمثيلهم في مختلف العلوم، حسب أصولهم.



الملحق(02): توزيع العلماء الذين ترجم لهم الغبريني على مختلف العلوم.



الهوامش:

(1) اختلف المترجمون للغبريني في اسم والده فمنهم من يذكره أحمد بن محمد، ومنهم من يقول أنه: أحمد بن أحمد، فمن الذين رجحوا الرأي الأول: ابن قنفذ القسنطيني: كتاب الوفيات، تحقيق عادل نويهض، ط3، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م، ص338؛ النباهي: المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا، دط، المكتب التجاري، بيروت، دت، ص132؛ الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص25، ومن الذين اختاروا الرأي الثاني وهو أحمد بن أحمد: محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية في

طبقات المالكية، دط، دار الفكر، دمشق، دت، ص215؛ ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003، ج01، ص221؛ الزر كلي: خير الدين، الأعلام، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980، ج01، ص10؛ عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، ط02، مؤسسة نويهض للثقافة والتأليف، بيروت، 1983، ص248، ورايح بونار في مقدمة تحقيقه لكتاب العنوان ص:12.

(2) الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية (مقدمة المحقق رايح بونار)، ط02، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981، ص23؛ الزر كلي، الأعلام، ج01، ص90.

(3) المصدر نفسه، ص04.

(4) معجم أعلام الجزائر، ص248.

(5) الغبريني: عنوان الدراية، ص23.

(6) الغبريني: المصدر نفسه، ص23؛ القراني: بدر الدين محمد، توشيح الديباج وحلية الابتهاج، تحقيق علي عمر، ط01، مكتبة الثقافة، 2004، ص47؛ محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية، دط، دار الفكر، بيروت، ج01، ص224.

(7) الغبريني: المصدر نفسه، ص23؛ القراني: توشيح الديباج وحلية الابتهاج، ص47؛ محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية، ص224.

(8) الغبريني، المصدر نفسه، ص23؛ محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية، ج01، ص243؛ التنبكتي: أحمد بابا، نيل الابتهاج و تطريز الديباج، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989، ص104.

(9) ابن قنفذ: الوفيات، ص339.

(10) النباهي: المرقة العليا، ص132.

(11) محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية، ص215.

- (12) انظر: ابن قنفذ القسنطيني، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، دط، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص31؛ النباهي: المرقبة العليا، ص132.
- (13) يقول ابن خلدون: "أما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارس بالرسم ومسائله " المقدمة، دط، دار الجيل، بيروت، دت، ص594.
- (14) الغبريني: عنوان الدراية، ص24.
- (15) المصدر نفسه، ص24.
- (16) نفسه، ص25.
- (17) نفسه، ص25.
- (18) نفسه، ص307.
- (19) علوم الدراية تعتمد على الاستنباط والنظر، أما علوم الرواية فتعتمد على الرواية والسماع.
- (20) الغبريني: عنوان الدراية، ص ص323، 309.
- (21) المصدر نفسه، ص ص323، 307.
- (22) نفسه، ص ص311-307.
- (23) Lucien Leclerc: Histoire De La Médecine Arabe, Tom:01, Imprimerie De Fedala, Mohammedia, Marok, 1980, p252.
- (24) الغبريني: المصدر نفسه، ص308.
- (25) نفسه، ص309.
- (26) نفسه، ص309.
- (27) نفسه، ص310.
- (28) نفسه، ص311.
- (29) نفسه، ص319.

(30) نفسه، ص321.

(31) ابن خلدون:العبر، ج6، ص316.

(32) محمد العروسي المطوي:السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص293.

(33) محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص294

(34) ابن خلدون:العبر، ج6، ص316.

(35) يذكر ابن خلدون أن الذي دبر المؤامرة ضد الغبريني هو ظافر الكبير، وكان أحد المحظوظين في البلاط الحفصي بجاية، وأن الذي قتله يسمى منصور التركي.العبر، ج6، ص294.

(36) اختلف المؤرخون في تاريخ تأسيس مدينة بجاية حيث يرى صالح بعيزيق أن تاريخ (460هـ/1067م) هو تاريخ تأسيس المدينة لعدة اعتبارات، منها أن أغلب المؤرخين أخذوا تاريخ (457هـ/1064م) عن بعضهم البعض، فلربما نقل ياقوت وابن الأثير الواحد عن الآخر، لاسيما أنهما عاشا في نفس الفترة كما أنه لا يمكن للناصر أن يؤسس مدينة بجاية، في نفس السنة التي انهزم فيها في معركة سببية، إذ أنه مازال يعاني من تبعات ونتائج هذه المعركة، التي تكبد فيها خسائر فادحة من طرف بني هلال.صالح بعيزيق: بجاية في العهد الحفصي، دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس 2006، ص53، إلا أن الراجح في هذه المسألة ما ذهب إليه الدكتور عمارة علاوة من أن بداية بناء بجاية و تشييدها قد بدأت سنة (457هـ/1064م) وانتهت في (460هـ/1067م).للتفصيل أكثر في هذا الموضوع يُنظر:

Allaoua AMARA: pouvoir économie et société dans le Maghreb Hammadide (395/1004 – 547/1152), thèse de doctorat, université paris-1, Sorbonne, 2002, vol.1, P141.

(37) لم يذكر أحد ممن ترجم للغبريني أو تحدث عن سيرته أن لهذا الأخير غير هذا التأليف سوى القرابي حيث ذكر للغبريني تأليف أخرى مثل "الأربعون المسماة بالمورد الأصفى"، وكتاب "الفصول الجامعة". القرابي: توشيح الديباج، ص 47.

(38) الغبريني: عنوان الدراية، ص 55.

(39) المصدر نفسه، ص 79.

(40) احتل الوراقون مكانة رفيعة في المجتمع البجائي، حتى أن الأمراء والسلاطين في بجاية كانوا يعظمون أصحاب هذه المهنة، انظر الغبريني: المصدر نفسه، ص 240.

(41) يُنظر الملحق رقم: 01.

(42) يُنظر الملحق رقم: 02.

(43) من العلماء الأندلسيين الذين ذكرهم الغبريني وترجم لهم: أبو العباس أحمد بن خالد المالقي، وأبو عثمان سعيد بن علي الأنصاري البلنسي وغيرهم، ومن المشاركة الذين ترجم لهم: تقى الدين الموصللي، وعبد الجبار بن أبي البركات الطرابلسي.

(44) عرفت بجاية توافد الكثير من العلماء من مختلف الحواضر الأندلسية وحتى المشرقية، كما شد طلاب العلم رحالهم إلى مختلف الأقطار والحواضر قصد الاستزادة في العلوم والرغبة في ملاقاتة العلماء والأخذ عنهم، والاستفادة من مناهجهم في التعليم للتفصيل يُنظر:

Urvoy.(Dominique):la structuration du monde des ulémas à bougie au VII /XIII siècle, Dans studia islamic, XLIII(1976), p99.

(45) سورة هود، الآية 88.

(46) الغبريني: عنوان الدراية، ص 137.

(47) سورة الكهف، الآية: 30.

(48) ترجم له الغبريني، ص 132.

(49) رواه الإمام مسلم في صحيحه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دط، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ج01، حديث رقم: 33، ص52.

(50) رواه الإمام مسلم، المصدر السابق، ص55.

(51) ولد أبو مدين شعيب سنة 520هـ/1126م بحصن قطانية في اشبيلية حيث نشأ يتيماً، بدأ رحلته العلمية بعد مغادرته للأندلس، أين استقر بالعديد من الحواضر المغربية كطنجة وسبتة ومراكش وفاس وتلمسان وبجاية، هذه الأخيرة التي استقر فيها لعدة سنوات، فدرّس التصوف من مصادره الرئيسية كالرعاية للمحاسبي، وإحياء علوم الدين للغزالي، وغيرها من المصنفات الصوفية الأخرى، فكان يُلقب دروسه بالجامع الأعظم وغيره من مساجد بجاية. للتفصيل يُنظر: ابن قنفذ القسنطيني: انس الفقير وعز الحقير، نشره وصححه محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، كلية الآداب بالرباط، 1965، ص13؛ أبو القاسم بلعربية: الشيخ أبو مدين، محاضرات ودراسات عن الحياة الروحية في الإسلام، ملتقيات الفكر الإسلامي، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، 2005، ص807؛ Emile Dermenghem: Vies des Saints musulmans, L'imprimerie Darantier du dyan, 1988, p250.

(52) الغبريني: عنوان الدراية، ص55.

(53) يعتبر كتاب «عنوان الدراية» من الكتب التي تدخل ضمن «التأريخ المحلي» الذي يهتم بالتأريخ لمنطقة معينة، وهذا النوع من الكتابة تعبير صادق عن ارتباط المؤرخ بإقليمه واعتزازه بوطنه.

(54) ترجم له الغبريني: عنوان الدراية، ص129.

(55) الغبريني: المصدر نفسه، ص130.

(56) ترجم له الغبريني: المصدر نفسه، ص161.

- (57) المصدر نفسه، ص163.
- (58) ترجم له الغبريني: عنوان الدراية، ص183.
- (59) المصدر نفسه، ص183.
- (60) تعتبر الوثائق من المصادر المهمة لتأريخ الأحداث وتمثل في الرسائل الصادرة من ديوان الإنشاء في الحاضرة إلى الولايات، أو الأقاليم التابعة للحكومة المركزية، والمنشورات والسجلات والأحكام والفتاوى والنصوص والمعاهدات، وعقود البيع والشراء وغير ذلك وتصدر هذه الوثائق عن الدواوين، كديوان الرسائل الذي كان يتولى تنفيذ الأوامر الصادرة عن الخلفاء والسلاطين، وكالرسائل السلطانية والأحكام والمعاهدات التي تكون بين الدول. السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، دط، دار النهضة العربية، 1981، ص133؛ قاسم يزيك: التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990، ص53.
- (61) الغبريني: عنوان الدراية، ص221.
- (62) الغبريني: المصدر نفسه، ص73.
- (63) نفسه، ص73.
- (64) نفسه، ص135.
- (65) نفسه، ص136.
- (66) نفسه، ص193.
- (67) نفسه، ص229.
- (68) الغبريني: عنوان الدراية، ص86.
- (69) المصدر نفسه، ص112.
- (70) نفسه، ص112.
- (71) نفسه، ص114.
- (72) نفسه، ص114.
- (73) نفسه، ص241.
- (74) نفسه، ص242.

(75) نفسه، ص 61.

(76) نفسه، ص 66؛ Cherbonneau: Aicha , poète de Bougie au 7 ème siècle de l'hégire , la Revue Africaine , Année(04) , (1859-1860) O.P.U. Alger, 1985, p.p 34, 35.

(77) الغبريني: المصدر السابق، ص 119.

(78) المصدر نفسه، ص 120.

(79) نفسه، ص 145.

(80) نفسه، ص 148.

(81) نفسه، ص 73.

(82) نفسه، ص 75.

(83) نفسه، ص 85.

(84) نفسه، ص 89.

(85) نفسه، ص 87.

(86) نفسه، ص 142.

(87) نفسه، ص 58.

(88) نفسه، ص 109.

(89) نفسه، ص 67.

(90) نفسه، ص 147.

(91) نفسه، ص 58.

(92) نفسه، ص 134.

(93) نفسه، ص 152.

(94) نفسه، ص 79.

(95) نفسه، ص 141.

University of chahid hamma lakhdar. El-oued. Algeria
Faculty of social and human sciences



JOURNAL OF EL MAAREF

For researches and historical studies

Periodical and international refereed journal

Number

07

